

نام كتاب: بهج الصباغة فى شرح نهج البلاغة

پدیدا آور: شوشتری، محمد تقی

تاریخ وفات پدیدا آور: ۱۴۱۵ ه. ق

موضوع: نهج البلاغه (خطبه ها - كلمات قصار - نامه ها)

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۴

ناشر: دار امیر کبیر

مکان چاپ: تهران - ایران

سال چاپ: ۱۳۷۶ ه. ش

نوبت چاپ: ۱

ص: ۵

الجزء الأول

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحة

فهرس المطالب ۵

كلمة فى حياة المؤلف ۹

دلیل القارئ ۱۳

مقدمة مؤسسه نهج البلاغة ۱۵

مقدّمة المؤلّف ١٧

ذكر ما فى شرح ابن أبى الحديد من المعاييب ٢٣

ردّ المؤلّف على ابن ميثم و السيّد الخوئى ٢٤

وجه تسمية الكتاب ببهج الصبّاغه ٤٢

شرح خطبة الرضى ٤٣

ما قال معاوية ردّا لمحقن فى فصاحة علىّ عليه السّلام ٥٩

رؤية إبراهيم المهديّ عليّا فى المنام و ما جرى بينهما ٦٠

اعترافات الفصحاء بأنّ عليّا عليه السّلام أفصح الناس ٦٤

حديث من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه ٧٣

نقل كلام شارح المعتزلىّ فى فضائله عليه السّلام ٧٥

نسب الرضى ٩٦

ما قال ابن أبى الحديد فى ردّ من نسب النهج إلى الرضى ٩٩

الإشارة إلى الموارد التى ذكرها المؤرّخون فى شجاعته عليه السّلام و قول النّبىّ صلّى الله عليه و آله له:

لا فتى إلّا علىّ ١٠٩

الإشارة إلى طرف من زهده عليه السّلام ١١١

فى أنّه جمعت الاضداد فى صفاته عليه السّلام ١١٣

الإشارة إلى كرائم كلامه عليه السّلام ١٢٠

ما نقل عنه عليه السّلام فى معنى البلاغة ١٣١

ص: ٦

خطبة عمر بالجابية و إيراد القسّ عليه ١٣٥

ما قاله عليه السّلام فى جواب من سأله أن الحرب أكان بقضاء من الله و قدره؟ ١٣٧

الفضل الأوّل - فى التّوحيد ١٤٣

العنوان ١ من الخطبة ١: «الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون...» ١٤٤

- من الخطبة ٩٤: «الحمد لله الأوّل فلا شىء قبله...» ١٤٤

- من الخطبة ٩٢: «فتبارك الله الذى لا يبلغه بعد الهمم...» ١٤٥

العنوان ٢ من الخطبة ١: «أولّ الذّين معرفته...» ١٥٦

العنوان ٣ من الخطبة ١: «كائن لا عن حدث...» ١٦١

العنوان ٤ من الخطبة ٤٩: «الحمد لله الذى بطن خفيّات الأمور...» ١٦٦

العنوان ٥ من الخطبة ٦٣: «الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالا...» ١٧٥

العنوان ٦ من الخطبة ٨٣: «و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له...» ١٨٥

العنوان ٧ من الخطبة ٨٨: «الحمد لله المعروف من غير رؤية...» ١٨٨

العنوان ٨ من الخطبة ٨٩: «الحمد لله الذى لا يفره المنع و الجمود...» ١٩٧

العنوان ٩ من الخطبة ٨٩: «و لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال...» ٢٠٧

العنوان ١٠ من الخطبة ٨٩: «و انظر أيّها السائل، فما ذلك القرآن عليه...» ٢١٠

العنوان ١١ من الخطبة ٨٩: «هو القادر الذى إذا ارتمت الأوهام...» ٢١٥

العنوان ١٢ من الخطبة ٨٩: «الذى ابتدع الخلق على غير مثال...» ٢٢٢

العنوان ١٣ من الخطبة ٨٩: «فاشهد أن من شبّهك بتباين أعضاء خلقك...» ٢٢٥

العنوان ١٤ من الخطبة ٨٩: «قدّر ما خلق فألطف تقديره...» ٢٣٣

العنوان ١٥ من الخطبة ١٠٦: «الحمد لله المتجلى لخلقه بخلقه...» ٢٤١

العنوان ١٦ من الخطبة ١٠٧: «كلّ شيء خاضع له...» ٢٤٥

العنوان ١٧ من الخطبة ١٣١: «و انقادت له الدنيا و الآخرة بازمنتها...» ٢٥٤

العنوان ١٨ من الخطبة ١٥٠: «الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه...» ٢٥٨

العنوان ١٩ من الخطبة ١٦١: «الحمد لله خالق العباد...» ٢٦٥

العنوان ٢٠ من الخطبة ١٧٦: «لا يشغله شأن...» ٢٧٥

العنوان ٢١ من الخطبة ١٧٠: «الحمد لله الذى لا توارى عنه سماء سماء...» ٢٧٨

ص: ٧

العنوان ٢٢ من الخطبة ١٩٦: «يعلم عجيب الوحوش فى القلوات...» ٢٧٩

العنوان ٢٣ من الخطبة ١٧٧: «... أ فأعبد ما لا أرى...» ٢٨٣

العنوان ٢٤ من الخطبة ١٨٣: «الحمد لله الذى لا تدركه الشّواهد...» ٢٩١

العنوان ٢٥ من الخطبة ١٨٤: «ما وحّده من كيفه...» ٢٩٨

العنوان ٢٦ من الخطبة ١٩٣: «الحمد لله الذى أظهر من آثار سلطانه...» ٣٣٦

العنوان ٢٧ من الخطبة ١٥٣: «الحمد لله الذى انحسرت الأوصاف...» ٣٣٨

العنوان ٢٨ من الخطبة ١٨٩: «الحمد لله الفاشى حمده...» ٣٤٢

العنوان ٢٩ من الخطبة ١٨٠: «الحمد لله الذى إليه مصائر الخلق...» ٣٤٦

العنوان ٣٠ من الخطبة ١١٠: «هل تحسّ به إذا دخل منزلا...» ٣٦٨

العنوان ٣١ من الخطبة ١٦٥: «أيها المخلوق السّوى...» ٣٦٩

العنوان ٣٢ من الخطبة ١٥٨: «أمره قضاء و حكمه...» ٣٧٤

- العنوان ٣٣ من الكتاب ٣١: «و اعلم يا بنىَّ أنه لو كان لربِّك شريك ...» ٣٧٩
- العنوان ٣٤ من الحكمة ٢٥٠: «عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم و حلّ العقود ...» ٣٨٣
- العنوان ٣٥ الحكمة ٣٥١: «عند تناهى الشدّة تكون الفرجة ...» ٣٨٦
- العنوان ٣٦ من الخطبة ٨١: «الحمد لله الذى علا بحوله ...» ٣٨٨
- العنوان ٣٧ الحكمة ١٣: «من ضيّعه الأقرب أتيح له الأبعد ...» ٣٩٣
- العنوان ٣٨ الحكمة ٨٤: «بقيّة السيِّف أبقي عددا و أكثر ولدا ...» ٣٩٣
- العنوان ٣٩ الحكمة ١٣٩: «تنزل المعونة على قدر المئونة ...» ٣٩٦
- العنوان ٤٠ الحكمة ١٤٤: «ينزل الصّبر على قدر المصيبة ...» ٣٩٨
- العنوان ٤١ الحكمة ١٥: «تدلّ الامور للمقادير حتّى يكون الحتف فى التدبير ...» ٤٠٠
- الحكمة ٤٥٩: «يغلب المقدار على التّقدير حتّى تكون الآفة فى التدبير ...» ٤٠٠
- العنوان ٤٢ الحكمة ٧: «أعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ...» ٤٠٤
- العنوان ٤٣ الحكمة ٣٠٢: «ما المبتلى الذى قد اشتدّ به البلاء بأحوج إلى الدّعاء ...» ٤٠٩
- العنوان ٤٤ من الخطبة ١٩٧: «إنّ الله سبحانه و تعالى لا يخفى عليه ما العباد ...» ٤١٠
- العنوان ٤٥ الحكمة ٢٧٣: «اعلموا علما يقينا أنّ الله لم يجعل للعبد ...» ٤١٢
- العنوان ٤٦ الحكمة ٨٤: «قد علم السّرائر، و خبر الضّمائر ...» ٤١٦
- العنوان ٤٧ من الخطبة ٩٩: «الأوّل قبل كلّ أوّل ...» ٤١٨

ص: ٨

- العنوان ٤٨ من الخطبة ١٨١: «فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه ...» ٤٢٠
- العنوان ٤٩ من الخطبة ١٩٣: «و اعلموا عباد الله أنه لم يخلقكم عبثا ...» ٤٢٦

العنوان ٥٠ من الخطبة ٨٩: «و قدّر الأرزاق فكثّرها و قلّلها...» ٤٣٣

العنوان ٥١ من الخطبة ٨٩: «عالم السرّ من ضمائر المضميرين...» ٤٣٥

العنوان ٥٢ الحكمة ٤٧٠: «... التّوحيد أن لا تتوهّمه...» ٤٤٧

العنوان ٥٣ من الخطبة ٢١٢: «و اشهد أنّه عدل و حكم فصل» ٤٤٨

الفصل الثّاني - فى خلق السّماء و الأرض و الشّمس و القمر و النّجوم و العرش

و الكرسي ٤٥٩

العنوان ١ من الخطبة ١: «ثمّ أنشأ سبحانه فتقّ الأجواء...» ٤٦١

العنوان ٢ من الخطبة ٨٩: «و نظم بلا تعليق رهوات فرجها...» ٤٧٢

العنوان ٣ من الخطبة ٨٩: «كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة...» ٤٨٩

العنوان ٤ من الخطبة ٢٠٩: «و كان من اقتدار جبروته...» ٥٠٨

العنوان ٥ من الخطبة ١٦٩: «اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع...» ٥١٩

العنوان ٦ من الخطبة ١٥٨: «فمن فرّغ قلبه، و اعمل فكره...» ٥٢٥

الفصل الثّالث - فى خلق الملائكة ٥٢٩

العنوان ١ من الخطبة ١: «تمّ فتقّ ما بين السّماوات العلى...» ٥٣١

العنوان ٢ من الخطبة ٨٩: «تمّ خلق سبحانه لإسكان سماواته...» ٥٤٥

العنوان ٣ من الخطبة ١٠٧: «من ملائكة أسكنتهم سماواتك...» ٥٦٩

العنوان الرّابع - فى خلق آدم عليه السّلام ٥٧٣

العنوان ١ من الخطبة ١: «تمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها...» ٥٧٥

العنوان ٢ من الخطبة ٨٩: «فلما مهّد أرضه، و أنفذ أمره...» ٥٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في حياة المؤلف

في بلدة تستر فقيه عالم و محقق بارع، منقطع عن علائق الدنيا و زخارفها متوجها إلى الله تعالى. لقد أمضى حياته الشريفة في سبيل إرشاد الناس، و بثّ المعارف الإسلامية إنّه والدى المعظم الحاج الشيخ محمد تقى الشيخ التستري (الشوشترى). ولد في النجف الأشرف سنة (١٣٢٠ هـ ق) و عاش في تلك البلدة المباركة حتى السنة السابعة من عمره، فلما أتم والده العلامة آية الله الحاج الشيخ محمد كاظم التستري دراساته العلمية الاسلامية عند أساطين العلم و نال درجة الاجتهاد، عاد الى تستر و التحق بعد قليل والدى بأبيه المحترم مع والدته و خاله في تستر و اشتغل بتعلم القراءة و الكتابة و القرآن الكريم، ثمّ واصل دراسته بكلّ جدّ، فأقبل يدرس العلوم الإسلامية عند أساتذة تلك البلدة، مثل السيّد حسين النورى و السيّد محمد على الإمام و السيّد على أصغر الحكيم، ثمّ أتمّ دراساته العالية في العلوم الاسلامية عند كبار العلماء مثل السيّد محمد تقى شيخ الاسلام، و السيّد مهدي آل طيّب و والده المعظم، فنال درجة الاجتهاد.

و في سنة (١٣١٤ هـ ش) غادر مولده تستر مع عائلته مناهضا رفع

حجاب النساء، الذي فرضه رضاشاه البهلوى على ايران، و أقام في بلدة كربلاء المباركة و واصل دراساته العلمية الإسلامية في العتبات العليات، و هناك التحق بالعالم التحرير الجليل المرحوم الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهرانى و نال منه إجازة نقل الحديث.

و بعد ما عزل رضاشاه عن منصبه عاد الى تستر سنة (١٣٢١ هـ ش) و أقام في تلك البلدة و اشتغل بالتدريس و التحقيق و الإرشاد و التأليف. لقد جاء بترجمة لحياته و نشاطاته العلمية العلامّة التحرير الشيخ آقا بزرگ الطهرانى في كتابه طبقات أعلام الشيعة<sup>١</sup> و هذا نصه:

هو الشيخ محمد تقى بن كاظم بن الشيخ محمد على بن الشيخ جعفر التستري الشهير، عالم بارع ولد في النجف (١٣٢٠ هـ ش) و نشأ بها على حب العلم و الفضيلة اللذين ورثهما عن آبائه و عن جدّه الأعلى الشيخ جعفر الغنى عن الوصف، فاشتغل على الأعلام الأفاضل مجداً مجتهداً حتى برع و صنّف، فله:

<sup>١</sup> (١) طبقات أعلام الشيعة: ١: ٦٥.

١- تحقيق المسائل (شرح على الروضة البهية)<sup>٢</sup>.

٢- رسالة سهو النبي صلى الله عليه وآله<sup>٣</sup>.

٣- الرسالة المبصرة في أحوال أبي بصير<sup>٤</sup>.

٤- شرح تنقيح المقال<sup>٥</sup>.

٥- قضاء أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام<sup>٦</sup>.

ص: ١٢

٦- الأربعينيات الثلاث<sup>٧</sup>.

٧- جوامع أحوال الأئمة عليهم السلام. و انتهى. و تلوا يذكر بعض ما لم يقف عليها العلامة الطهراني<sup>٨</sup>.

٨- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، و هو هذا الكتاب الذى بين يديك<sup>٩</sup>.

٩- الأوائل<sup>١٠</sup>.

١٠- البدائع<sup>١١</sup>.

١١- آيات بيّنات في حقيقة بعض المنامات<sup>١٢</sup>.

---

<sup>٢</sup> (٢) هذا الكتاب شرح للمعة الدمشقية في مجلدات كثيرة، خرج إلى الآن منها ست مجلدات.

<sup>٣</sup> (٣) طبعت هذه الرسالة في ملحق قاموس الرجال: الجزء (١١).

<sup>٤</sup> (٤) طبعت هذه الرسالة في ملحق قاموس الرجال: الجزء (١١).

<sup>٥</sup> (٥) طبع هذا الكتاب باسم قاموس الرجال في أربعة عشر مجلداً.

<sup>٦</sup> (٦) طبع هذا الكتاب مرآت عديدة في النجف و بيروت و قم، و ترجمته باللغة الفارسية و سمّيته (قضاوت هاى على عليه السلام) و طبعت هذه الترجمة أيضا عدّة مرآت.

<sup>٧</sup> (١) طبع هذا الكتاب باسم الأربعين حديثاً.

<sup>٨</sup> (٢) طبعت هذه الرسالة في ملحق قاموس الرجال: الجزء (١١).

<sup>٩</sup> (٣) طبع في أربعة عشر مجلداً.

<sup>١٠</sup> (٤) طبع في مطبعة جامعة طهران في مجلد واحد.

<sup>١١</sup> (٥) عنيت بطبعه و نشره مكتبة الصدوق.

<sup>١٢</sup> (٦) عنيت بطبعه و نشره مكتبة الصدوق.

و في الختام أهدى أطيب تحياتي إلى مؤسسة نهج البلاغة التي عنيت بتجديد طبع هذا الكتاب، (بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) و أرجو من الله تعالى التوفيق لهذه المؤسسة في سبيل نشر المعارف الإسلامية، و السلام عليكم و رحمته و بركاته محمد علي شيخ ابن المؤلف ١٠- ٩- ١٣٦٧ هـ. ش

ص: ١٣

### دليل القارئ

- ١- ضمّ «بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلا وزّعت على ١٤ مجلداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصة بها، و أدرجت وفقاً لهيكل ارتاه المؤلف نفسه.
- ٢- اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النهج المراد شرحها، كتبت بالغامق، و انتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين منحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يشير إلى موقعها في النهج.
- ٣- قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصّ يراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، و يميّز كلّ نصّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.
- ٤- يبتدأ الشرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويتها في النصّ- غالباً- و تحصر بين قوسين و تميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.
- ٥- غالباً ما يكون الشرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ ينطلق منه إلى وقائع تاريخية و قصص أدبية معززة بأنواع الشواهد شعراً و نثراً.
- ٦- لم تحصر النصوص المنقولة- من غير نهج البلاغة- بين قوسين لكثرتها، و اكتفى لتمييز أولها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه- و يقع أوّل السطر في أحيان كثيرة- بين قوسين، و نهايتها بهامش يشير إلى استخراجها و يبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.
- ٧- عند ما يتمّ شرح كلّ نصّ من العنوان ينتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتشرح نصوصه و ينتقل إلى عنوان بعده، و هكذا تشرح الفصول متتابعة.
- ٨- إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضية توضيحية.
- ٩- أضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرست للخطب و الكتب و الحكم الواردة في ذلك المجلّد.

<sup>١٣</sup> (٧) خرج من الكتاب إلى الآن أربع مجلّدات، عنيت بنشرها مكتبة الصدوق.

١٠- و ختاماً نرجو من القراء الأعزاء إرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءً حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو و الخطأ إن وجد.

تتمنى للجميع التسديد و الصواب، و من الله الأجر و الثواب و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته الناشر

ص: ١٥

### مقدمة مؤسسة نهج البلاغة

على مدار ألف سنة مرّت من عمر هذا السّفر القيم «نهج البلاغة» دوّن عليه أكثر من (٣٠٠) شرح و ترجمة بأساليب و محتويات علمية و أذواق متباينة، اختلفت درجة تقبّل القراء لها باختلاف تطلّعاتهم و رؤاهم.

و بالرغم من تلك الشروح الكثيرة فقد بقيت امكان متلهله فيها، تشير إلى خلوها من شرح موضوعي، إلى أن تصدّى المرحوم العلامة آية الله الحاج الشيخ محمد تقى التستري لإحكام نسج جديد، فشرع بكتابة شرح موضوعي نفيس باللّغة العربية فى (١٤) مجلدات (٦٠) موضوعاً، فجزاه الله خير الجزاء، و شكر مساعيه العلمية الجليلة، و تغمّده برحمته، و أسكنه فسيح جنّاته.

إنّ أهميّة الشرح الموضوعي من منظار علمي أمر لا يقبل المناقشة، لأنّ كل علم إذا لم تبحث قضاياه بهذه المنهجية فسوف تبقى النظرة الواقعية له أو لمؤلف الكتاب عائمة فى أمواج من الغموض، تلك المنهجية التي اتخذها الفقهاء الأفاضل فى رصد و جمع الموارد ذات العلاقة و دراستها، لابداء آرائهم الدقيقة فى المسائل الفقهية الكثيرة.

و تأسيساً على ذلك ينبغى لمن يتطلّع إلى آفاق نظر الإمام عليه السّلام أن يسلك اسلوب الشرح الموضوعي، و يحتوى كل الموارد دراسة و تحليلاً، فليس من الصحيح أن تقتطع كلمة أو كتاباً من بين عشرات الكلمات و الكتب، و نشيد عليها وجهة نظر المؤلف، لأنّه لا يمكن بيان كلّ الموارد فى جملة واحدة، بل إنّ تحرّى و تجميع الجزئيات المتقارنة و المتباينة بعين شمولية فاحصة، و بمطالعة تحليلية دقيقة، و تعرف لغة و ثقافة المقال و الكتاب، تزيح ستارا كثيفاً عن الحقيقة، و تمنح دفقة اطمئنان لعرض مدروس لآراء مؤلفه.

و قد صادقت مؤسسة نهج البلاغة- ضمن خططها- على مشروع لتفسير نهج البلاغة موضوعياً، و تقرّر أن تبدأ مجاميع علمية مهامها فى هذا المجال.

فشرعت نخبة من المحققين أعمالها بدقّة و تنسيق متبادل، لرصد الموضوعات عن طريق نظام

ص: ١٦

البطاقات التي بلغت ما يقارب (٥٠٠٠) بطاقة، استلّ منها (٣٠٠) عنوان رئيسي و فرعي، و بعد دراسات و بحوث متعدّدة، و تصحيح و إكمال موارد النقص، صدر «نهج البلاغة» المنقّح بإشراف و طبع و نشر مؤسسة نهج البلاغة.

و جدير بالذكر أن من المصادر المستفادَة في ذلك المشروع هي المجموعة النادرة ل «بهبج الصباغة في شرح نهج البلاغة»، و إن كانت موضوعاتها منحصرة ب (٦٠) موضوعا، إلّا أنّها تصب في إطار هدفنا العام.

لكنّ لغةً تدوين هذا الكتاب هي العربية، و مقتضيات أهداف المؤسسة ترتبط - أوّلا بالذات - بالرّفد الثقافي للناطقين باللّغة الفارسيّة، الأمر الذي دعا إلى ترجمته.

و هنا نرى من الضرورة أن نعرب عن شكرنا لجميع الأخوة الذين ساهموا في إعداد و تنظيم و تهيئة هذه المجموعة النادرة، و عن تقديرنا لمساعدتهم المخلصة، و تحمّلهم للمصاعب العلميّة و الفنيّة باذلين وقتنا غاليا لاجراخ هذا السفر على أكمل صورة، إنّ تلك الجهود لوحه راعة تعبّر عن علاقتهم الوثيقة بسيد الأولياء، و حبّهم الكبير لمولى الموحّدين عليه السّلام.

نسأل الله أن يتقبّل من الجميع هذا العمل بأحسن القبول، و أن يكون أمير المؤمنين و إمام العارفين شفيعهم ( «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» ).

و الله ولى التوفيق سيد جمال الدين دين پرور رئيس مؤسسة نهج البلاغة

ص: ١٧

## مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة على محمّد و آله الطاهرين.

و بعد فإنّ علماء الإسلام الخاصّ منهم و العامّ، و إن صنّفوا من الصّدّر الأوّل في كلّ فنّ إلّا أنّه لم يؤلّف أحد مثل كتاب الشريف الرضىّ هذا، فإنّ أهميّة كلّ كتاب بمقدار فائدته، و قيمته بقدر عائده، و لم يبلغ بكتابه هذا بعد كتاب الله تعالى كتاب، فإنّه تاليه في الفصاحة و البلاغة، و في الاشتمال على كلّ نصح و حكمه، و لقد أجاد من قال فيه:

كتاب كأنّ الله رصّع لفظه

بجوهر آيات الكتاب المنزّل

حوى حكما كالدرّ ينطق صادقا

فلا فرق إلّا أنّه غير منزل

<sup>١٤</sup> و يأتي في العنوان (٢٣) من الفصل الأوّل خبر أنّ ذعلبا لما أجابه أمير المؤمنين عليه السّلام سؤاله «هل رأيت ربّك؟» خرّ مغشيا عليه، ثمّ قال: تالّه ما سمعت بمثل هذا الجواب<sup>١٥</sup> و يأتي في خطبة المتّقين أنّ همّاما لما سمع

كلامه عليه السّلام في وصف أهل التّقوى صعق صعقة كانت نفسه فيها<sup>١٤</sup>.

و يأتي في العنوان (١١) من الفصل الثلاثين أنّ قوله عليه السّلام: «إنّ الحقّ لا يعرف بالرجال» وقوله عليه السّلام: «انظر الى ما قال، و لا تنظر الى من قال» بلا قيمة<sup>١٧</sup>.

و قال الجاحظ: أجمعوا على أنّهم لم يجدوا كلمة أقلّ حرفا، و لا أكثر ريبا، و لا أعمّ نفعا، و لا أحتّ على تبيين، و لا أهجى لمن ترك التفهّم و قصر في الافهام من قول علي عليه السّلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»<sup>١٨</sup>.

و قال الخليل: أحتّ كلمة على طلب علم قول علي بن أبي طالب عليه السّلام: «قدر كل امرئ ما يحسن»<sup>١٩</sup>.

و قال الرضى في (خصائصه): قوله عليه السّلام: «كلمة حقّ يراد بها باطل» في ردّ قول الخوارج: «لا حكم إلّا لله» أبلغ عبارة من أمر الخوارج لما جمعوا من حسن الاعتراء و الشعار، و فتح الإبطان و الإضمار<sup>٢٠</sup>.

و قال أيضا فيه في قوله عليه السّلام: «لم يذهب مالك ما وعظك»: سبحان الله! ما أقصر هذه الكلمة من كلمة، و أطول شأ و بدرها في مضمار الحكمة<sup>٢١</sup>! و قال في (نهج البلاغة) في قوله عليه السّلام: «فلئن أمر الباطل لتديما فعل»: إنّ في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، و إنّ

حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به، و فيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، و لا يطّلع فجّها إنسان، و لا يعرف ما أقول إلّا من ضرب في هذه الصناعة بحقّ، و جرى فيها على عرق، و ما يعقلها إلّا العالمون<sup>٢٢</sup>.

و قال في قوله عليه السّلام: «فإنّ الغاية أمامكم...»: إنّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، و بعد كلام رسوله صلى الله عليه و آله بكلّ كلام لمال به راجحا، و برز عليه سابقا. فأما قوله عليه السّلام: «تخفّفوا تلحقوا» فما سمع كلام أقلّ منه مسموعا و لا أكثر محصولا، و ما أبعد غورها من كلمة و أنقع نطقها من حكمة<sup>٢٣</sup>.

<sup>١٥</sup> (٢) بهج الصباغة: الفصل (١) العنوان (٢٣).

<sup>١٦</sup> (١) بهج الصباغة: الفصل (٤٠) العنوان (١٣).

<sup>١٧</sup> (٢) بهج الصباغة: الفصل (٣٠) العنوان (١١).

<sup>١٨</sup> (٣) صرح الشارح في العنوان (١٦) من الفصل الثامن عشر أنّه نقله من كتاب البيان و التبيين للجاحظ، و أورد الجاحظ الحديث في ٢: ٨٠ بلا كلام حوله.

<sup>١٩</sup> (٤) نقله أبو علي الطوسي في أماليه ٢: ١٠٨، المجلس ١٧ باسناد عن خليل.

<sup>٢٠</sup> (٥) خصائص الأئمة للشريف الرضى: ٨٨.

<sup>٢١</sup> (٦) المصدر نفسه.

<sup>٢٢</sup> (١) نهج البلاغة ١: ٤٨، الخطبة (١٦).

و قال فى الخطبة (٢٨): لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد فى الدنيا و يضطرّ الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، و كفى به قاطعا لعلائق الآمال، و قادحا زناد الاعتاظ، و الازدجار<sup>٢٤</sup>.

و قال فى الخطبة (٨٠): إذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: «من أبصر بها بصرتّه» وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا تبلغ غايته، و لا يدرك غوره، و لا سيّما إذا قرن إليه قوله عليه السلام: «و من أبصر إليها أعمته» فإنّه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا نيرا و عجيبا باهرا<sup>٢٥</sup>.

و قال فى قوله عليه السلام: «لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير عمل...»: لو لم يكن فى هذا الكتاب إلّا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة و حكمة بالغة، و بصيرة

ص: ٢٠

لمبصر، و عبرة لناظر مفكّر<sup>٢٦</sup>.

إلى غير ذلك من كلماتهم فى كلامه عليه السلام، ممّا لو استقصيت لصارت كتابا، فلله درّه فى جمعه هذا الكتاب، فكّم اهتدى به من يوم تأليفه إلى يومنا هذا، و كم يهتدى به إلى الأبد، مع أنّه أتقن به لغة العرب، و أمّتن به قواعد الأدب، فشكر الله سعيه و أعطاه خير جزاء.

لكنّه - عفا الله عنه - لمّا كان متهالكا على نقل كلّ كلام فصيح منسوب إليه عليه السلام، لم يتفطن أنّ الخصم قد يحتال و يزور على لسانه عليه السلام بتزويق كلامه، كما ترى ذلك فى الخطبة (٩٠ و ١٦٦ و ٢٦٦) و فى نقله الخطبة (٦) لمّا أشير عليه بأن لا يتبع طلحة و الزبير، و قد تكلمنا عنها فى موضعها<sup>٢٧</sup>.

كما أنّه - عفا الله عنه - لمّا كان نظره فى اختياره من كلامه عليه السلام على الكلمة الفصيحة، فقد يقتصر من نقل كلامه عليه السلام على مثل الاقتصار على قوله تعالى: (لا تقربوا الصلاة) بدون (و أنتم سكارى)<sup>٢٨</sup> كما تراه فى الحكمة (٤٦٧)، و قد بحثناها فى موضعها<sup>٢٩</sup>.

<sup>٢٣</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ٥٨، الخطبة (٢١).

قال الشريف فى خصائص الأئمة: ٨٧ بعد نقل قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا»: ما أقلّ هذه الكلمة و أكثر نفعها و أعظم قدرها و أبعد غورها و أسطع نورها.

<sup>٢٤</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٧٢.

<sup>٢٥</sup> (٤) نهج البلاغة ١: ١٣١.

<sup>٢٦</sup> (١) نهج البلاغة ٤: ٣٨، الحكمة (١٥٠).

<sup>٢٧</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١٨١، الخطبة (٩٠) شرحها فى بهج الصباغة الفصل (٣٠) العنوان (٨). و ٢: ٨٠، الخطبة (١٦٦) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (٢٩) العنوان

(٢٤) و ٢: ٢٢٢، الخطبة (٢٢٦) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (٢٩) العنوان (٢٦) و ١: ٤١، الخطبة (٦) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (٣١) العنوان (٣).

كما أنّه - عفا الله عنه - لكون مراجعته الى كتب العامّة و رواياتهم فقط، غالباً قد ينقل ما تكذّبه روايات الخاصّة كما تراه في الخطبة (٥٧)، و قد

ص: ٢١

شرحناه في محله<sup>٣٠</sup>.

كما أنّه - عفا الله عنه - قد ينسب إليه عليه السّلام ما لغيره، كما تراه في الحكمة (٢٨٩) فاتفقت الروايات على أنّه لابنه الحسن عليه السّلام<sup>٣١</sup>. و ما تراه في الحكمة (٢٢٧) فاتفقت الروايات على أنّه عليه السّلام نقله عن النبيّ صلّى الله عليه و آله، و قد أوضحناهما في محلّهما<sup>٣٢</sup>.

كما أنّه قد ينسب إليه عليه السّلام ما روى عنه عليه السّلام في المنام، كما تراه في الحكمة (٤٠٦) و قد بحثنا ذلك في محله<sup>٣٣</sup>.

كما أنّه قد ينسب الشيء إلى غير محلّه، فقال في الكتاب (٦٢): و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر. مع أنّه روى الثقفى في (غاراته)، و ابن قتيبة في (خلفائه)، و الكليني في (رسائله)، و ابن جرير الطبري في (مستر شده) أنّه كانت خطبة له عليه السّلام في التحريض على الجهاد لمّا فتحت مصر و قتل محمّد بن أبي بكر<sup>٣٤</sup>.

كما أنّه قد يحرف لعدم تدبّره أو لسقم نسخة مستنده، فنقل في الكتاب (٥٧): «خرجت من حبي هذا» فإنه محرف: «خرجت مخرجي هذا». كما شرحناه في محله<sup>٣٥</sup>.

و نقل في الحكمة (٣٧١): «و الشرّ جامع لمساوي العيوب» فإنّه محرف

ص: ٢٢

<sup>٢٨</sup> (٣) الآية بتمامها: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون و لا جنباً إلّا عابري سبيل حتى تغتسلوا و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم و أيديكم إن الله كان عفواً غفورا). النساء: ٤٣.

<sup>٢٩</sup> (٤) نهج البلاغة ٤: ١٠٧، الحكمة (٤٦٧) شرحها في بهج الصباغة: الفصل (٢٩) العنوان (٢٧).

<sup>٣٠</sup> (١) نهج البلاغة ١: ١٠٥، الخطبة (٥٧) شرحها في بهج الصباغة: الفصل (٩) العنوان (١٥).

<sup>٣١</sup> (٢) نهج البلاغة ٤: ٦٩، الحكمة (٢٨٩) شرحها في بهج الصباغة: الفصل (٤٠) العنوان (١٥).

<sup>٣٢</sup> (٣) نهج البلاغة ٤: ٥٠، الحكمة (٢٢٧) شرحها في بهج الصباغة: الفصل (٤٠) العنوان (٥).

<sup>٣٣</sup> (٤) نهج البلاغة ٤: ٩٥، الخطبة (٤٠٦) شرحها في بهج الصباغة: الفصل (٦) العنوان (٢٥).

<sup>٣٤</sup> (٥) نهج البلاغة ٣: ١١٨، الكتاب (٦٢) شرحه في بهج الصباغة: الفصل (٨) العنوان (١٥)، و الغارات للثقفى ١: ٣٠٢، و تاريخ الخلفاء و هو كتاب الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ١٥٤، و كشف المحجّة لابن طاوس: ١٧٣ نقلا عن رسائل الكليني، و المسترشد للطبري: ٩٥.

<sup>٣٥</sup> (٦) نهج البلاغة ٣: ١١٤، شرحه في بهج الصباغة: الفصل (٣) العنوان (٧).

« و البخل جامع لمساوى العيوب»، كما نقله نفسه فى الحكمة (٣٧٨)<sup>٣٦</sup>، و نقل فى الخطبة (٤٣): «و لا وقف به عجز عمّا خلق»، فإنّ الظاهر أنّه محرّف «و لا ٢ وقف به عجز عمّا لم يخلق». و قد شرحنا الكل فى موضعه<sup>٣٧</sup>.

و نقل فى الخطبة (٤٩): «فلا عين من لم يره تنكره، و لا قلب من أثبتته يبصره»، فإنّه محرّف «فلا قلب من لم يره ينكره، و لا عين من أثبتته تبصره»<sup>٣٨</sup> و قد نقله بعضهم من الرواية<sup>٣٩</sup>.

و قد صنّف قبل المصنّف جمع فى خطبه عليه السّلام، ذكرهم (فهرست الشّيخ) و (فهرست النجاشى)، و منهم: إبراهيم بن الحكم الفزارى<sup>٤٠</sup>، و اسماعيل بن مهران<sup>٤١</sup>، و زيد بن وهب<sup>٤٢</sup>، و عبد العظيم الحسنى<sup>٤٣</sup>، و مسعدة بن صدقة<sup>٤٤</sup>، و المدائنى<sup>٤٥</sup>، و عبد العزيز الجلودى<sup>٤٦</sup>، إلّا أنّ كتبهم لم تصل إلينا.

ص: ٢٣

و أظنّ أنّ أوّل من صنّف فيها الحارث الأعور الذى كان من خواصّه عليه السّلام، و قال عليه السّلام له: «أما إنّ لا يموت عبد يحبّنى فتخرج نفسه حتّى يرانى حيث يحبّ، و لا يموت عبد يبغضنى فتخرج نفسه حتّى يرانى حيث يكره» كما رواه الكشى<sup>٤٧</sup>. و قال عليه السّلام له: أبشرك يا حارث لتعرفنى عند الممات و عند الصّراط و عند الحوض و عند المقاسمة. قال الحارث: و ما المقاسمة؟

<sup>٣٦</sup> (١) نهج البلاغة ٤: ٨٧، الحكمة (٣٧١) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (٦٠) العنوان (٨٣)، و ٤: ٩٠، الحكمة (٣٧٨) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (٤٤) العنوان (٤).

<sup>٣٧</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١١٢ الخطبة (٤٣) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (١) العنوان (٥).

<sup>٣٨</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٩٨ الخطبة (٤٩) شرحها فى بهج الصباغة: الفصل (١) العنوان (٤).

<sup>٣٩</sup> (٤) نقله ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ٢٩٢.

<sup>٤٠</sup> (٥) الفهرست للطوسى: ٤.

<sup>٤١</sup> (٦) الفهرست للنجاشى: ١٩، و الفهرست للطوسى: ١١.

<sup>٤٢</sup> (٧) الفهرست للطوسى: ٧٢، و المعالم لابن شهر آشوب: ٥١، نقله الأردبيلي عن الاسترآبادى عن النجاشى أيضا، لكن لم أجده فى فهرست النجاشى، و جامع الرواة ١: ٣٤٤.

<sup>٤٣</sup> (٨) الفهرست للنجاشى: ١٧٣.

<sup>٤٤</sup> (٩) الفهرست للنجاشى: ٢٩٥.

<sup>٤٥</sup> (١٠) قال ابن النديم فى الفهرست: إنّ له كتاب خطب على عليه السّلام. فهرست ابن النديم: ١١٤، و أمّا فهرست الطوسى ففى بعض نسخه كتاب «الخونة» لأمير المؤمنين و بعض نسخه «الحوز». فهرست الطوسى: ٩٥، و فى موضع آخر «الحروب». فهرست الطوسى: ١٩٢، و اما المعالم لابن شهر آشوب ففى بعض نسخه «الخولة»، و بعضها الآخر «الولاء» لأمير المؤمنين، المعالم: ١٣٦.

<sup>٤٦</sup> (١١) الفهرست للنجاشى: ١٦٧.

<sup>٤٧</sup> (١) أخرجه الكشى اختيار معرفة الرجال: ٨٨، و ابن شهر آشوب فى المناقب ٣: ٢٢٣ عن الحارث، و أخرجه الكليني فى الكافي ٢: ١٣٢ ح ٥، و أحمد بن محمّد بن عيسى فى نوادره عنه البحار ٦: ١٩٩ ح ٥٢ عن عباية الأسدى.

قال: «مقاسمة النار، أقاسمها قسمةً صحيحةً، أقول: هذا وليّ فاتركيه، وهذا عدوى فخذيه». كما رواه أمالي الشيخين<sup>٤٨</sup>، و قد نظم الحميريّ في قوله: يا حار همدان - الأبيات المعروفة - مضمون الخبرين<sup>٤٩</sup>.

و روى الكليني و الصدوق بإسنادهما عن أبي اسحاق السبيعي عن الحارث أن أمير المؤمنين عليه السّلام خطب خطبة بعد العصر فوجب الناس من حسن صفته و ما ذكره من تعظيم الله تعالى. قال أبو إسحاق: فقلت للحارث:

أو ما حفظتها؟ قال: كتبها - قال السبيعيّ - فأملأها علينا الحارث من كتابه ...

ثمّ زيد بن وهب الذي كان من أصحابه عليه السّلام أيضاً<sup>٥٠</sup>.

و قد شرح الكتاب جمع كثير، من أراد الوقوف عليها فليراجع (الذريعة)<sup>٥١</sup>، و لكن أبسطها و أمتنها (شرح ابن أبي الحديد) ثمّ (شرح ابن ميثم)، ثمّ (شرح الخوئي) و لكن لم يكن أحد منها جامعاً مع أن الأخير غير تام، فإنّه

ص: ٢٤

إلى الخطبة (٢٢٨). و أمّا شرح الراوندي المسمّى (منهاج البراعة) كما يفهم من (طرائف ابن طاوس)<sup>٥٢</sup>، فلم يوجد منه إلّا نسخ في بعض المكتبات، و منها نسخة في المكتبة الرضوية كشرح أبي الحسن الكيذري الذي ينقل عنه كثيرا ابن ميثم، و منها في الششقيّة في كتاب رجل من أهل السواد<sup>٥٣</sup>، فلم يوجد إلّا في بعض المكتبات، و منها نسخة في المكتبة الأميريّة، و هو جمع بين شرح الراوندي و شرح البيهقي كما نقل<sup>٥٤</sup>.

و (شرح ابن أبي الحديد) و إن ادّعى أنّه تاريخيّ أدبيّ إلّا أنّ فيه معايب، ففي بعض الموارد يفرط في نقل التاريخ حتى يمكن أن يجعل ما نقل تاريخاً مستقلاً، و كان عليه أن يقتصر على المقدار المناسب للعنوان، و في بعض الموارد لا ينقل شيئاً أصلاً،

<sup>٤٨</sup> (٢) أخرجه المفيد في أماليه: ٣ ح ٣ المجلس (١)، و أبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٢٣٨ المجلس (١٢)، و الطبري في بشارة المصطفى: ٤ و الإربلي في كشف الغمّة ٢: ٣٨ و الديلمي في إرشاد القلوب: ٢٩٧.

<sup>٤٩</sup> (٣) نقل الأبيات في ذيل الحديث في المصادر المذكورة و البيت بتمامه:

من مؤمن أو منافق قبلا

يا حار همدان من يمت يرني

<sup>٥٠</sup> (٤) الكافي ١: ١٤١ ح ٧، و التوحيد للصدوق: ٣١ ح ١.

<sup>٥١</sup> (٥) الذريعة لآقا بزرك الطهراني ١٤: ١١٣ - ١٦٠.

<sup>٥٢</sup> (١) الطرائف لابن طاوس ٢: ٤٨٣.

<sup>٥٣</sup> (٢) شرح ابن ميثم ١: ٢٦٩.

<sup>٥٤</sup> (٣) قال الكيذري نفسه في مقدّمة شرحه ١: ٨٧ أنّه استفاد من هذين الشرحين.

كما أنه في الأدب كذلك قد يفرط و قد يفرط، بل ينقل كثيرا ما لا ربط له أصلا، كما ترى عند شرحه لقوله عليه السلام في الإخبار عن الخوارج: «كلّا و الله أنّهم نطف في أصلاب الرجال و قرارات النساء»<sup>٥٥</sup>.

و قد يغفل عن شيء في محلّه و يذكره في غيره، كما تراه في أوّل فصل الجمل في قوله عليه السلام: «ربّ عالم قد قتله جهله، و علمه معه لا ينفعه»<sup>٥٦</sup>.

و له أوهام كثيرة، فنسب الخطبة (٣٩) الى كونه في غارة النعمان مع أنّه كان في قتل محمد بن أبي بكر<sup>٥٧</sup>، و نسب الخطبة (٢٩) إلى كونه في غارة

ص: ٢٥

الضحّاك مع أنّه كان بعد النهر في الشخوص إلى معاوية<sup>٥٨</sup>، و نسب الكتاب (٣٦) إلى كونه في غارة بسر مع أنّه كان في غارة الضحّاك<sup>٥٩</sup>، كما أوضحنا ذلك في فصل الغارات، و نسب قوله عليه السلام في الثاني من فصل غريب النهج «هذا الخطيب الشحشح» إلى أنّه قاله في صعصعة، مع أنّه قاله في رجل من أهل الجمل من أصحاب عائشة، كما بيّناه في الفصل السّتين<sup>٦٠</sup>. و له تفسيرات باطلة كما ستقف عليها في المطاوى كرارا.

و هو و إن نقل في شرحه أشياء حسنة و ذكر فيه أمورا مهمّة، إلّا أنّه لم يراع المناسبة في الغالب.

و أمّا ابن ميثم فمذاقه مذاق الفلاسفة، يرتكب كثيرا تأويلات غير صحيحة و يعلّل بعلل عليّة، كما في شرحه لقوله عليه السلام: «و أنا لكم وزير خير لكم منّي أميرا»<sup>٦١</sup>، و يخبط كثيرا في فهم المراد، كما في شرحه لقوله عليه السلام في الخطبة (١٠٤): «و ايم الله لو فرقوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم»<sup>٦٢</sup>.

مع قلّة اطلاعه على التاريخ فيخبط فيه، كما ترى ذلك عند شرحه لقوله عليه السلام مشيرا إلى الكوفة في الخطبة (٤٧): «ما أراد بك جبّار سوءا»<sup>٦٣</sup>، و عند شرحه لقوله عليه السلام في الخطبة (٢١٧): «أدركت و ترى من بني عبد مناف

<sup>٥٥</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٨ - ٤٤٧ شرح الخطبة (٥٩).

<sup>٥٦</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٧ - ٢٨٨ شرح الحكمة (١٠٧)، و بهج الصباغة: الفصل (٣١) العنوان (١).

<sup>٥٧</sup> (٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٣، و بهج الصباغة: الفصل (٣٤) العنوان (٦).

<sup>٥٨</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٥٣، و بهج الصباغة: الفصل (٣٤) العنوان (٥).

<sup>٥٩</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٦، و بهج الصباغة: الفصل (٣٤) العنوان (١٢).

<sup>٦٠</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥، و بهج الصباغة: الفصل (٦٠) العنوان (٦٤).

<sup>٦١</sup> (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥ شرح الخطبة (٩٠)، و بهج الصباغة: الفصل (٣٠) العنوان (٨).

<sup>٦٢</sup> (٥) شرح ابن ميثم ٣: ٣٦، و بهج الصباغة: الفصل (٩) العنوان (٢٨).

<sup>٦٣</sup> (٦) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٤، و بهج الصباغة: الفصل (٩) العنوان (١٤).

ص: ٢٦

و أفلتنى أعيان بني جمح»<sup>٦٤</sup>. و عند شرحه لقوله عليه السّلام في الخطبة القاصعة:

«و إن فيكم من يطرح في القليب ...»<sup>٦٥</sup>.

و أغرب في شرح قوله عليه السّلام في الكتاب (٢٨): «منا النبيّ و منكم المكذب»<sup>٦٦</sup>، و شرح قوله عليه السّلام في الكتاب (٥٨): «فمن تمّ على ذلك»<sup>٦٧</sup>، و شرح قوله عليه السّلام: «من أعمام و أخوال» في الكتاب (٦٤)<sup>٦٨</sup>، و شرح قوله عليه السّلام في الكتاب (٦٢): «الذي قد شرب فيكم الحرام و جلد حدّا في الإسلام»<sup>٦٩</sup>. و قد ذكرنا الكل في مواضعه.

و من العجب أنّه مع عدّه نفسه من الفلاسفة يأتي باللّجاج، ففي كثير من تلك الموارد ترى أن ابن أبي الحديد قال: إنّ الراونديّ خبط فيها، و أنّه استهزأ به لعدم اطلاعه على التاريخ، و مع ذلك أصرّ على متابعة الراونديّ، فلو كان الراوندي وقف على ما خطّى فيه لرجع، كما أنّه تبع الكيذري في أوهامه.

و (شرح الخوئي) ليس فيه سوى الإكثار من الأخبار الضعيفة، مع اقتصاره على ما ورد من طريقنا الذي لا يكون حجّة على غيرنا، مع قلّة اطلاعه على التاريخ، فتبع ابن ميثم في كثير من خطباته المتقدمة.

فرايت أن أكتب بعون الله تعالى شرحا جامعا فيه من التاريخ و الأدب و الأخبار القويّة و الآثار التي تكون حجّة بقدر الحاجة، و في محلّ يكون فيه مناسبة، مع ذكر مدارك عناوين الكتاب بقدر الوسع.

ص: ٢٧

و أمّا الشّراح المتقدّمون فلم يقفوا في كثير منها على مداركها أصلا، و في يسير منها لم يقفوا غالبا إلّا على بعضها.

و اقتصر في شرح الفقرات من الإعراب و اللّغة و التفسير على المشكلات التي تحتاج إلى ذلك، لا في كلّ فقرة كما فعله بعضهم لكونه لغوا، كما أنّه ذكرت اللّغة عند كلّ فقرة و كلمة، و لم أجمعها بعد العنوان كما فعل الشّراح لتلّا يكون الفهم في محلّ الحاجة صعبا.

<sup>٦٤</sup> (١) شرح ابن ميثم ٤: ٥١، و بهج الصباغة: الفصل (٣١) العنوان (١١).

<sup>٦٥</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣١٩، و بهج الصباغة: الفصل (٦) العنوان (٤٢).

<sup>٦٦</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٤٠، و بهج الصباغة: الفصل (٧) العنوان (١١).

<sup>٦٧</sup> (٤) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٦، و بهج الصباغة: الفصل (٢٩) العنوان (٢٥).

<sup>٦٨</sup> (٥) شرح ابن ميثم ٥: ٢١١، و بهج الصباغة: الفصل (٨) العنوان (٨).

<sup>٦٩</sup> (٦) شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٣، و بهج الصباغة: الفصل (٢٩) العنوان (٢٩).

و ذكر ابن ميثم فى أوّل كتابه مقداراً من مباحث علم البيان و تبعه الخوئى، و هو لغو، فتجنّبته لأنّه صنّف فى ذاك الفنّ كتب، فكان عليهما حيث ذكرنا مباحث البيان أن يذكرنا مباحث الصّرف و النّحو و اللّغة.

و ليس دأبى دأب أكثر الشّراح يذكر اللاحق ما قاله السابق فى صورة الإنشاء منه، فانه نوع سرقة، فما كان من غيرى أنسبه إليه، و ما فيه بلا نسبة فهو منّى. و حيث إن ترتيب المصنّف للكتاب بالخطب و الكتب و الكلمات القصار ترتيب لفظى أحببت ترتيبه بالمعنى، فجمعت ما يكون راجعا الى التوحيد مثلاً فى موضع، و ما يكون راجعا إلى النّبوة فى موضع، و إلى الإمامة فى موضع، و هكذا كلّ موضوع، و هاك تفصيل فصولها:

الأوّل: فى التوحيد، و فيه (٥٣) عنواناً.

الثانى: فى خلق السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و العرش و الكرسي و فيه (٦) عناوين.

الثالث: فى خلق الملائكة، و فيه (٣) عناوين.

الرابع: فى خلق آدم عليه السّلام، و فيه (٤) عناوين.

الخامس: فى النّبوة العامّة، و فيه (٩) عناوين.

السادس: فى النّبوة الخاصّة، و فيه (٤٧) عنواناً.

ص: ٢٨

السابع: فى الإمامة العامّة، و فيه (٣٤) عنواناً.

الثامن: فى الإمامة الخاصّة، و فيه (٣٣) عنواناً، و فى أواخرها كلامه عليه السّلام فى الشّقشقيّة<sup>٧٠</sup> و فى دفن سيّدة النساء<sup>٧١</sup> و فى فدك<sup>٧٢</sup>.

التاسع: فى إخباره عليه السّلام بالملاحم و ما يقع فى المستقبل، و فيه (٣٧) عنواناً.

العاشر: فى علمه عليه السّلام و صفحه و مكارم أخلاقه، و فيه (٦) عناوين.

الحادى عشر: فى تفسيراته عليه السّلام للآيات و غيرها، و فيه (٧) عناوين.

---

<sup>٧٠</sup> (١) العنوان (٣٠) من الفصل الثامن.

<sup>٧١</sup> (٢) العنوان (٣١) من الفصل الثامن.

<sup>٧٢</sup> (٣) العنوان (٣٢) من الفصل الثامن.

الثاني عشر: في قضايا عليه السلام، وفيه عنوانان.

الثالث عشر: في أجوبته التمثيلية و أدب السؤال و الجواب، وفيه (١٠) عناوين.

الرابع عشر: في زهده و إعراضه عن الدنيا و عدله و تواضعه و ذكر الحقوق، وفيه (١٥) عنوانا.

الخامس عشر: في التزامه عليه السلام بالحق و العدل و حنّه عليهما قولا و عملا، وفيه (٨) عناوين.

السادس عشر: في أدعيته عليه السلام، وفيه (٩) عناوين.

السابع عشر: في عجائب خلقه تعالى، وفيه (٣) عناوين.

الثامن عشر: في العلوم، مذمومها و ممدوحها، وفيه (٢٥) عنوانا.

التاسع عشر: في إرشاد الثاني (عمر) في مصالح الاسلام، وفيه عنوانان.

ص: ٢٩

العشرون: في حبه و بغضه، وفيه عنوانان.

الحادي و العشرون: في شجاعته عليه السلام و مهابته و مناعته، وفيه (٤) عناوين.

الثاني و العشرون: في أولياته و أعدائه، وفيه (١٢) عنوانا.

الثالث و العشرون: في عتاباته لعماله و غيرهم، وفيه (١١) عنوانا.

الرابع و العشرون: في حلفه و تقيته، وفيه (٣) عناوين.

الخامس و العشرون: في شكايته من أهل عصره، وفيه (٦) عناوين.

السادس و العشرون: في نقص الناس و اختلافهم و عجائب قلوبهم و صفات أراذلهم، وفيه (٩) عناوين، و منها قوله عليه السلام لمن سأله أن يعظه<sup>٧٣</sup>.

السابع و العشرون: في القضاء و القدر و فيه عنوانان.

---

<sup>٧٣</sup> (١) العنوان (٨) من الفصل السادس و العشرين.

الثامن والعشرون: فى الجامع لأمر الدين و الدنيا، و فيه (٨) عناوين، و منها وصيته عليه السّلام لابنه الحسن عليه السّلام<sup>٧٤</sup> و عهده للأشتر لما ولّاه مصر.

التاسع والعشرون: فى ما يتعلّق بعمر و عثمان، و فيه (٢٧) عنوانا.

الثلاثون: فى بيعته عليه السّلام، و فيه (١٥) عنوانا.

الحادى و الثلاثون: فى وقعة الجمل، و فيه (١٥) عنوانا.

الثانى و الثلاثون: فى وقعة صفين، و فيه (١٢) عنوانا.

الثالث و الثلاثون: فى وقعة النهروان، و فيه (١٠) عناوين.

الرابع و الثلاثون: فى الغارات، و فيه (١٢) عنوانا.

الخامس و الثلاثون: فى مقتله و وصاياه عليه السّلام، و فيه (٨) عناوين.

السادس و الثلاثون: فى الموت، و فيه (٣٤) عنوانا، و فى آخرها

ص: ٣٠

«سبحانك خالقا و معبودا»<sup>٧٥</sup>.

السابع و الثلاثون: فى ذمّ الدنيا و فنائها، و فيه (٤٣) عنوانا.

الثامن و الثلاثون: فى القيامة و الجنّة و النار، و فيه (٢٢) عنوانا.

التاسع و الثلاثون: فى ما يجب على العبد لرّبّه، و فيه (١٨) عنوانا.

الأربعون: فى الاسلام و الايمان و التقوى و الكفر و النّفاق، و فيه (٣٠) عنوانا.

الحادى و الأربعون: فى القرآن، و فيه (١٣) عنوانا.

الثانى و الأربعون: فى العبادات و المعاملات و الخير و الشرّ، و فيه (٣١) عنوانا.

---

<sup>٧٤</sup> (٢) العنوان (٢) من الفصل الثامن و العشرين.

<sup>٧٥</sup> (١) العنوان (٣٤) من الفصل السادس و الثلاثين.

- الثالث والأربعون: في مكارم الأخلاق، وفيه (٢٧) عنوانا.
- الرابع والأربعون: في ذمائم الصفات و محامدها، وفيه (٣٣) عنوانا.
- الخامس والأربعون: في آداب المعاشرة، وفيه (١٠) عناوين.
- السادس والأربعون: في الأصدقاء، وفيه (١٤) عنوانا.
- السابع والأربعون: في التعازي و التّهاني، وفيه (٦) عناوين.
- الثامن والأربعون: في آداب الحرب، وفيه (١٦) عنوانا.
- التاسع والأربعون: في ذمّ الشام و مدح الكوفة، وفيه عنوانان.
- الخمسون: في الأنصار و طوائف قريش و تميم و الشعراء، وفيه (٤) عناوين.
- الحادي و الخمسون: في الاستسقاء و الأضححة، وفيه (٤) عناوين.
- الثاني و الخمسون: في الأقبال و الإديبار، وفيه (٥) عناوين.
- الثالث و الخمسون: في الفتن و الشبه و البدع، وفيه (٧) عناوين.

ص: ٣١

- الرابع و الخمسون: في العقل، وفيه (٨) عناوين.
- الخامس و الخمسون: في القلوب، وفيه (٥) عناوين.
- السادس و الخمسون: في الحقائق، وفيه (١٤) عنوانا.
- السابع و الخمسون: في الفقر، وفيه (٤) عناوين.
- الثامن و الخمسون: في النساء، وفيه (٧) عناوين.
- التاسع و الخمسون: في إبليس، وفيه (٣) عناوين.
- الستون: في موضوعات مختلفة، وفيه (١٠٤) عناوين.

ثم إنَّ النَّسخ المطبوعه من النهج أحسنها نشر مطبعة الاستقامة المشتتملة على الأرقام فى أبوابه الثلاثة، و مع ذلك فهى مشحونة من التصحيف فى العناوين و المتون و المواضع، كما يظهر من تطبيقتها على نقل ابن أبى الحديد و ابن ميثم و على النَّسخ الخطيَّة المصحَّحة، و منها عندى نسخة مؤرَّخة بسنة (١٠٧٥) و إن كان ناشرها قال: تمتاز هذه عن المطبوعات السابقة بتمام العناية بضبطها و تصحيحها، فقد سقط منها قول المصنّف بعد الخطبة (١٩): يريد عليه السّلام أنّه أسر فى الكفر مرّة و فى الإسلام مرّة، و أمّا قوله عليه السّلام: «دلّ على قومه السيّف»: فأراد به حديثنا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غرّ فيه قومه و مكر بهم حتّى أوقع بهم خالد، و كان قومه بعد ذلك يسمّونه عرف النار، و هو اسم للغادر عندهم<sup>٧٦</sup>. و بعد الخطبة (٤٦) و ابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قد قفاه أمير المؤمنين عليه السّلام بأبلغ كلام و تمّمه بأحسن تمام من قوله: «و لا يجمعهما غيرك» إلى آخر الفصل<sup>٧٧</sup>. و بعد قوله: و من كلام له عليه السّلام فى الخطبة (١٣٣)، و قد وقعت مشاجرة بينه و بين

ص: ٣٢

عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام للمغيرة<sup>٧٨</sup>.

و سقط منها قوله فى الخطبة (٨٩): روى مسعدة بن صدقة...<sup>٧٩</sup>، و خلطت الحواشى بالمتن، ففيها فى آخر الخطبة (١٣) و فى رواية أخرى:

«بلادكم أتنن بلاد الله تربة، أقربها من الماء، و أبعداها من السماء، و بها تسعة أعشار الشرّ، المحتبس فيها بذنبيه، و الخارج بعفو الله، كأتى أنظر الى قريبتكم هذه قد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلّا شرف المسجد كأنه جوجو طير فى لجة بحر»<sup>٨٠</sup>. فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة) أثر منه، و إنّما أخذه بعض المحشّين من نقل ابن ميثم فى رواية طويلة أخذ المصنّف منها كلامه، فيها ذاك الكلام<sup>٨١</sup>.

و فيها فى الحكمة (٤٨٠) و هى آخر الحكم: قال الرضى: يقال حشمه و أحشمه إذا أغضبه، و قيل أخجله، و احتشمه طلب ذلك له، و هو مظنة مفارقتة<sup>٨٢</sup>.

و بعد الحكمة (٤٧٩) قال الرضى: لأنّ التكليف مستلزم للمشقة، و هو شرّ لازم عن الأخ المتكلّف له، فهو شرّ الإخوان<sup>٨٣</sup>.

<sup>٧٦</sup> (١) فى شرح ابن أبى الحديد ٩٧: ١، و شرح ابن ميثم ٣٢٢: بعضه.

<sup>٧٧</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٧٦: ١، و لكن شرح ابن ميثم ١٢١: ٢، خال منه.

<sup>٧٨</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٧١، و شرح ابن ميثم ٣: ١٦٣.

<sup>٧٩</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٣٨، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٢.

<sup>٨٠</sup> (٣) الزيادة فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٨٣، كلّها، و فى شرح ابن ميثم ١: ٢٩٠ بعضها.

<sup>٨١</sup> (٤) الزيادة فى شرح ابن ميثم عقيب الخطبة، و ليس فى الرواية الطويلة أثر منها.

<sup>٨٢</sup> (٥) لا يوجد فى شرح ابن أبى الحديد ٤: ٥٢٩، و أمّا شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٧ فقال فيه بعد أصل الحكمة: «حشمه أحشمه بمعنى أغضبه، و قيل أخجله». و لم ينسبه إلى الرضى.

و ليس واحد منهما كلام الرضى، بل من حواش مختلطة لخلو (ابن أبى

ص: ٣٣

الحديد و ابن ميثم و الخطيئة) من الكلامين، و لأنّ الرضى رضى الله عنه أجلّ من أن يتكلّم بمثل ذاك الكلام الساقط المذكور فيهما، و لأنّه لا يفسّر إلّا المشكل، لا مثله.

و أيضا زادت فى ما نقل كلاما للمصنّف من الأوّل إلى الآخر جملة: «قال الرضى» مع أنّه ليس كلام المصنّف حتّى يجعل جزء النهج، و إنّما هو إنشاء الشراح: ابن أبى الحديد و ابن ميثم و غيرهما، فالخطبة خالية منها، و ابن ميثم غالبا يقول: قال السيّد، و ابن أبى الحديد يعبر مختلفا<sup>٨٤</sup>.

و خلطت فى عهده عليه السّلام للأشتر لمّا ولّاه على مصر فى الكتاب (٥٣) حواش مأخوذة من رواية (تحف العقول) للعهد، بالمتن، منها: «و ليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلّا بالاهتمام و الاستعانة بالله، و توطين نفسه على لزوم الحقّ و الصبر عليه فى ما خف عليه أو ثقل» خلطه بين «و لكلّ على الوالى حقّ بقدر ما يصلحه» و «فولّ من جنودك أنصحهم فى نفسك»<sup>٨٥</sup>.

و منها: «و إن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد و ظهور مودّة الرعيّة، و أنّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم» خلطه بين «فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك» و «و لا تصحّ نصيحتهم إلّا بحيطّة على ولاة أمورهم»<sup>٨٦</sup>.

و منها: «رياضة منك لنفسك و رفقا برعيّتك» خلطه بين «فإنّ فى ذلك» و «أعدارا تبلغ به حاجتك»<sup>٨٧</sup>.

فإنّ النهج كان خاليا من الفقرات الثلاث بدليل خلوّ (ابن أبى الحديد و ابن

ص: ٣٤

ميثم و الخطيئة) منها، و إن فرض كونها من كلامه عليه السّلام و جزء العهد<sup>٨٨</sup>.

<sup>٨٣</sup> (٦) لا يوجد فى شرح ابن أبى الحديد ٤: ٥٢٩، و شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٧.

<sup>٨٤</sup> (١) ذكر اسم مصنّف الكتاب من قبل السّاس و الراوين أمر شائع فى الكتب القديمة.

<sup>٨٥</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٥: ١٥٠ خال من هذه القطعة، لكن توجد فى شرح ابن أبى الحديد ٤: ١٢٧، و كذلك فى تحف العقول:

١٣٢.

<sup>٨٦</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ٤: ١٢٨، و شرح ابن ميثم ٥: ١٥١، و كذلك فى تحف العقول: ١٣٣.

<sup>٨٧</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٤: ١٤٥، و شرح ابن ميثم ٥: ١٧٤ بفرق يسير فى تحف العقول: ١٤٥.

<sup>٨٨</sup> (١) مع ما ذكرت لا يبقى وجه لنسبة هذه الألفاظ إلى الأخذ من تحف العقول.

و قدّمت و أخرت و حرّفت العناوين عن مواضعها، ففي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) العنوان «و من كلام له عليه السّلام قاله لعبد الله بن العباس و قد جاءه برسالة من عثمان، و هو محصور ...» قبل العنوان «و من كلام له عليه السّلام اقتصر فيه ذكر ما كان منه عليه السّلام بعد هجرة النبيّ صلّى الله عليه و آله ...»<sup>٨٩</sup>. و إن كان الراوندي قال في شرحه و تاريخ فراغه منه (٥٥٦): ذاك العنوان زيادة من نسخة كتبت على عهد المصنف<sup>٩٠</sup>. و في (المصرية) العنوان الأوّل تحت الرقم (٢٣٥) و الثاني تحت الرقم (٢٣١).

و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) العنوان «إنّ هذه القلوب تملّ» بعد العنوان «أوضع العلم ما وقف على اللسان»<sup>٩١</sup>، و في (المصرية) بالعكس، الأوّل الحكمة (٩١) و الثاني الحكمة (٩٢).

كما أنّها قد تجعل جزء العنوان عنوانا مستقلاً، ففي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) الحكمة (٩٥) من رقم (المصرية) جزء الحكمة (٩٤) منه<sup>٩٢</sup>، و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) الحكمة (١٢٣) من رقم (المصرية) جزء الحكمة (١٢٢) منه<sup>٩٣</sup>، و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) «طوبى لمن ذكر المعاد» الحكمة (٤٤) من المصرية جزء «يرحم الله خباب بن الارت»

ص: ٣٥

الحكمة (٤٣)<sup>٩٤</sup>، و لم تكنف (المصرية) بالخلط، بل زادت فقرتين من الثاني في الأوّل أيضا.

كما أنّها قد تفعل بالعكس، فتجعل المستقلّ جزءا، ففي (المصرية) «إنّ الدنيا و الآخرة عدوّان متفاوتان» جزء الحكمة (١٠٣) «و رئي عليه عليه السّلام إزار خلق مرقوع». و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) مستقلّ ليس جزءه<sup>٩٥</sup>.

كما أنّها نقلت أشياء تفرّد بنقلها من النهج ابن أبي الحديد، و نّهت على ذلك بجعلها بين قوسين، لكنّها و همت في محلّ نقلها منها: «الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس»، ففي (ابن أبي الحديد) هو بعد الحكمة (٣٣٣)، و (المصرية) جعلته بعد الحكمة (٣٤١).

و منها: «المستول حرّ حتى يعد» فإنّه في (ابن أبي الحديد) قبل الحكمة (٣٣٤)، و (المصرية) جعلته الحكمة (٣٣٦)<sup>٩٦</sup>.

<sup>٨٩</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٨٦، ٢٨٨، و شرح ابن ميثم ٤: ٣٢٢، ٣٢٤. و هما الخطبتان ٢٣٤، ٢٣٨.

<sup>٩٠</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٢، و شرح ابن ميثم ٥: ٢٨٦، و هما الحكمتان ٩١، ٩٢.

<sup>٩١</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٣، و شرح ابن ميثم ٥: ٢٨٧.

<sup>٩٢</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٠١، و شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٦.

<sup>٩٣</sup> (٦) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٦٥ جمعهما، و في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٦٣ شرحهما معا فقط، لكن فضّل بينهما بقوله:

«و قال عليه السّلام».

<sup>٩٤</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٥ - ٢٨٦، و شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٢.

<sup>٩٥</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٤.

و منها قوله عليه السّلام: «نعم الطيب المسك»، و قوله: «ضع فخرک» جعلتهما (المصريّة) الحكمة (٣٩٧) و (٣٩٨) مع أنّهما في (ابن أبي الحديد) قبل (٣٩٣)<sup>٩٧</sup>.

و ما جعلته المصريّة (٣٨٩) هو في (ابن أبي الحديد) قبل (٣٨٦)<sup>٩٨</sup>، و ما جعلته (٣٣٩) و (٤٠٠) هما في (ابن أبي الحديد) بعد (٣٩٦)<sup>٩٩</sup>، الى غير ذلك من تحريفاتها.

و لو أردنا استقصاء ما فيها من التصحيف و التحريف و التغيير

ص: ٣٦

و التبديل و الزيادة و النقصان لطال الكلام، حيث إنّ قلّ عنوان منها من أولّها إلى آخرها لم يكن بمحرّف، و منها كلام المصنّف في آخر الكتاب، فلم يكن بعد الحكمة (٤٨٠) كما في (المصريّة)، بل بعد (٤٦٢)<sup>١٠٠</sup>، كما ستقف عليه في ذكر اختلاف نسخ النهج<sup>١٠١</sup>.

ثم (إنّ) نسخ النهج كانت مختلفة من الصّد الأوّل. قال (ابن ميثم) بعد خطبة همّام المذكورة تحت الرقم (١٨٨) من المصريّة: من هاهنا اختلفت نسخ النهج، فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أوّل المجلّد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بالقاصعة، و يكون عقيب كلامه للبرج بن مسهّر الطائى قوله عليه السّلام:

«الحمد لله الذى لا تدركه الشّواهد و لا تحويه المشاهد»، و كثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متّصلة بكلامه عليه السّلام للبرج بن مسهّر، و تتأخّر تلك الخطبة فتكون بعد قوله: «و من كلام له عليه السّلام و هو يلى غسل رسول الله صلى الله عليه و آله» و يتصل ذلك إلى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة، ثمّ يليه قوله: «باب المختار من كتب أمير المؤمنين و رسائله»، و عليه جماعة الشّارحين، كالامام قطب الدين أبى الحسن الكيذرى، و الفاضل عبد الحميد بن أبى الحديد، و وافقتهم هذا الترتيب لغلبة الظنّ باعتمادهم على النسخ الصحيحة<sup>١٠٢</sup>.

<sup>٩٦</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣٩٥.

<sup>٩٧</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٤٢١، ٤٢٤.

<sup>٩٨</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٤١٩.

<sup>٩٩</sup> (٦) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠.

<sup>١٠٠</sup> (١) كما في شرح ابن أبى الحديد ٤: ٥٠٦، و شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٠.

<sup>١٠١</sup> (٢) يأتي في الصفحات الآتية من المقدمة.

<sup>١٠٢</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٤١٣، و خطبة همّام رقمها (١٩١) و القاصعة رقمها (١٩٠) و قوله للبرج رقمه (١٨٢) و قوله «الحمد لله الذى» رقمه (١٨٣) و كلامه عند غسل الرسول صلى الله عليه و آله رقمه (٢٣٣) بأرقامنا. و ما قاله ابن ميثم: «هذه الخطبة» أراد به خطبة همّام و: «تلك الخطبة» يعنى بها خطبة «الحمد لله الذى». و فى شرحى الكيذرى و ابن أبى الحديد و بالتّبع شرح ابن ميثم جاء كلامه عليه السّلام للبرج بلا فاصل قبل خطبة همّام، ثمّ بفاصل كلامه عند غسل الرسول صلى الله عليه و آله، ثمّ بعده بلا فاصل خطبة «الحمد لله الذى». ثمّ بعده بفاصل خطبة القاصعة، ثمّ بعده بفاصل باب الكتب.

قلت: و المفهوم منه أن نسخته لم تكن كنسخة ابن أبي الحديد و نسخة

ص: ٣٧

الكيدري، فتبعهما لما قاله من غلبة ظنه باعتمادهما على النسخ الصحيحة، لكن ذلك منه عجيب، فصرح في مواضع من كتابه بأن نسخته من النهج بخط مصنفه، و منها في القاصعة، فقال في قوله عليه السلام: «و لا لزمتم الأسماء معانيها»:

«و في نسخة الرضى» برفع الأسماء<sup>١٠٣</sup>.

و قال أيضا في قوله: «لا يدري أ من سنى الدنيا»، ففي نسخة الرضى «يدري» بالبناء للفاعل<sup>١٠٤</sup>.

و منها في الخطبة (١٨٨) في الفقرة: «و كان لي لهم في دنياهم نهارا»، و في نسخة الرضى بخطه «كان»، و الترجيح إنما يعقل بين نسخ غير المصنف، و أما المصنف فلا يعقل الترجيح بينه و بين غيره<sup>١٠٥</sup>.

و في شرح الراوندى خطبة همّام قبل الخطبة (١٨١): «الحمد لله المعروف من غير رؤية، الخالق من غير منصب»<sup>١٠٦</sup>، و في نسختنا خطبة همّام بعد القاصعة، كما قاله ابن ميثم أو لا<sup>١٠٧</sup>.

و كيف كان، فوجه الاختلاف - ظاهرا - أن المصنف كتب النهج في نسخ متعددة، و زاد و نقص و قدّم و أخر في النسخ الأخيرة، حسب شأن المصنفين في ما لو كتبوا نسخا من كتاب، فلو فرض أن مصنفا كتب كتابه مائة مرة لغير في كل من المائة بحسب ما يراه أحسن، و يشهد لما قلنا أن ابن أبي الحديد قال في العنوان: «و قال عليه السلام و قد جاءه نعي الأشر» الحكمة (٤٤٣):

يقال: إن الرضى ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل، و كتبت به نسخ متعددة،

ص: ٣٨

ثم زاد عليه إلى أن و في الزيادات التي نذكرها فيما بعد<sup>١٠٨</sup>.

و قال في العنوان «رب مفتون بحسن القول فيه»، الحكمة (٤٦٢): و اعلم أن الرضى قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل، و هكذا وجدت النسخة بخطه، و قال: «و هذا حين انتهاء الغاية بنا» إلى «و نعم الوكيل، نعم المولى و نعم النصير»<sup>١٠٩</sup>.

<sup>١٠٣</sup> (١) شرح ابن ميثم ٤: ٢٧٥.

<sup>١٠٤</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٤: ٢٤٧.

<sup>١٠٥</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٤: ٢٠٩.

<sup>١٠٦</sup> (٤) شرح الراوندى كما في سائر النسخ.

<sup>١٠٧</sup> (٥) مرّ آفا.

<sup>١٠٨</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٧٨.

وقال ابن ميثم في الحكمة (٤٦٢): قال السيّد: وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه و تقريب ما بعد من اقطاره، و تقرّر العزم - كما شرطنا أوّلاً - على تفضيل أوراق من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب، ليكون لاقتناص الشارد و استلحاق الوارد، و ما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض و يقع الينا بعد الشدوذ، و ما توفيقنا إلّا بالله، عليه توكلّنا، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

أقول: إنّه - رضوان الله عليه - بلغ في اختيار كلامه عليه السّلام إلى هذه الغاية و قطعه عليها، ثمّ كتبت على عهده زيادة من محاسن الكلمات، إمّا باختياره هو أو بعض من كان يحضره من أهل العلم. و تلك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن و تارة موضوعة فيه ملحقة بمنقطع اختياره، و روى أنّها قرئت عليه و أمر بالحاقها بالمتن، و أولها: «و قال عليه السّلام: الدنيا خلقت لغيرها و لم تخلق لنفسها»<sup>١١٠</sup>.

و قال الراوندى بعد كلامه عليه السّلام في الاستغفار، الحكمة (٤١٧): قال السيّد:

ص: ٣٩

و هذا حين انتهاء الغاية بنا - إلى أن قال - و ذلك من رجب سنة أربعمئة، و الحمد لله و صلواته على رسوله محمّد و آله و سلامه.

ثمّ قال الراوندى: زيادة من نسخة كتبت على عهد المصنّف رحمه الله قال عليه السّلام: «الدنيا خلقت لغيرها و لم تخلق لنفسها»، ثمّ ذكر العناوين إلى «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه»<sup>١١١</sup>.

و قال أيضا في كلامه عليه السّلام الذي قاله لعبد الله بن عباس برقم (٢٣٨):

زيادة في نسخة كتبت على عهد المصنّف<sup>١١٢</sup>.

و قال في الخطبة (٢٣٧): و كان في نسخة بغدادية زيادة و هي: «و من خطبة له عليه السّلام يذكر فيها آل محمّد عليهم السّلام - إلى - و رعاته قليل» ثمّ قال: و قد مضى مثل ذلك في ما تقدّم، و زاد الراوندى في بيان المصنّف في الشّقشقيّة كما يأتي فيها<sup>١١٣</sup>.

<sup>١٠٩</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٠٦.

<sup>١١٠</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٤٦١.

<sup>١١١</sup> (١) قال الراوندى: و ليس فيه قوله: «زيادة من نسخة كتبت...» شرح الراوندى ٣: ٤٣٥، شرح الحكمة (٤٨٠).

<sup>١١٢</sup> (٢) ليس هذا من كلام الراوندى، بل نقله في هامش الشرح ٢: ٣٥٢ عن هامش نسخة خطية من نهج البلاغة.

<sup>١١٣</sup> (٣) لا توجد هذه الخطبة في شرح الراوندى أصلا.

و فى (ابن ميثم) فى آخر الباب الأوّل: هذا آخر الخطب والأوامر، و يتلوه المختار من الكتب و الرسائل، إن شاء الله تعالى بعونه و عصمته و توفيقه و هدايته<sup>١١٤</sup>.

و فى (الخطيب) «و الحمد لله كثيرا»، و ليس فى (ابن أبى الحديد) شىء أصلا<sup>١١٥</sup>، كما أنّ فى (المصرية) «و صلى الله على سيدنا محمد النبى الامّى و على آله مصاييح الدجى و العروة الوثقى و سلم تسليمًا كثيرًا»، كما أنّ بين (ابن أبى الحديد) و (ابن ميثم) اختلافات، فمما تفرّد به ابن أبى الحديد نقله

ص: ٤٠

ضمن عنوان الخطبة (٥٢) عن الرضى: و قد تقدّم مختارها برواية، و نذكر ما يذكره هاهنا برواية أخرى لتغاير الروايتين<sup>١١٦</sup>.

و مما تفرّد به أيضا نقل الخطبة الأخيرة برقم (٢٣٩): «و الله مستأديكم شكره...» بعد الخطبة (٢١٨): «قد أحيا عقله»<sup>١١٧</sup>.

و تفرّد فى جعل «و نعم القرين الرضا» أوّل الحكمة (٤) آخر الحكمة (٣)<sup>١١٨</sup>، و جعل «و من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه» آخر الحكمة (٥) أوّل (٦)<sup>١١٩</sup>، و جعل الحكمة (١٧) بعد (١١)<sup>١٢٠</sup>، و جعل الحكمة (٩٢) قبل (٩١)<sup>١٢١</sup>، و جعل جزء الحكمة (١٢٧): «و لا حاجة لله فى من ليس لله فى ماله و نفسه نصيب» مستقلا<sup>١٢٢</sup>، و جعل الحكمة (١٥٤) بعد (١٥١)<sup>١٢٣</sup>، و جعل (١٥٥) و (١٥٦) بعد (١٨٨)<sup>١٢٤</sup>، و جعل (١٥٧) بعد (١٨٤)<sup>١٢٥</sup>، و جعل كلّ من: «و من لم يعط قاعدا لم يعط قائما» و «و الدهر يومان»، و هما جزء الحكمة (٣٩٦): «المنية و لا الدنية»، مستقلا<sup>١٢٦</sup>.

و تفرّد أيضا بنقل عناوين فى أواخر الباب الثالث، مرّ بعضها و يأتي

<sup>١١٤</sup> (٤) شرح ابن ميثم ٤: ٣٣٧.

<sup>١١٥</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٩٣.

<sup>١١٦</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣١.

<sup>١١٧</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٤٢، ٤٧.

<sup>١١٨</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٢٤٠، و جعل ابن أبى الحديد صدر الحكمة الثالثة و ذيل الثالثة مع صدر الرابعة رابعة و ذيلها الخامسة.

<sup>١١٩</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٢٤٣.

<sup>١٢٠</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٢٤٦، ٢٤٧.

<sup>١٢١</sup> (٦) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٢٨٢.

<sup>١٢٢</sup> (٧) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣٠٣.

<sup>١٢٣</sup> (٨) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣١٦.

<sup>١٢٤</sup> (٩) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣١٨، ٣١٩.

<sup>١٢٥</sup> (١٠) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣١٩.

<sup>١٢٦</sup> (١١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٤٢٧، ٤٢٨.

## ص: ٤١

بأقيها في آخر الكتاب<sup>١٢٧</sup>، و يأتي في العنوان (١٢) من الفصل الأربعين تصريح ابن ميثم بتفرد (ابن أبي الحديد) بنقل الفقرة: «و منه ما يكون عوارى في القلوب»<sup>١٢٨</sup>، و تفرد أيضا بنقل القطعة: «و الله ما تنقم منا قريش...» في الخطبة (٣٣)، و يأتي بحثها في موضعه<sup>١٢٩</sup>.

و مما تفرد به (ابن ميثم) عدم نقل كلام المصنف في آخر الشقشقيّة، و عدم نقل ما في الخطبة (٥) من (لما) إلى (بالخلافه) و عدم نقل كلام المصنف في الخطبة (٣٩ و ٤٢ و ٤٨ و ١٦٣) و الحكمة (٨١)<sup>١٣٠</sup>.

و تفرد في الخطبة (٨٩) في زيادة في العنوان، كما يأتي في محله<sup>١٣١</sup>، و تفرد في جعل (و منها) الثانية في الخطبة (٢٦) مستقلا، فقال بدل (و منها):

و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص<sup>١٣٢</sup>.

و تفرد بعدم ذكر الكتاب (٤٠): «أما بعد فقد بلغني عنك أمر...» رأسا<sup>١٣٣</sup>.

و جعل (ابن ميثم و الخطيئة) من الحكمة (٢) إلى (٦) تحت عنوان واحد<sup>١٣٤</sup>، و جعل الحكمة (٤٤) جزء (٤٣)<sup>١٣٥</sup>، و جعل الحكمة (٣٤٣) بعد

## ص: ٤٢

الحكمة (٣٤١)<sup>١٣٦</sup>، و جعل الحكمة (١٤٢) و (١٤٣) جزء (١٤١) بزيادة حرف عطف في أولهما<sup>١٣٧</sup>، إلى غير ذلك مما تفرد به كل من ابن أبي الحديد و ابن ميثم، لو أريد استقصاؤه لطال الكلام.

---

<sup>١٢٧</sup> (١) بهج الصباغة: خاتمة الكتاب.  
<sup>١٢٨</sup> (٢) بهج الصباغة: الفصل (٤٠) العنوان (١٢)، و شرح ابن ميثم ٤: ١٩٤، أقول: ما زاد ابن أبي الحديد ٣: ٢١٥ هذه الفقرة في أصل الخطبة لكن شرحها عند الشرح ٣: ٢١٦.

<sup>١٢٩</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٦، و بهج الصباغة: الفصل (٨) العنوان (٢).

<sup>١٣٠</sup> (٤) شرح ابن ميثم ١: ٢٥١، ٢٧٦، ٢: ٩٩، ١٠٧، ٣: ٣١٣، ٥: ٢٨١، و كلام الرضى في شرح ابن ميثم ٢: ١٩١.

<sup>١٣١</sup> (٥) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٢، و بهج الصباغة: الفصل (١) العنوان (٨).

<sup>١٣٢</sup> (٦) في شرح ابن ميثم ٢: ٢٧ أيضا «و منها».

<sup>١٣٣</sup> (٧) موضعه في شرح ابن ميثم ٥: ٨٧، و ليس فيه.

<sup>١٣٤</sup> (٨) شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٨.

<sup>١٣٥</sup> (٩) شرح ابن ميثم ٥: ٢٦٥.

<sup>١٣٦</sup> (١) جعل ابن ميثم الحكمتين (٣٤٣، ٣٤٤) حكمة واحدة وأوردها بعد الحكمة (٣٤١)، شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٩، ٤١٠.

ثم لو اتَّفقا في شيء على خلاف نسخنا يكون ما في نسخنا تصحيفا قطعاً لصحّة نسخهما دون نسخنا، و أمّا لو تفرّد كل واحد منهما فيشكل الترجيح، و لا يبعد ترجيح نقل ابن ميثم لما عرفت من كون نسخه بخطّ المصنّف، و إن كان هو رجّح عند خطبة همّام ترتيب نسخة ابن أبي الحديد<sup>١٣٨</sup>، و لأن كثيراً ممّا تفرّد بزيادته يبعد اختيار الرضى له لعدم كونه بتلك البلاغة.

و الإشكال إنّما هو في ما لو وافقت نسخنا أحدهما، و أمّا لو خالفتهما - كما في الحكمة (٢ - ٦) على ما عرفت - فلا اعتبار بها لكونها على خلاف ما، من قبيل الإجماع المركّب.

هذا و لكون شرحي على صوغ بهج على ما منّ الله تعالى، سمّيته بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة. قال ابن دريد: يقال: أبهجنى هذا الأمر و بهجنى، إذا سرّك<sup>١٣٩</sup>.

ص: ٤٣

### شرح خطبة الرضى

ص: ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم قال المصنّف قدّس سرّه:

روى (العيون) عن الرضا عليه السّلام: أنّ بسم الله الرحمن الرحيم أقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها<sup>١٤٠</sup>.

و روى العياشي عن الصادق عليه السّلام: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلّا و فاتحته بسم الله الرحمن الرحيم، و إنّما كان يعرف انقضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءً للأخرى<sup>١٤١</sup>.

«أمّا بعد» في (تاريخ الطبري) عن الهيثم بن عدي: أوّل من قال: «أمّا بعد»

<sup>١٣٧</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٣١٩.

<sup>١٣٨</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٤١٣.

<sup>١٣٩</sup> (٤) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٢١٥.

<sup>١٤٠</sup> (١) رواه عن الرضا عليه السّلام الصدوق في العيون ٢: ٥ ح ١١، و العياشي في تفسيره ١: ٢١ ح ١٣، و ابن طاوس في مهج الدعوات: ٣١٦، و أيضاً رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، و الحاكم في المستدرک، و البيهقي في الشعب، و أبو ذرّ الهروي في فضائله، و الخطيب في التاريخ عنهم الدر المنثور ١: ٨، و ابن النجار في التاريخ، عنه منتخب كنز العمّال ١: ٣٧١، و ابن طاوس في مهج الدعوات: ٣١٩ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله، و رواه عاصم بن حميد في أصله: ٢٨ عن علي عليه السّلام، و الطوسي في التهذيب عن الباقر عليه السّلام ٢: ٢٨٩ ح ١٥، و ابن شعبة في تحف العقول: ٤٨٧، و الإرزبلي في كشف الغمّة ٣: ٢١٠، و ابن طاوس في مهج الدعوات: ٣١٧، و المسعودي في اثبات الوصية: ٢١٢ عن العسكري عليه السّلام.

<sup>١٤١</sup> (٢) أخرجه العياشي في تفسيره ١: ١٩ ح ٥، و السيّارى في التنزيل و التحريف، عنه المستدرک ١: ٢٧٥ ح ٩ عن الصادق عليه السّلام، و أخرج معناه البرقي في المحاسن: ٤٠ ح ٤٩، و السيّارى في التنزيل و التحريف، عنه المستدرک ١:

٢٧٦ ح ١٠ عن الصادق عليه السّلام، و الكليني في الكافي ٣: ٣١٣ ح ٣ عن الباقر عليه السّلام.

ص: ٤٦

قسّ بن ساعدة الإيادي<sup>١٤٢</sup>.

و عن أبي موسى الأشعري: أوّل من قال: «أمّا بعد» داود النبي عليه السّلام، و هي فصل الخطاب الّذي ذكره الله تعالى عنه في ما آتاه<sup>١٤٣</sup>.

و روى الصولي في (أدب الكاتب) أن أوّل من قاله كعب بن لؤى<sup>١٤٤</sup>.

«حمد الله» أتى بلفظ الإضافة تنبيها على كمال اختصاص الحمد به تعالى، و إلّا فالمناسب لقوله بعد «و الصّلاة على رسوله»: الحمد لله.

«ألّذي جعلَ الحمدَ ثَمناً لِنِعْمائِهِ» روى الصدوق عن الصادق عليه السّلام: من قال في كلّ يوم سبع مرّات: الحمد لله على كلّ نعمة كانت أو هي كائنة، فقد أدّى شكر ما مضى و شكر ما بقى<sup>١٤٥</sup>.

و عنه عليه السّلام: من قال أربع مرّات إذا أصبح «الحمد لله ربّ العالمين» فقد أدّى شكر يومه، و من قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته<sup>١٤٦</sup>. و عنه عليه السّلام: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: «الحمد لله» إلّا أدّى شكرها<sup>١٤٧</sup>.

«و معاذاً من بلائِهِ» المستتبع لترك حمده و شكره، قال تعالى: (... «و لئن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»)<sup>١٤٨</sup>.

ص: ٤٧

«و سَبِيلاً» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و وسيلاً) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٤٩</sup>، و الوسيط مفرد كالواصل و لغة في الوسيلة كما نقله (المصباح)<sup>١٥٠</sup>، لا جمع وسيلة كما توهمه (الصحاح)<sup>١٥١</sup>، و تبعه ابن أبي الحديد و ابن ميثم و

<sup>١٤٢</sup> (١) رواه الطبري في تاريخه ٥: ٢٤، سنة (٧٢). و الكراجكي في كنز الفوائد: ٢٥٤.

<sup>١٤٣</sup> (٢) أخرجه الطبري في تاريخه ٥: ٢٤، سنة (٧٢). و ابن أبي حاتم في تفسيره، و الديلمي عنهما الدر المنثور ٥: ٣٠٠، و أخرج معناه التعليبي في العرائس: ٢٧٧، و سعيد بن منصور في السنن، و ابن أبي شيبة في مسنده، و ابن سعد و عبد بن حميد في مسنده، و ابن المنذر عنهم الدر المنثور ٥: ٣٠٠ عن زياد.

<sup>١٤٤</sup> (٣) رواه الصولي في أدب الكاتب: ٣٦.

<sup>١٤٥</sup> (٤) أخرجه الصدوق في ثواب الأعمال: ٢٤ ح ١.

<sup>١٤٦</sup> (٥) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٥٠٣ ح ٥، و الصدوق في ثواب الأعمال: ٢٨، و رواه ابن فهد في عدّة الداعي، عنه البحار ٩٣: ٢١٦ ح ٢١ عن الصادق عليه السّلام.

<sup>١٤٧</sup> (٦) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٩٦ ح ١٤ عن الصادق عليه السّلام.

<sup>١٤٨</sup> (٧) إبراهيم: ٧.

<sup>١٤٩</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤، و شرح ابن ميثم ١: ٨٩.

<sup>١٥٠</sup> (٢) في المصباح المنير للفيومي ٢: ٣٨٠ «الوسيل قيل جمع وسيلة، و قيل لغة فيها».

الخوئي<sup>١٥٢</sup>، ولو كان جمعا لصار المعنى: جعل الحمد وسائل إلى جنانه. ولا معنى له، والمصنف أيضا جعله مفردا كما يشهد له قوله قبل: «ثمنا و معادا»، و بعد: «سببا».

«إلى جنانه» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قِيَعَانَا يَقْتَنَا مِنْ مَسْكَ، وَ رَأَيْتُ فِيهَا مَلَائِكَةً يَبْنُونَ لِبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَ لِبْنَةً مِنْ فَضَّةٍ، وَ رَبَّمَا أَمْسَكُوا، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ وَ لَأَيِّ شَيْءٍ تَبْنُونَ مَرَّةً وَ تَمْسَكُونَ أُخْرَى؟ قَالُوا: حَتَّى تَأْتِينَا النَّفْقَةُ. قُلْتُ: وَ مَا نَفَقْتُمْ؟ قَالُوا: قَوْلَ الْمُؤْمِنِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ» فَإِذَا قَالَهُنَّ بَنِينَا، وَ إِذَا سَكَتَ أَمْسَكْنَا<sup>١٥٣</sup>.

و في خبر آخر: إِذَا أَصْبَحْتَ وَ أَمْسَيْتَ فَقُلْ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ» فَإِنَّ لَكَ بِذَلِكَ إِنْ قُلْتَهُ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ عَشْرَ شَجَرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ

ص: ٤٨

من أنواع الفاكهة، و هنّ من الباقيات الصالحات<sup>١٥٤</sup>.

«وَ سَبَبًا لَزِيَادَةِ إِحْسَانِهِ» قَالَ تَعَالَى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»<sup>١٥٥</sup>.

«وَ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ» قَالَ تَعَالَى: «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»<sup>١٥٦</sup>.

«وَ إِمَامِ الْأَنْمَةِ وَ سِرَاجِ الْأُمَّةِ» قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا»<sup>١٥٧</sup>.

«المنتجب من طينة الكرم و سلاله المجد الأقدم، و مغرس الفخار المعرق و فرع العلاء المثمر المورق» الفقرات الأربع مأخوذة من زيارة جامعة مروية عن الهادي عليه السلام<sup>١٥٨</sup>. و السلالة ما يستخرج من الشيء باللطف و الخفاء، قال تعالى:

<sup>١٥١</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٨٤١ مادة (وسل).

<sup>١٥٢</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤، و شرح ابن ميثم ١: ٩٢، و شرح الخوئي ١: ٨٣.

<sup>١٥٣</sup> (٥) أخرجه أبو علي الطوسي في أماليه ٢: ٨٨، المجلس (١٧)، و علي بن ابراهيم في تفسيره بطريقتين ١: ٢١، و ٢: ٥٣، و النعماني و ابن قولويه في التفسير المنسوب إلى كليهما: ٨٣، و روى معناه علي بن ابراهيم في تفسيره ١: ٢١، و الصدوق في أماليه: ٣٦٤ ح ٢، المجلس (٦٩)، و النعماني و ابن قولويه في التفسير المنسوب إلى كليهما: ٨٢، و الراوندي في الدعوات عنه البحار ٩٣: ١٧٤ ح ٢١، و الترمذي في السنن ٥: ٥١٠ ح ٣٤٦٢، و ابن مردويه بثلاث روايات، و الطبراني عنهما الدر المنثور ٤: ١٥٣ كلهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

<sup>١٥٤</sup> (١) أخرجه الصدوق في أماليه: ١٦٩ ح ١٦، المجلس (٣٦) و البرقي في المحاسن: ٣٧ ح ٣٨، و الكليني في الكافي ٢: ٥٠٦ ح ٤ عن الباقر عليه السلام عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

<sup>١٥٥</sup> (٢) إبراهيم: ٧.

<sup>١٥٦</sup> (٣) الأنبياء: ١٠٧.

<sup>١٥٧</sup> (٤) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ»<sup>١٥٩</sup>.

وقال الشاعر:

سليمة أفراس تجلّلها بغل

و ما هند إلّا مهرة عربيّة

<sup>١٦٠</sup> و منه قوله تعالى: «يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا»<sup>١٦١</sup>، و لذا يقال للسرقة

ص: ٤٩

الخفيّة السلّة.

قال ابن أبي الحديد: سلالة المجد فرعه<sup>١٦٢</sup>، و هو كما ترى. و الفخار بالفتح اسم مصدر من فخر كما قاله (المصباح)<sup>١٦٣</sup>، لا مصدره كما قال ابن أبي الحديد، لعدم صحّة معنى المصدر هنا، و لأنّ قبله و بعده أسماء لا مصادر كالطينة و السلالة و الغلاء، و ما قاله ابن أبي الحديد: من أنّ الفعل إذا كان (عينه) أو (لامه) حرف حلق يكون مصدره فعلا بالفتح، نحو: ذهب و سمح<sup>١٦٤</sup>، لا يوجب أن يكون كلّ فعال بالفتح مصدرا لأعميته، مع أنّه ليس لأصله كليّة، فإنّ (سأل) ليس مصدره بالفتح<sup>١٦٥</sup>.

«و على أهل بيته مصابيح الظلم، و عصم الأمم، و منار الدّين» قال ابن أبي الحديد: المنار الأعلام واحدها منارة<sup>١٦٦</sup>.

و قال الخوئي: لم يصرّح أحد من اللّغويين بكون المنار جمعا لها (أى):

للمنارة)، فهذا (القاموس و المصباح) قالوا: جمع المنارة المناور و المنائر<sup>١٦٧</sup>.

<sup>١٥٨</sup> (٥) أخرج الزيارة الجامعة الصدوق في العيون ٢: ٢٧٧، و الفقيه ٢: ٣٧٠ ح ٢، و الطوسي في التهذيب ٦: ٩٥ ح ١، كلّهم مسندا، و رواها الكفعمي في البلد الأمين: ٢٩٧ مجردة عن الهادي عليه السّلام، و صاحب الكتاب العتيق فيه، عنه البحار ١٠٢: ١٤٦ ح ٥ بلا عزو، و ما أدري لم ذهب ظنّ الشارح الى أنّ الفقرات الأربع أخذت من هذه الزيارة.

<sup>١٥٩</sup> (٦) المؤمنون: ١٢.

<sup>١٦٠</sup> (٧) نقل البيت لسان العرب ١١: ٣٣٩، مادة (سلل) و هو منسوب إلى هند بنت النعمان.

<sup>١٦١</sup> (٨) التور: ٦٣.

<sup>١٦٢</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤.

<sup>١٦٣</sup> (٢) المصباح المنير للفيومي ٢: ١٣٦.

<sup>١٦٤</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢.

<sup>١٦٥</sup> (٤) لم يدع ابن أبي الحديد كليّته، فإنّه قال: «فقد جاء المصدر الثلاثي إذا كان عينه أو لامه حرف حلق على فعال بالفتح، نحو: سمع سماعا، و ذهب ذهابا».

<sup>١٦٦</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤.

قلت: لم لم يراجع (النهاية)؟ فإنه قال في الحديث: «لعن الله من غير منار الأرض»<sup>١٦٨</sup>. المنار جمع منارة و هي العلامة تجعل بين الحدّين، و منار الحرم أعلامه التي ضربها الخليل عليه السّلام على أقطاره و نواحيه، و (الميم) زائدة، و منه

ص: ٥٠

حديث أبي هريرة: «إنّ للإسلام ضوى و منارا»<sup>١٦٩</sup>. أى: علامات و شرائع يعرف بها<sup>١٧٠</sup>.

و لم لم يراجع (الأساس)؟ فقال: و اهدتوا بمنار الأرض، أى: بأعلامها، و هدم فلان منار المساجد، منار جمع منارة<sup>١٧١</sup>.

و لم لم يراجع (تهذيب الأزهري)؟ فقال كما في (اللسان): المنار جمع منارة، و هي العلامة تجعل بين الحدّين و منار الحرم أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل عليه السّلام على أقطار الحرم و نواحيه، و بها تعرف حدود الحرم من حدود الحل<sup>١٧٢</sup>.

و لم خصّ اعتراضه ب (ابن أبي الحديد)، و الأصل فيه المصنّف حيث جعله وصفا لأهل بيته كمصاييح و عصم قبلها و مناقيل بعدها؟

«الواضحة» صفة المنار و هو أيضا شاهد لكون المنار جمعا، و يشهد لقول المصنّف قول الشاعر:

إلى عدنان واضحة السبيل

لعلّ في مناسمها منار

<sup>١٧٣</sup> «و مناقيل» الأصل في مثقال الشيء لغة: وزانه من مثله، و هو من الأسماء اللازمة للإضافة بحسب المعنى، قال تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»<sup>١٧٤</sup>، و قال تعالى: «وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ»

ص: ٥١

---

<sup>١٦٧</sup> (٦) شرح الخوئي ١: ٨٣، و القاموس المحيط ٢: ١٤٩، مادة (نور)، و المصباح المنير ٢: ٣٤٢ مادة (نور).  
<sup>١٦٨</sup> (٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٥٦٧ ح ٤٣، و النسائي في سننه ٧: ٢٣٢ في ذيل حديث عن علي عليه السّلام عن النبيّ صلى الله عليه و آله، و روى الحديث بألفاظ أخرى.

<sup>١٦٩</sup> (١) أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، و له شاهد أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن أبي الدرداء عنهما الجامع الصغير ١: ٩٥.

<sup>١٧٠</sup> (٢) النهاية لابن الأثير ٥: ١٢٧، مادة (نور).

<sup>١٧١</sup> (٣) أساس البلاغة: ٤٧٦، مادة (نور).

<sup>١٧٢</sup> (٤) لسان العرب ٥: ٢٤١، مادة (نور).

<sup>١٧٣</sup> (٥) نقله لسان العرب ٥: ٢٤١، مادة (نور).

<sup>١٧٤</sup> (٦) الزلزلة: ٧ - ٨.

«حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ»<sup>١٧٥</sup>.

ثم نقل بالعرف العام إلى وزن الدينار، فيقال: هذا مثقال، أى مثقال دينار. فيقطع عن الإضافة و ينوى المضاف إليه المعهود. و إذا ذكر المضاف إليه - كما هو أصله و كما استعمله المصنّف - ينسب إلى كلّ شيء.

«الفضل الراجحة» على فضل العالمين.

«صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ صَلَاةٌ تَكُونُ آزَاءً» أى: وفاقا.

«لفضلهم» أى: فضائلهم النفسائية.

«و مكافأة» أى: جزاء.

«لعملهم» أى: أعمالهم الصالحة.

«و كفاء» أى: كفاً و نظيراً، قال حسّان:

و روح القدس ليس له كفاء

١٧٦

«لطيب فرعهم و أصلهم» روى (الكافى) عن معاوية بن وهب عن الباقر عليه السّلام فى علائم الإمام: طهارة الولادة و حسن المنشأ و لا يلهو و لا يلعب<sup>١٧٧</sup>.

و فى خبر آخر: إنّ الإمام لا يستطيع أحد أن يطعن عليه فى فم و لا بطن و لا فرج<sup>١٧٨</sup>.

«ما أنار فجر ساطع» أى: مرتفع.

«و خوى نجم طالع» أى: سقط و غرب.

<sup>١٧٥</sup> (١) الأبياء: ٤٧.

<sup>١٧٦</sup> (٢) نقله لسان العرب ١: ١٣٩، مادة (كفا).

<sup>١٧٧</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٢٨٤ ح ٤.

<sup>١٧٨</sup> (٤) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٢٨٤ ح ٣ فى ذيل حديث.

«فإني» جواب أما.

ص: ٥٢

«كنت في عنفوان السن» أي: أوله.

«و غضاضة الغصن» أي: طراوته، و غضاضة الغصن كناية عن أيام الشباب، كما أن نومة الأظفار كناية عن أيام الطفولة.

«ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام» إن المصنف مع أنه لم يصل إلى حد الشيخوخة لأن تولده كما قال النعالي<sup>١٧٩</sup> كان في سنة (٣٩٥) و توفي سادس المحرم سنة (٤٠٦) كما قال هو و الخطيب و النجاشي و الجزري<sup>١٨٠</sup>، و قول ابن أبي الحديد: مات سنة (٤٠٤)<sup>١٨١</sup> فيكون توفي عن سبع و أربعين سنة، و لذا قال أخوه المرتضى في رثائه:

و لربّ عمر طال بالأرجاس

لله عمرك من قصير طاهر

<sup>١٨٢</sup> كانت له كتب نفيسة غير (الخصائص) الذي أشار إليه و غير نهجه هذا، و منها: كتاب (حقائق التنزيل) الذي قال في حقه شيخه ابن جني<sup>١٨٣</sup> و أحمد بن عمر بن روح<sup>١٨٤</sup>: يتعدّر وجود مثله. و كتاب (مجاز القرآن) و كتاب (مجازات

ص: ٥٣

<sup>١٧٩</sup> (١) يتيمة الدهر للنعالي ٣: ١٣١.

<sup>١٨٠</sup> (٢) قاله الخطيب في تاريخ بغداد ٢: ٢٤٧، و النجاشي في الفهرست: ٢٨٣، و ابن الأثير في الكامل ٩: ٢٦١ سنة (٤٠٦)، و كذا قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤: ٤١٩، و العلامة الحلّي في الخلاصة: ١٦٤، و ابن ميثم في شرحه ١: ٨٩، و السيد الحسيني في عمدة الطالب: ٢١٠، لكن النعالي كان معاصرا للرضي و لم يتعرّض الى تاريخ وفاته في يتيمة الدهر ٣: ١٣١.

<sup>١٨١</sup> (٣) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٣، و نقله أيضا الطريحي في مجمع البحرين ١: ١٨٩ مادة (رضا) نقلا عن جامع الأصول، و نقله الخوانساري في الروضات ٦: ١٩٧ عن مجمع البحرين، و المحدث النوري في المستدرک ٣: ٥١٠ عن الروضات، و الظاهر انه من سهو الطريحي لأن ابن الأثير في جامع الأصول ١٢: ٢٢٢ ذكر الرضي لكن لم يتعرّض لتاريخ وفاته.

<sup>١٨٢</sup> (٤) في ديوان الشريف المرتضى ٢: ١٣٣.

و لربّ عمر طال بالأرجاس

و اما لعمرك من قصير طاهر

<sup>١٨٣</sup> (٥) نقله عن ابن جني في بعض مجاميعه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤: ٤١٦.

<sup>١٨٤</sup> (٦) نقله عن ابن روح الخطيب في تاريخ بغداد ٢: ٢٤٦.

الآثار النبوية) و قد وصل إلينا جزء من الأوّل، و تمام الأخيرين<sup>١٨٥</sup>، و منها يظهر مقام أدبيته كما يظهر من بياناته فى النهج، و كتاب (تعليق خلاف الفقهاء)، و كتاب تعليقه على إيضاح أبى على الفارسي، و كتاب (الجيد من شعر ابن الحجاج)<sup>١٨٦</sup>، و (كتاب مختار شعر أبى إسحاق الصابى)، و كتاب (ما دار بينه و بين الصابى من الرسائل)<sup>١٨٧</sup>، و لم تصل هذه إلينا، و كتاب ديوان شعره، و قد وصل إلينا<sup>١٨٨</sup>. و منه يظهر صدق ما قيل: إن الرضى أشعر الطالبين بل أشعر قريش أجمعين<sup>١٨٩</sup>. فقالوا: ليس فى قريش مجيد مكثر سوى الرضى رضوان الله عليه<sup>١٩٠</sup>.

«يشتمل على محاسن أخبارهم و جواهر كلامهم» يعنى: جعل ذلك موضع كتابه.

«حدانى» أى: بعثنى.

«عليه» أى: على تأليف ذاك الكتاب.

ص: ٥٤

«غرض» أى: مقصد، و الأصل فى معنى الغرض الهدف.

«ذكرته» أى: ذكرت ذاك الغرض.

«فى صدر الكتاب» ذاك.

«و جعلته أمام الكلام» فى المقاصد، و غرضه الذى ذكره ثمّ دافع عنه رضى مخالفيه له بالواقفية، و هذا نصّه ثمّة: «سألتنى أن أصنّف لك كتابا يشتمل على خصائص أخبار الأئمة الاثنى عشر على ترتيب أيّامهم و تدريج طبقاتهم<sup>١٩١</sup> ... فعاقبتى عن إجابتك إلى ملتصك ما لا يزال يعوق من نوائب الزمان و معارضاة الأيام، إلى أن أنهضنى إلى ذلك اتفاق اتفق لى فاستتار حميتى، و قوى نيتى و استخرج نشاطى و قدح زنادى، و ذلك أن بعض الرؤساء ممّن غرضه القدح فى صفاتى، و الغمز لقناتى،

<sup>١٨٥</sup> (١) الأوّل طبع باسم حقائق التأويل فى متشابه التنزيل بتحقيق آل كاشف الغطاء، و اما الثانى فقد طبع باسم تلخيص البيان فى مجازات القرآن بطهران فالقاهرة ثم بغداد، و اما الثالث فقد طبع باسم المجازات النبوية ببغداد ثم القاهرة.

<sup>١٨٦</sup> (٢) سمى نفسه هذا الكتاب: الحسن من شعر الحسين، كما ذكر السيد الحسنى فى عمدة الطالب: ٢٠٨، و الشيخ الحرّ فى أمل الآمل ٢: ٢٦٣ لأن اسم ابن الحجاج الحسين. قال محمّد عبد الغنى: حسن. فى مقدمة تلخيص البيان: ١٠٠ و قد ذكر ذلك فى ديوانه المطبوع به بيروت سنة (١٣٠٧) و نقله المستشرق (متر) فى كتابه: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ١: ٤٤٩.

<sup>١٨٧</sup> (٣) قال عبد الحسين الحلى فى مقدّمة حقائق التأويل: ٩١ يعنى بذلك الرسائل الشعرية الموجود كثير منها فى ديوانه لا رسائل النثر، و قال أيضا فى هذه المقدمة: ٩١ كتاب رسائله (النثرية) ثلاثة مجلدات، ذكر فى الدرجات الرفيعة بعضها، و نشرت مجلة العرفان شيئا منها.

<sup>١٨٨</sup> (٤) طبع ديوان شعره مكررا.

<sup>١٨٩</sup> (٥) أوّل من قال ذلك الثعالبي المعاصر للرضى فى يتيمة الدهر ٣: ١٣١ قال: هو أشعر الطالبين. ثمّ قال: و لو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق.

<sup>١٩٠</sup> (٦) نقله الخطيب فى تاريخ بغداد ٢: ٢٤٦ عن ابن محفوظ، و عنه ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٤: ٤١٩.

<sup>١٩١</sup> (١) خصائص الأئمة: ١.

والتغطية على مناقبي، والدلالة على مثلية إن كانت لي، لقيني و أنا متوجه عشية عرفة من سنة ثلاث و ثمانين (و ثلاثمائة) هجرية إلى مشهد مولانا أبي الحسن موسى بن جعفر و أبي جعفر محمد بن عليّ بن موسى عليهما السلام للتعريف هناك، فسألني عن متوجهي، فذكرت له إلى أين قصدى، فقال لي: متى كان ذلك؟ يعنى أن جمهور الموسويين جارون على منهاج واحد فى القول بالوقف و البراءة ممن قال بالقطع، و هو عارف بأن الإمامة مذهبى و عليها عقدى و معتقدى، و إنما أراد التبكيت لى و الطعن على دينى. فأجبتة فى الحال بما اقتضاه كلامه و استدعاه خطابه، و عدت و قد قوى عزمى على عمل هذا الكتاب إعلانا لمذهبى، و كشفا عن مغيبى، و ردًا على العدو الذى يتطلب عيبى، و يروم ذمى و قصبى...»<sup>١٩٢</sup>.

«و فرغت» فى ذاك الكتاب.

ص: ٥٥

«من الخصائص التى تخصّ أمير المؤمنين عليًا عليه السلام» فى فواتح المبيدى سمّاه أبوه عليًا و قال:

سميته بعليّ كى يدوم له عزّ العلوّ و خير العزّ أدومه

و فيه روى أبو حمراء عن النبىّ صلّى الله عليه و آله قال: رأيت ليلة المعراج مكتوبا على العرش: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله أيّدته بعليّ. و قال:

اسم على العرش مكتوب كما نقلوا من يستطيع له محوا و ترقينا

و قال المبيدى بالفارسيّة:

از مهر على كسى كه يابد عرفان نامش همه دم نقش کند بر دل و جان

این نکته طرفه بین که ارباب کمال یابند ز بینات نامش ایمان

١٩٣ «و عاقت» أى: حبست.

«عن إتمام بقيّة الكتاب» فى خصائص باقى الأئمة عليهم السّلام.

«محاجزات» أى: ممانعات.

«الزّمان» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: (الأيّام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١٩٤.

ص: ٥٦

«و مماطلات» أى: مدافعات.

«الأيّام» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: (الزّمان) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١٩٥.

«و كنت قد بوّيت ما خرج من ذلك» فى خصائص أمير المؤمنين عليه السّلام.

«أبوابا، و فضّلته فضولا، فجاء فى آخرها» أى: آخر الفصول.

«فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه عليه السّلام من الكلام القصير فى الحكم» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: (فى المواعظ و

الحكم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١٩٦.

«و الأمثال و الأدب» و ما فى ذاك الفصل هو الذى جعله فى النهج الباب الثالث منه.

«دون الخطب الطويلة، و الكتب المبسوطة» كما هو موضوع البابين الأوّلين من النهج.

«فاستحسن جماعة من الأصدقاء» له.

«و الإخوان» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: زيادة الكلمة لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١٩٧.

---

١٩٣ (١) الحديث مشهور رواه ابن عساكر و ابن الجوزى فى الواهيات، و الطبرانى فى معجمه الكبير عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٣٥، و الحسكافى فى شواهد التنزيل ٢٢٧: ١، و الصدوق فى أماليه: ١٧٩ ح ٥ المجلس (٣٨)، و الخوارزمى فى المناقب: ٢٢٩، و المحب الطبرى فى ذخائر العقبى عنه يبيع المودة: ٢٠٧، و الحسن بن سليمان فى المختصر عنه البحار ٢٧: ١١ ح ٢٦، و رواه أيضا غير هؤلاء بطرق متعددة عنه و عن على عليه السّلام و أبى ذرّ و جابر بن عبد الله و ابن عباس و أنس و أبى هريرة، و رواه أيضا عن أبى الحمراء ابن قانع و الطبرانى و ابن مردويه إلى محمّد رسول الله صلى الله عليه و آله عنهم الذرّ المنتور ٤: ١٥٣.

١٩٤ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٤، و شرح ابن ميثم ١: ٨٩.

١٩٥ (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٤، و شرح ابن ميثم ١: ٨٩.

١٩٦ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٥، و شرح ابن ميثم ١: ٨٩.

«ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره» المتضمّن ما نقله عنه عليه السّلام من الكلام القصير فى المواعظ و الحكم و الأمثال و الأدب.

«معجبين ببدايعه و متعجّبين» الفرق بين الإعجاب و التعجّب: أنّ الإعجاب بشيء الاستحسان له، و التعجّب من شيء: استغرابه، سواء كان من حسن أو

ص: ٥٧

قبح، و الاسم من الأوّل العجب بالضم فالسكون، و من الثانى العجب بفتحتين.

قال الشاعر:

و آل ما كان من عجب إلى عجب

<sup>١٩٨</sup> أى: انقلب عجبه بشبابه بتعجّبه من شيبته.

«من نواصعه» أى: سواطعه. قال:

و لم يأتك الحقّ الذى هو ناصع

<sup>١٩٩</sup> «و سألوني عند ذلك» أى: استحسانهم لذاك الفصل من كتاب الخصائص.

«أن أبتدىء بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام» لا كلّى كلام نقل عنه عليه السّلام.

---

<sup>١٩٧</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٥، و شرح ابن ميثم ١: ٨٩.

<sup>١٩٨</sup> (١) أورده ابن أبى الحديد ١: ١٥ و نسبه الى أبى تمام، و صدره:

أبدت أسي اذ رأتنى مجلس القصب

<sup>١٩٩</sup> (٢) أورده أساس البلاغة: ٤٥٩ مادة (نضع) و الشاعر: النابغة.

«مولانا» هكذا في (المصرية)، و الكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٢٠٠</sup>.

«أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه و متشعبات غصونه» و لا يختص بشيء دون شيء.

«من خطب» خطب بها الناس.

«و كتب» كتبها إلى أوليائه و أعدائه و عماله.

«و مواعظ» الوعظ: التذكير بالعواقب.

«و آداب» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و أدب) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٢٠١</sup>.

«علما» مفعول له لقوله قبل «و سألوني».

ص: ٥٨

«أن ذلك» أي: كتاب من كلامه عليه السلام في كل فن.

«يتضمن من عجائب البلاغة، و غرائب الفصاحة» و الأصل في الفصاحة انطلاق اللسان خالصا من الكنة، كما أن الأصل في البلاغة بلوغ المراد في بيانه، ثم نقلا عند أهل البيان بما اشتهر.

«و جواهر العربية، و ثواقب الكلم الدينية» أي: متلاتاتها من قولهم: كوكب ثاقب. أي شديد التلألؤ، و يقال: درّ متقب، و برقع متقب. و سمى شاعر متقبا بقوله:

أرين محاسنا و كفن أخرى  
و تقبن الوصاوص للعيون

<sup>٢٠٢</sup> «و الدنيوية» هكذا في (المصرية)، و الصواب (و الدنياوية) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٢٠٣</sup> و إن كان أيضا صحيحا، قال الجوهري: النسبة إلى الدنيا دنياوي. و يقال دنياوي و دنياوي<sup>٢٠٤</sup>.

<sup>٢٠٠</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٥، و شرح ابن ميثم ١: ٨٩.

<sup>٢٠١</sup> (٤) في شرح ابن أبي الحديد ١: ١١، لكن في شرح ابن ميثم ١: ٩٠ «آداب».

<sup>٢٠٢</sup> (١) أو رده أساس البلاغة: ٤٥ مادة (تقب).

<sup>٢٠٣</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١١، لكن في شرح ابن ميثم ١: ٩٠ «الدنيوية».

«ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، و لا مجموع الأطراف في كتاب» فإنّ الكلام إنّما يحسن لفظه أو معناه، فكيف إذا كان جامعاً بين الحسين، وكلامه عليه السّلام؟! فليقل في ألفاظ كلامه عليه السّلام، و في معاني كلماته ما قيل:

ألفاظ كغمزات الألفاظ. و معان كأنّها فكّ عان. ألفاظ كما نورّت الأشجار. و معان كما تنفّست الأسحار. ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب بين الأحباب، و معان استلانت كتشكى العشّاق يوم الفراق. ألفاظ كالبشرى مسموعة أو أزاهير الرياض مجموعة، و معان كأنفاس الرياح تعبق بالريحان و الراح. ألفاظ هي خدع الدهر، و معان هي عقد السّحر. ألفاظ تأنّق خاطر في

ص: ٥٩

تذبيها، و معان عنى الفهم بتهذيبها. ألفاظ حسبته من رقبتها منسوخة في صحيفة الصّبا، و معان ظننتها من سلاستها مكتوبة في نحر الهوى. ألفاظ أنوار، و معان ثمار.

و كيف لا يكون كلامه عليه السّلام كذلك و كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق، و كلامه من ملوك الكلام؟! و قال أبو أحمد العسكري في (زواجه) بعد نقل وصيّته عليه السّلام لابنه: لو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكنت هذه<sup>٢٠٥</sup>.

«إذ كان أمير المؤمنين عليه السّلام مشرع» الأصل في المشرع: شرع الماء، و به سمّيت الشرائع، و قالوا: الشرائع نعم الشرائع، من وردّها روى، و إلّا دوى.

«الفصاحة» في (أمالى الشيخ) سئل أمير المؤمنين عليه السّلام: من أفصح الناس؟ قال: المجيب المسكت عند بديهة السؤال<sup>٢٠٦</sup>.

«و موردّها» الأصل في المورد ورود الماء، كالمصدر الصدور عنه.

«و منشأ البلاغة و مولدها» في خلفاء ابن قتيبة: فرّ محض منه عليه السّلام إلى معاوية، فقال له معاوية: من أين جئت؟ قال: من عند أعيان الناس. فقال له معاوية: ويحك ما سنّ الفصاحة لقريش غير على<sup>٢٠٧</sup>.

و في (الخصال) عن الشعبي قال: تكلم أمير المؤمنين (عليّ) عليه السّلام بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة، و أيتمن جواهر الحكمة، و قطعن

<sup>٢٠٤</sup> (٣) صحاح اللّغة للجوهري ٦: ٢٣٤١ مادة (دنو).

<sup>٢٠٥</sup> (١) رواه عن المواعظ للعسكريّ ابن طاوس في كشف المحجّة: ١٥٧.

<sup>٢٠٦</sup> (٢) أخرجه أبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٣١٤، المجلس (٢٢).

<sup>٢٠٧</sup> (٣) في تاريخ الخلفاء و هو الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ١١٤ ما لفظه: «و ذكروا أنّ عبد الله بن أبي محجن الثقفيّ قدم على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! إني أتيتك من عند النبيّ الجبان البخيل ابن أبي طالب. فقال معاوية: لله أنت! أتدرى ما قلت؟ أمّا قولك الغيبيّ، فو الله لو أنّ لسان الناس جمعت لساناً واحداً لكفأها لسان على» و لكن ذكر لفظ الكتاب ابن أبي الحديد ١: ٨، و غيره عن محض بن أبي محض و معاوية.

ص: ٦٠

جميع الأنام عن اللحاق بواحدةٍ منهنّ، ثلاث منها في المناجاة، و ثلاث منها في الحكمة، و ثلاث منها في الأدب، فأما اللاتي في المناجاة فقال: اللهمّ كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، و كفى بي فخراً أن تكون لى ربّاً. أنت كما أحب فاجعلنى كما تحبّ. و أما اللاتي في الحكمة فقال: قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، و ما هلك امرؤ عرف قدره، و المرء مخبوء تحت لسانه. و أما اللاتي في الأدب فقال: امنن على من شئت تكن أميره، و احتج الى من شئت تكن أسيره، و استغن عن من شئت تكن نظيره<sup>٢٠٨</sup>.

و قال ابن أبي الحديد عند قوله عليه السّلام: «سلكوا في بطون البرزخ...»: لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس و تلى عليهم هذا الكلام، ينبغي أن يسجد و اله كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع:

قلم أصاب من الدواة مدادها فلماً قيل لهم في ذلك، قالوا: إنّنا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن<sup>٢٠٩</sup>.

هذا، و في (الأغاني): كان إبراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن عليّ عليه السّلام فقال يوماً للمأمون: إنّني رأيت عليّاً في النوم، فقلت له: من أنت؟ فقال:

عليّ. فمشينا حتّى جئنا فنظرة، فذهب يتقدّمني لعبورها فأمسكته، و قلت له:

إنّما أنت رجل تدعى هذا الأمر بامرته، و نحن أحقّ به منك. فما رأيت له في الجواب بلاغة كما يوصف عنه. فقال له المأمون: و أى شيء قال لك؟ فقال: ما زادني عليّ أن قال: سلاما سلاما. فقال له المأمون: قد و الله أجابك أبلغ جواب.

قال: و كيف؟ قال: عرفك أنك جاهل لا يجاوب منلك، قال تعالى: «وَ إِذَا»\*

ص: ٦١

«خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»<sup>٢١٠</sup> فخرج إبراهيم، و قال للمأمون: ليتني لم أحدثك بهذا الحديث<sup>٢١١</sup>.

«و منه عليه السّلام ظهر مكنونها» أى: مستورها.

«و عنه أخذت قوانينها» مرّ أن معاوية قال: ما سنّ الفصاحة لقريش غير عليّ<sup>٢١٢</sup>.

<sup>٢٠٨</sup> (١) أخرجه الصدوق في الخصال: ٤٢٠ ح ١٤.

<sup>٢٠٩</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٥١ شرح الخطبة (٢١٩).

<sup>٢١٠</sup> (١) الفرقان: ٦٣.

<sup>٢١١</sup> (٢) الأغاني ١: ١٢٦.

«و على أمثلته» أمثلة جمع المثال.

«حذا» من حذوت النعل بالنعل إذا قطعته مماثله.

«كلّ قائل خطيب» فى (مروج المسعودى): و الذى حفظ الناس عنه (على) عليه السّلام من خطبه فى سائر مقاماته أربعمئة خطبة و نيف و ثمانون خطبة يوردها على البديهة، و تداول الناس ذلك عنه قولاً و عملاً<sup>٢١٣</sup>.

«و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ» قال ابن نباتة الواعظ المعروف و هو استاذ المصنّف: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلّا سعة و كثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ على بن أبى طالب عليه السّلام<sup>٢١٤</sup>.

و كذا استعان بكلامه عليه السّلام كلّ كاتب مجيد، قال عبد الحميد الكاتب- كاتب مروان بن محمّد، و هو الذى قيل فيه: إنّ الكتابة فتحت به-: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثمّ فاضت<sup>٢١٥</sup>.

ص: ٦٢

و فى (صناعة أبى هلال العسكرى): أخذ إبراهيم بن العباس الصولى قوله: «إذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه، و للمسيء من العقاب ما يقمعه ازداد المحسن فى الإحسان رغبة، و انقاد المسيء للحق رهبة» من قول على بن أبى طالب عليه السّلام: «يجب على الوالى أن يتعهّد أموره، و يتفقّد أعوانه، حتّى لا يخفى عليه إحسان محسن، و لا إساءة مسيء»<sup>٢١٦</sup>.

و قال الجاحظ: كان جعفر بن يحيى البرمكى من أبلغ الناس و أفصحهم للقول و الكتابة، يضمّ اللفظة إلى أختها، و سمعته يقول: ناهيك حسناً بقول على بن أبى طالب عليه السّلام: «هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو قرار أو مجاز». و كان يتعجّب من قول على عليه السّلام: «أين من جدّ و اجتهد، و جمع و احتشد، و بنى و شيّد، أو فرش فمهّد، أو زخرف فنجد». قال: ألا ترى أنّ كلّ لفظة منها أخذت بعنق قرينتها، جاذبة إيّاها إلى نفسها، دالة عليها بذاتها<sup>٢١٧</sup>.

و قال محمّد بن يعقوب الكلينى فى (كافيه) بعد ذكر خطبة له عليه السّلام فى باب جوامع التوحيد: هذه الخطبة هى كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها، و فهم ما فيها. فلو اجتمع ألسنة الجنّ و الإنس- ليس فيها لسان نبى- على أن يبيّنوا التوحيد

<sup>٢١٢</sup> (٣) مرّ فى شرح فقرة: «و منشأ البلاغة» نقلاً عن ابن قتيبة.

<sup>٢١٣</sup> (٤) مروج الذهب للمسعودى ٢: ٤١٩.

<sup>٢١٤</sup> (٥) نقل هذا عن ابن نباتة، و عبد الحميد ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ٨ بهذا اللفظ، و يأتى قول عبد الحميد بلفظ آخر عن الجهشيارى فى الوزراء: ٨٢، و أمّا قراءة الرضى على ابن نباتة فقد ذكرها السيد على خان فى الدرجات الرفيعة: ٤٥٩.

<sup>٢١٥</sup> (٦) المصدر نفسه.

<sup>٢١٦</sup> (١) الصناعتين للعسكرى: ٢١٤.

<sup>٢١٧</sup> (٢) جاء ذكر جعفر بن يحيى البرمكى فى البيان و التبيين ١: ١٢٨ بغير هذه الألفاظ.

بمثل ما أتى عليه السّلام به- بأبى و أمى- ما قدروا عليه، و لو لا إباتته عليه السّلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التّوحيد<sup>٢١٨</sup>.

قلت: هو عليه السّلام مصادق ما قيل:

و إذا جلست فأنت ليث رابض

إذا نهضت فأنت نجم ثاقب

و اليك يرجع حين يشكل غامض

فبك التمثّل حين ينعت فاضل

ص: ٦٣

و ممّن استعان بكلامه عليه السّلام عبد الملك بن صالح العبّاسى- و كان من خطبائهم- فى وصاياه لابنه- و نقلها الجاحظ فى بيانه<sup>٢١٩</sup>- أخذها من وصاياه عليه السّلام لابنه، و كذلك طاهر بن الحسين ذو اليمينين الذى كتب وصية طويلة لابنه عبد الله بن طاهر، فأمر المأمون بحفظها و كتابتها<sup>٢٢٠</sup>، أخذها من الوصية الجامعة له عليه السّلام، بل كان بعض الخطباء يخطب بعين خطبه عليه السّلام، كخطبة يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على الكوفة: «تّقوا الله عباد الله فكم من مؤمّل أملا لا يبلغه، و جامع مالا لا يأكله، و مانع ما سوف يتركه، و لعلّه من باطل جمعه، و من حقّ منعه...»<sup>٢٢١</sup>.

و كخطبة قطرى بن فجاءة أحد أمراء الخوارج: «أمّا بعد فإنّى أحذركم الدنيا فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، و راقت بالقليل، و تحبّبت بالعاجلة، و حليت بالآمال، و تزينت بالغرور. لا تدوم حبرتها، و لا تؤمن فجعتها...»<sup>٢٢٢</sup>.

ذكر خطبتهما الجاحظ فى بيانه.

و كخطبة المأمون يوم الجمعة، ذكرها ابن قتيبة فى (عيونه)<sup>٢٢٣</sup>، و أخذ فضيل بن عياض المعروف بالزهد كلامه عليه السّلام لشريح القاضى لمّا اشترى دارا، فقاله بعينه لفيض بن إسحاق لمّا اشترى دارا، كما نقله (الحلية)<sup>٢٢٤</sup>، و أخذ

<sup>٢١٨</sup> (٣) الكافى ١: ١٣٦.

<sup>٢١٩</sup> (١) نقل الجاحظ فى البيان و التبیین ٢: ١٢٢، و ٣: ٤٠٨ وصاياه لابنه، لكن المقايسة ليست من الجاحظ.

<sup>٢٢٠</sup> (٢) نقل وصية طاهر الطبرى فى التاريخ ٧: ١٦٠، سنة (٢٠٦) و نقل أمر المأمون أيضا الطبرى فى التاريخ ٧: ١٦٨، سنة (٢٠٦).

<sup>٢٢١</sup> (٣) نقلها الجاحظ فى البيان و التبیین ٢: ١٦٣.

<sup>٢٢٢</sup> (٤) نقلها الجاحظ فى البيان و التبیین ٢: ١٤٤، و نفى ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ٢٤٢ شرح الخطبة (١٠٩) كون الخطبة لقطرى.

<sup>٢٢٣</sup> (٥) رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢: ٢٥٣.

<sup>٢٢٤</sup> (٦) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٨: ١٠١.

تفسيره عليه السلام لقوله تعالى: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»<sup>٢٢٥</sup> أبو يزيد البسطامي كما نقله أيضا<sup>٢٢٦</sup>.

و في (وزراء الجهشياري) قيل لعبد الحميد بن يحيى: ما الذى مكّنك من البلاغة و خرجك؟ فقال: حفظ كلام الأصلع. يعنى أمير المؤمنين عليه السلام<sup>٢٢٧</sup>.

و قال (ابن أبى الحديد) فى شرح قوله عليه السلام: «ألا و إن اللسان بضعة من الإنسان»: قد أخذ هذه الألفاظ بعينها أبو مسلم الخراسانى، فخطب بها فى خطبة مشهورة من خطبه<sup>٢٢٨</sup>.

«و مع ذلك فقد سبق و قصّروا و تقدّم و تأخّروا» أى: فى ما أخذوا من كلماته عليه السلام فى كلامهم و فى ما استعانوا بجملاته عليه السلام فى مقالاتهم، قال ابن أبى الحديد عند قوله عليه السلام: «أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة»: إنّ التحريض على الجهاد، و الحضّ عليه قد قال فيه الناس فأكثر، و كلّهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فمن جيّد ذلك ما قاله ابن نباتة الخطيب: أيّها الناس إلى كم تسمعون الذّكر فلا تعون- الى أن قال ابن أبى الحديد- هذه آخر خطبة ابن نباتة. فانظر إليها و إلى خطبته عليه السلام (أى المتقدّمة) بعين الانصاف تجدها بالنسبة إليها كمخّنت بالنسبة إلى فحل، أو كسيف من رصاص بالنسبة إلى سيف من حديد. و انظر ما عليها من أثر التوليد، و شين التكلف، و مجاجة كثير من الألفاظ، ألا ترى إلى فجاجة قوله: كأنّ أسمعكم تمجّ و دائع الوعظ، و كأنّ قلوبكم بها استكبار عن الحفظ- الى أن قال- إننى أضرب لك مثلا تتّخذة دستوراً فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام و كلام الكتاب و الخطباء بعده

كابن نباتة و الصابى و غيرهما، انظر نسبة شعر أبى تمام، و البحترى، و أبى نواس، و مسلم إلى شعر امرئ القيس و النابغة و زهير و الأعشى- الى أن قال بعد ذكر تضمين ابن نباتة جملة قوله عليه السلام: «ما غزى قوم فى عقر دارهم إلّا ذلّوا»- انظر كيف تصيح من بين الخطبة صباحا، و تنادى على نفسها نداءً فصيحاً، و تعلم سامعها أنّها ليست من المعدن الذى خرج باقى الكلام منه، و لا من الخاطر الذى صدر ذلك السجع عنه. و لعمر الله لقد جملت الخطبة و حسنيتها و زانتها، و ما مثلها فيها إلّا كآية من الكتاب العزيز، يتمثل بها فى رسالة أو خطبة<sup>٢٢٩</sup>.

<sup>٢٢٥</sup> (١) البقرة: ١٥٦.

<sup>٢٢٦</sup> (٢) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠: ٣٩.

<sup>٢٢٧</sup> (٣) الوزراء للجهشياري: ٨٢، و النقل بتصرّف يسير.

<sup>٢٢٨</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٨٤، شرح الخطبة (٢٣١).

<sup>٢٢٩</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٤٢-١٤٤ شرح الخطبة (٢٧).

«و لأنّ» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (لأنّ) بدون العاطف كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ٢٣٠.

«كلامه عليه السّلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي» المسحة أن يبقى أثر المسح على الممسوح عليه، قال ذو الرّمة:

على وجه مية مسحة من ملاحه

٢٣١ و نعم ما قال الميبدى في شرح الديوان المنسوب اليه عليه السّلام:

ناطق بكمال اوست قرآن عزيز

شاهد كه مهش غلام و مهر است كنيز

در خانه به كدخدای ماند همه چيز

گر قدر كلام او رفيع است چه دور

«و فيه عبقة» من عبق به الطيب لزمه.

ص: ٦٦

«من الكلام النبوي» و كيف لا يكون كذلك و قد قال النبي صَلَّى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم و علىّ بابها»؟! ٢٣٢ في (فهرست منتجب الدين): الشيخ القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد بن القريب قاضي قاشان فاضل فقيه، كان

٢٣٠ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٥، و شرح ابن ميثم ١: ٩٠.

٢٣١ (٣) لسان العرب ٢: ٥٩٦ مادة (مسح).

٢٣٢ (١) رواه العقيلي في الضعفاء، و ابن عدى في الكامل، و الطبراني في معجمه الكبير، و الحاكم في المستدرک عنهم الجامع الصغير ١: ١٠٨، و ابن المغازلي في المناقب بثلاث طرق: ٨١-٨٣، و الخوارزمي في المناقب ٤٠، و الحسكاني بطرق متعددة في شواهد التنزيل ١: ٨١ ح ١١٨، و ابن أخي توبك في مسنده، منتخب السند: ٤٢٦ ح ٢، و الديلمي في الفردوس، و الجويني في فرائد السمطين عنهما ينابيع المودة: ٧٢ عن ابن عباس، و رواه ابن عدى في الكامل، و الحاكم في المستدرک عنهما الجامع الصغير ١: ١٠٨، و ابن المغازلي في المناقب بطريقتين: ٨٠، ٨٤، و البزاز في مسنده، و الطبراني في معجمه الأوسط عنهما ينابيع المودة: ٢٨٢ عن جابر بن عبد الله، و أخرجه أحمد في الفضائل عنه تذكرة الخواص: ٤٨، و ابن المغازلي بطريقتين: ٨٢، ٨٥، و الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٣٤ ح ٤٥٩، و أبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ١٩٠، المجلس (٥)، و الصدوق في العيون ٢: ٦٦ ح ٢٩٨ عن علي عليه السّلام، و في الباب أحاديث بهذا اللفظ عن الثلاثة و أبي سعيد الخدرى و حذيفة بن اليمان و كعب بن عجرة و أنس و ابن مسعود و الحسن عليه السّلام و الصادق عليه السّلام و الصنابجي و سلمة و غيرهم، و روى أيضا بألفاظ أخرى لم يسعها المقام.

يكتب نهج البلاغة من حفظه، و له رسالة العبقة في شرح قول السيّد الرضّى في خطبة النهج: «عليه مسحة من العلم الإلهي، و فيه عبقة من الكلام النبوي»<sup>٢٣٣</sup>.

و قال ابن أبي الحديد عند الكلام في خطبة الجهاد المتقدمة: إنّ الناس قد اتفقوا على أن القرآن في أعلى طبقات الفصاحة، و تأمله تأملا شافيا، و انظر إلى ما خصّ به من مزية الفصاحة، و البعد عن التّعرّ و التعقيد، و الكلام الوحشي الغريب، و انظر كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فإنّك تجده مشتقا من ألفاظه، و مقتضيا من معانيه و مذاهبه، و محدّوا به حدوه، و مسلوكا به في منهاجه، فهو و إن لم يكن نظيرا و لا ندّا يصلح أن يقال: إنّه ليس بعده كلام أفصح منه، و لا أجزل، و لا أعلى، و لا أفخم، و لا أنبل، إلّا أن يكون كلام ابن

ص: ٦٧

عمّه صلّى الله عليه و آله و سلّم<sup>٢٣٤</sup>.

و قال أيضا عند قوله عليه السّلام: «عالم السرّ من ضمائر المضميرين...»: لو سمع النّضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله: ما قاله عليّ بن العباس بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

كلّا و لكن لعمري منه شيبان

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم

كما علا برسول الله عدنان

و كم أب قد علا بابن ذرى شرفا

إذ كان يفخر به على عدنان و قحطان، بل كان يقرّ به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن، و يقول النضر له: لم يعف ما شيّدت من معالم التوحيد، بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولدا ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبندعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطا طاليس - القائل بأنّه تعالى لا يعلم الجزئيات -<sup>٢٣٥</sup> لخشع قلبه، و قفّ شعره، و اضطرب فكره. ألا ترى ما عليه من الرواء و المهابة، و العظمة و الفخامة، و المتانة و الجزالة مع ما قد أشرب من الحلاوة و الطلاوة، و اللطف و السّلاسة؟ لا أرى كلاما يشبه هذا إلّا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نبعه من تلك الشجرة، و جدول من ذلك البحر، و جذوة من تلك النار<sup>٢٣٦</sup>.

<sup>٢٣٣</sup> (٢) الفهرست لمنتجب الدين: ١٧٦.

<sup>٢٣٤</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤٣ شرح الخطبة (٢٧).

<sup>٢٣٥</sup> (٢) قال الفارابي في كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين: ١٠٦ في تفسير قول أرسطو بهذا القول مجملا، و نسبه إلى افلاطون و أرسطو، و الظاهر اشتراك جمهور الحكماء فيه، كما نقله الغزالي في المنقذ من الضلال: ٥١، و العلّامة الحلّي في كشف المراد: ٢٢٢، و غيرهما.

<sup>٢٣٦</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٧ شرح الخطبة (٨٩).

و قال فى شرح قوله عليه السّلام: «و منها فى صفة الأرض» من الخطبة (٨٩): فى بيان أنّه عليه السّلام إمام أرباب صناعة البديع، و ذلك لأنّ هذا الفن لا يوجد منه فى كلام غيره ممن تقدّمه إلاّ ألفاظ يسيرة غير مقصودة، و لكنها واقعة بالاتّفاق،

ص: ٦٨

كما وقع التجنيس فى القرآن العزيز اتّفاقا غير مقصود، و ذلك نحو قوله:

«يا أسفى على يوسف»<sup>٢٣٧</sup>، و كما وقعت المقابلة أيضا غير مقصودة فى قوله: «و السّماء رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ»<sup>٢٣٨</sup>، على أنّها ليست مقابلة فى المعنى، بل من اللفظ خاصّة. و لما تأمّل العلماء شعر امرئ القيس - و وجدوا فيه من الاستعارة بيتا أو بيتين، نحو قوله يصف الليل:

و أردف اعجازا و ناء بكلّكل

فقلت له لمّا تمطّى بصلبه

و قوله:

فسلّى ثيابى من ثيابك تنسل

و إن يك قد ساءت منى خليقة

<sup>٢٣٩</sup> و لم يتشدوا مثل ذلك فى أشعار الجاهليّة - حكموا له بأنّه إمام الشعراء و رئيسهم.

و هذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام قد اشتمل من الاستعارة العجيبة و غيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجودا فى ديوان شاعر مكثّر، أو مترسّل مكثّر، لكان مستحقّ التقديم بذلك، ألاّ تراه كيف وصف الأمواج بأنّها مستفحلة، و أنّها ترغو رغاء فحول الإبل. ثمّ جعل الماء جماعاً ثمّ وصفه بالخضوع، و جعل للأرض كلّكلا، و جعلها واطئة للماء به، و وصف الماء بالذلّ و الاستخذاء، لمّا جعل الأرض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس، و جعل لها كواهل، و جعل للذلّ حكمة، و جعل الماء فى حكمة الذلّ منقادا أسيرا، و ساجيا مقهورا، و جعل الماء قد كان ذا نخوة و بأو و اعتلاء، فردّته الأرض خاضعا مسكينا، و طأطأت من شموخ أنفه، و سموّ غلوائه،

<sup>٢٣٧</sup> (١) يوسف: ٨٤.

<sup>٢٣٨</sup> (٢) الرحمن: ٧.

<sup>٢٣٩</sup> (٣) أوّده كذلك فى المعلقات السبع: ٢٠، لكن فى الديوان: ١٨، و لسان العرب ١١: ٥٩٧ مادة (كلل) بدل (صليه):

(جوزه).

وجعلها كاعمة له، وجعل الماء ذا كظةً بامتلائه، كما تعترى الكظة المستكثر من الأكل، ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات، ولابدا بعد أن كانت له و ثبات، ثم جعل للأرض أكتافا و عرائين، و أنوفا و خياشيم، ثم نفى النوم عن وميض البرق، و جعل الجنوب مارية درر السحاب، ثم جعل للسحاب صدرا و بوانا، ثم جعل الأرض مبتهجة مسرورة مزدهاة، و جعل لها ربطا من لباس الزهور، و سموطا تحلى بها. فيا لله و للعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة، فإذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثا منها، أقاموا القيامة، و نفخوا في الصور و ملثوا الصحف بالاستحسان لذلك و الاستطراف، ثم يمرّون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على اللطف وجهه، و أرصع وجهه، و أرشق عبارة، و أدقّ معنى، و أحسن مقصد، ثم يحملهم الهوى و العصبية على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا و أحسنوا، و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه. على أنه لا عجب، فإنه كلام على عليه السلام، و حظّ الكلام حظّ المتكلم، و أشبه امرأ بعض يزّه! ٢٤٠.

قلت: ما قاله ابن أبي الحديد ليس يحسن على إطلاقه، فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو «النَّبِيُّ الْعَظِيمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» ٢٤١، فإذا كان أعداؤه كذلك فإن أوليائه يعترفون بالعجز عن وصف محاسنه، و أن كلامه تالى القرآن الذى قال جل و علا فيه: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» ٢٤٢. و لا يحطّ

علوه عمل أعدائه، و لنعم ما قيل بالفارسية:

شب پره گر وصل آفتاب نخواهد رونق بازار آفتاب نکاهد

٢٤٣ و قال سبط ابن الجوزى فى (تذكرته): كان علىّ عليه السلام ينطق بكلام قد حف بالعصمة و يتكلم بميزان الحكمة. كلام ألقى الله عليه المهابة، فكلّ من طرق سمعه راعه فهابه، و قد جمع الله له بين الحلاوة و الملاحه، و الطلاوة و الفصاحة. لم

٢٤٠ (١) أورده الزمخشري فى المستقصى ١: ١٨٧ ثم قال يضرب فى مماثلة الشىء صاحبه.

٢٤١ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥٩ شرح الخطبة (٨٩) و قد جاء فى الأخبار أن عليّا عليه السلام هو النبأ العظيم، أخرجه علىّ بن إبراهيم فى تفسيره ٢: ٤٠١، و الفرات الكوفى فى تفسيره: ٢٠٢ و الحسكائى فى شواهد التنزيل ٢: ٣١٧، ٣١٨ بطرق متعدّدة: و ذلك فى تفسير قوله تعالى: «أَنَّ النَّبِيَّ الْعَظِيمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» E النبأ: ٢-٣.

٢٤٢ (٣) الاسراء: ٨٨.

٢٤٣ (١) أورده دهخدا فى أمثال و حكم ٢: ١٠١٣ و الشاعر: سعدى، و ترجمة البيت: «ان كان الخفاش لا يريد وصال الشمس فليس ذلك بقادح فى منزلتها».

يسقط منه كلمة، و لا بارت له حجة. أعجز الناطقين، و حاز قصب السبق فى السابقين. ألفاظ يشرق عليها نور النبوة، و يحير الافهام و الألباب<sup>٢٤٤</sup>.

قلت: و لا غرو أن يكون على كلامه عليه السلام مسحة من العلم الإلهي، و كان كرارا يقول: «أنا أعلم بطرق السماء متى بطرق الأرض»<sup>٢٤٥</sup>.

و كان عليه السلام يقول: «لو ثنيت لى الوسادة لأقتيت أهل التوراة بتوراتهم، و أهل الإنجيل بإنجيلهم، و أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كل منها و يقول:

إِنَّ عَلِيًّا قَضَىٰ فِيَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيَّ»<sup>٢٤٦</sup>.

و كيف لا يكون فى كلامه عبقة من الكلام النبوى، و قد جعلهما الله تعالى فى آية المباهلة نفسا واحدة<sup>٢٤٧</sup>؟! و كان عليه السلام يقول: «أنا من النبى صلى الله عليه و آله

ص: ٧١

كالصنو من الصنو، و الذراع من العضد»<sup>٢٤٨</sup>. و كان كلامه عليه السلام أولى من كلام قيل فيه: و كلام لا تمجّه الاذان، و لا تبليه الأزمان. كلام قريب شاسع، و مطمع مانع، كالشمس تقرب ضياء، و تبعد علاء، أو كالماء يرخص موجودا، و يغلو مفقودا. كلام سهل متسلسل كالمدام بماء غلام، يقرب أذنه على الأفهام. كلام كبرد الشراب على الأكباد الأحرار، و برد الشباب فى خلع العذار. كلام كثير العيون، سلس المتون، رقيق الحواشى، سهل النواحي. كلام هو السحر الحلال، و الماء الزلال، و البرود و الحبر، و الأمثال و العبر، و النعيم الحاضر، و الشباب الناضر. نظرت منه الى صورة الظرف بحتا، و صورة البلاغة سبكا و نحتا. كلام يسرّ المحزون، و يسهّل الحزون، و يعطلّ الدرّ المخزون. كلام بعيد من الكلف، نقى من الكلف، كما ينفس السحر عن نسيمه، و يبسم الدرّ عن نظيمه. كلام كالبشرى بالولد الكريم، قرع به سمع الشيخ العقيم، كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته، و طلاوة الربيع بطلاوته. كلام قرب حتى أطمع، و بعد حتى امتنع، قرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثم علا حتى صار بالمنزل الأعلى، رقيق المزاج، حلو السماع، نقى السبك، مقبول اللفظ. قرأت لفظا جليًا، حوى معنى خفيًا، و كلاما قريبا، رمى غرضا بعيدا. كلام أنس المقيم الحاضر، و زاد الراحل المسافر. كلام يصغى إليه المقبور و ينتفض له العصفور. كلام يقضى حقّ البيان، و يملك رق

<sup>٢٤٤</sup> (٢) تذكرة الخواص: ١١٩.

<sup>٢٤٥</sup> (٣) رواه الإربلى فى كشف الغمة ١: ١٣٠، و الآمدى فى غرر الحكم، الفصل (٣٩) ح ٨٥، و شاذان فى الفضائل: ٩٨.

<sup>٢٤٦</sup> (٤) أخرجه الصفار فى بصائر الدرجات: ١٥٣ ح ٤، و التعلبي فى تفسيره عنه تذكرة الخواص: ١٦، و الفرات الكوفى فى تفسيره: ٦٩، و الحسكائى بروايتين فى شواهد التنزيل ١: ٢٨٠، ٢٨١ ح ٣٨٤، ٣٨٥، و الجوينى فى فرائد السمطين عنه بناييع المودة: ٧٤ عن زاذان عن على عليه السلام، و روى بطرق عديدة حاضرة عندى عن الامامين الباقر و الصادق عليهما السلام و زاذان و أبى البحرى و الأصغى بن نباتة و سلمة بن كهيل و عمرو بن أبى المقدام و سليم بن قيس و غيرهم.

<sup>٢٤٧</sup> (٥) إشارة الى قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَ آبَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لُغْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» E. آل عمران: ٦١.

<sup>٢٤٨</sup> (١) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٣: ٧٣ ضمن الكتاب (٤٥).

الحسن و الاحسان. كلام منه يجتنى الدرّ، و به يعقد السحر، و عنده يغيب الدهر، و له ينشرح الصدر. كلام كما هبّ نسيم السحر على صفحات الزهر.

«فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع» ينتفع به جميع

ص: ٧٢

البشر الموحد منهم ممّا فيه من ذكر الثواب و العقاب، و الملحد منهم ممّا فيه من الحكم و الآداب، و مع ذلك فهو معجزة للإسلام ككتاب الله تعالى و شاهد للنبوّة و الإمامة.

«و منشور الذكر» إنّ الرضى انقرض نسله كأخيه المرتضى، إلّا أنّه انتشر ذكره فى العالم بجمعه هذا الكتاب، فكثير من الكتب لم يشتهر أمرها أصلا، و بعضها إنّما اشتهر فى عصر أو قطر، و أمّا هذا الكتاب فاشتهر اشتهار الشمس فى رابعة النهار.

و ينبغى لمن فتح هذا الكتاب أن يخاطب الرضىّ بخطاب أبى تمام الشّاعر للحسن بن وهب الكاتب لما قرأ كتابا له:

لقد جلّى كتابك كلّ بثّ	جو و أصاب شاكلة الرمىّ
فضضت ختامه فتبلجت لى	غرائبه عن الخبر الجلىّ
و كان أغضّ فى عيني و أندى	على كبدى من الزهر الحلىّ
و أحسن موقعا عندى و منىّ	من البشرى أتت بعد النعىّ
و ضمّن صدره ما لم تضمّن	صدور الغايات من الحلىّ
فكائن فيه من معنى بديع	و كائن فيه من لفظ بهيّ

و قال بعضهم فى الرضىّ و فى كتابه:

إنّ الرضىّ الموسوىّ	لمائه هو مائح
لاقت به و بجمعه	عدد القطاط مدائح

٢٤٩ «و مذخور الأجر» فمن هدى شخصا يكون خيرا له مما طلعت عليه الشمس، و قد هدى الرضى بتأليفه نهجه هذا من لا يحصيهم إلا الله تعالى.

«و اعتمدت به» أى: قصدت بجمع هذا الكتاب.

ص: ٧٣

«أن أبين» من الإبانة.

«من عظيم» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (عن عظيم) كما فى (ابن ميثم، و الخطيب) ٢٥٠ و لأن الإبانة إنما تتعدى ب (عن).

«قدر أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الفضيلة» أى: فضيلة النطق، قال تعالى: «فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» ٢٥١.

و قال عليه السلام: «تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه» ٢٥٢.

«مضافة» هذه الفضيلة.

«إلى المحاسن الدثرة» أى: الكثيرة العالية، قال ابن مقبل:

أصاغت له فدر اليمامة بعد ما تدرّها من وبله ما تدرّها

٢٥٣ «و الفضائل الجمّة» أى: المجتمعمة، قال الشاعر:

إن تغفر اللهم تغفر جمّا و أىّ عبد لك لا ألما

٢٤٩ (١) نقله ضمن أبيات الخوئى فى شرحه ١: ٨٠ عن السيّد عزّ الدين بن ضياء الدين.

٢٥٠ (١) كذا فى شرح ابن ميثم ١: ٩٠، و لكن فى شرح ابن أبى الحديد ١: ١٥ «من عظيم» أيضا.

٢٥١ (٢) يوسف: ٥٤.

٢٥٢ (٣) نهج البلاغة ٤: ٩٣ الحكمة (٣٩٢).

٢٥٣ (٤) لسان العرب ٤: ٢٧٧ مادة (دثر).

<sup>٢٥٤</sup> و قد وصف النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم محاسن أمير المؤمنين عليه السلام و فضائله، فقال:

«لو أن البحار كانت مدادا، و الأشجار أقلاما، و الجنّ و الإنس كتّابا، لما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب»<sup>٢٥٥</sup>.

و روى العكبرى كما في (مناقب الكنجي الشافعي) مسندا عن ابن عباس قال: بينما النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم جالس في جماعة من أصحابه، إذ أقبل عليّ عليه السلام، فلمّا

ص: ٧٤

بصر به النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله قال: «من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في حكمه، و إلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام»<sup>٢٥٦</sup>. قال الكنجي: و تشبيهه بآدم في علمه لقوله تعالى في آدم: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»<sup>٢٥٧</sup>، و بنوح في حكمه لشدّته على الكفار لقوله: «رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا»<sup>٢٥٨</sup>، و بإبراهيم في حلمه لقوله تعالى: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»<sup>٢٥٩</sup>،<sup>٢٦٠</sup> و لقد أجاد شباب التستري حيث قال فيه عليه السلام بالفارسيّة:

كتاب فضل ترا آب بحر کافی نیست      که تر کنند سر انگشت و صفحه بشمارند

<sup>٢٦١</sup> و هو عليه السلام أولى ممّن قيل فيه:

<sup>٢٥٤</sup> (٥) أورده لسان العرب ١٢: ١٠٤ مادة (جمم)، و الشاعر: أبو خراش الهذليّ.

<sup>٢٥٥</sup> (٦) رواه الديلمي في الفردوس عنه البحار ٤٠: ٧٥ ح ١١٢، و المطرزي عنه البحار ٤٠: ٧٤ ح ١١٠، و سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٣، و الكراجكي في كنز الفوائد: ١٢٨، و في التفضيل: ٤٠، و الديلمي في إرشاد القلوب: ٢٠٩.

<sup>٢٥٦</sup> (١) رواه الكنجي في كفاية الطالب: ٤٦، و أيضا الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٠٦ ح ١٤٧، و المحب الطبري في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودة: ٢١٤ عن ابن عباس، و رواه الديلمي في الفردوس عنه البحار ٤٠: ٧٨، و الحسكاني في شواهد التنزيل بطريقين ١: ٧٩، ٨٠ ح ١١٦، ١١٧، و الخوارزمي بطريقين: ٤٠، ٢١٩، و المحب الطبري في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودة: ٢١٤ عن أبي الحمراء، و أخرجه ابن المغازلي في المناقب: ٢١٢، و الكراجكي في التفضيل: ٣١ عن أنس، و رواه الكراجكي في التفضيل: ٣١ عن أبي سعيد الخدري، و نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٢٩ ح ٤ عن أحمد في مسنده و البيهقي في السنن، و روى معناه الخوارزمي: ٤٥ عن الحارث الأعور عن جمع من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله، و بين الألفاظ اختلاف.

<sup>٢٥٧</sup> (٢) البقرة: ٣١.

<sup>٢٥٨</sup> (٣) نوح: ٢٦.

<sup>٢٥٩</sup> (٤) التوبة: ١١٤.

<sup>٢٦٠</sup> (٥) كفاية الطالب: ٤٦ و النقل بتصرّف يسير.

<sup>٢٦١</sup> (٦) أورده دهخدا في أمثال و حكم ٣: ١١٩١ و نسيه إلى الأسدى، و ذيله فيه «كه تركنى سرانگشت و صفحه بشمارى» و ترجمة البيت: «لا يكفى كتاب فضلك ماء البحر أن ترطبّ بناك و تعدّد صفحاته».

ص: ٧٥

ما قاله الشارح المعتزلي في فضائله عليه السلام:

قال ابن أبي الحديد في أول كتابه: فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني في ما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أنني حيث انتهت بي القول منسوب إلى العجز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، وولت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

و ما أقول في رجل أقر له أعداؤه و خصومه بالفضل و لم يمكنهم جحد مناقبه و لا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الاسلام في شرق الأرض و غربها، و اجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره و التحريف عليه، و وضع المعائب و المثالب له، و لعنوه على جميع المنابر، و توعدوا مادحيه، بل حبسوهم و قتلوههم، و منعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكرا، حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة و سموا، و كان كالمسك، كلما ستر انتشر عرفه، و كلما كتم تضوّع نشره، و كالشمس لا تستر بالراح، و كضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

و ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، و تنتهى إليه كل فرقة، و تتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل و ينبوعها و أبو عذرها و سابق مضمارها و مجلى حليتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.

ص: ٧٦

و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، و من كلامه عليه السلام اقتبس، و عنه نقل، و إليه انتهى، و منه ابتدئ.

فإن المعتزلة - الذين هم أهل التوحيد و العدل و أرباب النظر، و منهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته و أصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، و أبو هاشم تلميذ أبيه، و أبوه تلميذه عليه السلام.

وَأَمَّا الْأَشْعَرِيَّةُ فَإِنَّهُمْ يَنْتَمُونَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ بَشْرِ الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ تَلْمِيزُ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِيِّ، وَ أَبُو عَلِيٍّ أَحَدُ مَشَايِخِ  
الْمَعْتَزَلَةِ، وَالْأَشْعَرِيَّةُ يَنْتَهُونَ بِأَخْرَجَةٍ إِلَى أَسْتَاذِ الْمَعْتَزَلَةِ وَمُعَلِّمِهِمْ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ وَالزِّيْدِيَّةُ فَانْتَمَاؤُهُمْ إِلَيْهِ ظَاهِرٌ.

وَمِنَ الْعُلُومِ: عِلْمُ الْفِقْهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُهُ وَأَسَاسُهُ، وَكُلُّ فِقْهِ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَيْهِ وَمُسْتَفِيدٌ مِنْ فِقْهِهِ. أَمَّا أَصْحَابُ  
أَبِي حَنِيفَةَ كَأَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدَ، وَغَيْرَهُمَا فَأَخَذُوا عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَقَرَأَ عَلِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، فَيَرْجِعُ فِقْهُهُ  
أَيْضًا إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَقَرَأَ عَلِيُّ الشَّافِعِيِّ، فَيَرْجِعُ فِقْهُهُ أَيْضًا إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَ أَبُو حَنِيفَةَ قَرَأَ عَلِيُّ جَعْفَرُ بْنُ  
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَرَأَ جَعْفَرُ عَلَى أَبِيهِ، وَيَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَقَرَأَ عَلِيُّ رَبِيعَةَ الرَّأْيِ، وَقَرَأَ  
رَبِيعَةُ عَلَى عِكْرَمَةَ، وَقَرَأَ عِكْرَمَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى عَلِيٍّ، وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْتَ إِلَيْهِ فِقْهُ  
الشَّافِعِيِّ بِقِرَاءَتِهِ عَلَى مَالِكٍ كَانَ لِكَ ذَلِكَ، فَهَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءُ الْأَرْبَعَةُ، وَأَمَّا فِقْهُ الشَّيْعَةِ فَرَجُوعُهُ إِلَيْهِ ظَاهِرٌ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ فِقْهَاءَ الصَّحَابَةِ كَانُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَ كِلَاهُمَا أَخَذَا عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ  
فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا عُمَرُ فَقَدْ عَرَفَ كُلَّ

ص: ٧٧

أَحَدٌ رَجُوعُهُ إِلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ وَ عَلِيٍّ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَ قَوْلُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ: «لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ  
عُمَرُ»<sup>٢٦٣</sup>، وَ قَوْلُهُ: «لَا بَقِيَتْ لِمَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ»<sup>٢٦٤</sup>، وَ قَوْلُهُ: «لَا يَفْتِنَنَّ أَحَدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَ عَلِيٌّ حَاضِرٌ»<sup>٢٦٥</sup>. فَقَدْ عَرَفَ  
بِهَذَا الْوَجْهَ أَيْضًا انْتِهَاءَ الْفِقْهِ إِلَيْهِ. وَ قَدْ رَوَتْ الْعَامَّةُ وَ الْخَاصَّةُ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ»<sup>٢٦٦</sup> وَ الْقَضَاءُ هُوَ  
الْفِقْهُ، فَهُوَ إِذْنٌ أَفْقَهُهُمْ، وَ رَوَى الْكُلَّ أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ لَهُ وَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَ ثَبِّتْ

<sup>٢٦٣</sup> (١) رَوَاهُ ابْنُ عِيَّاشٍ وَ السَّمْعَانِيُّ عَنْهُمَا مَنَاقِبُ ابْنِ شَهْرِ آشُوبٍ ٢: ٣١، وَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ: ٣٩، وَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي ذَخَائِرِ الْعَقْبِيِّ عَنْهُ بِنَايِيعِ الْمُوَدَّةِ: ٢١١،  
وَ صَاحِبُ مَسْنَدِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فِيهِ: ٣٣٥، وَ الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ فِي الْإِيضَاحِ:

٩٨، ٩٩، ١٠١ وَ جَمْعٌ آخَرٌ.

<sup>٢٦٤</sup> (٢) رَوَاهُ الْبَلَاذُرِيُّ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ، وَ ابْنُ بَطَّةٍ فِي الْإِبَانَةِ، وَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْفَائِقِ عَنْهُمْ مَنَاقِبُ ابْنِ شَهْرِ آشُوبٍ ٢:

٣١، وَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ، وَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي ذَخَائِرِ الْعَقْبِيِّ عَنْهُمَا بِنَايِيعِ الْمُوَدَّةِ: ٢١١، ٢٨٦، وَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِعَابِ ٣: ٣٩، وَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ: ٥١،  
وَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٤: ٢٢، وَ الْمَقْبِدُ فِي الْإِرْشَادِ: ١٠٩، وَ نَقَلَهُ ابْنُ الْبَطْرِيقِ فِي الْعَمْدَةِ ٢: ١٣٤ عَنْ مَسْنَدِ أَحْمَدَ.

<sup>٢٦٥</sup> (٣) نَقَلَهُ مِقَاتِلُ بْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمُؤْتَمَرِ: ٤٧.

<sup>٢٦٦</sup> (٤) رَوَاهُ الْخَوَارِزْمِيُّ بِطَرِيقَيْنِ فِي الْمَنَاقِبِ: ٣٩، ٤١ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، وَ الصَّدُوقُ فِي أَمَالِيهِ: ٤٤٠ ح ٢٠ الْمَجْلِسُ (٨١) عَنْ سَلْمَانَ، وَ الْمَقْبِدُ فِي الْإِرْشَادِ:  
٢٢ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي ذَخَائِرِ الْعَقْبِيِّ عَنْهُ بِنَايِيعِ الْمُوَدَّةِ:

٢١١ عَنْ أَنَسٍ، وَ ابْنُ بَطَّةٍ فِي الْإِبَانَةِ عَنْهُ مَنَاقِبُ ابْنِ شَهْرِ آشُوبٍ ٢: ٣٣ عَنْ أَبِي إِمَامَةَ، وَ أَبُو يَعْلَى فِي مَسْنَدِهِ عَنْهُ الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ ٤: ٨٥ ح ٤٠٣١ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَ ابْنِ  
شَهْرِ آشُوبٍ مَجْرَدًا فِي الْمَنَاقِبِ ٢: ٣٣ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ الْقَاضِي الصَّدُوقُ فِي دَرَرِ الْأَحَادِيثِ: ١٤٥ عَنْ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، كَلَّمَهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ  
آلِهِ، وَ رَوَى بِلَا رَفْعٍ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ عُمَرَ.

لسانه». قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين<sup>٢٦٧</sup>. وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر<sup>٢٦٨</sup>، وهو الذي أفتى في الحامل

ص: ٧٨

الزانية<sup>٢٦٩</sup>، وهو الذي قال في المنبرية: «صار ثمنها تسعا»<sup>٢٧٠</sup> وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكرا طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهياً واقتضبه ارتجالاً.

ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أخذ ومنه فرّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط<sup>٢٧١</sup>.

ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله من جملتها:

الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى

ص: ٧٩

<sup>٢٦٧</sup> (٥) أخرجه أبو داود في سننه ٣: ٣٠١ ح ٣٥٨٢، وابن ماجه في سننه ٢: ٧٧٤ ح ٢٣١٠، وصاحب مسند زيد بن علي فيه: ٢٩٤، وأحمد في مسنده ١: ٨٣، ١١١، ١٣٦، والمفيد في الإرشاد: ١٠٥، وجمع آخر.

<sup>٢٦٨</sup> (٦) القصة: أن عمر أتى بامرأة وضعت لستة أشهر فأمر برجمها، فاستدلّ علىّ عليه السلام بآيتين على أن أقل الحمل ستة أشهر فخلّى سبيلها. أخرجه جمع، منهم: البيهقي، وابن أبي حاتم عنهما الدر المنثور ١: ٢٨٨، والفضل بن شاذان في الايضاح: ٩٨، والمفيد في الإرشاد: ١١٠، وروى نحو هذه القصة بين علي عليه السلام و عثمان، أخرجه عدّة منهم:

مالك في الموطأ: ٦٨٦، والثعلبي في تفسيره، عنه عين العبرة: ٣٢، وروى نحوها بين ابن عباس وعمر، وبين ابن عباس و عثمان، قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٣٩: «وعن عليّ أخذها ابن عباس، والله أعلم».

<sup>٢٦٩</sup> (١) في ذلك قصتان، الأولى: أتى عمر بحاملة زانية فأمر برجمها، فأثبت له عليّ عليه السلام أن تمهل حتى تضع. أخرجه صاحب مسند زيد بن عليّ فيه: ٣٣٥، والفضل بن شاذان في الايضاح: ٩٩، والمفيد في الإرشاد: ١٠٩، والمرتضى في الذريعة ٢: ٧٦٥، وجمع آخر. والقصة الثانية: أن خادمة لآل الرسول زنت وهي حبلى، فحكم بذلك عليّ عليه السلام وأمضى حكمه النبيّ صلّى الله عليه وآله. أخرجه أبو يعلى في مسنده عنه مجمع الزوائد ٦: ٢٥٢، وابن أبي شيبة في مسنده عنه المطالب العالي ٢: ١١٥ ح ١٨٠٧، وقد جاء في الباب أحكام عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قولاً وفعلاً.

<sup>٢٧٠</sup> (٢) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٢٠، وابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٤٤، والإربلي في كشف الغمّة ١: ١٣٢، وابن أبي الحديد في زوائد نهج البلاغة: ٥٤٤ ح ٢٥١.

<sup>٢٧١</sup> (٣) رواه المفيد في أماليه: ٢٣٦ ح ٦ المجلس (٢٧)، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ١١، والنقاش في تفسيره عنه مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٠، والجويني في فراند السمطين عنه يتابع المودة: ٧٠، والإربلي في كشف الغمّة ٢: ٥ بفرق يسير، وقد أسقط الشارح منها قول ابن أبي الحديد: «ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف...».

معرفةً ونكرةً، و تقسيم وجه الإعراب الى الرفع والنصب والجرّ والجزم<sup>٢٧٢</sup>، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط، وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها و طلاع ثناياها.

و أما الشّجاعة فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله و محا اسم من يأتي بعده، و مقاماته في الحرب مشهورةً تضرب بها الأمثال الى يوم القيامة، و هو الشجاع الذي ما فرّ قطّ و لا ارتاع من كتيبة، و لا بارز أحداً إلّا قتله، و لا ضرب ضربةً قطّ فاحتاجت الأولى إلى الثانية، و في الحديث كانت ضرباته وترا<sup>٢٧٣</sup>.

و لمّا دعا معاوية الى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو: لقد أنصفك. فقال معاوية: ما غششتني مذ نصحتني إلّا اليوم، أ تأمرني بمبارزة أبي الحسن، و أنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشام بعدى<sup>٢٧٤</sup>.

و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السّلام قتلهم أظهر و أكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

بكيته أبدا ما دمت في الأبد

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

و كان يدعى أبوه بيضة البلد

لكن قاتله من لا نظير له

٢٧٥

ص: ٨٠

و انتبه معاوية يوماً فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجله على سريه، ففعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعت. فقال: لقد شجعت بعدنا يا ابا بكر. قال: و ما الذي تنكره من شجاعتى و قد وقفت في الصفّ إزاء على بن أبى طالب؟ قال له معاوية: لا جرم أنّه قتلك و أباك بيسرى يديه، و بقيت اليمنى فارغةً يطلب من يقتله بها.

و جملة الأمر أن كلّ شجاع في الدّنيا إليه ينتهى و باسمه ينادى في مشارق الأرض و مغاربها.

<sup>٢٧٢</sup> (١) رواه المرتضى في الفصول المختارة: ١: ٥٩، و ابن شهر آشوب في المناقب: ٢: ٤٧ و الحديث كثير الاشتهار.

<sup>٢٧٣</sup> (٢) رواه بروايات متعددة ابن شهر آشوب في المناقب: ٢: ٨٣.

<sup>٢٧٤</sup> (٣) نقل القصة الطبرى في التاريخ: ٤: ٢٩، سنة (٣٧)، و المسعودى في مروج الذهب: ٢: ٣٨٦، و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة: ١: ١٠٦.

<sup>٢٧٥</sup> (٤) هذه الرواية مشهورة لكن بين ألفاظها اختلاف، نقلها المفيد في الإرشاد: ٥٧، و المرتضى في الفصول: ٢٣٧، و ابن شهر آشوب في المناقب: ١: ١٩٩، و الإرابلى في كشف الغمة: ١: ٦٨، و غيرهم.

و أما القوّة و الأيد فيه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في معارفه: ما صارح أحدا قطّ إلّا صرعه<sup>٢٧٦</sup>، و هو الذي قلع باب خيبر و اجتمع عليه عصبه من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه، و هو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة و كان عظيما كبيرا جدّا، فألقاه إلى الأرض، و هو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته بيده بعد عجز الجيش كلّ عنها، فأنبط الماء من تحتها.

و أمّا السّخاء و الجود فحاله فيه ظاهرة، كان يصوم و يطوى و يؤثّر بزاده، و فيه أنزل: «و يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيْمًا وَ أَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا»<sup>٢٧٧</sup>.

و روى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلا، و بدرهم نهارا، و بدرهم سرّا، و بدرهم علانية، فانزل فيه: «الَّذِينَ يَنْفِقُونَ»<sup>\*</sup>

ص: ٨١

«أَمْوَالُهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً»<sup>٢٧٨</sup>.

و روى عنه أنّه كان يسقى بيده نخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت يده، و يتصدّق بالأجرة، و يشدّ على بطنه حجرا<sup>٢٧٩</sup>.

و قال الشعبي - و قد ذكر عليه السّلام -: كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبّه الله، السخاء و الجود، ما قال: (لا) لسائل قطّ<sup>٢٨٠</sup>.

و قال عدوّه و مبغضه الذي يجتهد في وسمه و عيبه معاوية لمحفن الضبيّ - لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس -: و يحك! كيف تقول: إنّه أبخل الناس، و هو الذي لو ملك بيتا من تبر و بيتا من تين لأنفد تبره قبل تينه؟!<sup>٢٨١</sup> و هو الذي كان يكس

<sup>٢٧٦</sup> (١) المعارف لابن قتيبة: ٢١٠.

<sup>٢٧٧</sup> (٢) روى هذا الشأن الواحدى في أسباب النزول: ٢٩٦، و الخوارزمي في المناقب: ١٩٢، و ابن الأثير بروايتين في أسد الغابة ٥: ٥٣٠، و الحسكاني بطرق في شواهد التنزيل ٢: ٢٩٩ - ٣١٠، و ابن مردويه عنه الدرّ المنثور ٦: ٢٩٩ عن ابن عباس، و روى بطرق عن علي عليه السّلام نفسه و عن أهل بيته عليهم السّلام. و الآيتان (٨، ٩) من سورة الانسان.

<sup>٢٧٨</sup> (١) روى هذا الأمر الواحدى في أسباب النزول: ٥٨، و الخوارزمي في المناقب: ١٩٨، و ابن المغازلي في المناقب: ٢٨٠ ح ٣٢٥، و ابن الأثير بثلاث طرق في أسد الغابة ٤: ٢٥، و عبد الرزاق في الجامع، و عبد بن حميد في مسنده، و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم في تفسيره، و الطبراني و ابن عساکر في التاريخ عنهم الدرّ المنثور ١: ٣٦٣ عن ابن عباس، و روى بطرق أخرى أيضا عن ابن عباس و غيره. و الآية (٢٧٤) من سورة البقرة.

<sup>٢٧٩</sup> (٢) حديث استقاء على عليه السّلام لليهودي بالتمر جاء بألفاظ مختلفة، أقربها ما أخرجه ابن ماجه في السنن ٢: ٨١٨ ح ٢٤٤٦، و ما روى الإربلى في كشف الغمّة ١: ١٧٥.

<sup>٢٨٠</sup> (٣) رواه ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١: ١١٤ بفرق يسير.

<sup>٢٨١</sup> (٤) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٤٩، و غيره، في باب زهده عليه السّلام.

بيوت الأموال و يصلّى فيها<sup>٢٨٢</sup>، و هو الذى قال: «يا صفراء و يا بيضاء غرىّ غيرى»<sup>٢٨٣</sup>، و هو الذى لم يخلّف ميراثا، و كانت الدّنيا كلّها بيده، إلّا ما كان من الشام.

و أمّا الحلم و الصّحّ، فكان أحلم الناس عن مذنب و أصفحهم عن

ص: ٨٢

مسيء، و قد ظهرت صحّة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمرّوان بن الحكم- و كان أعدى الناس له و أشدّهم بغضا- فصّح عنه، و كان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الأشهاد، و خطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الّوغب اللّثيم على بن أبى طالب<sup>٢٨٤</sup>. و كان على عليه السّلام يقول: ما زال الزبير رجلا منّا أهل البيت حتّى شبّ عبد الله<sup>٢٨٥</sup>، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا، فصّح عنه، و قال:

«اذهب فلا أرينك» لم يزد على ذلك. و ظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة- و كان له عدوا- فأعرض عنه و لم يقل له شيئا.

و قد علمتم ما كان من عائشة فى أمره، فلما ظفر بها أكرمها، و بعث معها الى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس، عمّهنّ بالعمائم و قلّدهن السيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به و تأفّفت و قالت: هتك ستري برجاله و جنده الّذين و كلهم بى. فلما وصلت المدينة ألقّت النساء عمائمهنّ، و قلن لها: إنّما نحن نسوة.

و حاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيف و سبّوه و لعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، و نادى مناديه فى أقطار العسكر: ألا لا يتبع مولّ، و لا يجهز على جريح، و لا يقتل مستأسر، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيّن إلى عسكر الإمام فهو آمن. و لم يأخذ أثقالهم، و لا سبى ذراريهم، و لا غنم شيئا من أموالهم، و لو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، و لكنّه أبى إلّا الصّحّ و العفو، و تبع سنّة النّبي صلّى الله عليه و آله يوم فتح مكّة، فإنّه عفا و الأحقاد لم

ص: ٨٣

<sup>٢٨٢</sup> (٥) رواه المحب الطبري فى ذخائر العقبى، عنه يبايع المودة: ٢١٧، و ابن شهر آشوب فى المناقب ٢: ٩٥، و الإربلى فى كشف الغمّة ١: ١٦٥، و غيرهم، فى باب زهده عليه السّلام.

<sup>٢٨٣</sup> (٦) رواه الكليني فى الكافي ٨: ١٢٩ ح ١٠٠، و المسعودى فى مروج الذهب ٢: ٤١٤، و ابن قتيبة فى الإمامة و السياسة ١: ١٦٢، و الشريف الرضى فى خصائص الأئمة: ٥٤ و أنّه عليه السّلام ما ورث بيضاء و لا صفراء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطايها. و رواه الطبري فى التاريخ ٤: ١٢١، سنة (٤٠)، و ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣: ٤٨ مترددا بين سبعمائة و ثمانمائة.

<sup>٢٨٤</sup> (١) نقل خطبة ابن الزبير المفيد فى الجمل: ١٧٤، لكن هذا اللفظ لا يوجد فيه، بل يوجد معناه.

<sup>٢٨٥</sup> (٢) هذا مما تفرّد به ابن أبى الحديد فى شرحه ٤: ٤٨٠ شرح الحكمة (٤٥٣) من رواية نهج البلاغة، و أخرجه أيضا الجوهري فى السقيفة و فدك: ٦٠، و عاصم بن حميد فى أصله: ٢٣، و ابن قتيبة فى الإمامة و السياسة ١: ١٠، و ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢: ٣٠٢، و الصدوق فى الخصال: ١٥٧ ح ١٩٩، و المفيد فى الجمل: ٢٠٨.

تبرد و الإساءة لم تنس<sup>٢٨٦</sup>.

و لما ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات، و قالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا، سألهم علىّ عليه السّلام و أصحابه: أن يسوغوا لهم شرب الماء. فقالوا: لا و الله و لا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفّان. فلما رأى عليه السّلام أنّه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه و حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم، بعد قتل ذريع سقطت منه الرءوس و الأيدي، و ملكوا عليهم الماء، و صار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه و شيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، و لا تسقهم منه قطرة، و اقتلهم بسيف العطش، و خذهم قبضا بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: «لا و الله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك»<sup>٢٨٧</sup>.

فهذه إن نسبتها الى الحلم و الصفح فناهيك بها جمالا و حسنا، و إن نسبتها إلى الدين و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله.

و أمّا الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه و عدوّه أنّه سيّد المجاهدين، و هل الجهاد لأحد من الناس إلّا له؟! و قد عرفت أنّ أعظم غزاة غزاها النبيّ صلّى الله عليه و آله و أشدّها نكاية في المشركين: بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علىّ عليه السّلام نصفهم، و قتل المسلمون و الملائكة النصف الآخر.

ص: ٨٤

و إذا رجعت إلى (مغازي) محمّد بن عمر الواقدي و (تاريخ الأشراف) ليحيى بن جابر البلاذري و غيرهما<sup>٢٨٨</sup> علمت صحّة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد و الخندق و غيرهما، و هذا الفصل لا معنى للإطناب فيه لأنّه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكّة و مصر و نحوهما...<sup>٢٨٩</sup>.

و أمّا سجاحة الأخلاق و بشر الوجه و طلاقة المحبّ و التبسّم فهو المضروب به المثل فيه، حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنّ ذو دعاية شديدة. و قال علىّ عليه السّلام في ذاك: «عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ

<sup>٢٨٦</sup> (١) روى سيره علىّ عليه السّلام في أهل الجمل الطبرى في التاريخ ٣: ٥٤٣ سنة (٣٦)، و المسعودى في مروج الذهب ٢: ٣٦٨، و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١: ٧٧، و المفيد في الجمل: ٢١٦، و غيرهم من أهل التاريخ و الأثر.

<sup>٢٨٧</sup> (٢) نقله نصر بن مزاحم في وقعة صفين: ١٦٠، و الطبرى في التاريخ ٣: ٥٦٦ سنة (٣٦)، و المسعودى في مروج الذهب ٢:

٣٧٥، و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١: ١٠٥.

<sup>٢٨٨</sup> (١) كذا نقل الواقدي في مغازيه ١: ١٤٧، و البلاذري في أنساب الأشراف ١: ٢٩٧، ذكر من قتله بيده عليه السّلام في يوم بدر ابن هشام في السيرة ٢: ٢٥١، و المفيد في الإرشاد: ٣٩.

<sup>٢٨٩</sup> (٢) قال ابن أبي الحديد بعده: «و أمّا الفصاحة...»

دعابة، و أنى امرؤ تلعبه: أعافس و امارس»<sup>٢٩٠</sup>. و عمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لما عزم على استخلافه: «لله أبوك، لو لا دعابة فيك»<sup>٢٩١</sup> إلا أن عمر اقتصر عليها و عمرو زاد فيها و سمّجها.

قال صعصعة بن صوحان و غيره من شيعته و أصحابه: «كان فينا كأحدنا لين جانب و شدة تواضع و سهولة قياد، و كنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه».

و قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا الحسن، فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهاة. قال له قيس: نعم، كان النبي صلى الله عليه و آله و سلّم يمزح و يبتسم إلى أصحابه، و أراك تسرّ حسوا في ارتغاء رفعه، و تعييه بذلك. أمّا و الله لقد كان مع تلك الفكاهاة و الطلاقة أهيب من ذى لبدتين قد مسّه الطوى، تلك هيبة التقوى، ليس كما يهابك طعام أهل الشام.

ص: ٨٥

و قد بقى هذا الخلق متوارثا متناقلا في محبّيه و أوليائه إلى الآن، كما بقى الجفاء و الخشونة و الوعورة في الجانب الآخر، و من له أدنى معرفة بأخلاق الناس و عدواتهم يعرف ذلك.

و أمّا الزهد في الدنيا فهو سيّد الزهاد و بدل الأبدال و إليه تشدّ الرّحال و عنده تنفض الاحلاس. ما شبع من طعام قطّ، و كان أخشن الناس مأكلا و ملبسا، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوما، فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرضوا. فقدم فأكل، فقلت يا أمير المؤمنين! كيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتآه بسمن أو زيت. و كان ثوبه مرقوعا بجلد تارة و بليف أخرى، و نعله من ليف، و كان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلا قطعه بشفرة و لم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتّى يبقى سدى لا لحمه له، و كان يأتدم - إذا اتندم - بخلّ أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، و لا يأكل اللحم إلّا قليلا، و يقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. و كان مع ذلك أشدّ الناس قوة و أعظمهم أيدا، لم ينقص الجوع قوته، و لا يخور الاقلال منته، و هو الذى طلق الدنيا، و كانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلّا من الشام، فكان يفرّقها و يمزّقها، ثم يقول: هذا جناى و خياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه<sup>٢٩٢</sup>.

و أمّا العبادة فكان أعبد الناس و أكثرهم صلاة و صوما، و منه تعلّم الناس صلاة الليل و ملازمة الأوراد و قيام النافلة، و ما ظنّك برجل يبلغ من

ص: ٨٦

<sup>٢٩٠</sup> (٣) رواه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ١: ١٤٧ الخطبة (٨٢).

<sup>٢٩١</sup> (٤) رواه ثعلب فى أماليه عنه شرح ابن أبى الحديد ٢: ١١٤، و الفضل بن شاذان فى الإيضاح: ١٢٨، ١٢٩.

<sup>٢٩٢</sup> (١) هذه المعانى رواها جمع كثير فى باب زهده عليه السّلام، منهم: ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣: ٤٩، و الخوارزمى فى المناقب: ٦٦، و ابن شهر آشوب فى المناقب ٢: ٩٣، و ابن الأثير فى أسد الغابة ٤: ٢٢، و الإربلى فى كشف العمّة ١: ١٦٢، و القندوزى فى ينابيع المودة: ١٤٣.

محافظة على ورده أن يبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهريز فيصلّى عليه ورده و السهام تقع بين يديه و تمرّ على صماخيه يمينا و شمالا<sup>٢٩٣</sup>، فلا يرتاع لذلك و لا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! و ما ظنّك برجل كانت جبهته كنفنّة البعير لطول سجوده<sup>٢٩٤</sup> و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته<sup>٢٩٥</sup>، و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزّته و الاستخاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، و فهمت من أىّ قلب خرجت و على أىّ لسان جرت، و قيل لعليّ بن الحسين عليه السّلام- و كان الغاية في العبادة-: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة النبي صلّى الله عليه و آله<sup>٢٩٦</sup>.

و أمّا قراءة القرآن و الاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد النبي صلّى الله عليه و آله و لم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه، نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقول الشيعيّة من أنّه تأخّر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن. فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن، لأنّه لو كان مجموعا في حياة النبي صلّى الله عليه و آله لما احتاج الى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلّى الله عليه و آله.

و إذا رجعت إلى كتب القراءات و جدت أئمة القراء كلّهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء، و عاصم بن أبي النجود، و غيرهما، لأنّهم يرجعون إلى

ص: ٨٧

أبي عبد الرحمن السلمى القارئ، و أبو عبد الرحمن كان تلميذه، و عنه أخذ القرآن<sup>٢٩٧</sup>، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهى إليه أيضا مثل كثير ممّا سبق.

و أمّا الرأى و التدبير فكان من أسدّ الناس رأيا و أصحّهم تدبيرا، و هو الذى أشار على عمر لمّا عزم على أن يتوجّه بنفسه الى حرب الروم و الفرس بما أشار<sup>٢٩٨</sup>، و هو الذى أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها، و لو قبلها لم يحدث عليه ما حدث، و إنّما قال أعداؤه: لا رأى له، لأنّه كان مقيدا بالشريعة لا يرى خلافاها و لا يعمل بما يقتضى الدّين تحريمه، و قد قال عليه السّلام: «لو لا الدّين و التّقى لكنت أدهى العرب»<sup>٢٩٩</sup>. و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوقفه سواء أ كان مطابقا

<sup>٢٩٣</sup> (١) هذا المعنى نقله نصر بن مزاحم في وقعة صفين: ٤٧٧.

<sup>٢٩٤</sup> (٢) نقله الشريف الرضى في نهج البلاغة ٢: ١٠٣ الخطبة (١٨٠) عن نوف البكالى، و له شاهد أخرجه زيد الزراد في أصله: ٣ عن علي عليه السّلام قال: «إني لأكره للرجل أن تكون جبهته جلحا ليس فيها شيء من أثر السجود».

<sup>٢٩٥</sup> (٣) ضبط الشارح هذه الكلمة «مناجاته» و هذا غلط، و أثبتنا الصحيح.

<sup>٢٩٦</sup> (٤) روى حديثنا بهذا المعنى المفيد في الإرشاد: ٢٥٥، و القاضى النعمان في شرح الأخبار ١٣: ١٢٧، و ابن شهر آشوب في المناقب ٤: ١٤٩، و بفرق الكليني في الكافي ٨: ١٢٩ ح ١٠٠.

<sup>٢٩٧</sup> (١) قوله: كلّهم يرجعون إليه. لا يخلو من الإشكال، فليراجع التّيسير لأبي عمرو الداني: ٨-١٠ و غيره من كتب القراءه.

<sup>٢٩٨</sup> (٢) نقله الشريف الرضى في نهج البلاغة ٢: ٢٩ الخطبة (١٤٤).

<sup>٢٩٩</sup> (٣) نقله الشريف الرضى في نهج البلاغة ٢: ١٨٠ الخطبة (١٩٨) بفرق.

للسرع أم لم يكن. و لا ريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده، و لا يقف مع ضوابط و قيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنياويّة إلى الانتظام أقرب، و من كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنياويّة إلى الانتشار أقرب.

و أمّا السياسة فإنّه كان شديد السياسة، خشنا فى ذات الله، لم يراقب ابن عمّه فى عمل كان ولّاه إيّاه، و لا راقب أخاه عقيلًا فى كلام جبهه به، و أحرق قوما بالنار، و نقض دار مصقلة بن هبيرة، و دار جرير بن عبد الله البجلي، و قطع جماعة و صلب آخرين<sup>٣٠٠</sup>.

و من جملة سياسته حروبه فى أيام خلافته بالجمل و صفين و النهروان، و فى أقلّ القليل منها مقنع، فإنّ كلّ سائس فى الدنيا لم يبلغ فتكه

ص: ٨٨

و بطشه و انتقامه مبلغ العشر ممّا فعل عليه السّلام فى هذه الحروب بيده و أعوانه.

فهذه هى خصائص البشر و مزاياهم، قد أوضحنا أنّه فيها الإمام المتّبع فعله و الرّئيس المقتفى أثره.

و ما أقول فى رجل يحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنّبوء، و تعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، و تصوّر ملوك الفرنج و الروم صورته فى بيعها و بيوت عباداتها حاملًا سيفه، مشمرا لحربه، و تصوّر ملوك الترك و الديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة ابن بويه و سيف أبيه ركن الدولة صورته، و كان على سيف ألب أرسلان و ابن ملكشاه صورته، كأنّهم يتفاءلون به النّصر و الظفر.

و ما أقول فى رجل أحبّ كلّ واحد أن يتكتر به، و ودّ كلّ أحد أن يتجمّل و يتحسنّ بالانتساب إليه؟ حتى الفتوة التى أحسن ما قيل فى حدّها: ألاّ تستحسن من نفسك ما تستقبّحه من غيرك، فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه، و صنّفوا فى ذلك كتبًا، و جعلوا لذلك إسنادًا أنهوه إليه، و قصره عليه، و سمّوه سيّد الفتیان، و عضّدوا مذهبهم إليه بالبیت المشهور المروى، أنه سمع من السماء يوم أحد:

ر و لا فتى إلّا علىّ

لا سيف إلّا ذو الفقار

<sup>٣٠١</sup> و ما أقول فى رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء، و شيخ قريش و رئيس

<sup>٣٠٠</sup> (٤) كل ذلك نقله أهل التاريخ و الآثار، و لم يسع المقام لذكره.

مكة، قالوا: قلّ أن يسودّ فقير، و ساد أبو طالب و هو فقير لا مال له، و كانت قريش تسمّيه الشيخ.

و فى حديث عفيف الكندى، لما رأى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم يصلّى فى مبدأ الدعوة، و معه غلام و امرأة، قال: فقلت للعباس: أى شىء هذا؟ قال: هذا ابن أخى يزعم أنّه رسول من الله الى الناس، و لم يتبعه على قوله إلّا هذا الغلام- و هو ابن أخى أيضا- و هذه الامرأة، و هى زوجته. قال: فقلت: ما الذى تقولونه أنتم؟ قال:

ننتظر ما يفعل الشيخ. يعنى: أبا طالب<sup>٣٠٢</sup>. و أبو طالب هو الذى كفل رسول الله صلّى الله عليه و آله صغيرا، و حماه و حاطه كبيرا، و منعه من مشركى قريش، و لقي لأجله عنتا عظيما، و قاسى بلاء شديدا، و صبر على نصره و القيام بأمره، و جاء فى الخبر أنّه لما توفى أبو طالب أوحى إليه عليه السّلام و قيل له: اخرج منها، فقد مات ناصر<sup>٣٠٣</sup>.

و له مع شرف هذه الابوة أنّ ابن عمّه محمّد سيد الأولين و الآخريين، و أخاه جعفر ذو الجناحين، الذى قال له رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أشبهت خلقى و خلقى»<sup>٣٠٤</sup> فمر يحجل فرحا، و زوجته سيّدة نساء العالمين، و ابنه سيّدا شباب أهل الجنّة، فأبأه آباء رسول الله، و أمّهاته أمّهات رسول الله، و هو مسوط بلحمه و دمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين: عبد الله و أبى طالب، و أمهما واحدة، فكان منهما سيد الناس، هذا الأول و هذا التالى، و هذا المنذر و هذا الهادى! و ما أقول فى رجل سبق الناس إلى الهدى و آمن بالله و عبده، و كلّ من فى

<sup>٣٠١</sup> (١) جملة «لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على» رويت فى غزوات بدر و أحد و خيبر، و رويت بلا ذكر شأن، فأما غزوة أحد فأخرجها الصدوق فى معانى الأخبار: ١١٩ ح ١، و أماليه: ١٦٧ ح ١٠ المجلس (٣٦)، و المفيد بروايتين فى الإرشاد: ٤٦، ٤٧ عن النبى صلّى الله عليه و آله، و أخرجها المفيد فى الإرشاد: ٤٧ عن الباقر عليه السّلام، و أخرجها الكليني فى الكافي ٨: ١١٠ ح ٩٠، و الصدوق فى علل الشرائع ١: ٧ ح ٣ عن الصادق عليه السّلام، و فى العيون ١: ٧٠ ح ٩ عن الكاظم عليه السّلام، و أخرجها ابن هشام فى السيرة ٣: ٤٣ عن ابن أبى نجيب، و الفرات الكوفى فى تفسيره: ٣٥ عن حذيفة بن اليمان، و ابن المغازلى فى المناقب: ١٩٧ ح ٢٣٤، و المفيد فى الارشاد: ٤٧ عن ابن رافع، و أبو على الطوسى فى أماليه ١: ١٤٢، المجلس (٥) عن محمّد بن إسحاق.

<sup>٣٠٢</sup> (١) حديث عفيف أخرج الطبرى بثلاث روايات فى التاريخ ٢: ٥٦، ٥٧ و غيره بفرق يسير.

<sup>٣٠٣</sup> (٢) هذا المعنى أخرج الكليني فى الكافي ١: ٤٤٩ ح ٣١، و غيره.

<sup>٣٠٤</sup> (٣) أخرج الترمذى فى سننه ٥: ٦٥٤ ح ٣٧٦٥، و أحمد فى مسنده ٤: ٣٤٢، و الخطيب فى التاريخ عنه منتخب كنز العمال ٥:

١٥٤، و روى أيضا ضمن أحاديث.

الأرض يعبد الحجر- إلى أن قال- و قد قال هو عليه السّلام: «أنا الصّدّيق الأكبر، و أنا الفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام النّاس و صلّيت قبل صلاتهم»<sup>٣٠٥</sup>! و من وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك و علمه واضحا، و إليه ذهب الواقدي و ابن جرير الطبري<sup>٣٠٦</sup>، و هو القول الذي رجّحه و نصره صاحب كتاب (الاستيعاب)<sup>٣٠٧</sup>.

و في (صناعة أبي هلال العسكري): سئل صعصعة عن علي عليه السّلام فقال:

لم يقل فيه مستزيد: لو أنّه، و لا مستقصر: إنّه، جمع العلم و الحلم و السلم و القرابة القريبة و الهجرة القديمة و البصر بالأحكام و البلاء العظيم في الإسلام<sup>٣٠٨</sup>.

و فيه: لمّا بلغ كلامه عليه السّلام في بيان حكمة الله تعالى في خلط لذات الدنيا بآلامها إلى الجاحظ قال: هو جماع الكلام الّذي دوّنه الناس في كتبهم و تحاوروه بينهم. فسمع بذلك أبو عليّ الجبائي فقال: صدق الجاحظ، هذا ما لا يحتمله الزيادة و النقصان<sup>٣٠٩</sup>.

و قال ابن أبي الحديد في كتابه عليه السّلام إلى ابن عبّاس بعد مقتل محمّد بن أبي بكر «فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا، و عاملا كادحا، و سيفا قاطعا، و ركنا دافعا»: انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها و تمكّنه زمامها،

ص: ٩١

و أعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف توتّيته و تطاوعه سلسلة سهلة، تتدفّق من غير تعسّف و لا تكلف، حتّى انتهى إلى آخر الفصل.

فقال: يوما واحدا و لا التقى بهم أبدا. و أنت و غيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن و الفواصل تارة مرفوعة و تارة مجرورة و تارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بيّن و علامة واضحة، و هذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن، ذكره عبد القاهر، قال: انظر إلى سورة النساء و بعدها سورة المائدة: الأولى منصوبة الفواصل، و الثانية ليس فيها منصوب أصلا، و لو مزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا، و ظهر أثر التركيب و التآليف بينهما. ثم إن فواصل كلّ واحدة منهما تتساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكليفية.

<sup>٣٠٥</sup> (١) أخرجه ابن ماجة في سننه ١: ٤٤ ح ١٢٠، و النسائي في الخصائص: ٤٦، و الطبري في التاريخ ٢: ٥٦، و ابن أبي شيبة في مسنده، و ابن أبي عاصم في السنّة، و العقبلي في الضعفاء، و الحاكم في المستدرک، و أبو نعيم في المعرفة عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٤٠، و النعلبی في تفسيره عنه ينابيع المودة: ٦٠، و الصدوق في الخصال: ٤٠١ ح ١١٠، و له شاهد قوى من الحديث النبويّ.

<sup>٣٠٦</sup> (٢) رواه الطبري في تاريخه ١: ٥٥.

<sup>٣٠٧</sup> (٣) قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٢٧، و شرح ابن أبي الحديد ١: ٥ - ١٠.

<sup>٣٠٨</sup> (٤) الصناعتين: ١٨٦ و النقل بتصرف يسير.

<sup>٣٠٩</sup> (٥) لم أجده في الصناعتين.

ثم انظر إلى الصفات و الموصوفات في هذا الفصل كيف قال: «ولدا ناصحا، و عاملا كادحا، و سيفا قاطعا، و ركنا دافعا»، لو قال: «ولدا كادحا و عاملا ناصحا» و كذلك ما بعده لما كان صوابا و لا في الموقع واقعا، فسبحان من منح هذا الرجل بهذه المزايا النفيسة و الخصائص الشريفة، أن يكون غلام من أبناء عرب مكّة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء، و خرج أعرف بالحكمة و دقائق العلوم الإلهية من افلاطون و أرسطو، و لم يعاشر أرباب الحكم الخلقية و الآداب النفسانية، لأنّ قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك، و خرج أعرف بهذا الباب من سقراط، و لم يربّ بين الشجعان لأنّ أهل مكّة كانوا ذوى تجارة و لم يكونوا ذوى حرب، و خرج أشجع من كلّ بشر مشى على الأرض، قيل لخلف الأحمر: أيما أشجع عنبسة و بسطام أم على بن أبى طالب؟ فقال: إنّما يذكر عنبسة و بسطام مع البشر و الناس، لا مع من يرتفع عن

ص: ٩٢

هذه الطبقة. فقيل له: فعلى كلّ حال. قال: و الله لو صاح علىّ عليه السّلام في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما. و خرج أفصح من سبحان و قسّ و لم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها. قالوا: أفصح العرب جرهم و إن لم تكن لهم نباهة. و خرج أزهّد الناس في الدّنيا و أعفهم مع أنّ قريشا ذوو حرص و محبة للدّنيا و لا غرو في من كان محمّد صلى الله عليه و آله مربّيه و مخرجه و العناية الإلهية تمدّه و ترفده أن يكون منه ما كان<sup>٣١٠</sup>.

«و أنّه عليه السّلام انفراد ببلوغ غايتها» أى: غاية فضيلة النطق.

«عن جميع» متعلق بقوله «انفراد».

«السلف الأوّلين الذين إنّما يؤثّر» أى: يروى.

«عنهم منها» أى: من تلك الفضيلة.

«القليل النادر و الشاذّ» و الأصل في معنى الشاذّ: التفرّق.

«الشّارد» يقال: بعير شارد، و يأتي في الكلام استعارة، قال الشاعر:

محجّلة فيها كلام محجّل

شروء إذا الرّأون حلّوا عقالها

<sup>٣١٠</sup> (١) شرح بن أبى الحديد ٤: ٥٤ شرح الكتاب (٣٥)، و ما نقل عن عبد القاهر فهو في دلائل الاعجاز: ٣٩٩.

<sup>٣١١</sup> قال ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السّلام في صفة الملائكة: «ثمّ خلق سبحانه لإسكان سماواته» هذا موضع المثل «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل»<sup>٣١٢</sup>. إذا جاء هذا الكلام الربانيّ و اللفظ القدسيّ بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلام العرب إلى كلامه نسبة التراب إلى النّضار الخالص، ولو فرضنا أنّ العرب تقدّر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ، من أين لهم هذه المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها؟

ص: ٩٣

و من أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون للنبيّ هذه المعاني الغامضة، ليتبيها لهم التعبير عنها؟

أمّا الجاهليّة فإنّهم إنّما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلات و نحو ذلك، و أمّا الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنّما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة: إمّا في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا، أو ما يتعلّق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب، فأما الكلام في الملائكة و صفاتها و عبادتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و حبّها له و ولهها إليه، و ما جرى مجرى ذلك ممّا تضمّنه هذا الفصل على طوله، فإنّه لم يكن عندهم معروفًا بهذا التفصيل. نعم ربما علموا جملة غير مقسّمة هذا التقسيم و لا مرتبة بهذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، و أمّا من عنده من هذه المادة، كعبد الله بن سلام و أمية بن أبي الصلت و غيرهما فلم تكن لهم هذه العبارة و لا قدروا على هذه الفصاحة، فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقة لم تحصل إلّا لعلّيّ عليه السّلام وحده<sup>٣١٣</sup>.

و قال أيضا في شرح كلامه عليه السّلام في صفة الاحتضار و سقوط الناطقة ثمّ السامعة ثمّ الباصرة: هذا موضع المثل «في كلّ شجرة نار و استمجد المرخ و الغفار»<sup>٣١٤</sup>. الخطب الوعظية الحسان كثيرة، و لكن هذا حديث يأكل الأحاديث، فإنّ نسبة هذه الخطبة إلى كلّ فصيح من الكلام - عدا كلام الله تعالى و رسوله - نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة الأرضية المظلمة، ثم لينظر الناظر

ص: ٩٤

إلى ما عليها من البهاء و الجلالة و الرواء و الديباجة، و ما تحدّثه من الرّوعة و الرهبة و المخافة و الخشيّة، حتّى لو تليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفى البعث و النشور لهدّت قواه، و رعب قلبه، و اصعقت على نفسه، و زلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به وليّا من أوليائه، فما أبلغ نصرته له تارة بيده و سيفه و تارة بلسانه و نطقه و تارة بقلبه

<sup>٣١١</sup> (٢) نقله أساس البلاغة: ٢٣٢ مادة (شرد)، و لسان العرب ٣: ٢٣٧ مادة (شرد).

<sup>٣١٢</sup> (٣) نقله الميداني في مجمع الأمثال ١: ٨٨ ضمن الأمثال المولدة.

<sup>٣١٣</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥٠ شرح الخطبة (٨٩) و نقله الشارح بتصرف.

<sup>٣١٤</sup> (٢) نقله الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٧٤، و الزمخشري في المستقصى ٢: ١٨٣ قال الزمخشري: «يضرب في تفضيل القوم على بعض اذا كانوا كلّهم ذوى خير، و لبعضهم مزية و تقدّم ليس للأخرين».

و فكره، إن قيل، جهاد و حرب، فهو سيّد المجاهدين، و إن قيل: وعظ و تذكير، فهو أبلغ الواعظين و المذكرين، و إن قيل: فقه و تفسير، فهو رئيس الفقهاء و المفسرين، و إن قيل: عدل و توحيد فهو إمام العدل و الموحدّين، و:

ليس على الله بمستنكر  
أن يجمع العالم في واحد

<sup>٣١٥</sup> «و أمّا كلامه عليه السّلام فهو من البحر» هكذا في (المصريّة)، و الصواب:

(البحر) بدون (من) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) <sup>٣١٦</sup>.

«الذي لا يساجل» هكذا في (المصريّة) بالجيم، و الصواب: (لا يساحل) بالحاء <sup>٣١٧</sup>، فلا ربط للمساجلة- و هي المباراة- في الاستقاء من البئر هنا، و إنّما هو من ساحل فلان إذا أتى السّاحل، و المراد أنّ كلامه عليه السّلام بحر لا ساحل له.

«و الجمّ» أي: المجتمع، من استجم البئر إذا تركها حتّى يجتمع ماؤها.

«الذي لا يحافل» أي: لا يظهر فيه نقصان، من حفل الشاء إذا جمع اللّبن في ضرعها ليرى فيه لبن كثير، و ليس كذلك، و نهى عن بيع المحفلة. قال البحتري في وصف كلام:

في نظام من البلاغة ما شكّ  
امرؤ أنه نظام فريد

ص: ٩٥

و بديع كأنه الزهر الضّاحك  
في رونق الرّبيع الجديد

مشرق في جوانب السمع ما يخلفه  
عوده على المستعيد

<sup>٣١٥</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣٠ شرح الخطبة (١٠٧) نقله الشارح بتصرّف.

<sup>٣١٦</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٥، و شرح ابن ميثم ١: ٩٠.

<sup>٣١٧</sup> (٣) في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٥، و شرح ابن ميثم ١: ٩٠ «يساجل» أيضا، لكن جعل ابن أبي الحديد «يساحل» بالحاء، رواية.

حجج تخرس الألدّ بألفاظ

فرادى كالجواهر المعدود

و معان لو فصلتها القوافى

هجّنت شعر جرول و لبيد

«و أردت أن يسوغ» أى: يجوز. و الأصل فيه: سوغ الطعام و الشراب من الحلق.

«لى التمثّل فى الافتخار به عليه السّلام بقول الفرزدق» و هو همّام بن غالب ابن صعصعة، من بنى تميم مخاطبا لجرير:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

إذا جمعنا يا جرير المجامع

<sup>٣١٨</sup> و جرير من كليب بن يربوع، كان بينهما التفاخر و المهاجاة مدّة حياتهما، و كان يتعصّب لكلّ منهما طائفة، حتّى يقع بينهما التشاجر، و لم يكن لجرير بيت و كان أبوه خاملا. و أمّا بنو تميم بيت الفرزدق فكانوا معروفين فى الجاهلية و الإسلام. كان صعصعة جدّه اشترى فى الجاهلية ثلاثين موءودة و أنجاهنّ من الموت<sup>٣١٩</sup>، و فرقّ أبوه غالب إبلا له كثيرة فى حمالات الناس فى الإسلام، و كان الفرزدق جعل على نفسه أن يجير كلّ من استجار بقبر أبيه و يسعى فى نجح حاجته، و قصّة حبيش أو خنيس فى ذلك معروفة، و لسائر آبائه و عشيرته مكارم أثبتها لهم التاريخ، و البيت من قصيدة يفاخر جريرا بأبائه، و الإشارة فى قوله: «أولئك» فى البيت إلى الذين عدّهم فى أبيات قبل البيت و ذكر مكارمهم، و هى:

و منّا الذى اختير الرجال سماحة

و خيرا إذا هبّ الرياح الزّعازع

ص: ٩٤

و منّا الذى أحيا الوئيد و غالب

و عمرو و منّا حاجب و الأقرع

<sup>٣١٨</sup> (١) ديوان الفرزدق ١: ٤١٨.

<sup>٣١٩</sup> (٢) المصدر نفسه.

٣٢٠ و نظيره شعره هذا (أولئك آبائي) شعر آخر له:

و أعبد أن أهجو كليبا بدارم

أولئك أحلاسى فجئنى بمثلهم

٣٢١ و له قصيدة أخرى يفاخره أيضا فيها بآبائه، و هي:

من الدار ميبين الطوال الشقاشق

و إن تك كلبا من كليب فإننى

على الملك و الحامون عند الحقائق

هم الداخولون البيت لا تدخلونه

٣٢٢ هذا، و قال الخوئى بعد نقل قول المصنّف: و أردت أن يسوغ لى التمثل فى الافتخار به عليه السّلام بقول الفرزدق: «أولئك...» و أنا أيضا أتمثل بذلك و أفتخر به كالسيد، لكوننا فرع أصل واحد و غصن دوحه واحدة<sup>٣٢٣</sup>.

قلت: إن الرضى رضوان الله عليه لم يرد الافتخار به عليه السّلام بانتسابه إليه و كونه علويًا، لأنّه ليس كلامه فى قبيل رجل غير علويّ، بل أراد الافتخار به عليه السّلام بآبائه، بأنّه هل الإمام من يكون له مثل هذه المناقب أو من يكون له تلك المثالب، و من يكون له مثل هذه الفصاحة الخارجة عن طوق البشر، أو من عجز عن التكلم بكلمات يسيرة؟

قال أبو عبيدة: قال عمر: «ما تصعدتنى خطبة كما تصعدتنى خطبة»

ص: ٩٧

<sup>٣٢٠</sup> (١) أخرج ذلك ابن مندة و ابن أبى الدنيا و ابن عساكر، عنهم شواهد المغنى ١: ١٦ عن مغيرة، قال: «لم يكن أحدا من أشرف العرب بالبادية كان أحسن دينا من صعصعة جدّ الفرزدق، و هو الذى أحيا ألف موءودة، و حمل على ألف فرس».

<sup>٣٢١</sup> (٢) كثيرا ما يفتخر الفرزدق بدارم، لكن لم أجد هذا البيت فى ديوانه، و لعلّه من المنسوبات إليه، و نقل ابن منظور فى لسان العرب ٣: ٢٧٥ مادة (عبد) بيتا عن الفرزدق مصرعه الثانى كذلك، و صدره:

أولئك قوم إن هجوني هجوتهم

<sup>٣٢٢</sup> (٣) يوجد البيت الأول فى ديوان الفرزدق ٢: ٥٤، لكن الثانى لم أجدّه فيه.

<sup>٣٢٣</sup> (٤) شرح الخوئى ١: ٩٠ قال الخوئى عقيب كلامه هذا: «و انتهاء نسبي و نسب السيد الى العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السّلام».

النكاح<sup>٣٢٤</sup>. و قال الجاحظ في بيانه: صعد عثمان المنبر فارتجّ عليه، فقال: إنَّ أبا بكر و عمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا، و أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب و ستأتيتكم الخطب على وجهها<sup>٣٢٥</sup>.

قلت: و حيث إنَّ عثمان - و هو ذو نوربهم - لم يقدر على خطابه مختصرة، و اعتذر باحتياج الناس الى عدل الامام لا خطابته، ليتنه و في لهم و لم يعمل من الجور ما يضطرّ الناس الى قتله، و حينئذ، فتمثّل الرضى رحمه الله في معنى قوله تعالى مشيرا إلى قضية العقول: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»<sup>٣٢٦</sup>. و حينئذ، يمكن أن يتمثّل به كلّ اماميّ و شيعيّ، فكلّ اماميّ علويّ، و كان مصطلحا «فلان علويّ، و فلان عثمانيّ» يريدون بالأوّل الإماميّ و بالتّاني المخالف. مع أن الرضى خصوصيّة في انتسابه إليه عليه السّلام، و هي كون انتسابه إليه عليه السّلام من قبل الأب و الأمّ مع قلة الوسائط، فأبوه الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السّلام، و أمّه فاطمة بنت الحسن الناصر الصغير ابن أحمد بن الحسن الناصر الكبير ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن عمر الأشرف ابن عليّ السّجاد عليه السّلام، كما ذكر ذلك أخوه المرتضى في أوّل (ناصرياته)<sup>٣٢٧</sup>.

و أمّا قول ابن أبي الحديد: أمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن عليّ

ص: ٩٨

بن الحسن بن عليّ بن عمر<sup>٣٢٨</sup> فوهم، فأهل البيت أدري بما في البيت.

و قد مدح أبو اسحاق الصّابيّ الرضىّ في نسبه العالى و شرفه النفسى في قبّال حاسديه و معارضيه بقوله:

إلى كلّ سام للمفاخر بان	ألا أبلغا فرعا نمته عروقه
أبا كلّ بكر في العلى و عوان	محمّد المحمود من آل أحمد
طواها على البغضاء و الشنآن	أبا حسن قطّعت أحشاء حاسد
بحدّ لسان أو بحدّ سنان	يراك بحيث النجم تصدع قلبه

<sup>٣٢٤</sup> (١) نقله الجاحظ في البيان و التبيين ١: ١٦١.

<sup>٣٢٥</sup> (٢) نقله الجاحظ في البيان و التبيين ١: ٣٥٩.

<sup>٣٢٦</sup> (٣) يونس: ٣٥.

<sup>٣٢٧</sup> (٤) في الناصريات: ١٧٨ فاطمة بنت أبي محمّد الحسن، و في نسخة أبي الحسن بن أحمد أبي الحسين أحمد صاحب جيش أبيه الناصر الكبير أبي محمد الحسين بن أحمد بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن محمد الحسين بن عليّ بن الحسن ابن عليّ بن عمر بن عليّ السّجاد زين العابدين.

<sup>٣٢٨</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١١.

جرى جاهدا و العفو منك يفوته

فكان هجينا طالبا لهجان

و أنت سماء فى الذؤابة صاعد

و ذاك حضيض فى القرارة عان

<sup>٣٢٩</sup> و مراده بمحمّد المحمود الرضى، كما أنه هو المراد بقوله: أبا حسن.

«و رأيت كلامه عليه السّلام يدور على أقطاب» و الأصل فى القطب: قطب الرّحى.

«ثلاثة: أولها الخطب و الأوامر» و النّواهى.

«و ثانيها: الكتب و الرسائل» و الرّسائل أعمّ من الكتب، فيمكن أن تكون الرسائل برسل يؤدّون المطالب شفاهها.

«و ثالثها: الحكم و المواعظ» التى لم تكن فى خطبة أو كتاب و رسالة، و بالقيّد يكون الثالث قسيما للأولين، و إلّا ففى الخطب و الكتب أيضا حكم و مواعظ كثيرة، و قد ذكرنا فى أكثر عناوين الأبواب الثلاثة مدارك و أسانيد لكونها كلامه عليه السّلام، فإنكار النّصاب لكون النّهج كلامه عليه السّلام غير مسموع فى قبال البيّنة، مع أنّ كثيرا منه بل جلّه يصحّ متنه و سنده، لا سيّما الشّشقيّة

ص: ٩٩

التى أنكرها خصوصا<sup>٣٣٠</sup>.

و قال ابن أبى الحديد عند قوله عليه السّلام: «و اعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار»: إنّ كثيرا من أرباب الهوى يقولون: إنّ كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث، صنعه قوم من فصحاء الشيعة. قال: و ربّما عزوا بعضه الى الرضى و غيره. قال: و هؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلّوا عن النّهج الواضح، و ركبوا بينات الطريق ضلالا و قلّة معرفة بأساليب الكلام. قال: و أنا أوضح لك بكلام مختصر ما فى هذا الخاطر من الغلط.

فأقول: لا يخلو إمّا أن يكون كلّ نهج البلاغة مصنوعا منحولا أو بعضه، و الأوّل باطل بالضرورة، لأنّنا نعلم بالتواتر صحّة اسناد بعضه إليه عليه السّلام، و قد نقل المحدثون كلّهم أو جلّهم و المؤرّخون كثيرا منه، و ليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض فى ذلك، و الثانى يدلّ على ما قلناه، لأنّ من قد أنس بالكلام و الخطابة و شدا طرفا من علم البيان و صار له ذوق فى هذا الباب،

<sup>٣٢٩</sup> (٢) من قصيدة طويلة للصابى فى مدح الشريف الرضى، نقلها التعالبي معاصرها فى يتيمة الدهر ٢: ٣٠٠.

<sup>٣٣٠</sup> (١) أمّا إنكار كلّ نهج البلاغة فنقله ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ٥٢٦ شرح الخطبة (١٨١) عن بعض، و أمّا إنكار الشّشقيّة فنقله ابن أبى الحديد فى شرحه ١:

٦٩ شرح الخطبة (٣)، و ابن ميثم فى شرحه ١: ٢٥١ شرح الخطبة (٣)، و يأتي تفصيل بحثه فى العنوان (٣٠) من الفصل الثامن.

لا بدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك و الفصيح، و بين الفصيح و الأفصح، و بين الأصيل و المولّد، و إذا وقف على كرّاس واحد يتضمّن كلاما لجماعة من البلغاء أو لاثنتين منهم فقط فلا بدّ أن يفرّق بين الكلامين و يميّز بين الطريقتين، ألا ترى أننا مع معرفتنا بالشعر و نقده لو تصفّحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام و نفسه و طريقتة و مذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحوّلة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، و كذلك حذفوا من

ص: ١٠٠

شعر أبي نواس شيئا كثيرا لما ظهر لهم أنّه ليس من ألفاظه و لا من شعره؟

و كذلك غيرهما من الشعراء، و لم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصّة. و أنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كلّ ماء واحدا و نفسا واحدا و أسلوبا واحدا، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية، و كالقرآن العزيز أوّله كأوسطه و أوسطه كآخره، و كلّ سورة منه و كلّ آية مماثلة في المأخذ و المذهب و الفنّ و الطريق و النظم لباقي الآيات و السور، و لو كان بعض نهج البلاغة منحوّلا و بعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك. فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحوّل إليه عليه السّلام<sup>٣٣١</sup>.

قلت: و ما ذكره في غاية الجودة لكن يستثنى منه ما أشرنا إليه في أوّل الكتاب<sup>٣٣٢</sup>، فليحذف كما حذف من شعر أبي تمام و أبي نواس بالقاعدة التي ذكرها، و قد برهنّا على ما قلنا عند شرح عناوين ما ذكرنا.

هذا، و الذي يظهر من كتب اللغة (كالصّحاح و الأساس)<sup>٣٣٣</sup> و غيرهما عدم صحّة استعمال (كرّاس واحد) بل (كرّاسة واحدة)، و كون الكرّاس جمعا. ثمّ إنّ إخواننا جاوزوا الحدّ في الحطّ من قدره عليه السّلام اقتداء بسلفهم. فتارة أنكروا بعض كلامه كونه منه كالتشقيّة و غيرها<sup>٣٣٤</sup>، و أخرى نسبوا كلامه عليه السّلام إلى غيره، فنسبوا كلامه عليه السّلام: «أيّها الناس إنّنا قد أصبحنا في دهر عنود» إلى

ص: ١٠١

<sup>٣٣١</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢٦ شرح الخطبة (١٨١).

<sup>٣٣٢</sup> (٢) مرّ في مقدّمة المؤلّف.

<sup>٣٣٣</sup> (٣) صحاح اللّغة للجوهري ٢: ٩٢٧ مادة (كرس)، و أساس البلاغة: ٣٩٠ مادة (كرس)، و لسان العرب ٦: ١٩٣ مادة (كرس).

<sup>٣٣٤</sup> (٤) كما سبق في شرح الفقرة.

معاوية<sup>٣٣٥</sup>، كل ذلك إرادة لإطفاء نوره عليه السلام، (و يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نوره).

«فأجمعت» أي: عزمت.

«بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب» لا كل خطبة وكتاب وكلام له عليه السلام.

«مفردا لكل صنف من ذلك» الذي ذكر من الخطب و الكتب و الأدب.

«بابا» و تعبيره في الأبواب الثلاثة مختلف، ففي الأول يقول: و من خطبة له عليه السلام، أو و من كلام له عليه السلام، و في الثاني في الأغلب يقول: و من كتاب له عليه السلام، و قد يقول: و من وصية له عليه السلام كما في (١١ و ١٢ و ١٤ و ٢٤ و ٢٥ و ٣١ و ٤٧ و ٥٦ و ٧٦ و ٧٧)<sup>٣٣٦</sup>.

و قال في (٧٤): و من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة و اليمن<sup>٣٣٧</sup>، و قد يقول:

و من عهد له عليه السلام كما في (٢٦ و ٢٧)<sup>٣٣٨</sup>، و قد يقول: و كان عليه السلام يقول، كما في (١٥ و ١٦)<sup>٣٣٩</sup> و في الثالث يقول: قال عليه السلام.

لكن الغريب أنه قال في الخطبة (٥٩): «و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج»، و قال بعده: «و لما قتل الخوارج فليل له: يا أمير المؤمنين! هلكت القوم بأجمعهم. قال عليه السلام»، و قال بعده: «و قال عليه السلام فيهم: لا تقتلوا الخوارج، بعدى»<sup>٣٤٠</sup>. مع أن عنوانها عنوان الباب الأخير، كما أن كلاً منها كلام قصير.

ص: ١٠٢

فكان الواجب نقلها في الأخير، اللهم إلا أن يقال بأنها ليست عناوين مستقلة، بل كلها عطف على قوله قبلها: و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج.

---

<sup>٣٣٥</sup> (١) رواها الجاحظ في البيان و التبیین ٢: ٥٨ عن معاوية، ثم أنكر كونها له، و رواها عن معاوية أيضا ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢: ٢٣٧، و ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤: ١٥٢ أشار الى أن الرضى نقلها عن معاوية في نهج البلاغة ١: ٧٩، و تأتي الخطبة و بحثها في العنوان (١) من الفصل الخامس و العشرين في شرح الخطبة (٣٢).

<sup>٣٣٦</sup> (٢) نهج البلاغة ٣: ١٢، ١٣، ١٤، ٢٢، ٢٣، ٣٧، ٧٦، ١١٣، ١٣٦.

<sup>٣٣٧</sup> (٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٤.

<sup>٣٣٨</sup> (٤) نهج البلاغة ٣: ٢٦، ٢٧.

<sup>٣٣٩</sup> (٥) نهج البلاغة ٣: (١٥، ١٦).

<sup>٣٤٠</sup> (٦) نهج البلاغة ١: ١٠٧.

وقال في الخطبة (٦٨): وقال عليه السّلام في سحره اليوم الذي ضرب فيه<sup>٣٤١</sup>. مع أنّه كان الواجب جعله في الثالث، ولا يأتي فيه تأويل ذكر لسابقه.

«و مفضّلاً» و في (ابن أبي الحديد و الخطيب) و «مفضّلاً» بالمعجمة<sup>٣٤٢</sup>.

«فيه أوراقا لتكون» الأوراق.

«مقدّمة» هكذا في (المصرية)، و الكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)<sup>٣٤٣</sup>.

«لاستدراك ما عساه» أي: لعلّه.

«يشدّ» أي: يتفرّق.

«عني» و قد شدّ عنه كلام كثير منه عليه السّلام ممّا يدخل في موضوع كتابه، ممّا له مزيد بلاغة في الأبواب الثلاثة، و لا سيّما في الأول و الأخير.

«عاجلاً» أي: في الحال.

«و يقع إلى آجلاً» أي: بعد، و قد عرفت من (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) أنّ المصنّف ختم الكتاب بعنوان «رب مفتون» الحكمة (٤٦٢) ثمّ ألحق به ثمانية عشر عنواناً، و عرفت من الراوندي أنّه زاد في أوّل (٢٣٤ و ٢٣٥)<sup>٣٤٤</sup>.

«و إذا جاء شيء من كلامه عليه السّلام الخارج في أثناء» جمع ثني، بالكسر.

«حوار» مصدر حاور، كالمحاورة، مثل نقله ردّه عليه السّلام اعتراض الأشعث

ص: ١٠٣

عليه في أثناء خطبته<sup>٣٤٥</sup>.

«أو جواب سؤال» كنقله كلامه عليه السّلام في جواب من سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به<sup>٣٤٦</sup>؟

<sup>٣٤١</sup> (١) نهج البلاغة ١: ١١٨.

<sup>٣٤٢</sup> (٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦، و شرح ابن ميثم ١: ٩٠ «مفضّلاً» أيضاً بالصّاد المهملة.

<sup>٣٤٣</sup> (٣) لا يوجد في شرح ابن ميثم ١: ٩٠، لكنه في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦.

<sup>٣٤٤</sup> (٤) قد مرّ في مقدّمة المؤلف.

<sup>٣٤٥</sup> (١) نهج البلاغة ١: ٥٦ الخطبة (١٩).

«أو غرض» أى: مقصد.

«آخر من الاغراض» كنقله كلامه عليه السّلام فى هرب مصقلة<sup>٣٤٧</sup>، و فى عدم غناء بيعه مروان بكفه<sup>٣٤٨</sup>، و فى إشارته عليه السّلام على عمر بعدم خروجه بنفسه فى حرب الفرس و كذا الروم<sup>٣٤٩</sup>.

«فى غير الانحاء» أى: الأقسام.

«التى ذكرتها، و قرّرت القاعدة عليها» من الخطب و الأوامر، و الكتب و الرسائل، و الحكم و المواعظ.

«نسبتها إلى أليق الأبواب به» فى مقصده.

«و أشدها ملامحة» يقال: لمح البرق، إذا لمع من بعيد.

«لغرضه» فنقل جميع ما مرّ فى الباب الأوّل لكون كلامه عليه السّلام فيها كالخطب و الأوامر، كما نقل وصيته عليه السّلام لجيشه<sup>٣٥٠</sup>، و وصاياه عليه السّلام فى أمواله<sup>٣٥١</sup>، و وصيته عليه السّلام - بعد ضرب ابن ملجم عليه اللّعة - للحسن و الحسين عليهما السّلام، و وصيته عليه السّلام لابنه الحسن عليه السّلام<sup>٣٥٢</sup>، و وصيته لابن عباس لمّا

ص: ١٠٤

ولاه<sup>٣٥٣</sup>، و وصيته عليه السّلام له لمّا بعته الى الخوارج<sup>٣٥٤</sup>، و نحوها فى الباب الثانى لكونها كالكتب و الرسائل، كما نقل غريب كلماته عليه السّلام فى الباب الثالث لكونها كالحكم و الأدب، لكنّه قد يخرج عمّا قرّر، فنقل تحريضا له عليه السّلام لأصحابه

<sup>٣٤٦</sup> (٢) نهج البلاغة ٢: ٦٣ الخطبة (١٦٠).

<sup>٣٤٧</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٩٤ الخطبة (٤٤).

<sup>٣٤٨</sup> (٤) نهج البلاغة ١: ١٢٣ الخطبة (٧١).

<sup>٣٤٩</sup> (٥) نهج البلاغة ٢: ٢٩ الخطبة (١٤٤).

<sup>٣٥٠</sup> (٦) نهج البلاغة ٣: ١٢ الكتاب (١١).

<sup>٣٥١</sup> (٧) نهج البلاغة ٣: ٢٢ الكتاب (٢٤).

<sup>٣٥٢</sup> (٨) نهج البلاغة ٣: ٧٦ الكتاب (٤٧).

<sup>٣٥٣</sup> (١) نهج البلاغة ٣: ٣٧ الكتاب (٣١).

<sup>٣٥٤</sup> (٢) نهج البلاغة ٣: ١٣٦ الكتاب (٧٦).

فى الثانى <sup>٣٥٥</sup>، مع أنه بالأول أليق، و قد نقل تحريضا آخر له عليه السلام فى الأول <sup>٣٥٦</sup>، على أصله و نقله كلامه عليه السلام فى معنى الأنصار فى السقيفة فى الأول <sup>٣٥٧</sup> مع أنه بالتالى أليق، و نقل كلاما آخر له عليه السلام فى المعنى فى التالى <sup>٣٥٨</sup> على أصله.

و أمّا نقله أديته عليه السلام فى الأبواب التالئة، فلكون نسبتها إليها على السواء، و إن كان نقل جميعها فى التالى أولى، حيث إنه أعم، لأنه قال فيه:

و يدخل فيه الكلام القصير الخارج فى سائر أغراضه بخلاف الأولين <sup>٣٥٩</sup>.

هذا و قال ابن الحديد فى أول الباب الثانى بعد نقل كلام المصنّف:

باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام، و قد أورد فى هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه، نحو كلامه عليه السلام لشريح القاضى لما اشترى دارا <sup>٣٦٠</sup>، و كلامه عليه السلام لشريح بن هانى لما جعله على مقدّمته الى الشام <sup>٣٦١</sup>، لكنّه اعتراض ساقط، أمّا كلامه عليه السلام لشريح القاضى، فقال: و من كتاب له عليه السلام كتبه لشريح، فكيف ينقله فى الخطب، و لو لا كونه كتابا، و إن كان كتاب شراء دار لكان بالباب الأخير

ص: ١٠٥

أشبه، لأنه فى الحكم و المواعظ، و أمّا كلامه عليه السلام لشريح بن هانى، فعنوان المصنّف له: و من وصيّة له عليه السلام وصّى بها شريح بن هانى، و قد قال فى أول الباب الثانى: و يدخل فى ذلك ما اختير من عهوده الى عمّاله و وصاياه لأهله و أصحابه <sup>٣٦٢</sup>. فهل هو إلّا من عهوده عليه السلام الى عمّاله؟! و إن شئت قلت: هو من وصاياه الى أصحابه. و مفسد قلّة التدبّر كثيرة.

«و ربّما جاء فى ما اختاره من ذلك» فى الأبواب التالئة من كلامه.

«فصول غير متسقة» التالى مع الثانى، و الثانى مع الأول.

«و محاسن كلم غير منتظمة» فى مقصد واحد.

<sup>٣٥٥</sup> (٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٦ الكتاب (٧٧).

<sup>٣٥٦</sup> (٤) الظاهر أن كليهما كلامان فى نهج البلاغة ٢: ٢ الخطبة (١٢١)، و ٢: ٢٣٢ الخطبة (٢٣٩).

<sup>٣٥٧</sup> (٥) نهج البلاغة ١: ١١٦ الخطبة (٦٥).

<sup>٣٥٨</sup> (٦) نهج البلاغة ٤: ٤٣ الحكمة (١٩٠).

<sup>٣٥٩</sup> (٧) نهج البلاغة ٣: ٣ باب الحكم.

<sup>٣٦٠</sup> (٨) نهج البلاغة ٣: ٤، الكتاب (٣).

<sup>٣٦١</sup> (٩) نهج البلاغة ٣: ١١٣، الكتاب (٥٦) و شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٩٤.

<sup>٣٦٢</sup> (١) نهج البلاغة ٣: ٢ باب الكتب.

«لأنّنى أورد النّكت» جمع النّكتة و الأصل فى النّكت: أن تنكت فى الأرض بقضيب و نحوه، أى: تضرب فتؤثر فيها.

«و للمع» جمع اللّمة، و الأصل فيها قطعة من النّبت إذا أخذت فى اليبس.

«و لا أفصد التتالى و النّسق» و الأصل فى النّسق الاستواء. و المصنّف و إن كان يختار فصولا غير متّسقة و محاسن كلم غير منتظمة إلّا أنّه ينبّه على عدم اتّساقها و انتظامها بقوله: «منها، و منها، منه، و منه»، كقوله فى أول الباب الأوّل: «منها فى ذكر الحج»<sup>٣٦٣</sup>. و فى ثانية: «و منها يعنى آل النبى صلّى الله عليه و آله»<sup>٣٦٤</sup>، و أتى بلفظة «منها» فى الخطبة (٨١)<sup>٣٦٥</sup>، و فى خطبة «فاتعظوا عباد الله»<sup>٣٦٦</sup>، و فى خطبة الأشباح<sup>٣٦٧</sup>، و فى خطبة «فتبارك

ص: ١٠٦

الله»<sup>٣٦٨</sup>، و فى خطبة «انظروا الى الدّنيا»<sup>٣٦٩</sup>، و فى خطبة «الحمد لله الذى شرع الإسلام»<sup>٣٧٠</sup>، و فى خطبة الملاحم<sup>٣٧١</sup>، و فى خطبة «كلّ شىء خاشع له»<sup>٣٧٢</sup>، و فى خطبة «أرسله داعيا الى الحق»<sup>٣٧٣</sup>، و فى «و من كلام له عليه السلام قال لأصحابه فى ساحة الحرب»<sup>٣٧٤</sup>، و فى خطبة ملاحم البصرة<sup>٣٧٥</sup>، و فى خطبة «نحمده على ما أخذ و أعطى»<sup>٣٧٦</sup>، و فى كلامه عليه السلام «و انقادت له الدّنيا و الآخرة»<sup>٣٧٧</sup>، و فى كلام له عليه السلام فى معنى طلحة و الزبير<sup>٣٧٨</sup>، و فى خطبة «و أستعينه»<sup>٣٧٩</sup>، و فى خطبة

<sup>٣٦٣</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ٢٧ الخطبة - ١.

<sup>٣٦٤</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٢٧ الخطبة (٢).

<sup>٣٦٥</sup> (٤) نهج البلاغة ١: ١٣٢.

<sup>٣٦٦</sup> (٥) نهج البلاغة ١: ١٤٨، ١٤٩ الخطبة (٨٢) أوّلها: «عجا لابن النّابغة». ليس فيها لفظة «منها» أصلا.

<sup>٣٦٧</sup> (٦) نهج البلاغة الخطبة ١: ١٦٠ (٨٩).

<sup>٣٦٨</sup> (١) نهج البلاغة ١: ١٨٤ الخطبة (٩٢).

<sup>٣٦٩</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١٩٧ الخطبة (١٠١).

<sup>٣٧٠</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٢٠٣ الخطبة (١٠٤).

<sup>٣٧١</sup> (٤) نهج البلاغة ١: ٢٠٦ الخطبة (١٠٦).

<sup>٣٧٢</sup> (٥) نهج البلاغة ١: ٢٠٩ الخطبة (١٠٧).

<sup>٣٧٣</sup> (٦) نهج البلاغة ١: ٢٢٩ الخطبة (١١٤).

<sup>٣٧٤</sup> (٧) نهج البلاغة ٢: ٢ الخطبة (١٢١).

<sup>٣٧٥</sup> (٨) نهج البلاغة ٢: ٩ الخطبة (١٢٦).

<sup>٣٧٦</sup> (٩) نهج البلاغة ٢: ١٤ الخطبة (١٣٠).

<sup>٣٧٧</sup> (١٠) نهج البلاغة ٢: ١٦ الخطبة (١٣١).

<sup>٣٧٨</sup> (١١) نهج البلاغة ٢: ١٩ الخطبة (١٣٥).

<sup>٣٧٩</sup> (١٢) نهج البلاغة ٢: ٣٧ الخطبة (١٤٩).

«الحمد لله الدالّ على وجوده»<sup>٣٨٠</sup>، و في خطبة «و ناظر قلب اللّيب»<sup>٣٨١</sup>، و في كلام في الملاحم<sup>٣٨٢</sup>، و في خطبة «أرسله على حين فترة»<sup>٣٨٣</sup>، و في خطبة «أمره قضاء و حكمه»<sup>٣٨٤</sup>، في بعضها مرّة و في

ص: ١٠٧

بعضها مرتين و في بعضها ثلاث أو أكثر.

و كقوله في الباب الثاني في (٤) «منه»<sup>٣٨٥</sup>، و في (٢٤) «منها»<sup>٣٨٦</sup>، و في (٢٧) «و منه»<sup>٣٨٧</sup>، و في (٤٥) «و من هذا الكتاب»<sup>٣٨٨</sup>، و في (٤٢) «و منه»<sup>٣٨٩</sup>.

و حمل كلامه على أنّ مراده أنّه قد يسرد خطبةً أو كتاباً، و يكون فيها فقرات غير متّسقة كما فهمه ابن أبي الحديد، فيقول في مطاوى كتابه كثيراً: إنّ كلام الرضى ملتقط من فصول مختلفة<sup>٣٩٠</sup>، بعيد، حيث أنّه خارج عن أصل المقصود من الاستفادة، و غاية ما وقفنا عليه مثل خلطه بين كلامه عليه السّلام في خريّت الناجي و أصحابه من قوله: «آمنوا فقطنوا»، و بين كتابه عليه السّلام فيهم من قوله: «فحسبهم بخروجهم»<sup>٣٩١</sup>، إلّا أنّه ككلام واحد.

و أمّا ما ترى من اختلاف ما نقل مع ما وقفنا عليه من أصول كلامه، فالظاهر كونه من اختلاف الروايات، مثلاً قوله عليه السّلام في الخطبة (٤٣) في عنوان كلامه عليه السّلام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية: «و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه...»<sup>٣٩٢</sup> و جدته قاله أيام صفين، و قوله عليه السّلام فيه أيضاً: «إنّه قد كان على الناس وال أحدث أحداثاً»<sup>٣٩٣</sup> و جدته في كتابه عليه السّلام الى أهل مصر، إلى

<sup>٣٨٠</sup> (١٣) نهج البلاغة ٢: ٣٩ الخطبة (١٥٠).

<sup>٣٨١</sup> (١٤) نهج البلاغة ٢: ٤٣ الخطبة (١٥٢).

<sup>٣٨٢</sup> (١٥) نهج البلاغة ٢: ٤٧ الخطبة (١٥٤).

<sup>٣٨٣</sup> (١٦) نهج البلاغة ٢: ٥٣ الخطبة (١٥٦).

<sup>٣٨٤</sup> (١٧) نهج البلاغة ٢: ٥٥ الخطبة (١٥٨).

<sup>٣٨٥</sup> (١) ليس في نهج البلاغة ٣: ٧ لفظه «منه».

<sup>٣٨٦</sup> (٢) نهج البلاغة ٣: ٢٢ الكتاب (٢٤).

<sup>٣٨٧</sup> (٣) نهج البلاغة ٣: ٢٧، الكتاب (٢٧).

<sup>٣٨٨</sup> (٤) ليس في نهج البلاغة ٣: ٧٣، و شرح ابن ميثم ٥: ١٠١ لفظ «و من هذا الكتاب»، بل في شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٨.

<sup>٣٨٩</sup> (٥) نهج البلاغة ٢: ١١٨، الكتاب (٤٢).

<sup>٣٩٠</sup> (٦) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٧، ٢١٢، ٢٧٢، و ٣: ١٨٨، ٣٠٧، ٤١٧ في شرح الخطب ٣٧، ٣٨، ٤٥، ٢٣٣ و الكتابين ٩، ١٠.

<sup>٣٩١</sup> (٧) نهج البلاغة ٢: ١٠٢ الخطبة (١٧٩).

<sup>٣٩٢</sup> (٨) نهج البلاغة ١: ٩٤.

<sup>٣٩٣</sup> (٩) ذيل الخطبة (٤٣).

ص: ١٠٨

غير ذلك ممّا ستقف عليه فى مطاوى الكتاب إن شاء الله تعالى. وبالجملة قد ينقل المصنّف كلاما فى موضوع وردت أجزاءه فى أخبار فيجعلها واحدا بجامعها، فكلامه عليه السّلام فى الخطبة (١٢٢) <sup>٣٩٤</sup> مأخوذ من ستّ روايات، إلّا أنّها كلّها فى التحريض على القتال، وكذلك كلامه عليه السّلام فى الخطبة (١٢٣) فى التحكيم <sup>٣٩٥</sup> مأخوذ من ثلاث روايات.

«و من عجائبه عليه السّلام الّتى انفرد بها، و أمن المشاركة فيها أنّ كلامه عليه السلام الوارد فى الزّهد، و المواعظ، و التّذكير و الرّواجر، إذا تأمله المتأمّل، و فكّر فيه المتفكّر، و خلع من قلبه أنّه كلام مثله ممّن عظم قدره و نفذ أمره و أحاط بالرّقاب ملكه، لم يعترضه الشّكّ فى أنّه كلام من لا حظّ له فى غير الزّهادة، و لا شغل له بغير العبادة». قد تعجّب الثعالبي <sup>٣٩٦</sup> من أبى سهل الحمدونى الّذى كان والى الرى، و قال أبياتا يسيرة فى الزهد، فكيف لا يتعجّب منه عليه السّلام مع ما وصف؟! «قد قبع» و الأصل فيه قبع القنفذ: أدخل رأسه فى جسده.

«فى كسر» بالكسر. عن ابن السكيت: الكسر أسفل شقّة البيت الّتى تلى الأرض، من حيث يكسر جانباه من عن يمينك و يسارك <sup>٣٩٧</sup>.

«بيت» أى: خباء.

«أو انقطع» عن الناس.

«فى» هكذا فى (المصرية)، و الصواب ما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب).

ص: ١٠٩

«إلى» <sup>٣٩٨</sup>.

«سفع» أى: أسفل.

«جبل لا يسمع إلّا حسّه» أى: صوته الخفىّ.

<sup>٣٩٤</sup> (١) نهج البلاغة ٢: ٢.

<sup>٣٩٥</sup> (٢) نهج البلاغة ٢: ٥.

<sup>٣٩٦</sup> (٣) لم أر ذلك فى يتيمة الدهر.

<sup>٣٩٧</sup> (٤) نقله عنه الجوهري فى صحاح اللغة ٢: ٨٠٦ مادة (كسر).

<sup>٣٩٨</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٦، و شرح ابن ميثم ١: ٩٠.

«و لا يرى إلّا نفسه» كسقراط الحكيم، ففى (أخبار حكماء القفطى): يعرف بسقراط الحبّ، لأنّه سكن حبّا مدّة عمره، و لم ينزل بيتا، و كان يشتمل بكساء، و لم يتخذ لنفسه غيره، قتله ملك زمانه إذ زجره عن القبائح و الفحشاء. قال له الملك: أنت لى عبد. قال: بل أنت عبد لعبدى. قال: كيف؟ قال: لأننى رجل أملك شهوتى و ملكك شهوتك<sup>٣٩٩</sup>.

«و لا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس» أى: يرتمس.

«فى الحرب مصلتنا» من أصلت سيفه: جرّده من غمده.

«سيفه فيقطّ» أى: يقطع عرضا، من قطّ القلم، و يقال: قط البيطار الحافر إذا نحته.

«الرقاب و يجدلّ» أى: يلقي على الجدالة، و هى الأرض.

«الأبطال» جمع البطل بفتحيتين أى: الشجعان. و فى (صفين) لنصر بن مزاحم: و برز عروءة الدمشقى لما دعا أمير المؤمنين عليه السّلام معاوية إلى المبارزة، فأبى معاوية، فقال: إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلّمّ إلىّ، فتقدّم إليه علىّ عليه السّلام، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس لك بخطر، فقال عليه السّلام: «و الله ما معاوية اليوم بأغيظ لى منه دعونى و إيّاه». ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت إحداها يمينه و الأخرى يسره، فارتجّ

ص: ١١٠

العسكران لهول الضربة. ثمّ قال عليه السّلام: اذهب يا عروءة فاخبر قومك: أما و الذى بعث محمّدا بالحق، لقد عاينت النار و أصبحت من النّادمين<sup>٤٠٠</sup>.

«و يعود به» أى: بسيفه.

«ينطف» أى: يسيل.

«دما و يقطر مهجا» جمع مهجة دم القلب و الروح، و كونه عليه السّلام كذلك من الواضحات، و قد كانوا سمّوه: قتال العرب، و كان عليه السّلام يقول: «و الله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها، و لو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها»<sup>٤٠١</sup>. و كان عليه السّلام يقول: «ما لقيت رجلا إلّا أعاننى على نفسه»<sup>٤٠٢</sup>. أى: انخلع قلبه، و انقطعت مريرته من هيبتته عليه السّلام.

<sup>٣٩٩</sup> (٢) كذا فى اخبار العلماء بأخبار الحكماء: ١٣٥ و النقل بتصريف.

و قال الشهرستانى فى صفة سقراط فى كتاب الملل و النحل ٢: ٩١: «و كان يخوف بالملك الذى حبسه أنّه يريد قتله، قال: ان سقراط فى حب، و الملك لا يقدر إلّا على كسر الحب، فالحب يكسر و يرجع الماء الى البحر».

<sup>٤٠٠</sup> (١) وقعة صفين: ٤٥٨.

<sup>٤٠١</sup> (٢) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٣: ٧٣ ضمن الكتاب (٤٥).

و فى (تاريخ الطبرى) عن أبى لبيد قال: قتل (علىّ) منّا (يوم الجمل) ألفين و خمسمائة و الشمس ها هنا. أى: فى بعض يوم<sup>٤٠٣</sup>. و فيه عن ابن أبى يعقوب يقول: قتل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يوم الجمل ألفين و خمسمائة، ألف و ثلاثمائة و خمسون من الأزد، و ثمانمائة من بنى ضبّة، و ثلاثمائة و خمسون من سائر الناس<sup>٤٠٤</sup>.

و فى (صفين نصر) عن جابر بن عمير الأنصارى: لا و الله الذى بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله بالحق نبيا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات و الأرض أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب عليه السّلام، إنّه قتل فى ما ذكر العادون زيادة

ص: ١١١

على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحيا، فيقول: معذرة الى الله عز و جل و إليكم من هذا، لقد هممت أن أصقله، و لكن حجزنى عنه أنى سمعت النبىّ صلّى الله عليه و آله يقول كثيرا: «لا سيف إلا ذو الفقار، و لا فتى إلا علىّ، و أنا أقاتل به دونه». قال: فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا، فيقتحم به فى عرض الصف، فلا و الله ما ليث بأشدّ نكايّة فى عدوّه منه عليه السّلام<sup>٤٠٥</sup>.

«و هو مع تلك الحال» من التصدى للقتال و قتال الأبطال.

«زاهد الزّهاد» فقد طلق عليه السّلام الدنيا ثلاثا و قال لها: «غرىّ غيرى»<sup>٤٠٦</sup>. و كان يقول: «ما لعلى و لنعيم يفنى، و لذّة لا تبقى»<sup>٤٠٧</sup>. و كان عليه السّلام يقول: «دنياكم هذه أزهّد عندى من عفتة عنز»<sup>٤٠٨</sup>. و كان عليه السّلام ينام على التراب، حتّى كناه النبىّ صلّى الله عليه و آله بأبى تراب<sup>٤٠٩</sup>، و كان أحبّ كناه إليه عليه السّلام<sup>٤١٠</sup>. و تضاد روحيات من له تلك الحالة فى الحرب، و من كان بهذه الدرجة من الزهد معلوم.

<sup>٤٠٢</sup> (٣) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٤: ٧٥ الحكمة (٣١٨).

<sup>٤٠٣</sup> (٤) تاريخ الطبرى ٣: ٥٤٧ سنة (٣٦)، و نقله عن أبى لبيد أيضا المسعودى فى مروج الذهب ٢: ٣٧١.

<sup>٤٠٤</sup> (٥) تاريخ الطبرى ٣: ٥٤٧ سنة (٣٦)، و هناك روايات أخرى فى عدد قتلى وقعة الجمل فى تاريخ الطبرى ٣: ٥٤٣، ٥٤٧ سنة (٣٦)، و مروج الذهب ٢: ٣٧١.

<sup>٤٠٥</sup> (١) وقعة صفين: ٤٧٧.

<sup>٤٠٦</sup> (٢) هذه قطعة من حديث ضرار بن ضمرة الضبابى، قالها عند معاوية. أخرج الحديث الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٤:

١٦ الحكمة (٧٧).

<sup>٤٠٧</sup> (٣) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٢: ٢١٨ ضمن الخطبة (٢٢٢).

<sup>٤٠٨</sup> (٤) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ١: ٣٧ ضمن الخطبة (٣) المعروفة بالشّقشقيّة.

<sup>٤٠٩</sup> (٥) الرواية واقعة خاصّة لا أمر مستمرّ، و بين متن الروايات اختلاف، منها: ما أخرجه النسائى فى الخصائص: ١٢٩، و أحمد فى مسنده ٤: ٢٤٣، و أبو يعلى فى

مسنده عنه المطالب العالى ٤: ٦٤ ح ٣٩٦٩، و أبو الفرج بروايتين فى مقاتل الطالبين:

١٤، ١٦، و أبو نعيم فى المعرفة، و الطبرانى فى معجمه الكبير عنهما منتخب كنز العمال ٥: ٣٦، و ابن المغازلى فى المناقب: ٨ ح ٥، و ابن مردويه بروايتين عنه ألقاب

الرسول: ١٧٧، ١٧٨ و بعض الروايات تشتمل على حصول اختلاف بين على و فاطمة عليهما السّلام، لم أخرجها لكثرة طرقها مع ضعف متنها.

<sup>٤١٠</sup> (٦) أكثر روايات تكنية النبىّ صلّى الله عليه و آله عليّا بأبى تراب السابقة تشتمل على كونها أحبّ كناه إليه عليه السّلام.

و قال ابن أبي الحديد عند قوله عليه السّلام: «سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلّطت الارض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، و شربت من دمائهم»: إنّي لا طيل

ص: ١١٢

التعجّب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أنّ طبعه مناسب لطباع الأسود و النمر و أمثالهما من السباع الضارية، ثمّ يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام، يدلّ على أنّ طبعه مشاكل لطباع الرهبان لا بسى المسوح الذين لم يأكلوا لحما، و لم يريقوا دما، فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، و عتيبة بن الحرث اليربوعي، و عامر بن الطفيل العامري، و تارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني، و يوحنا المعمدان الإسرائيلي، و المسيح بن مريم الإلهي! و أقسم بمن تقسم الامم كلّها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة و إلى الآن أكثر من ألف مرّة، ما قرأتها قطّ إلّا و أحدثت عندي روعة و خوفا و عظة، و أثرت في قلبي و جيبيا، و في أعضائي رعدة، و لا تأملتها إلّا و ذكرت الموتى من أهلي و أقاربي، و أرباب ودي، و خيلت في نفسي أنّي أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه السّلام حاله<sup>٤١١</sup>.

«و بدل الأبدال» أي: وليّ الأولياء، و في (اللسان): و الأبدال قوم من الصالحين بهم يقيم الله الأرض، أربعون في الشام، و ثلاثون في سائر البلاد، لا يموت منهم أحد إلّا قام مكانه آخر، فلذلك سمّوا أبدالا، و واحد الأبدال العبّاد بدل و بدل. و قال ابن دريد: بديل<sup>٤١٢</sup>.

و روى ابن شميل بسنده حديثا عن عليّ كرم الله وجهه أنّه قال: الأبدال بالشّام، و النّجباء بمصر، و العصائب بالعراق<sup>٤١٣</sup>. قال ابن شميل: الأبدال خيار

ص: ١١٣

بدل من خيار، و العصائب عصبه و عصائب يجتمعون فيكون بينهم حرب - إلى أن قال - قال ابن السكّيت: الأبدال جمع بدل و بدل، و جمع بديل بدلي<sup>٤١٤</sup>.

قلت: و أظنّ أنّ الأصل في اصطلاح الأبدال الصوفيّة وضعوه لمشايخهم، و في حديثه الأمويّة، و إلّا فأهل الشام كانوا أطوع الناس للمخلوق، و أعصاهم للخالق، و الأرض لا تخلو من حجّة - منذ خلق الناس - نبيّ أو إمام.

<sup>٤١١</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٥١ شرح الخطبة (٢١٩).

<sup>٤١٢</sup> (٢) جمهرة اللّغة لابن دريد ١: ٢٤٧.

<sup>٤١٣</sup> (٣) رواه ابن الأثير في النهاية ٣: ٢٤٣ مادة (عصب)، و أخرجه بفرق لفظي في شأن أصحاب المهدي عليه السّلام الداني في سننه عنه عقد الدرر: ١٤٩، و ابن عساكر في تاريخه عنه ينابيع المودة: ٤٣٣، و المفيد في أماليه: ٣٠ ح ٤ المجلس (٤)، و الطوسي في الغيبة: ٢٨٤، و رواه ابن الأثير في النهاية ٣: ٢٤٣ مادة (عصب)، و الأحاديث الواردة في الأبدال كثيرة لا يسعها المقام.

<sup>٤١٤</sup> (١) لسان العرب ١: ٤٩ مادة (بدل)، و قال قريبا من قوله ابن دريد في جمهرة اللّغة ١: ٢٤٧.

و كيف كان، فعلى قول ابن دريد قول المصنّف: «و بدل الأبدال» غير صحيح، لكن قول ابن دريد ليس بصحيح، و الصواب قول ابن السكيت فى واحد الأبدال.

«و هذه من فضائله العجيبة، و خصائصه اللطيفة التى جمع بها بين الأضداد» التى تكون فى غيره من المحالات.

و ما قاله المصنّف من جمعه عليه السّلام بين الأضداد أثبتته له القرآن أوّلا فى قوله عز و جل: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»<sup>٤١٥</sup>، ثم نفسه عليه السّلام ثانيا فى كتابه عليه السّلام إلى عثمان بن حنيف - بعد ذكره كون حصر قوته فى قرصين لا ينافى كون قوته قوّة تقابل جميع الناس - فقال عليه السّلام: «و كأنّى بقائلكم يقول:

إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران و منازل الشجعان...»<sup>٤١٦</sup>.

و قد بلغ عليه السّلام الغاية فى العلم و العبادة مع أنّهما كذلك فى غيره عليه السّلام متقابلان، و لذا ورد: العالم كذا و كذا و العابد كذا و كذا.

و بالجملة، وجوده عليه السّلام بتلك الجامعية من آيات قدرته تعالى.

ص: ١١٤

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

<sup>٤١٧</sup> «و ألف بين الأشتات» أى: المتفرقات فى غيره، قال ابن سينا: لم يكن شجاعا فيلسوفا قط إلّا على بن أبى طالب عليه السّلام<sup>٤١٨</sup>.

و قال التعالبي للمتنبى: إنك قلت:

يرى الجبناء أنّ العجز حزم و تلك خديعة الطبع اللثيم

<sup>٤١٥</sup> (٢) الفتح: ٢٩.

<sup>٤١٦</sup> (٣) نهج البلاغة ٣: ٧٠ الكتاب (٤٥).

<sup>٤١٧</sup> (١) أورده ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ٢٣١، و غيره.

<sup>٤١٨</sup> (٢) نقله ابن شهر آشوب فى المناقب ٢: ٤٩.

وكلّ شجاعاً في المرء تغنى

و لا مثل الشجاعه في الحكيم

و أنّى يكون الشجاع حكيمًا؟ فقال: هذا على بن أبي طالب كرم الله وجهه<sup>٤١٩</sup>.

و في (فواتح المبيد): قيل للشافعي: ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟

فقال: ما أقول في شخص اجتمعت له ثلاثة مع ثلاثة لم تجتمع لأحد من بني آدم: الجود مع الفقر، و الشجاعه مع الرأى، و العلم مع العمل، و أنشد:

إنى عبد لفتى

أنزل فيه هل أتى<sup>٤٢٠</sup>

الى متى أكتمه

أكتمه إلى متى

و جمع عليه السّلام بين الشجاعه و الجود، قال ابن أبي الحديد إنّنا ما رأينا شجاعا جوادا قط، كان عبد الله بن الزبير شجاعا، و كان أبخل الناس، و كان الزبير أبوه شجاعا، و كان شحيحا. قال له عمر: لو وليتها لظلت تلاطم الناس فى البطحاء على الصاع و المدّ. و أراد علىّ عليه السّلام أن يحجر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال، فاحتال عبد الله لنفسه فشارك الزبير فى أمواله و تجارته، فقال علىّ عليه السّلام: «أمّا إنّه قد لاذ بملاذ...»<sup>٤٢١</sup>.

ص: ١١٥

قلت: ما ذكره فى غاية السقوط، و كيف لم يوجد شجاع جوادا، و قد أكثر الشعراء فى وصف ممدوحهم بجميعهم بين الشجاعه و السماحة، قال شاعر:

كفاك كف ما تليق درهما

جوادا و أخرى يعط بالسيف الدما

<sup>٤١٩</sup> (٣) قاله التعالبي فى يتيمة الدهر ١: ٢٠٨.

<sup>٤٢٠</sup> (٤) الانسان: ١.

<sup>٤٢١</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧، و اصل كلامه بضرب أمثلة أخرى.

و قال آخر:

عَلَّم الغيث الندى حتّى إذا  
فله الغيث مقرّ بالندى  
ما حكاه علّم الناس الأسد  
و له الليث مقرّ بالجلد

و قال آخر:

سماؤك تمطر الذهبا  
و أى كتيبة لاقتك  
و حربك يلتظى لها  
لم تستحسن الهربا

و افتخروا بالجمع بينهما، قال حسّان:

لنا الجفّات الغر يلمعن بالضّحى  
و أسيافنا يقطنن من نجدة دما

و يحكى أن النّابغة لما سمعه قال له: فللت جفانك و سيوفك.

و كيف لم ير شجاعا جوادا و قد كان أبو دلف العجلي فى غاية الجود و نهاية الشجاعة؟! أمّا جوده فكان إذا أتته الأموال بسطها على الإنطاع و يأمر الشعراء بنهبها، فيأخذ كلّ بقدر قوّته و قد قيل فيه:

إنّما الدّنيا أبو دلف  
فإذا ولّى أبو دلف  
بين باديه و محتضره  
ولّت الدنيا على أثره

و قد غضب المأمون عليه و على مادحه بهما بأنّه لم يبق له بعد البيتين شىء.

و أمّا شجاعته فكان قد خرج فى قافلة الى مكّة، فلمّا تجاوزوا الكوفة حضرت الأعراب و كثرت تريد اغتيالهم، فلمّا سمعوا بأنّ أبا دلف فىهم

ص: ١١٦

انهزموا من غير حرب، و كان يضرب المثل بشجاعته.

ذكر عند المبرّد الحظوظ، فقال: قال شاعر، و لم يكن أراد مدح أبى دلف:

أم هل حسبت سواد الليل شجّعنى  
أو أنّ قلبى فى جنبى أبى دلف

فبلغ شعره أبا دلف فوجّه إليه أربعة آلاف درهم بلا انتظاره.

و كان حاتم الطائى فى الجاهليّة و معن بن زائدة الشيبانى فى الإسلام جامعين بين السخاوة و الشجاعة، إلّا أنّ أشهريّة سخاوتهما أخملت شجاعتهما، قال ابن قتيبة فى (شعرائه) فى حاتم: كان حاتم إذا قاتل غلب و إذا غنم أنهب<sup>٤٢٢</sup>.

و فى خطبة جناس قلب بعض الكنعمى فى (مصباحه): أين من فاق قسّاً فى فصاحته و حصافته، و شأى حاتما فى سماحته و حماسته<sup>٤٢٣</sup>.

وجود معن لا يحتاج إلى بيان، حتّى قال الشاعر فى رثائه مخاطباً لقبره:

و يا قبر معن كيف وارىت جوده  
و قد كان منه البرّ و البحر مترعا

و يكفى فى شجاعته استنقاذه منصوراً من جند أبى مسلم لمّا قتله<sup>٤٢٤</sup>، و كانوا يعتقدون فى أبى مسلم الألوهية، و كانوا أحاطوا بالمنصور و كان أشرف على الهلاك.

و يزيد بن المهلب كان يضرب المثل بشجاعته و سخاوته، قال كعب الأشقرى فيه:

<sup>٤٢٢</sup> (١) قاله ابن قتيبة فى الشعر و الشعراء: ٧٠ و النقل بتصريف يسير.

<sup>٤٢٣</sup> (٢) المصباح للكنعمى: ٧٥٩ الفصل (٤٩) و الخطبة إنشاء نفس المؤلّف.

<sup>٤٢٤</sup> (٣) روى القصة المسعودى فى مروج الذهب ٣: ٢٨٦.

يداك إحداهما تسقى العدو بها

سمًا و أخرى نراها لم يزل ديما

و حكايات جوده فى السير مسطورة، و أرتج عليه على المنبر، فضربه

ص: ١١٧

برجله و قال: «فتى حروب لا فتى مناير».

و يزيد بن مزيد الشيبانى من أمراء هارون كان أيضا جامعا بينهما، قال سلم الخاسر فيه:

يزيدا و خالد بن الوليد

إنّ لله فى البرية سيفين

و هذا سيف الإمام الرشيد

ذاك سيف النبى فى سالف الدهر

بحور الندى بكفى يزيد

ما مقامى على الندى و قد فاضت

و لما قدم عليه شاعر باليمين و قال فيه:

خضل و يوم دم و خطف منية

يوماه يوم للمواهب و الندى

أن لست تسمع مدحة بنسية

و لقد أتيتك واتقا بك عالما

قال: صدقت لست أسمع مدحة بنسية، أعطوه ألف دينار.

و فى (ذيل الطبرى): كان عبید الله بن العباس سيّدا شجاعا سخيا، كان ينحر كلّ يوم جزورا...<sup>٤٢٥</sup>، و كان عامّة بنى هاشم جامعين بين السخاوة و الشجاعة.

<sup>٤٢٥</sup> (١) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى: ٣٨.

ثم إن لم يكن الشجاع سخياً، فمن أين يكون بخيلاً حتماً، كما يفهمه ابن أبي الحديد، فأى استلزام بينهما؟ فخالد بن الوليد و مالك الأشتر و هاشم المرقال و جمع آخر لا يحصى كانوا من الشجعان و لم يصفهم أحد بالبخل.

و أمّا من نقل بخله مع شجاعته كالزبير و ابن الزبير و كذا طلحة و عبد الملك، و قد ذكرهم ابن أبي الحديد فى ذيل كلامه، فكان جمع الشحّ و الشجاعة فيهم على حسب الاتفاق، مع أنّهم لم يكونوا ذوى شجاعة فائقة، و لا سيّما الأخيران، بل الأخير لم يعلم مبارزته لأحد، و أنّما كان قسيّاً ذبح ابن عمّه

ص: ١١٨

الأشدرق بيده و كان مكتوفاً<sup>٢٢٤</sup>.

و كيف يكون تناف بين الشجاعة و السخاوة و لا يكون شخص كاملاً إلّا بالجمع بينهما. قال البحرى فى أبى عيسى بن صاعد:

يسود الفتى من حيث يسخو و يشجع

نصيبك فى الأكرميتين فإنّما

كما أنّ ما قاله من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد الحجر على عبد الله بن جعفر فاحتال بشركة الزبير، لم أقف عليه، و إنّما روى الخطيب فى أبى يوسف أنّ عبد الله بن جعفر أتى الزبير، فقال: إتنى اشتريت كذا و كذا، و إنّ عمى يريد أن يأتى عثمان - و ذكر حديث الحجر - فقال عثمان: كيف أحجر على رجل فى بيع شريكه فيه الزبير؟

قال أحمد بن حنبل: لم أسمع هذا إلّا من حديث أبى يوسف<sup>٢٢٧</sup>.

و بالجملة ما قاله من تضادّ الشجاعة و السخاوة بلا حقيقة، نعم أدخله بعض الشعراء فى التضادّ بتخيّلات شعريّة بأنّ بسخاوة ممدوحه يحيى جمع من مواليه، و بشجاعته يموت جمع من أعدائه، فقال:

جودا و يشقى به يوم الوغى الهام

يحيى الأنام به فى الجذب إن قحطوا

ينفكّ بينهما بؤس و إنعام

حالان ضدّان مجموعان فيه فما

ماء و نار و إرهام و إضرام

كالمزن يجتمع الضدّان فيه معا

<sup>٢٢٤</sup> (١) رواه الطبرى فى التاريخ ٤: ٥٩٩ سنة (٦٩)، و ابن قتيبة فى الإمامة و السياسة ٢: ٢٦، و المسعودى فى مروج الذهب ٣:

١٠٤، و جاءت روايات تخالف هذه.

<sup>٢٢٧</sup> (٢) تاريخ بغداد ١٤: ٢٤٢ و النقل بتصرف.

و للشّعراء نظير ذلك كثير، فيخترعون تضادًا بالتخيّل الشعري في أشياء، قال بعضهم:

ص: ١١٩

و من عجب أن الصوارم في الوغى  
و أعجب من ذا أنّها في أكفّهم  
تحيض بأيدي القوم و هي ذكور  
تؤجج نارا و الأكفّ بحور

<sup>٤٢٨</sup> «و كثيرا ما أذكر» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (أذكر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٤٢٩</sup>.

«الإخوان بها» أي: بهذه العجيبة.

«و أستخرج عجبهم» المركوز في جبلتهم من مثلها.

«منها. و هي موضع للعبرة بها، و الفكرة فيها» بأنه عليه السّلام كان غير البشر المتعارفي، و أنّ اجتماع ذلك فيه عليه السّلام من آيات الله تعالى شاهدا لإمامته.

«و ربّما جاء في أثناء هذا الاختيار» في الأبواب الثلاثة.

«اللفظ المرّد» أي: المرجع.

«و المعنى المكرّر» و لو بلفظ آخر.

«و العذر في ذلك» أي: التريديد و التكرار.

«أنّ روايات كلامه عليه السّلام تختلف اختلافا شديدا» حسب اختلاف نقل كثير من المطالب.

«فربّما اتفق» أي: وقع.

<sup>٤٢٨</sup> (١) للمزيد راجع الأغاني لأبي الفرج، و العقد الفريد لابن عبد ربّه، و غيرهما.

<sup>٤٢٩</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦، و شرح ابن ميثم ١: ٩١.

«الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه» في تلك الرواية.

«ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير وضعه الأول» أي: كيفيته.

«إمّا بزيادة مختارة» أي: ينبغي أن تختار.

«أو بلفظ» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (أو لفظ) كما في (ابن أبي

ص: ١٢٠

الحديد، و ابن ميثم، و الخطيئة) عطفًا على (زيادة)<sup>٤٣٠</sup>.

«أحسن عبارة» من الأول.

«فتقتضى الحال أن يعاد» لكونه من موضوع الكتاب.

«استظهارا» مفعول له لقوله: «يعاد»، أي: تكميلا.

«للاختيار» من كلامه عليه السلام.

«و غيره» بالفتح، من غار الرجل على أهله.

و أمّا الغيرة بالكسر فقال الجوهري: إنها الميرة، من غار أهله، أي:

مارهم و نفعهم<sup>٤٣١</sup>.

و قال الزمخشري: إنها الدّبة، و جمعها الغير، قال الشاعر:

لنجدعنّ بأيدينا أنوفكم  
بنى أمية إن لم تقبلوا الغيرا

<sup>٤٣٢</sup> «على عقائل الكلام» أي: كرائمه، من أن تفوته.

<sup>٤٣٠</sup> (١) كذا في شرح ابن ميثم ١: ٩١، و لكن في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧. «بلفظ» أيضا.

<sup>٤٣١</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٧٧٥ مادة (غير).

و مما أعاده لزيادة مختاره أنه قال في الخطبة (١٤٧): من كلام له قبل موته<sup>٤٣٣</sup>.

وقال في الكتاب (٢٣): و من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية<sup>٤٣٤</sup>.

وقال في آخر الثاني: قد مضى بعض هذا الكلام في ما تقدّم من الخطب، إلّا أنّ فيه ها هنا زيادة أوجبت تكريره.

ص: ١٢١

و كرّر قوله عليه السلام في الحكمة (١٤٨): «المرء مخبوء تحت لسانه»<sup>٤٣٥</sup> في (٣٩٢) مع زيادة<sup>٤٣٦</sup>، لكنّه غفل عن تكراره، حيث لم يشر إليه كما في الأول.

ثمّ من الغريب أنّه كرّر قوله عليه السلام في الحكمة (١١٦): «كم من مستدرج بالإحسان إليه، و مغرور بالسّتر عليه، و مفتون بحسن القول فيه، و ما ابتلى الله أحدا بمثل الإملاء له»<sup>٤٣٧</sup> في (٢٦٠) قبل فصل الغريب، و قال: و قد مضى هذا الكلام في ما تقدّم، إلّا أنّ فيه ها هنا زيادة<sup>٤٣٨</sup>. مع أنّه ليس في الثاني زيادة أصلا، إلّا أنّ التكرار على نقل (ابن أبي الحديد و الخطيب)<sup>٤٣٩</sup> (كالمصريّة)، و أمّا (ابن ميثم) فليس الثاني فيه<sup>٤٤٠</sup>، كما أنّه كرّر الحكمة (٢٢)<sup>٤٤١</sup> في (٣٨٩) مع زيادة على نقل (ابن أبي الحديد) دون (ابن ميثم)<sup>٤٤٢</sup>، لكن نسختي من (ابن ميثم) بعد الحكمة (٨١) كثيرة التصحيف، فليلاحظ النسخ الأخرى.

و مما أعاده بلفظ آخر قوله في الخطبة (٣٣): «أما و الله إن كنت لفي ساقتها حتّى ولّت بحذا فيرها، ما ضعفت و ما جبت، و إنّ مسيرى هذا لمنلها، فلا تبقنّ الباطل حتّى يخرج الحقّ من جنبه»<sup>٤٤٣</sup> في جملة الخطبة (١٠٢)<sup>٤٤٤</sup>، لكنّه غفل عن الأوّل لعدم إشارته إلى التكرار، كما هو دأبه في الاعتذار.

<sup>٤٣٢</sup> (٣) أساس البلاغة: ٣٣١ مادة (غير).

<sup>٤٣٣</sup> (٤) نهج البلاغة ٢: ٣٣.

<sup>٤٣٤</sup> (٥) نهج البلاغة ٣: ٢١.

<sup>٤٣٥</sup> (١) نهج البلاغة ٤: ٣٨.

<sup>٤٣٦</sup> (٢) نهج البلاغة ٤: ٩٣، و ذيله: «تكلّموا تعرفوا».

<sup>٤٣٧</sup> (٣) نهج البلاغة ٤: ٢٧.

<sup>٤٣٨</sup> (٤) نهج البلاغة ٤: ٥٧.

<sup>٤٣٩</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٩١، ٣٥٥.

<sup>٤٤٠</sup> (٦) لا يوجد في شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٧، لكن ورد فيه في: ٣٠٣ كما قال الشارح.

<sup>٤٤١</sup> (٧) نهج البلاغة ٤: ٦.

<sup>٤٤٢</sup> (٨) كرّر في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤١٩، لكن لا يوجد في شرح ابن ميثم ٥: ٤١٩ كما قال الشارح.

<sup>٤٤٣</sup> (٩) نهج البلاغة ١: ٨١.

<sup>٤٤٤</sup> (١٠) نهج البلاغة ١: ١٩٩.

ص: ١٢٢

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبة (١٧٠): «اللّهمّ إنّى أستعينك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمى، و صغّروا عظيم منزلتى، و أجمعوا على منازعتى أمرا هو لى، ثمّ قالوا: ألا إنّ فى الحقّ أن تأخذه و فى الحقّ أن تتركه»<sup>٤٤٥</sup> فى الخطبة (٢١٥) بلفظ آخر<sup>٤٤٦</sup>، و الظاهر غفلته هنا أيضا لما يأتى فى الآتى.

و أعاد أيضا بلفظ آخر قوله عليه السّلام فى الخطبة (٢٦): «فنظرت فإذا ليس لى معين إلّا أهل بيتى، فضننت بهم عن الموت، و أغضيت على القذى، و شربت على الشّجى، و صبرت على أخذ الكظم، و على أمرّ من طعم العلقم»<sup>٤٤٧</sup> فى آخر الخطبة (٢١٥) بلفظ «فنظرت فإذا ليس لى رافد، و لا ذابّ و لا مساعد، إلّا أهل بيتى، فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى، و جرعت ريقى على الشّجى، و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، و ألم للقلب من حزّ الشّفار». ثمّ قال: و قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبة متقدّمة، إلّا أنّى كرّرتة هنا لاختلاف الروايتين<sup>٤٤٨</sup>.

ثمّ إنّ المصنّف و إن كرّر فى الخطبة (٢١٥) معنى ما ورد فى الخطبة (١٧٠)<sup>٤٤٩</sup> أيضا كما مرّ قبل هذا، إلّا أنّ قوله: «و قد مضى...» إشارة الى ما فى الخطبة (٢٦)، و لا يمكن أن يكون إشارة إليهما، لآباء قوله: «هذا الكلام»، و قوله:

«خطبة متقدّمة» عن ذلك.

و أعاد أيضا قوله فى الخطبة (٣٣): «إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه

ص: ١٢٣

و آله و سلّم و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا...»<sup>٤٥٠</sup> فى الخطبة (١٠٢)، و قال: و قد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرواية<sup>٤٥١</sup>.

و أعاد أيضا قوله فى الحكمة (١١٧): «هلك فى رجّان: محبّ غال، و مبغض قال»<sup>٤٥٢</sup> فى (٤٦٩) بلفظ «يهلك فى رجّان: محبّ مفرط، و باهت مفتر». و قال: الثانى مثل الأوّل<sup>٤٥٣</sup>.

<sup>٤٤٥</sup> (١) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

<sup>٤٤٦</sup> (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٠٢.

<sup>٤٤٧</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٦٧.

<sup>٤٤٨</sup> (٤) نهج البلاغة ٢: ٢٠٢.

<sup>٤٤٩</sup> (٥) نهج البلاغة ٢: ٨٥ و مراد الشارح من المعنى: «اللّهمّ إنّى أستعينك على قريش...».

<sup>٤٥٠</sup> (١) نهج البلاغة ١: ٨٠.

<sup>٤٥١</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١٩٩، و قول الرضى فى رواية شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٩٩ أبسط من هذا.

<sup>٤٥٢</sup> (٣) نهج البلاغة ٤: ٢٨.

<sup>٤٥٣</sup> (٤) نهج البلاغة ٤: ١٠٨، و قول الرضى: «و هذا مثل قوله عليه السّلام هلك فى رجّان: محبّ غال و مبغض قال».

و أعاد أيضا قوله في الخطبة (٧٠) في الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله: «حتّى أورى قيس القابس...»<sup>٤٥٤</sup> في الخطبة (١٠٤)، و قال: «و قد مضى هذا الكلام فى ما تقدّم، إلّا أننا كرّرناه ها هنا لما فى الروایتين من الاختلاف»<sup>٤٥٥</sup>.

و أعاد أيضا قوله: «يا ابن آدم: لا تحمل همّ يومك...» من الحكمة (٢٦٧)<sup>٤٥٦</sup> فى (٣٧٩) و قال: «و قد مضى هذا الكلام...»<sup>٤٥٧</sup>.

و أعاد أيضا قوله فى الحكمة (١٥): «تدلّ الأمور للمقادير حتى يكون الحنف فى التدبير»<sup>٤٥٨</sup> فى (٤٥٩) بلفظ «يغلب المقدار على التقدير حتّى لا تكون الآفة فى التدبير»، لكنّه غفل عن تكراره فلم يشر و لم يعتذر<sup>٤٥٩</sup>.

ص: ١٢٤

و أعاد قوله فى الحكمة (٣٤٨): «أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه»<sup>٤٦٠</sup> بلفظ «أشدّ الذنوب ما استخف به صاحبه» فى (٤٧٧)<sup>٤٦١</sup>، و غفل عن تكراره فلم يعتذر.

«و ربّما بعد العهد أيضا بما اختير أوّلا فأعيد بعضه» لا لزيادة أو للفظ أحسن عبارة، بل:

«سهوا أو نسيانا» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و نسيانا)، كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٤٦٢</sup>، و العطف فيه تفسيرى.

«لا قصدا و اعتمادا» أى: تعمّدا، فىكون العطف فيه أيضا تفسيريا.

فأعاد فقرة «ما شككت فى الحق مذ أريته» جزء الخطبة (٤)<sup>٤٦٣</sup> فى الحكمة (١٨٤)<sup>٤٦٤</sup> نسيانا.

<sup>٤٥٢</sup> (٥) نهج البلاغة ١: ١٢١.

<sup>٤٥٥</sup> (٦) نهج البلاغة ١: ٢٠٤، و لفظ الخطبة (١٠٤): «حتّى أورى قيسا لقابس...».

<sup>٤٥٦</sup> (٧) نهج البلاغة ٤: ٤٦.

<sup>٤٥٧</sup> (٨) نهج البلاغة ٤: ٩١، و لفظ الحكمة (٣٧٩): «فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك».

<sup>٤٥٨</sup> (٩) نهج البلاغة ٤: ٥.

<sup>٤٥٩</sup> (١٠) الظاهر أنّه من سهو الشارح، لأنّ الشريف الرضى قال بعد تمام الحكمة فى نهج البلاغة ٤: ١٠٥: «و قد مضى هذا المعنى فى ما تقدّم برواية تخالف هذه الألفاظ». و كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٤: ٥٠٥، لكن سقط كلام الشريف فى شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٠.

<sup>٤٦٠</sup> (١) نهج البلاغة ٤: ٨١.

<sup>٤٦١</sup> (٢) نهج البلاغة ٤: ١١٠.

<sup>٤٦٢</sup> (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١: ١٧، لكن فى شرح ابن ميثم ١: ٩١ «أو» أيضا.

<sup>٤٦٣</sup> (٤) نهج البلاغة ١: ٣٩.

<sup>٤٦٤</sup> (٥) نهج البلاغة ٤: ٤٣.

و أعاد فقراً «من أبدى صفحته للحق هلك»، و هي جزء الخطبة (١٦) ٤٦٥ في الحكمة (١٨٨) ٤٦٦ سهوا، و أعاد أيضا قوله: «كلمة حق يراد بها باطل» جزء الخطبة (٤٠) ٤٦٧ في الحكمة (١٩٨) ٤٦٨ نسيانا.

و أعاد أيضا قوله عليه السّلام: «من ظنَّ بك خيرا فصدّق ظنّه» جزء وصيّته عليه السّلام

ص: ١٢٥

إلى ابنه ٤٦٩ في الكتاب (٣١) سهوا، في الحكمة (٢٤٨) ٤٧٠.

و أعاد أيضا قوله: «و مفتون بحسن القول فيه» الّذي هو جزء العنوان «كم من مستدرج بالإحسان إليه»- المذكور في الحكمة (١١٦) بالاتّفاق ٤٧١، و في الحكمة (٢٦٠) أيضا بنقل (ابن أبي الحديد و الخطيب) ٤٧٢ - في الحكمة (٤٦٢) ٤٧٣ سهوا.

و أعاد قوله عليه السّلام: «لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنّه لا خير في القول بالجهل» المذكور في الحكمة (١٨٢) ٤٧٤ في الحكمة (٤٧١) بنقل (المصرية) و (ابن ميثم) ٤٧٥، و قبل الحكمة (١٩٢) بنقل (ابن أبي الحديد، و الخطيب) ٤٧٦ أيضا غفلة.

و منه يظهر أنّه قد يعيد كلّ العنوان سهوا جاعلا له كلّا ثانيا.

و أعاد الخطبة (٢١) «فإنّ الغاية أمامكم، و إنّ وراءكم السّاعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأولكم آخركم» ٤٧٧ جزء الخطبة (١٦٥) «إنّ الله تعالى أنزل كتابا هاديا...» بلفظ «فإنّ الناس أمامكم، و إنّ السّاعة تحدوكم من خلفكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأولكم آخركم» ٤٧٨.

٤٦٥ (٦) نهج البلاغة ١: ٥٠.

٤٦٦ (٧) نهج البلاغة ٤: ٤٣.

٤٦٧ (٨) نهج البلاغة ١: ٩١.

٤٦٨ (٩) نهج البلاغة ٤: ٤٥.

٤٦٩ (١) نهج البلاغة ٣: ٥٤.

٤٧٠ (٢) نهج البلاغة ٤: ٥٤.

٤٧١ (٣) كذا في نهج البلاغة ٤: ٢٧، و شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٩١، و شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٣.

٤٧٢ (٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥، و نهج البلاغة ٤: ٥٧.

٤٧٣ (٥) نهج البلاغة ٤: ٤٣، و لفظه «ربّ مفتون»، و قال فيه بعد تمام الحكمة: «زيادة عن نسخة كتبت في عهد المصنّف».

٤٧٤ (٦) نهج البلاغة ٤: ٤٣ و لفظه «ربّ مفتون»، و قال فيه بعد تمام الحكمة: «زيادة من نسخة كتبت في عهد المصنّف».

٤٧٥ (٧) شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٥.

٤٧٦ (٨) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٣٠.

٤٧٧ (٩) نهج البلاغة ١: ٥٨.

٤٧٨ (١٠) نهج البلاغة ٢: ٨٠.

ص: ١٢٦

و منه يظهر أنه قد يعيد كلّ عنوان جزء عنوان آخر غفلةً مع اختلاف ما.

و أعاد قوله عليه السّلام: «كالفالج الياسر الّذى ينتظر أوّل فوزه من قداحه» جزء الخطبة (٢٣) ٤٧٩ في رقم (٨) من فصل الغريب بلفظ «كالياسر الفالج ينتظر أوّل فوزه من قداحه» ٤٨٠ غفلةً.

و أعاد قوله عليه السّلام: «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم» من الحكمة (٩١) ٤٨١ في (١٩٧) ٤٨٢ سهواً.

و أعاد قوله عليه السّلام في الخطبة (١٧٠): «فقدموا على عاملى بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها، فقتلوا طائفةً صبرا و طائفةً غدرا» في الخطبة (٢١٦) ٤٨٣ بلفظ «فقدموا على عمّالى و خزّان بيت مال المسلمين الّذى فى يدي و على أهل مصر كلّهم فى طاعتى و على بيعتى، فشئتوا كلمتهم و أفسدوا علىّ جماعتهم، و وثبوا علىّ شيعتى فقتلوا طائفةً منهم غدرا» ٤٨٤ غفلةً.

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبة (٢٢): «و الله ما أنكروا علىّ منكرا، و لا جعلوا بينى و بينهم نصفاً، و إنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، و دما هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه، و لئن كانوا ولّوه دونى، فما التبعة إلّا عندهم، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم» فى الخطبة (١٣٥) ٤٨٥ بلفظ «و الله ما أنكروا علىّ منكرا، و لا جعلوا بينى و بينهم نصفاً، و أنّهم ليطلبون حقّاً هم

ص: ١٢٧

تركوه، و دما هم سفكوه، فإنّ كنت شريكهم فيه، فإنّ لهم نصيبهم منه، و إنّ كانوا ولّوه دونى، فما الطلبة إلّا قبلهم، و إنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم» ٤٨٦ غفلةً.

٤٧٩ (١) نهج البلاغة ١: ٦٠.

٤٨٠ (٢) نهج البلاغة ٤: ٦١.

٤٨١ (٣) نهج البلاغة ٤: ٢٠.

٤٨٢ (٤) نهج البلاغة ٤: ٤٥ و لفظه «طرائف الحكمة».

٤٨٣ (٥) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

٤٨٤ (٦) نهج البلاغة ٢: ٢٠٣.

٤٨٥ (٧) نهج البلاغة ١: ٥٩.

٤٨٦ (١) نهج البلاغة ٢: ١٩.

كما أنه أعاد ما في الخطبة (١٠) «ألا وإن الشيطان قد جمع حزيه، واستجلب خيله ورجله، وأنّ معي لبصيرتي، ما لبست على نفسي، ولا لبس عليّ، وإيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه! لا يصدرون عنه، ولا يعودون إليه»<sup>٤٨٧</sup>، جزءاً منه في الخطبة (٢٢) «ألا وإن الشيطان قد ذمر حزيه، واستجلب جليه»<sup>٤٨٨</sup>، و جزءاً منه في الخطبة (١٣٥) «إنّ معي لبصيرتي ما لبست، ولا لبس عليّ... وإيم الله لا فرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عند برى، ولا يعبّون بعده في حسي»<sup>٤٨٩</sup> غفلة، مع اختلاف ما.

و أعاد الحكمة (٤٨) «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى»<sup>٤٩٠</sup> في الحكمة (٣٤٠)<sup>٤٩١</sup> سهواً.

و أعاد ذيل الخطبة (١٢٥) «إنّما اجتمع رأى ملئكم على اختيار رجلين، أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن، فتأها عنه، و تركا الحقّ و هما يبصرانه، و كان الجور هواهما فمضيا عليه، و قد سبق استثناءنا عليهما - في الحكمة بالعدل، و الصّد للحق - سوء رأيهما و جور حكمهما»<sup>٤٩٢</sup> في الخطبة (١٧٥) بلفظ

ص: ١٢٨

«فاجمع رأى ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجعجا عند القرآن، و لا يجاوزاه، و تكون ألسنتهما معه، و قلوبهما تبعه، فتأها عنه، و تركا الحقّ و هما يبصرانه، و كان الجور هواهما، و الاعوجاج دأبهما، و قد سبق استثناءنا عليهما - في الحكم بالعدل، و العمل بالحق - سوء رأيهما، و جور حكمهما»<sup>٤٩٣</sup> غفلة.

و أعاد قوله عليه السّلام: «الناس أعداء ما جهلوا» في الحكمة (١٧٢)<sup>٤٩٤</sup> غفلة في الحكمة (٤٣٨)<sup>٤٩٥</sup>.

و أعاد قوله عليه السّلام: «قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول»<sup>٤٩٦</sup> في الحكمة (٢٧٨) نسياناً في الحكمة (٤٤٤) بلفظ «قليل تدوم عليه خير من كثير مملول منه»<sup>٤٩٧</sup>.

<sup>٤٨٧</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ٤٣.

<sup>٤٨٨</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ٥٩.

<sup>٤٨٩</sup> (٤) نهج البلاغة ٢: ٢٠.

<sup>٤٩٠</sup> (٥) نقله كذلك ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٢٧٣، ٣٩٦ مكرراً، لكن في نهج البلاغة ٤: ٨٠، و شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٩ كامل و بلا ذيل.

<sup>٤٩١</sup> (٦) في نهج البلاغة ٤: ١٥، و شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٣.

<sup>٤٩٢</sup> (٧) نهج البلاغة ٢: ٩.

<sup>٤٩٣</sup> (١) نهج البلاغة ٢: ٩٦.

<sup>٤٩٤</sup> (٢) نهج البلاغة ٤: ٤٣.

<sup>٤٩٥</sup> (٣) نهج البلاغة ٤: ١٠٢.

<sup>٤٩٦</sup> (٤) نهج البلاغة ٤: ٦٨.

<sup>٤٩٧</sup> (٥) نهج البلاغة ٤: ١٠٣.

و أعاد قوله عليه السّلام في الخطبة (١٤٣): «أيتها الناس! إنّما أنتم في هذه الدّنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كلّ جرعة شرق، و في كلّ أكلة غصص، لا تتالون منها نعمة إلّا بفراق أخرى، و لا يعمرّ معمرّ منكم يوماً من عمره إلّا بهدم آخر من أجله»<sup>٤٩٨</sup> غفلة في الحكمة (١٩١) بلفظ «إنّما المرء في الدّنيا غرض تنتضل فيه المنايا، و نهب تبادره المصائب، و مع كلّ جرعة شرق، و في كلّ أكلة غصص، و لا ينال العبد نعمة إلّا بفراق أخرى، و لا يستقبل يوماً من عمره إلّا

ص: ١٢٩

بفراق آخر من أجله»<sup>٤٩٩</sup>.

و أعاد قوله عليه السّلام في الحكمة (٢٤١): «يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم»<sup>٥٠٠</sup> غفلة في الحكمة (٣٤١) بلفظ «يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»<sup>٥٠١</sup>.

و أعاد قوله عليه السّلام في الخطبة الأخيرة برقم (٢٣٩): «ما أنقص النّوم لعزائم اليوم»<sup>٥٠٢</sup> غفلة في الحكمة (٤٤٠)<sup>٥٠٣</sup> مستقلاً.

و أعاد قوله عليه السّلام: «و كفى أدبا لنفسك تجنّبك ما كرهته لغيرك»<sup>٥٠٤</sup> و هو جزء الحكمة (٣٦٥) غفلة في الحكمة (٤١٢)<sup>٥٠٥</sup> مستقلاً.

و أعاد قوله عليه السّلام: «القناعة مال لا ينفد» الحكمة (٥٧)<sup>٥٠٦</sup> غفلة في الحكمة (٤٧٥)<sup>٥٠٧</sup>.

و أعاد قوله عليه السّلام: «أشرف الغنى ترك المنى» الحكمة (٣٤)<sup>٥٠٨</sup> غفلة جزء «الجود حارس الأعراض» الحكمة (٢١١)<sup>٥٠٩</sup>.

و أعاد قوله عليه السّلام في الخطبة (١٥٤): «و إنّهما لا يقربان من أجل، و لا

<sup>٤٩٨</sup> (٦) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

<sup>٤٩٩</sup> (١) نهج البلاغة ٤: ٤٤.

<sup>٥٠٠</sup> (٢) نهج البلاغة ٤: ٥٣.

<sup>٥٠١</sup> (٣) نهج البلاغة ٤: ٨٠.

<sup>٥٠٢</sup> (٤) نهج البلاغة ٢: ٢٣٤.

<sup>٥٠٣</sup> (٥) نهج البلاغة ٤: ١٠٢.

<sup>٥٠٤</sup> (٦) نهج البلاغة ٤: ٨٥.

<sup>٥٠٥</sup> (٧) نهج البلاغة ٤: ٩٦ و لفظه «كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك».

<sup>٥٠٦</sup> (٨) نهج البلاغة ٤: ١٤.

<sup>٥٠٧</sup> (٩) نهج البلاغة ٤: ١٠٩، قال فيه بعد تمام الحكمة: «و قد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه و آله».

<sup>٥٠٨</sup> (١٠) نهج البلاغة ٤: ١٠.

<sup>٥٠٩</sup> (١١) نهج البلاغة ٤: ٤٨.

ص: ١٣٠

ينقصان من رزق»<sup>٥١٠</sup> فى (٣٧٤) بلفظ «و إنَّ الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر لا يقربان من أجل، و لا ينقصان من رزق»<sup>٥١١</sup>.

و ممَّا نقلنا من تكراراته يظهر أنَّ الرضى، و ان قال: إنَّه قد يعيد نسيانا بعض ما مرَّ، و ظاهره يعيده بلفظه، إلَّا أنَّه قد يفعل كما قال، و قد يعيد كلَّ ما مرَّ، كما قد يعيد بعض ما مرَّ أو كلَّه بلفظ آخر. و مرَّ فى شرح قوله فى ما أعاده قصدا لزيادة أو للفظ آخر<sup>٥١٢</sup> جملة ممَّا أعادها نسيانا أيضا.

«و لا أدعى مع ذلك أنى أحيط باقطار» أى: نواحى «جميع كلامه عليه السَّلام، حتّى لا يشدَّ عنى شاذ» أى: يتفرَّق عنى متفرِّق.

«و لا يندَّ» أى: يعبد عنى.

«نادَّ» أى: يعيد.

«بل لا أبعده» أى: لا أعدَّ بعيدا.

«أن يكون القاصر عنى» أى: الذى لم يصل إلى.

«فوق الواقع» أى: الواصل من كلامه.

«إلى، و الحاصل» عطف على القاصر اسم (يكون).

«فى ريقتى» بالكسر، قال الجوهري: الرِّيق: حبل فيه عدَّة عرى تشدُّ به البهم<sup>٥١٣</sup>.

«دون» أى: أقلّ، و هو عطف على (فوق) خبر (يكون)، أى: من عطف الجملة.

«الخارج من يدى» الذى أفلت عنى، قال الراوندى، كما نقل ابن ميثم عنه:

ص: ١٣١

سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول: إنى وجدت بمصر مجموعا من كلام علىّ عليه السَّلام فى نيف و عشرين مجلدا<sup>٥١٤</sup>.

<sup>٥١٠</sup> (١) نهج البلاغة ٢: ٤٩.

<sup>٥١١</sup> (٢) نهج البلاغة ٤: ٨٩.

<sup>٥١٢</sup> (٣) قول الرضى: «فاعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا و اعتمادا».

<sup>٥١٣</sup> (٤) صحاح اللُّغة للجوهري ٤: ١٤٨٠.

«و ما على إلاً بذل الجهد» فى (الصباح): الجهد و الجهد بالفتح و الضم الطاقه، و قرئ ( «و الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلاً» جهدهم ... ) و ( «جُهْدُهُمْ» ).

قال الفراء: الجهد بالضم: الطاقه، و الجهد بالفتح من قولك: اجهد جهدك فى هذا الأمر، أى: ابلغ غايتك. و لا يقال: اجهد جهدك<sup>٥١٥</sup>.

«و بلاغ الوسع» فى نقل كلامه عليه السلام.

«و على الله سبحانه» أى: المنزه عن النقائص و عن أن يفوته شىء.

«و تعالى» هكذا فى (المصرية)، و الكلمه زائده لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>٥١٦</sup>.

«نهج السبيل» مأخوذ من قوله تعالى: «و عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ»<sup>٥١٧</sup>.

«و رشاد الدليل» و قال تعالى: «أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ»<sup>٥١٨</sup>.

«إن شاء الله» ذلك.

«و رأيت من بعد» أى: بعد الحمد و الصلاة، أو بعد ما مرّ فى شرح كلامه عليه السلام و هو الأظهر.

«تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغه» و النهج: هو الطريق الواضح.

و أمّا البلاغه فورد عنهم عليهم السلام لها تعريفات، و عن الأدباء لها توصيفات، و عن العباسية فيها بيانات:

ص: ١٣٢

أمّا الأول: ففى (صناعة أبى هلال العسكرى): قال أمير المؤمنين عليه السلام:

البلاغه إيضاح المتنسبات، و كشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات. و قال الحسن بن على عليهما السلام: البلاغه تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة. و قال محمد بن علىّ عليهما السلام: البلاغه تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ، و قال: البلاغه قول مفقه فى لطف. فالمفقه: المفهوم، و اللطيف من الكلام:

<sup>٥١٤</sup> (١) شرح ابن ميثم ١: ١٠١.

<sup>٥١٥</sup> (٢) صحاح اللغه للجوهرى ١: ٤٥٧ مادة (جهد).

<sup>٥١٦</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٧، و شرح ابن ميثم ١: ٩١.

<sup>٥١٧</sup> (٤) النحل: ٩.

<sup>٥١٨</sup> (٥) غافر: ٣٨.

ما تعطف به القلوب النافرة، و تؤنس به القلوب المستوحشة، و تلين به العريكة الآبية حتى تبلغ به الحاجة، و تقام به الحجّة<sup>٥١٩</sup>.  
و فى (تحف العقول) عن الصادق عليه السّلام: يابن النعمان ليست البلاغة بحدّة اللسان و لا بكثرة الهذيان، و لكنّها إصابة المعنى  
و قصد الحجّة<sup>٥٢٠</sup>.

و أمّا الثانى: ففى (دلائل إعجاز عبد القاهر) قالوا: لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه، و  
لا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه إلى قلبك، و يدخل فى الأذن بلا إذن<sup>٥٢١</sup>.

و فى (بيان الجاحظ): قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. و قيل لليونانى: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام  
و اختيار الكلام.

و قيل للرومى: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، و الغزارة يوم الإطالة. و قيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح  
الدلالة و انتهاز الفرصة و حسن الإشارة. و قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة: البصر بالحجّة و المعرفة بمواضع الفرصة، ثم  
قال: و من البصر بالحجّة و المعرفة بمواضع الفرصة: أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أو عر طريقة، و ربّما  
كان

ص: ١٣٣

الإضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك، و أحقّ بالظفر. و قال مرّة: جماع البلاغة التماس حسن الموقع، و المعرفة بساعات القول،  
و قلة الخرق بما التبس من المعانى أو غمض، و بما شرد عليك من اللفظ أو تعدّر<sup>٥٢٢</sup>.

و قال اعرابى: البلاغة التقرب من البعيد و التباعد من الكلفة، و الدلالة بقليل على كثير. و قال اعرابى: البلاغة إيجاز فى غير  
عجز و إطناب فى غير خطل. و قيل لأبى العيناء: ما أبلغ الكلام؟ قال: ما أسكت المبطل و حير المحقّ.

و أمّا الثالث: فعن ابراهيم المعروف بالإمام: يكفى من حظّ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، و لا يؤتى الناطق  
من سوء فهم السامع.

و قال هارون: البلاغة التباعد من الإطالة، و التقرب من البغية، و الدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى. و قال المأمون:  
ما كنت أتوهم أنّ أحدا يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت كتاب عمرو بن مسعدة إلى: كتابى اليك، و من قبلى من القوادم و

<sup>٥١٩</sup> (١) الصناعتين للعسكري: ٥١، ٥٢.

<sup>٥٢٠</sup> (٢) تحف العقول: ٣١٢، و نقل هذا التعريف للبلاغة الهاشمى فى جواهر البلاغة: ٣٧ عن خالد بن صفوان.

<sup>٥٢١</sup> (٣) دلائل الإعجاز: ٢٠٦.

<sup>٥٢٢</sup> (١) كذا فى البيان و التبيين للجاحظ: ١١١، و ما نقله عن بعض أهل الهند رواه ابن أبى الحديد فى زوائد نهج البلاغة: ٥٣٥ ح ٩٢ عن على عليه السّلام.

الأجناد فى الطاعة و الانقياد على أحسن ما يكون، طاعة جند تأخرت عطياتهم، و اختلّت أحوالهم. و قال ابن المعتز: البلاغة البلوغ الى المعنى، و لم يطل سفر الكلام<sup>٥٢٣</sup>.

قلت: و بأى معنى فسرت فالكتاب مصداقه، فالتسمية حقّه.

«إذا كان يفتح للنّاظر فيه» أى: فى هذا الكتاب.

«أبوابها» أى: أبواب البلاغة.

«و يقربّ عليه طلابها» قد عرفت فى ما مرّ اعتراف عبد الحميد الكاتب و ابن نباتة الخطيب<sup>٥٢٤</sup>، و هما على ما عليه بحصول البلاغة لهما من النّظر فى

ص: ١٣٤

كلامه عليه السّلام.

«فيه» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و فيه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٥٢٥</sup> و لاقتضاء المقام له.

«حاجة العالم» فى زيادة علمه.

«و المتعلم» فى حصول العلم له.

«و بغية» بضمّ الباء و كسرهما، أى: مطلوب.

«البليغ» ليقندر على الإتيان بالكلام البليغ.

«و الزاهد» ليرضى بزهده، و يسرّ به، و يجدّ فى ازدياده.

«و يمضى فى أثنائه» أى: أثناء الكتاب.

«من الكلام» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (من عجيب الكلام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٥٢٦</sup>.

---

<sup>٥٢٣</sup> (٢) جمع هذه الأقوال و أقوال أخرى فى تفسير البلاغة الجاحظ فى البيان و التبيين، و ابن عبد ربه فى العقد الفريد.

<sup>٥٢٤</sup> (٣) مر فى شرح خطبة الرضى فقرة: «و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ».

<sup>٥٢٥</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨، و شرح ابن ميثم ١: ٩١.

<sup>٥٢٦</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨، و شرح ابن ميثم ١: ٩١.

«في التوحيد» و لا سيما الخطبة (١٨٤). الذي قال المصنّف فيه: و من خطبة له عليه السّلام في التوحيد، و تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمه خطبة<sup>٥٢٧</sup>.

«و العدل» قال: ابن أبي الحديد في شرح الخطبة (٨٣): و اعلم أنّ التوحيد و العدل و المباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلّا من كلام هذا الرجل، و إنّ كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئا من ذلك أصلا، و لا كانوا يتصوّرونه، و لو تصوّروه لذكروه، و هذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السّلام<sup>٥٢٨</sup>.

ص: ١٣٥

قلت: بل كان فاروقه قائلا بعدم عدل الله تعالى. ففي (تاريخ بغداد) في عنوان عثمان بن سعيد: خطب عمر الناس بالجائية، فقال: إنّ الله يضلّ من يشاء و يهدي من يشاء. فقال قسّ من تلك القسوس: ما يقول أميركم هذا؟

فقالوا: يقول إنّ الله يضلّ من يشاء. فقال القسّ: برقشت، الله أعدل من أن يضلّ أحدا. فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه، فقال: بل الله أضلك، و لو لا عهدك لضربت عنقك<sup>٥٢٩</sup>.

فإذا كان قائلا بعدم عدله تعالى، كيف ينتظر منه التكلّم في أوصافه تعالى و عدله في القرآن؟! و إنّ ورد باللفظ، إلّا أنّه تعالى قال بعده: «و ما يضلّ به إلّا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون»<sup>٥٣٠</sup>، مع أنّ العقل و النقل متطابقان على وجوب تأويل المتشابه، لكن الرجل مصداق قوله تعالى:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ»<sup>٥٣١</sup>، و الرجل أراد الجواب بالضرب و القتل.

«و تنزيه الله سبحانه» عن النقائص.

«و تعالى» هكذا في (المصرية)، و الصواب: عدم الكلمة، لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة)<sup>٥٣٢</sup>.

«عن شبه» متعلق بقوله: «و تنزيه الله».

«الخلق» و في خطبة الأشباح برقم (٨٩): سأله سائل أن يصف الله تعالى

<sup>٥٢٧</sup> (٣) نهج البلاغة ٢: ١١٩.

<sup>٥٢٨</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٠.

<sup>٥٢٩</sup> (١) تاريخ بغداد ١١: ٢٩٠ و النقل بتصرف يسير.

<sup>٥٣٠</sup> (٢) البقرة: ٢٦-٢٧.

<sup>٥٣١</sup> (٣) آل عمران: ٧.

<sup>٥٣٢</sup> (٤) كذا في شرح ابن ميثم ١: ٩١، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨ «و تعالى» أيضا.

ص: ١٣٦

له حتّى كأنّه يراه عيانا، فغضب عليه السّلام و خطب بها<sup>٥٣٣</sup>، و كان عليه السّلام أحسّ منه إرادته وصفه بالتشبيه.

«ما هو بلال» بالكسر، النّدوّة و الرّطوبه، قال الشاعر:

كأنى حلوت الشّعر حين مدحته صفا صخرة صمّاء يبس بلالها

<sup>٥٣٤</sup> و قال آخر:

و صاحب مرامق داجيته على بلال نفسه طويته

<sup>٥٣٥</sup> و أصله: السقا يطوى و هو مبتلّ فيعفن. قال:

و لقد طويتم على بللاتكم<sup>٥٣٦</sup> لكن لو كان المصنّف قال: «نقوع» بدل «بلال» كان أقرب الى إفادة المراد، يقال: نقع الماء العطش نقعا و نقوعا سكّنه، و يقال: شرب حتّى نقع، و إنّما يحسن البلال فى المبالغة فى النفى، يقال: ما فى سقائك بلال، أى: ما يبيلّ به الحلق.

و قالت ليلى الأخيلىة لابن عمّ توبة حين فرّ عنه حتّى قتل:

فلا و أيبك يابن أبى عقيل تبلك بعدها فينا بلال

فلو آسيته لخلاك ذمّ و فارقك ابن عمك غير قال

<sup>٥٣٣</sup> (١) نهج البلاغة ١: ١٦٠.

<sup>٥٣٤</sup> (٢) أورده لسان العرب ١١: ٦٤ مادة (بلل)، و الشاعر أوس.

<sup>٥٣٥</sup> (٣) أورده لسان العرب ١١: ٦٤ مادة (بلل).

<sup>٥٣٦</sup> (٤) هذا صدر بيت لحضرمى بن عامر الأسدى، و ذيله: و علمت ما فيكم من الأذراب، أورده أساس البلاغة: ٣٠ مادة (بلل)، و لسان العرب ١١: ٦٤ مادة (بلل).

٥٣٧ «كلّ غلّة» بالضم، حرارة العطش، و زاد (ابن أبي الحديد و الخطيب) بعده:

ص: ١٣٧

«و شفاء كلّ علّة»<sup>٥٣٨</sup>.

«و جلاء كلّ شبهة» أى: زوالها و اضمحلالها، فى (الإرشاد) روى الحسن البصرى قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين بعد انصرافه من حرب صفين، فقال له: يا أمير المؤمنين! خبرنى عما كان بيننا و بين هؤلاء القوم من الحرب، أ كان بقضاء من الله و قدر؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما علوتم قلعة و لا هبطتم و اديا إلّا و لله فيه قضاء و قدر. فقال الرجل:

فعند الله احتسب عنى يا أمير المؤمنين! فقال له: و لم؟ قال: إذا كان القضاء و القدر ساقانا الى العمل، فما وجه الثواب لنا على الطاعة، و ما وجه العقاب لنا على المعصية؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أو ظننت يا رجل أنه قضاء حتم و قدر لازم، و لا تظن ذلك، فإن القول به مقال عبدة الأوثان و حزب الشيطان و خصماء الرحمن و قدرية هذه الأمة و مجوسها.

إنّ الله تعالى أمر تخييرا، و نهى تحذيرا، و كلف يسيرا، و لم يطع مكرها، و لم يعص مغلوبا، و لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا ( «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ). فقال الرجل: فما القضاء و القدر الذى ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: الأمر بالطاعة، و النهى عن المعصية، و التمكين من فعل الحسنة، و ترك السيئة، و المعونة على القربة إليه، و الخذلان لمن عصاه، و الوعد و الوعيد، و الترغيب و الترهيب، كل ذلك قضاء الله فى أفعالنا و قدره لأعمالنا، فأما غير ذلك فلا تظنه، فإن الظن له محيط للأعمال. فقال الرجل: فرجّت عنى يا أمير المؤمنين، فرجّ الله عنك. و أنشأ يقول:

يوم المآب من الرحمن غفرانا

أنت الإمام الذى نرجو بطاعته

ص: ١٣٨

جزاك ربك بالإحسان إحسانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا

<sup>٥٣٧</sup> (٥) أوردته لسان العرب ١١: ٦٧ مادة (بلل).

<sup>٥٣٨</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨، و زاده أيضا ابن ميثم فى شرحه ١: ٩١.

٥٣٩ «و من اللّٰه سبحانه أستمدّ التوفيق» لنيل الغرض.

«و العصمة» من الضلال.

«و استنجز» أى: استنجح.

«التّسديد» أى: الحمل على السّداد، أى: الصّلاح.

«و المعونة» على العمل.

«و أستعيذه من خطاء الجنان» القلب.

«قبل خطاء اللّسان» قال خالد بن جعفر الكلابى لكسرى لما أوفده النعمان بن المنذر إليه:

من عشرة الوعث

و عشرة القول أنكى

و الوعث: المكان الذى يشقّ المشى فيه.

«و من زلّة الكلام» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (الكلم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)٥٤٠.

«قبل زلّة القدم» قال ابن السكّيت:

و ليس يصاب المرء من عشرة الرّجل

يصاب الفتى من عشرة بلسانه

و عشرته فى الرّجل تبرأ عن مهل

فعرته فى القول تذهب رأسه

٥٣٩ (١) أخرجه المفيد فى الإرشاد: ١٢٠ عن الحسن البصرى، و أخرجه الصدوق أيضا فى العيون ١: ١١٤ ح ٣٨، و التوحيد:

٣٨٠ ح ٢٨ بطريقين، و الكراچكى فى كنز الفوائد: ١٦٩ عن الحسين عليه السّلام، و أخرجه الصدوق فى العيون و التوحيد- الحديث السابق- عن السجاد عليه السّلام، و رواه ابن شعبة فى تحف العقول: ٤٦٨، و الطبرسى فى الاحتجاج: ٢٠٨ ضمن رسالة الهادى عليه السّلام، و أخرجه الصدوق فى العيون و التوحيد- الحديث السابق- عن ابن عباس، و رواه أبو الحسين الخياط فى الغرر عنه شرح ابن أبى الحديد ٤: ٢٧٧ عن الاصبغ بن نباتة، و أخرجه الكلينى فى الكافى ١: ١٥٥ ح ١، و الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٤: ١٧ الحكمة (٧٨)، و فى خصائص الائمة: ٦٩، و رواه ابن ميثم فى شرحه ٥: ٢٧٨ مرسلا و مجردا.

٥٤٠ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨، و شرح ابن ميثم ١: ٩١.

ص: ١٣٩

«و هو حسبي و نعم الوكيل» الأصل فيه قوله تعالى: «وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نَعْمَ الْوَكِيلُ»<sup>٥٤١</sup>.

و هذا أو ان الشروع فى المقصود بعون الملك المحمود، فنقول:

ص: ١٤١

### الفصل الأول فى التوحيد

ص: ١٤٣

و حيث إنَّ المصنّف بدأ بخطبة فى التوحيد نبدأ بما بدأ به مع كلامه، فقال:

«باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام و أوامره، و يدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصورة، و المواقف المذكورة، و الخطوب الواردة».

أى: المقاصد العارضة، ككلامه عليه السّلام لما خاطبه العباس و أبو سفيان بالبيعة له بعد قبض النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم<sup>٥٤٢</sup>، و كلامه عليه السّلام لما أشير عليه بالآل يتبع طلحة و الزبير<sup>٥٤٣</sup>، إلى غير ذلك ممّا عبّر فيها غالبا بقوله: و من كلام له عليه السّلام.

«فمن خطبة له عليه السّلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض، و خلق آدم».

و نحن نقتصر من الخطبة هنا على ما يكون فى التوحيد، و أمّا ما فيها فى

ص: ١٤٤

خلق السماء و الأرض، فنذكره فى الفصل الثانى<sup>٥٤٤</sup>، كما أنّ ما فيها راجعا إلى خلق آدم نذكره فى الفصل الرابع<sup>٥٤٥</sup> على ما عرفت أوّلا فى فهرست فصوله<sup>٥٤٦</sup>، و إنّما ذكرنا هنا عنوان المصنّف لئلا ندع شيئا من كلامه.

<sup>٥٤١</sup> (١) آل عمران: ١٧٣.

<sup>٥٤٢</sup> (١) نهج البلاغة ١: ٤٠ الخطبة (٥).

<sup>٥٤٣</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ٤١ الخطبة (٦).

<sup>٥٤٤</sup> (١) فى العنوان (١).

<sup>٥٤٥</sup> (٢) فى العنوان (١).

<sup>٥٤٦</sup> (٣) و جاء بعض قطعه فى العنوان (١) من الفصل الثالث، و كذا الخامس و السادس، و العنوان (٢) من الفصل الثانى و الأربعين.

«و فيها ذكر الحج» هكذا في (المصرية)، و الجملة بتمامها زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٥٢٧</sup>، و لا بدّ أنّها كانت حاشية من بعض المحشّين، حيث رأى أنّ في الخطبة فصلا راجعا إلى الحجّ، فخلطت بالمتن. و كيف كان، فنذكر ما فيه من ذكر الحجّ في فصل العبادات<sup>٥٢٨</sup>.

١

من الخطبة (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ - وَ لَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ - وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ - الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمُ - وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ - الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ - وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لَا وَقْتُ مَعْدُودٌ - وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ - فَطَرَّ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ - وَ نَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ - وَ تَدَدَ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ مِنْ الْخُطْبَةِ (٩٤) وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عِ الْوَقْتِ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ - وَ الْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ - وَ الظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ - وَ الْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ

ص: ١٤٥

من الخطبة (٩٢) و من خطبة له ع فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم - و لا يناله حسن الفطن - الأوّل الذي لا غاية له فينتهي - و لا آخر له فينقضي أقول: نقل الخطبة الأولى ابن طلحة الشافعي في (مطالبه ابن طلحة الشافعي - مطالب السؤل - ص ٢٧)<sup>٥٢٩</sup>، و قال الخوئي: إنّ المجلسي رواه في (البحار) عن (عيون الحكمة) لمحمد بن عليّ الواسطي إلى قوله: «إلى يوم الوقت المعلوم»<sup>٥٥٠</sup>، لكن لم أف في (البحار) على نقله عنه<sup>٥٥١</sup>.

«الحمد» ظاهر (الصباح) ترادف الحمد مع المدح، حيث قال: الحمد تقيض الذم<sup>٥٥٢</sup>، و فرق (المصباح) بينهما، فجعل الحمد للجميل الاختياري فقط، و المدح له و للخلق<sup>٥٥٣</sup>، إلّا أنّ الظاهر أنّ كلّاً من الحمد و المدح للاختياري النفساني، فكما لم نسمع استعمال حمد اللؤلؤ، كذلك لم نسمع استعمال مدحه.

«لله» روى (المعاني) عن العسكري عليه السلام: أنّ الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج و الشدائد<sup>٥٥٤</sup>، و نقل ابن أبي الحديد عن الراوندي: أنّ (الله) أخصّ من

ص: ١٤٦

<sup>٥٢٧</sup> (٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨، لكن يوجد في شرح ابن ميثم ١: ١٠٦.

<sup>٥٢٨</sup> (٥) في العنوان (٢).

<sup>٥٢٩</sup> (١) رواه ابن طلحة في مطالب السؤل: ٢٧.

<sup>٥٥٠</sup> (٢) شرح الخوئي ١: ٩٧.

<sup>٥٥١</sup> (٣) بحار الأنوار ٧٧: ٣٠٠ ح ٧، و فيه على بن محمد الواسطي.

<sup>٥٥٢</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ١: ٤٦٣ مادة (حمد).

<sup>٥٥٣</sup> (٥) المصباح المنير ١: ١٨٣ مادة (حمد).

<sup>٥٥٤</sup> (٦) معاني الأخبار للصدوق ٤: ٢.

(الإله)<sup>٥٥٥</sup>، و نقل عنه في موضع آخر: أن الإله مصدر بمعنى المألوه<sup>٥٥٦</sup>، و ردّه بأنّه لا فرق بينهما في اللغة، بل في الاصطلاح، و أن الإله اسم جنس - كالرجل - لكلّ معبود بحقّ أو باطل، و غلب على الحقّ، و أن (مألوه) مصدر لا مفعول، و أنّه لم يسمع مألوه في اللغة، لأنّ أله الرجل - إذا دهش و تحير - لازم لا يبنى منه مفعول<sup>٥٥٧</sup>.

قلت: حملة و لعله على الاعتراض على الراوندى أنّا يراجع اللغة، و إنّا ففى (الصحاح) أله بالفتح، إلهة، أى: عبد عبادة، و إله فعال بمعنى مفعول، أى:

معبود، كقولنا: إمام على فعال، بمعنى مفعول، لأنّه مؤتمّ به<sup>٥٥٨</sup>.

و ما قاله من «أنّ أله الرجل بمعنى: تحير لا يبنى منه مفعول» غلط فاحش، فإنّما (و له الرجل بمعنى: تحير) لا يبنى منه مفعول لا (أله)، و لو كان اعتراض عليه بأنّ: (إله ليس بمصدر، بل إلهة، كما قال الجوهري، و أنّه قال: إله فعال بمعنى مفعول) كان له وجه.

ثم لو لم يكن فرق بين (الله) و (إله) - كما قال ابن أبي الحديد<sup>٥٥٩</sup> - يصير معنى: (لا إله إلّا الله) كقولك: لا رجل إلّا رجل، أو لا زيد إلّا زيد! و كيف لا يكون بينهما فرق، و قد كان المشركون - و هم من أهل اللغة - يطلقون (الإله) على الأوثان، و لا يطلقون لفظه (الله) إلّا على موجد العالم، قال تعالى: «وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ»<sup>٥٦٠</sup>. كما أنّ

ص: ١٤٧

ما قاله من «أنّ الإله كلّ معبود و غلب على الحقّ» ليس كذلك، قال تعالى:

«أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»<sup>٥٦١</sup> و إنّما غير الحقّ يجب أن ينفى ككلّ باطل، ف (لا إله إلّا الله)، و كذلك قوله: «مألوه مصدر» ليس كذلك، فقد عرفت من (الصحاح) أنّه على أصله.

قال ابن أبي الحديد أيضا: قال الراوندى: (الحمد لله) دالّ على أنّه عليه السّلام حمد الله تعالى، و أنّه ثابت عليه مدّة حياته، و أمر غيره فى فحوى كلامه أن يحمده أيضا ثابتين، و لو كان عبّر بلفظ (أحمد الله) لم يفهم منه جميع ذلك<sup>٥٦٢</sup>.

<sup>٥٥٥</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠.

<sup>٥٥٦</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١.

<sup>٥٥٧</sup> (٣) رد الأول فى الصفحة (٢٠)، و الثانى فى ص (٢١).

<sup>٥٥٨</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٢٥ مادة (اله).

<sup>٥٥٩</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد الزمر ١: ٢٠.

<sup>٥٦٠</sup> (٦): ٣٨.

<sup>٥٦١</sup> (١) الجانية: ٢٣.

<sup>٥٦٢</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠ و النقل بالمعنى.

ثم رده ابن أبي الحديد بأنه لا فرق بين قولنا: «الحمد لله»، و قولنا: «أحمد الله»<sup>٥٦٣</sup>.

لت: لم لم يراجع كلمات علماء البيان في الفرق بين الجملة الاسمية و الجملة الفعلية؟ فإنما قال الراوندى ما قالوه من أن (أحمد الله) بلفظ الفعلية مجرد إخبار بحمده له تعالى، و أمّا (الحمد لله) بلفظ الاسمية، و تعريف الحمد بلام الجنسية، فدلّ على الدوام و الاستمرار، و أنه تعالى مستحقّ للحمد من كلّ حامد، فكما حمده هو عليه السّلام يجب أن يحمده كلّ مخلوق مثله.

و فى الخبر أنّ الباقر عليه السّلام فقد بغلة له، فقال: لئن ردها الله تعالى لأحمدنه بمحامد يرضاها، فما لبث أن أتى بها بسرجهما و لجامها، فلما استوى عليها و ضمّ إليه ثيابه رفع رأسه الى السماء، فقال: الحمد لله فلم يزد. ثمّ قال: ما تركت و لا بقيت شيئا، جعلت كلّ أنواع المحامد لله عز و جل، فما من حمد إلّا و هو داخل فى ما قلت<sup>٥٦٤</sup>.

«الذى لا يبلغ مدحته القائلون» كيف يبلغ القائلون مدحته، و المادح إنّما

ص: ١٤٨

يبلغ مدح شخص إذا أحاط علما بكماله، فالجاهل لا يقدر أن يصف علم العالم، و لا يمكن الإحاطة بكماله تعالى لغيره عزّ و جلّ، فينحصر مدحه تعالى كما ينبغى بذاته المقدّسة، و لذا قال النّبى صلى الله عليه و آله: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>٥٦٥</sup>. و كيف يبلغ مدحته القائلون و قد قال عزّ اسمه: ( «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» )<sup>٥٦٦</sup>.

«و لا يحصى نعماءه العادون» إنّما يمكن الإحصاء فى ماله حصر، و لا حصر لنعمائه تعالى، و فى الخبر: أنّ أبى بن كعب قرأ عند النّبى صلى الله عليه و آله قوله تعالى: «و أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً»<sup>٥٦٧</sup>، فقال النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم لقوم عنده- و فيهم أبو بكر و عبيدة و عمر و عثمان و عبد الرّحمن - قولوا الآن ما أوّل نعمة غرسكم الله بها و أبلاكم بها؟ فحاضوا من المعاش و الرّياش و الذريّة و الأزواج، فلما أمسكوا، قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: يا أبا الحسن قل. فقال عليه السّلام:

إنّ الله خلقنى و لم أكن شيئا مذكورا، و أن أحسن بى فجعلنى حيّا لا مواتا، و أن أنشأنى، فله الحمد فى أحسن صورة و أعدل تركيب، و أن جعلنى متفكرا و اعيا لا أبله ساهيا، و أن جعل لى شواعر أدرك بها ما ابتغيت، و جعل فىّ سراجا منيرا، و أن هدانى لدينه و لن يضلّنى عن سبيله، و أن جعل لى مردّا فى حياة لا انقطاع لها، و أن جعلنى ملكا مالكا لا مملوكا، و أن سخّر

<sup>٥٦٣</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠ و النقل بالمعنى.

<sup>٥٦٤</sup> (٤) رواه الإربلى فى كشف الغمّة ٢: ٣٣٠، و الطبرسى فى مكارم الأخلاق: ٣٠٧.

<sup>٥٦٥</sup> (١) أخرجه صاحب مصباح الشريعة فيه: ٥٦، و الدار قطنى فى الافراد عنه منتخب كنز العمال ١: ٣٤٨ عن النّبى صلى الله عليه و آله، و نقله ابن أبي الحديد فى

شرحه ١: ١٩، و ابن ميثم فى شرحه ١: ١١١.

<sup>٥٦٦</sup> (٢) الكهف: ١٠٩.

<sup>٥٦٧</sup> (٣) لقمان: ٢٠.

لى سماءه و أرضه و ما فيهما و ما بينهما من خلقه، و أن جعلنا ذكرانا قواما على حلائلنا لا إناثا. و كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول فى كل كلمة: صدقت. ثم قال: فما بعد هذا؟ فقال على عليه السلام:

ص: ١٤٩

«وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا»<sup>٥٦٨</sup>. فتبسّم النبى صلى الله عليه و آله و قال: ليهنك الحكمة، ليهنك العلم، يا أبا الحسن! أنت وارث علمى، و المبيّن لأمتى ما اختلفت فيه من بعدى<sup>٥٦٩</sup>.

«و لا يُوَدِّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ» أى: السّارعون فى عبادته، و كيف يمكن لأحد أداء حقه، و حقوقه غير محصورة على حسب نعمائه.

و عن الزهري: دخلت مع على بن الحسين عليه السلام على عبد الملك، فاستعظم ما رأى من أثر السجود بين عينيه، فقال له: يا أبا محمد لقد تبين عليك الاجتهاد، و لقد سبق لك من الله الحسنى، و أنت بضعة من النبى صلى الله عليه و آله.

فأجاب عليه السلام فى كلام طويل بأنّه مع ذلك لم يُوَدِّ حَقَّهُ تعالى - الى أن قال عليه السلام له -: و الله لو تقطعت أعضائى، و سألت مقلتاى على صدرى فى قيامى له تعالى، لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة، من جميع نعمه التى لا يحصيها العادون، و يبلغ حدّ نعمة واحدة منها على جميع حمد الحامدين له تعالى ...<sup>٥٧٠</sup>.

و قال بعضهم: قوله عليه السلام: «الَّذى لا يبلغ مدحته القائلون» إقرار بالعجز عن الحمد باللسان، و قوله عليه السلام: «و لا يحصى نعماءه العادون» اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان، و قوله عليه السلام: «و لا يُوَدِّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ» اعتراف بالقصور عن العمل بالأركان<sup>٥٧١</sup>.

«الَّذى لا يدركه بعد الهمم» أى: لا يصل الى كنهه الهمم العالية الراقية إلى شوامخ الأمور.

ص: ١٥٠

«و لا يناله غوص الفطن» أى: لا ينتهى إلى هويته الفطن الغائصة لجح الأفكار.

قال الخوئى: إضافة (بعد الهمم) و (غوص الفطن) ليس من باب إضافة الصفة إلى الموصوف - على ما قيل - لوجوب المطابقة بين الصفة و الموصوف<sup>٥٧٢</sup>.

<sup>٥٦٨</sup> (١) إبراهيم: ٣٤، و النحل: ١٨.

<sup>٥٦٩</sup> (٢) رواه ابن شهر آشوب فى المناقب ٢: ٣٥٥، و الحسكائى فى شواهد التنزيل ١: ٣٢٩ ح ٤٥٥، و ابو على الطوسى فى أماليه ٢: ١٠٥، المجلس (١٧).

<sup>٥٧٠</sup> (٣) رواه ابن طاوس فى فتح الأبواب عنه البحار ٤٦: ٥٦ ح ١٠.

<sup>٥٧١</sup> (٤) القائل هو المجلسى فى شرح الخطبة: بحار الأنوار ٤: ٢٤٨.

قلت: ما قيل سليم، و ما قاله هو عليل، فالمطابقة إنّما فى ما إذا بقيت الصفة على وصفها لا بعد تبديلها، فيقال: زيد بعيد الهمم، و الأصل ذو همم بعيدة.

ثمّ مثل قوله عليه السّلام هنا: «الَّذى لا يدركه بعد الهمم، و لا يناله غوص الفطن» قوله عليه السّلام فى الثالثة: «فتبارك الله الَّذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حدس الفطن»، فإنّ الفرق بينهما إنّما فى اللفظ، و المعنى واحد.

و ما نقلناه (حدس الفطن) إنّما هو فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)<sup>٥٧٣</sup> فنقل (المصرية) «حسن الفطن» تصحيف.

و فى (الكافى): سأل أبو هاشم الجعفرى الجواد عليه السّلام عن قوله تعالى:

«لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ»<sup>٥٧٤</sup> فقال عليه السّلام: يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند و الهند و البلدان التى لم تدخلها و لا تدركها بصرک، و أوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون<sup>٥٧٥</sup>!

ص: ١٥١

هذا و من المضحك أنّ جمهور متكلمي العامّة يدّعون أنّهم يعرفون حقيقة ذاته، و أفرطوا فى الوقاحة، فقالوا: إنّ تعالى لا يعلم من ذاته إلّا ما نعلم منها.

«الَّذى ليس لصفته» أى: لتوصيفه، فيأتى كلامه عليه السّلام «و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه»، و المراد ليس لذاته:

«حدّ محدود، و لا نعت موجود، و لا وقت معدود، و لا أجل ممدود» لكون هذه الأمور من عوارض الجسمانيات، و هو تعالى منزّه عن ذلك.

و روى (توحيد الصدوق) خطبة عنه عليه السّلام فى استنهاضه الناس الى حرب معاوية ثانية و فيها: «الَّذى ليس له وقت معدود، و لا أجل ممدود، و لا نعت محدود»<sup>٥٧٦</sup>.

<sup>٥٧٢</sup> (١) شرح الخوئى ١: ١٠٠.

<sup>٥٧٣</sup> (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٨٠، لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٩٤ «حسن الفطن» أيضا.

<sup>٥٧٤</sup> (٣) الأنعام: ١٠٣.

<sup>٥٧٥</sup> (٤) أخرجه الكلينى فى الكافى ١: ٩٩ ح ١١، و الصدوق فى التوحيد: ١١٣ ح ١٢، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٤٤٢ عن أبى هاشم عن الجواد عليه السّلام، و روى معناه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٣٦ عن الصادق عليه السّلام، و البرقى فى المحاسن: ٢٣٩ ح ٢١٥، و الكلينى فى الكافى ١: ٩٨ ح ١٠، و الصدوق فى التوحيد: ١١٢ ح ١١ عن طريق أبى هاشم، و الصدوق فى الأمالى: ٣٣٤ ح ٢ المجلس (٦٤)، و صاحب فقه الرضا عنه البحار ٣: ٢٦٢ ح ١٧ عن غير طريقه عن الرضا عليه السّلام، و البرقى فى المحاسن ٢٣٩ ح ٢١٥ عن أبى هاشم عن الجواد عليه السّلام، و ابن أبى حاتم و أبو الشيخ و اللاكائى عنهم الدر المنثور ٣: ٣٧ عن أبى الحسين القارى موقفا.

<sup>٥٧٦</sup> (١) توحيد الصدوق: ٤١ ح ٣.

«فطر» عن ابن عباس: كنت لا أدري ما «فاطرِ السَّمَاوَاتِ»<sup>٥٧٧</sup> حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها<sup>٥٧٨</sup>.

«الخلائق» من الجماد و النبات و الوحش و الطير و الهوامّ و الأنعام، غير البشر.

«بقدرته» يمكن أن يكون المراد لإظهار قدرته، فيكون قوله هذا: «فطر»

ص: ١٥٢

الخلائق بقدرته» مساوقا لقوله عليه السّلام الآخر: «عباد مخلوقون اقتدارا»، و يمكن أن يكون المراد أن خلقه تعالى للخلائق بنفس قدرته لا بمعونة أدوات و آلات كعمل المخلوقين، فيكون الكلام إشارة الى قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>٥٧٩</sup>.

«و نشر الرياح برحمته» يمكن أن يكون المراد بالرحمة الأمطار، كالرحمة في قوله تعالى: «وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»<sup>٥٨٠</sup>، و يمكن أن يكون المراد بها ترحمه تعالى على عباده بنشر الرياح، فبالرياح يجيء السّحاب - كما عرفت من الآيات- و بالرياح تلتح الأشجار، قال تعالى: «وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ»<sup>٥٨١</sup>، و بالرياح تسير السفن، قال تعالى: «إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيْحَ فَيُظَلِّلَن رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ»<sup>٥٨٢</sup>، و لو لا الرياح لزويت النباتات و مات الإنسان و الحيوانات و فسدت الجمادات.

و الرياح لا تستعمل غالبا إلّا في الخير، كما في الآيات: «وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ»<sup>٥٨٣</sup>، «وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ»<sup>٥٨٤</sup>، «وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا»<sup>٥٨٥</sup>، «وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا»<sup>٥٨٦</sup>، «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ»<sup>٥٨٧</sup>، «وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُتَبَّرُ»

<sup>٥٧٧</sup> (٢) فاطر: ١.

<sup>٥٧٨</sup> (٣) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث و فضائل القرآن عنهما الكاف الشاف ٢: ٩، و ابن جرير و ابن الانباري في الوقف و الابتداء، و عبد بن حميد في مسنده، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و البيهقي في شعب الايمان عنهم الدر المنثور ٣: ٧، و ٥: ٢٤٤، و نقله الطوسي في التبيان ٤: ٨٨ عن ابن عباس، و بين الألفاظ اختلاف يسير.

<sup>٥٧٩</sup> (١) يس: ٨٢.

<sup>٥٨٠</sup> (٢) الأعراف: ٥٧.

<sup>٥٨١</sup> (٣) الحجر: ٢٢.

<sup>٥٨٢</sup> (٤) الشورى: ٣٣.

<sup>٥٨٣</sup> (٥) الأعراف: ٥٧.

<sup>٥٨٤</sup> (٦) الحجر: ٢٢.

<sup>٥٨٥</sup> (٧) الفرقان: ٤٨.

ص: ١٥٣

«سَحَابًا»<sup>٥٨٨</sup>، «وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ»<sup>٥٨٩</sup>.

و مما جاء للمطلق: «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ»<sup>٥٩٠</sup> لكن في قراءة: «الرِّيَّاحِ»<sup>٥٩١</sup>.

كما أنَّ الرِّيَّاحَ الأَغْلَبَ استعمالها في الشرِّ، كما في آيات: «إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيَّاحَ الْعَقِيمَ»<sup>٥٩٢</sup>، «فَيْرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيَّاحِ»<sup>٥٩٣</sup>، «أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيَّاحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ»<sup>٥٩٤</sup>، «كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَّاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»<sup>٥٩٥</sup>.

و مما جاءت للخير: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيَّاحَ عَاصِفَةً»<sup>٥٩٦</sup>، «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيَّاحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ»<sup>٥٩٧</sup>، «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيَّاحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ»<sup>٥٩٨</sup>، «إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيَّاحَ»<sup>٥٩٩</sup>.

و كذلك ريح بدون اللام يأتي لهما، قال تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا»

ص: ١٥٤

«صَرَصْرًا»<sup>٦٠٠</sup>، «رِيحٍ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»<sup>٦٠١</sup>، «وَتَذَهَبَ رِيحُهُمْ»<sup>٦٠٢</sup>.

<sup>٥٨٦</sup> (٨) التمل: ٦٣.

<sup>٥٨٧</sup> (٩) الروم: ٤٦.

<sup>٥٨٨</sup> (١) فاطر: ٩.

<sup>٥٨٩</sup> (٢) البقرة: ١٦٤.

<sup>٥٩٠</sup> (٣) الكهف: ٤٥.

<sup>٥٩١</sup> (٤) قرأ حمزة و الكسائي و خلف (الريح) بلفظ المفرد، و قرأ باقي القراء العشرة (الرياح) بلفظ الجمع، كما في التيسير: ٧٨.

و النشر ٢: ٢٢٣.

<sup>٥٩٢</sup> (٥) الذاريات: ٤١.

<sup>٥٩٣</sup> (٦) الاسراء: ٦٩.

<sup>٥٩٤</sup> (٧) الحج: ٣١.

<sup>٥٩٥</sup> (٨) ابراهيم: ١٨.

<sup>٥٩٦</sup> (٩) الأنبياء: ٨١.

<sup>٥٩٧</sup> (١٠) ص: ٣٦.

<sup>٥٩٨</sup> (١١) سبأ: ١٢.

<sup>٥٩٩</sup> (١٢) الشورى: ٣٣.

<sup>٦٠٠</sup> (١) القمر: ١٩.

<sup>٦٠١</sup> (٢) الأحقاف: ٢٤.

و مما ذكرنا يظهر لك ما فى قول الثعالبي فى (فقه لغته): لم يأت لفظ الرّيح فى القرآن إلّا فى الشرّ، و الرّيح إلّا فى الخير، ثمّ ذكر آيات ٦٠٣.

«و وتَدِّ بالصَّخُورِ» أى: الجبال.

«ميدان» أى: اضطراب.

«أرضه» أى: جعل الجبال أوتادا للأرض لئلا تضطرب، كأوتاد الخيم لئلا تضطرب، و إلى ذلك أشير فى الكتاب فى مواضع، منها: «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»\* ٦٠٤، «وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» ٦٠٥.

و فى الصخور، أى: الجبال فوائد أخرى غير منع الأرض من الميدان، من كونها معادن للفلزات و الأحجار الكريمة، و خزائن مياه، و منابت أشجار و نباتات و أزاهير و عقاقير، و معاقل للناس عن أعدائهم، و مساكن الوحوش و الطيور.

قول المصنّف فى الثانية:

«و من خطبة له عليه السّلام»، هكذا فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) ٦٠٦ و أمّا ما فى

ص: ١٥٥

(المصرية) (و من خطبة أخرى) فتحريف، و لا وجه لقوله: «أخرى»، فكلّ خطبة غير سابقتها.

قوله عليه السّلام فيها:

«الحمد لله الأوّل فلا شىء قبله، و الآخر فلا شىء بعده، و الظّاهر فلا شىء فوقه، و الباطن فلا شىء دونه» الأصل فيه قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ٦٠٧.

قوله عليه السّلام فى الثالثة:

٦٠٢ (٣) الأنفال: ٤٦.

٦٠٣ (٤) هذا قول مشهور بين أهل اللغة و التفسير، قال به الراغب الاصفهاني فى المفردات: ٢١١ مادة (روح)، ثم ذكر الآيات و غيره منهم، لكن لم أجده فى نسختى من فقه اللغة للثعالبي و لا ملحقه، نعم جاء فى متن فقه اللغة: ٢٧٧- ٢٧٩ و ملحقه من كتاب الجرائيم لعبد الله بن مسلم: ٣٥٤- ٣٥٥ ذكر الريح و الرياح مفضلا بأسمائها، و يلوح منه هذا المعنى، لكن لم يذكر آية.

٦٠٤ (٥) النحل: ١٥.

٦٠٥ (٦) التّبا: ٧.

٦٠٦ (٧) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨٢، و شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٠.

٦٠٧ (١) الحديد: ٣.

«الأول الذي لا غاية له فينتهي، ولا آخر له فينقضي» روى (توحيد الصدوق): أن ابن أبي يعفور قال للصادق عليه السلام: قوله تعالى «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ»<sup>٦٠٨</sup>: عرفنا الأول، بين لنا تفسير الآخر. فقال عليه السلام له: إنه ليس شيء إلا يبید و يتغير أو يدخله الغير و الزوال، أو ينتقل من لون إلى لون، و من هيئة إلى هيئة، و من صفة إلى صفة، و من زيادة إلى نقصان، و من نقصان إلى زيادة، إلا رب العالمين، فإنه لم يزل و لا يزال واحدا، هو الأول قبل كل شيء، و هو الآخر على ما لم يزل، لا تختلف عليه الصفات و الأسماء ما يختلف على غيره، مثل الإنسان الذي يكون ترابا مرة و مرة لحما و مرة دما و مرة رفاتا و رميما، و كالتمر الذي يكون مرة بلحا و مرة بسرا و مرة رطبا و مرة تمرا، فيتبدل عليه الأسماء و الصفات و الله عز و جل بخلاف ذلك<sup>٦٠٩</sup>.

ص: ١٥٦

٢

من الخطبة (١) بعد ما مر أول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به- و كمال التصديق به توحيدته- و كمال توحيدته الإخلاص له- و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه- لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف- و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة- فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه- و من قرنه فقد تناه و من تناه فقد جزأه- و من جزأه فقد جهله و من جهله فقد أشار إليه- و من أشار إليه فقد حده و من حده فقد عدّه- و من قال فيهم فقد ضمنه- و من قال علما فقد أخلى منه «أول الدين» أي: أول ما يجب أن يتدبّر به.

«معرفة» أي: بالقلب و الجنان، قال الرضا عليه السلام في علل رواها عنه الفضل ابن شاذان: فإن قال قائل: فما أول الفرائض؟ قيل: الإقرار بالله و برسوله و حجّته و بما جاء من عند الله. فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله و برسوله و حجّته و بما جاء من عند الله؟ قيل: لعل كثيرة، منها: أن من لم يقرّ بالله لم يتجنّب معاصيه، و لم ينته عن ارتكاب الكبائر، و لم يراقب أحدا في ما يشتهي و يستلذّ من الفساد و الظلم، و إذا فعل الناس هذه الأشياء، و ارتكب كل إنسان ما يشتهي و يهواه، من غير مراقبة لأحد، كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، و وثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج و الأموال، و أباحوا الدماء و السبى، و قتل بعضهم بعضا من غير حقّ و لا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا، و هلاك الخلق، و فساد الحرث و النسل<sup>٦١٠</sup>.

ص: ١٥٧

«و كمال معرفته» مضافا إلى معرفته بالقلب.

«التصديق به» أي: الإقرار به باللسان، حتى لا يكون من الذين جحدوا بآياته و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا، فإن أولئك معرفتهم ناقصة غير كاملة.

<sup>٦٠٨</sup> (٢) لم يتعرض الشارح لشرح الفقرتين من أول النالته، و قد سبق قريب منهما في الأولى.

<sup>٦٠٩</sup> (٣) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣١٤ ح ٢، و الكليني في الكافي: ١: ١١٥ ح ٥.

<sup>٦١٠</sup> (١) أخرجه ضمن حديث طويل الصدوق في علل الشرائع: ١: ٢٥٢ ح ٩، و العيون: ٢: ٩٧ ح ١.

«وكمال التصديق به توحيده» بنفى الشريك عنه، لأن من عرف بقلبه أن للعالم صانعا، وأقرّ به بلسانه، لكن جعل له شريكا فى اليجاد كالتنويّة، و من قال: هو ثالث ثلاثة، تصديقه ناقص لا فائدة فيه.

«وكمال توحيده الإخلاص له» فى العبادة، لأن من وحدّه فى اليجاد، لكن جعل له شريكا فى العبادة، كالتنويّة الذين قالوا فى أوثانهم: «ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»<sup>٦١١</sup>، توحيده غير كامل.

«وكمال الإخلاص له نفي الصفات» زائدة على الذات، كما فى الناس.

«عنه، بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف» فعلم زيد غير ذات زيد.

«و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة» فذات عمرو غير حلمه، و فى حديث الزنديق الذى قال للصادق عليه السّلام: «أ تقول: إنّ الله سميع بصير؟ فقال عليه السّلام: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، و بصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، و يبصر بنفسه، و ليس قولى: إنّهُ سميع بنفسه أنّه شىء و النفس شىء آخر، و لكننى أردت عبارة عن نفسى إذ كنت مسؤولا، و إفهاما لك إذ كنت سائلا، فأقول:

يسمع بكلّه، لا أنّ كلّ له بعض، لأنّ الكلّ لنا له بعض، و لكن أردت إفهامك و التّعبير عن نفسى، و ليس مرجعى فى ذلك كلّه إلّا أنّه السّميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات، و لا اختلاف المعنى»<sup>٦١٢</sup>.

ص: ١٥٨

و قيل للباقر عليه السّلام: «يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الذى يبصر، و يبصر بغير الذى يسمع، فقال عليه السّلام: كذبوا و ألحدوا و شبهوا، تعالى الله عن ذلك إنّهُ سميع بصير، يسمع بما يبصر، و يبصر بما يسمع»<sup>٦١٣</sup>.

و كلامه عليه السّلام ككلام عترته عليهم السّلام ردّ على الصفاتيّة الذين يقال لهم اليوم الأشعريّة.

قال الشهرستاني فى ملله: اعلم أنّ جماعة كثيرة من السّلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزليّة من العلم و القدرة، و الحياة و الإرادة، و السمع و البصر، و الكلام و الجلال و الإكرام و الجود و الإنعام، و العزّة و العظمة، و لا يفرّقون بين صفات الذات و صفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوفا واحدا، و كذلك يثبتون صفات خبريّة مثل اليدين و الوجه، و لا يؤوّلون ذلك، إلّا أنّهم يقولون هذه الصفات قد وردت فى الشرع فنسميها صفات خبريّة، و لمّا كانت المعتزلة ينفون الصفات و السلف يثبتون سميّ السلف صفاتيّة، و المعتزلة معطلّة، فبالغ بعض السلف فى إثبات الصفات إلى حدّ التشبيه بصفات المحدثات، و اقتصر بعضهم

<sup>٦١١</sup> (١) الزمر: ٣.

<sup>٦١٢</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ١٠٩ ح ٢، و الصدوق بطريقين فى التوحيد: ١٤٤ ح ١٠ و ٢٤٥ ح ١، و روى هذا الحديث الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٣٢، لكن لا توجد فيه هذه القطعة.

<sup>٦١٣</sup> (١) أخرجه ضمن حديث الكليني فى الكافي ١: ١٠٨ ح ١، و الصدوق فى التوحيد: ١٤٤ ح ٩.

على صفات دلّت الأفعال عليها، و ما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين: منهم من أوله على وجه يحتمل اللفظ ذلك، و منهم من توقّف فى التأويل ... ثمّ ان جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا: لا بدّ من اجرائها على ظاهرها و القول بتفسيرها كما وردت، من غير تعرّض للتأويل و لا توقّف فى الظاهر. فوقعوا فى التشبيه الصرف ... أمّا السلف الذين لم يتعرّضوا للتأويل و لا تهدّوا للتشبيه، فمنهم مالك بن أنس، إذ قال: الاستواء معلوم، و الكيفيّة مجهولة، و الايمان به واجب، و السؤال عنه بدعة. و مثل أحمد بن حنبل و سفيان الثورى و داود بن على الاصفهاني و من

ص: ١٥٩

تابعهم، حتّى انتهى الزّمان الى عبد الله بن سعيد الكلابي، و أبى العباس القلانسي، و الحرث بن أسد المحاسبي.

و هؤلاء كانوا من جملة السلف أنّهم باشرى علم الكلام و أيّدوا عقائد السلف بحجج كلاميّة و براهين أصوليّة و صنّف بعضهم و درّس بعض، حتّى جرى بين أبى الحسن الأشعري و استاذة مناظرة فى مسألة من مسائل الصّلاح و الأصح، فتخاصما، و انحاز الأشعري الى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بمناهج كلاميّة، و صار ذلك مذهبا لأهل السنّة و الجماعة، و انتقلت سمة الصفاتيّة الى الأشعريّة، و لمّا كانت المشبهة و الكرامية من مثبتى الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتيّة»<sup>٦١٤</sup>.

«و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزّاه» هكذا فى النسخ<sup>٦١٥</sup>، و لا يبعد أن يكون وقع تحريف، و أنّ الأصل (و من قرنه فقد جزّاه، و من جزّاه فقد ثناه)، فإنّ القول بتثنيته أشنع من القول بتجزيته، فبطلان القول بالتثنية مسلّم عند جميع فرق المسلمين، بخلاف القول بتجزيته، فيدين به المشبهة منهم و المجسمة.

«و من قال فيم» كمن قال: إنه فى السماء.

«فقد ضمّنه» أى: جعله فى ضمن شىء.

«و من قال علام» كمن قال إنه على العرش.

«فقد أخلى منه» أى: غير ذلك الشىء الذى قال هو عليه، كالكرسىّ مثلا و غيره، قال ابن العوجاء للصادق عليه السّلام: أليس اذا كان فى السماء كيف يكون فى الأرض، و إذا كان فى الأرض كيف يكون فى السماء؟ فقال عليه السّلام: إنّما

ص: ١٦٠

<sup>٦١٤</sup> (١) الملل و النحل للشهرستاني ١: ٨٤.

<sup>٦١٥</sup> (٢) كذا فى نهج البلاغة ١: ١٥، و شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٢، و شرح ابن ميثم ١: ١٠٦.

و صفت المخلوق الذى إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان و خلا منه مكان، فلا يدرى فى المكان الذى صار اليه ما يحدث فى المكان الذى كان فيه، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان، فلا يخلو منه مكان و لا يشغل به مكان، و لا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان<sup>٦١٦</sup>.

هذا، و روى (الإرشاد) هذه الفقرات عن الزهرى و عيسى بن زيد عن صالح ابن كيسان عنه عليه السلام هكذا: «أول عبادة الله معرفته، و أصل معرفته توحيده، و نظام توحيده نفي التشبيه عنه، جلّ عن أن تحلّه الصفات بشهادة العقول أن كلّ من حلته الصفات مصنوع، و شهادة العقول أنه جلّ جلاله ليس بمصنوع، بصنع الله يستدلّ عليه و بالعقول تعتقد معرفته، و بالنظر تثبت حجّته، جعل الخلق دليلا عليه، فكشف به عن ربوبيته، هو الواحد الفرد فى أزليته، لا شريك له فى إلهيته، و لا ندّ له فى ربوبيته، بمضادته بين الأشياء المتضادة علم أن لا ضدّ له، و بمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له»<sup>٦١٧</sup>.

و روى (العيون و التوحيد و أمالى المفيد و أمالى الشيخ) عن الرضا عليه السلام خطبة فى المعنى و هى: «أول عبادة الله معرفته، و أصل معرفة الله توحيده، و نظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أن كلّ صفة و موصوف مخلوق، و شهادة كلّ موصوف أن له خالقا ليس بصفة و لا موصوف و شهادة كلّ صفة و موصوف بالاقتران، و شهادة الاقتران بالحدوث،

ص: ١٦١

و شهادة الحدوث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدوث...»<sup>٦١٨</sup>.

٣

من الخطبة (١) بعد ما مرّ:

كَاثِنٌ لَّا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٍ لَّا عَنْ عَدَمٍ - مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَّا بِمُقَارَنَةٍ وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا بِمُزَايَلَةٍ - فَاعِلٌ لَّا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ - بَصِيرٌ إِذْ لَّا مَنْظُورٌ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ - مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَّا سَكَنٌ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لَّا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَ ائْتَدَأَهُ ائْتِدَاءً - بَلَاءٌ رَوِيَّةٌ أَجَالَهَا وَ لَّا تَجْرِبَةٌ اسْتَفَادَهَا - وَ لَّا حَرَكَةٌ أَحْدَثَهَا وَ لَّا هِمَامَةٌ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا - أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ لَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا - وَ غَرَزَ غَرَازِهَا وَ الزَمَهَا أَشْبَاحَهَا - عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ائْتِدَائِهَا - مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَ ائْتِهَائِهَا عَارِفًا بِقِرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا «كَاتِنٌ لَّا عَنْ حَدَثٍ» لِأَنَّهُ مَكُونُ الْمَحْدَثَاتِ.

<sup>٦١٦</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ١٢٤ ح ٣، و الصدوق فى التوحيد: ٢٥٤ ح ٤، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٣٥ ضمن حديث طويل، و أخرج الحديث الصدوق فى العلل ٢: ٤٠٤ ح ٤ و الامالى: ٤٩٣ ح ٤ المجلس (٩٠)، و المفيد فى الارشاد: ٢٨٠، و الكراجكى فى الكنز: ٢٢٠، لكن ليس فى رواية العلل و ما بعدها هذه القطعة.

<sup>٦١٧</sup> (٢) الارشاد للمفيد: ١١٩.

<sup>٦١٨</sup> (١) أخرجه الصدوق فى العيون ١: ١٢٣ ح ٥١، و التوحيد: ٣٤ ح ٢، و المفيد فى أماليه: ٢٥٣ ح ٤ المجلس (٣٠)، و أبو على الطوسى فى أماليه ١: ٢٢ المجلس (١).

«موجود لا عن عدم» لأنه موجد المعدومات.

«مع كل شيء لا بمقارنة» قال تعالى: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا»<sup>٦١٩</sup>.

«وغير كل شيء لا بمزايلة» «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»<sup>٦٢٠</sup>.

«فاعل لا بمعنى الحركات والآلة» «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ»

ص: ١٦٢

«إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»<sup>٦٢١</sup>.

«عارفا بقرائنها» أى: ما يوافقها فيقرنها.

«و أحنائها» فى الصحاح: الحنو بالكسر: واحد أحناءه، السرج و القتب، و حنو كل شيء أيضا اعوجاجه، و منه حنو الجبل<sup>٦٢٢</sup>.

هذا، و قال المجلسى فى شرح قوله عليه السلام: «عارفا بقرائنها و أحنائها» إنه يدل على جواز اطلاق العارف عليه تعالى، و منعه بعضهم<sup>٦٢٣</sup>.

قلت: إنما يفهم منه جواز إطلاق عارف مقيد لا مطلق.

٤

من الخطبة (٤٩) و من خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ - وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ - وَ أَمْنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ - فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ - وَ لَا قَلْبُ مَنْ أَتْبَتَهُ يُبْصِرُهُ - سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ - وَ قَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ

ص: ١٦٧

<sup>٦١٩</sup> (٢) المجادلة: ٧.

<sup>٦٢٠</sup> (٣) الشورى: ١١.

<sup>٦٢١</sup> (١) القمر: ٤٩.

<sup>٦٢٢</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣٢١ مادة (حنو).

<sup>٦٢٣</sup> (٣) بحار الأنوار ٥٧: ١٨١.

أَقْرَبُ مِنْهُ - فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ - وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ - لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ - وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ - فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ - عَلَى إِفْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبَّهُونَ بِهِ - وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ» أَيْ: صَارَ بَاطِنًا لَهَا حَتَّى كَانَتْهَا ظَاهِرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَلَامٍ لَهُ آخِرُ: «كُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ»<sup>٦٢٤</sup> وَ ذَلِكَ لِإِمْكَانِ دَرَكِ ذَاتِهَا، وَ اسْتِحَالَةِ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى.

وَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ وَ تَبِعَهُ ابْنُ مِيثَمٍ وَ الْخَوْنِيُّ<sup>٦٢٥</sup>: مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ» عِلْمَ بِالْبَوَاطِنِ وَ الْخَفِيَّاتِ، وَ هُوَ كَمَا تَرَى، مَعَ أَنَّهُ يَأْبَاهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ.

«وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ» فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ كُنْهَهُ تَعَالَى وَ إِنْ كَانَ أَخْفَى الْأُمُورِ إِلَّا أَنَّ وَجُودَهُ تَعَالَى أَجْلَى الْأَشْيَاءِ، وَ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ لِكَثْرَةِ شَوَاهِدِهِ، وَ تَوَفَّرَ أُدْلَتُهُ: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»<sup>٦٢٦</sup>.

تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ

<sup>٦٢٧</sup> «وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ» أَنْ تَبْصُرَهُ وَ تَرَاهُ، وَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حَمِيدٍ:

ذَاكَرْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَا يَرَوْنَ مِنَ الرَّؤْيِيَّةِ، فَقَالَ: الشَّمْسُ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نُورِ الْكُرْسِيِّ، وَ الْكُرْسِيُّ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ،

ص: ١٦٨

وَ الْعَرْشُ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نُورِ الْحِجَابِ، وَ الْحِجَابُ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نُورِ السِّتْرِ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَمْلُؤُوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ<sup>٦٢٨</sup>.

<sup>٦٢٤</sup> (١) لَفْظُ الْفَقْرَةِ: «وَ كُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ» كَمَا فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ١: ١١٣ الْخُطْبَةُ (٦٣)، وَ شَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١: ٤٧١، وَ شَرَحَ ابْنُ مِيثَمٍ ٢: ١٦٧، وَ الْفَرْقُ كَثِيرٌ.

<sup>٦٢٥</sup> (٢) شَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١: ٢٩٢، وَ شَرَحَ ابْنُ مِيثَمٍ ٢: ١٢٧، وَ شَرَحَ الْخَوْنِيُّ ٢: ٧٨.

<sup>٦٢٦</sup> (٣) فَصَلَتْ: ٥٣.

<sup>٦٢٧</sup> (٤) أَوْرَدَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ ٢: ١٤٤.

<sup>٦٢٨</sup> (١) أَخْرَجَهُ الْكَلْبِيُّ فِي الْكَافِي ١: ٩٨ ح ٧، وَ الصَّدُوقُ فِي التَّوْحِيدِ: ١٠٨ ح ٣.

و قال المفيد: لا يصح رؤية الباري سبحانه بالأبصار، و بذلك شهد العقل، و نطق القرآن، و تواتر الخبر عن أئمة الهدى عليهم السلام من آل محمد صلى الله عليه و آله، و عليه جمهور أهل الامامة و عامة متكلميهم، إلا من شذ منهم لشبهة عرضت له فى تأويل الأخبار<sup>٦٢٩</sup>.

«فلا عين من لم يره تنكره، و لا قلب من أثبتته يبصره» قال ابن أبى الحديد:

و قد روى هذا الكلام على وجه آخر، قالوا فى الخطبة: «فلا قلب من لم يره ينكره، و لا عين من أثبتته تبصره»<sup>٦٣٠</sup>.

قلت: هو أنسب جداً، فالإنكار ينسب الى القلب، و الإبصار الى العين، و الأول عكسه، و لا يصح إلا بتأويل، دخل رجل من الخوارج على الباقر عليه السلام و قال له: أى شىء تعبد؟ قال: الله تعالى. قال: رأيته؟ قال: بلى، و لكن لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان. لا يعرف بالقياس، و لا يدرك بالحواس، و لا يشبهه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات. لا يجوز فى حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو. فخرج الرجل و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته<sup>٦٣١</sup>.

ص: ١٦٩

«سبق فى العلو» لكونه خالفاً.

«فلا شىء أعلى منه» لأن كل شىء مخلوق له تعالى.

«و قرب فى الدنو فلا شىء أقرب منه» حتى إن المحتضر مع قرب أقاربه منه - ذاك الحين - و اجتماعهم حوله، هو تعالى أقرب إليه منهم، حتى يتوفى تعالى نفسه: «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَ أَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ»<sup>٦٣٢</sup>، و حتى إن الأجزاء الباطنية للإنسان مع كونها فى غاية القرب من صاحبها هو تعالى أقرب إليه منها: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»<sup>٦٣٣</sup>، «يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ»<sup>٦٣٤</sup>.

«فلا استعلاؤه باعده عن شىء من خلقه» كما باعد استعلاء السماء على الأرض السماء عن الأرض.

<sup>٦٢٩</sup> (٢) أوائل المقالات للمفيد: ٦٢.

<sup>٦٣٠</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٩٢.

<sup>٦٣١</sup> (٤) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٩٧ ح ٥، و الصدوق فى التوحيد: ١٠٨ ح ٥، و الأمالى: ٢٢٩ ح ٤ المجلس (٤٧)، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٢١ عن الباقر عليه السلام، و رواه الاربلى فى كشف الغمة ٢: ٤١٨ متردداً عن الباقر أو الصادق عليهما السلام، و روى هذا المعنى عن على و الصادق عليهما السلام كما يأتى فى تحقيق حديث ذعلب فى شرح الخطبة (١٧٧)، العنوان (٢٣) من هذا الفصل.

<sup>٦٣٢</sup> (١) الواقعة: ٨٣ - ٨٥.

<sup>٦٣٣</sup> (٢) ق: ١٦.

<sup>٦٣٤</sup> (٣) الأنفال: ٢٤.

«و لا قربه ساواهم فى المكان به» كما ساوى قرب نفرين جارين بينهما فى المكان، لأنّ استعلاءه و قربه ليس كاستعلاء بعض الخلق على بعض، و كقرب بعضهم من بعض.

«لم يطلع العقول على تحديد صفته، و لم يحجبها عن واجب معرفته» قال الصادق عليه السّلام للمفضّل بن عمرو: إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، و لا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته. فإن قالوا: فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف، و لا يحيط به؟ قيل لهم: إنّما كلف العباد من ذلك فى ما طاقتهم أن يبلغوه، و هو أن يوقنوا به و يقفوا عند أمره و نهييه، و لم يكلفوا الإحاطة بصفته، كما أنّ الملك لا يكلف رعيتيه أن يعلموا أ طويل هو أم

ص: ١٧٠

قصير، أبيض هو أم أسمر، و إنّما يكلفهم الإذعان لسلطانه و الانتهاء إلى أمره، ألا ترى أنّ رجلا لو أتى الى باب الملك و قال: اعرض علىّ نفسك حتّى أتقضى معرفتك، و إلّا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه بالعقوبة؟ فكذا القائل: إنّّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّضا لسخطه<sup>٦٣٥</sup>.

«فهو الذى تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذى الجحود» هو نظير قوله عليه السّلام فى ما يأتى: «المتجلّى لخلقه بخلقه، و الظاهر لقلوبهم بحجّته»<sup>٦٣٦</sup>.

مناظرة ابن أبى العوجاء مع الصادق عليه السّلام:

قال أبو منصور المتطبّب: أخبرنى رجل من أصحابى، قال: كنت أنا و ابن أبى العوجاء و عبد الله بن المقفّع فى المسجد الحرام، فقال ابن المقفّع:

ترون هذا الخلق - و أو ما بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلّا ذلك الشيخ الجالس - يعنى: أبا عبد الله جعفر بن محمّد عليه السّلام - فأما الباكون فرعاع و بهائم. فقال له ابن أبى العوجاء: و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّى رأيت عنده ما لم أراه عندهم. قال: فقال له ابن أبى العوجاء: لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه. فقال له ابن المقفّع: لا تفعل، فإنّى أخاف أن يفسد عليك ما فى يدك. فقال: ليس ذا رأيك، و لكن تخاف أن يضعف رأيك عندى فى إجلالك إيّاه المحلّ الذى و صفت. فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت علىّ هذا، فقم إليه و تحفّظ ما استطعت من الزلل، و لا تنن عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقاب، و سمه مالك أو عليك.

قال: فقام ابن أبى العوجاء و بقيت أنا و ابن المقفّع جالسين، فلمّا رجع

ص: ١٧١

<sup>٦٣٥</sup> (١) توحيد المفضل: ١٧٧.

<sup>٦٣٦</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ٢٠٦ الخطبة (١٠٦)، و يأتى فى العنوان (١٥) من هذا الفصل.

الينا ابن أبي العوجاء، قال: ويلك يا ابن المقفّع! ما هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهرا، و يتروّح إذا شاء باطنا، فهو هذا. فقال له:

و كيف ذلك؟ قال: جلست إليه، فلمّا لم يبق عنده غيرى ابتدأني، فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، - يعني أهل الطواف - و هو على ما يقولون فقد سلموا و عطبتهم، و إن يكن الأمر على ما تقولون، و ليس كما تقولون، فقد استويتهم و هم. فقلت له: يرحمك الله، و أيّ شيء نقول، و أيّ شيء يقولون؟ ما قولي و قولهم إلّا واحد. فقال: و كيف يكون قولك و قولهم واحدا و هم يقولون: إنّ لهم معادا، و ثوبا و عقابا، و يدينون بأنّ في السماء إلهها و أنّها عمران، و أنّهم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد؟ قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أنّ يظهر لخلقهم، و يدعوهم الى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان؟ و لم احتجب عنهم، و أرسل اليهم الرسل، و لو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به؟ فقال لي: ويلك، و كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوءك و لم تكن، و كبرك بعد صغرک، و قوتك بعد ضعفك، و ضعفك بعد قوتك، و سقمك بعد صحتك، و صحتك بعد سقمك، و رضاك بعد غضبك، و غضبك بعد رضاك، و حزنك بعد فرحك، و فرحك بعد حزنك، و حبك بعد بغضك، و بغضك بعد حبك، و عزمك بعد أناتك، و أناتك بعد عزمك، و شهوتك بعد كراهتك، و كراهتك بعد شهوتك، و رغبتك بعد رهبتك، و رهبتك بعد رغبتك، و رجاءك بعد يأسك، و يأسك بعد رجائك، و خاطرک بما لم يكن في وهمك، و عزوب ما أنت معتقده عن ذهنك. و ما زال يعدّد على قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتّى ظننت: أنّه سيظهر في ما بيني و بينه<sup>٦٣٧</sup>.

و من الشواهد على ما ذكره عليه السّلام من إقرار قلب ذى الجحود: أنّ كلّ

ص: ١٧٢

جاحد إذا انقطع رجاؤه عن الأسباب الظاهرية، و صار إلى الاضطرار يتوجّه إلى مبدئه بلا اختيار: «فَطَرَتِ اللّٰهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»<sup>٦٣٨</sup>، «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللّٰهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ»<sup>٦٣٩</sup>.

و حتّى إنّ عمرو بن العاص الذي عادى النبيّ صلّى الله عليه و آله إلى أن فتح النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم مكّة فاستسلم و لم يسلم و أسرّ كفره، ثمّ عادى أمير المؤمنين عليه السّلام إلى شهادته، كان مقرّاً بأنّ ما قدّر الله تعالى يقع، و لو على خلاف الأسباب الظاهرية، ففي (صفيين نصر) أنّ معاوية لما أعطى عمرو بن العاص مصر ليعينه على أمير المؤمنين عليه السّلام و كتب له كتابا، و كتب فيه: على أن لا ينقض شرط طاعة، و كتب عمرو: على أن لا تنقض طاعة شرطاً، و كاید كلّ واحد منهما صاحبه، و كان مع عمرو ابن عمّ له فتى شاب، و كان داهيا حليما، فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى، و قال: ألا تخبرني يا عمرو بأيّ رأى تعيش في قريش؟

<sup>٦٣٧</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي: ١: ٧٤ ح ٢، و الصدوق في التوحيد ح: ١٢٥ ٤.

<sup>٦٣٨</sup> (١) الروم: ٣٠.

<sup>٦٣٩</sup> (٢) العنكبوت: ٦٥.

أعطيت دينك و منيت دنيا غيرك، أرى أهل مصر و هم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية و علىّ حيّ، و تراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب؟ فقال له عمرو: يا بن الأخ إنّ الأمر لله دون عليّ و معاوية...<sup>٦٤٠</sup>.

«تعالى الله عما يقول المشبهون به و الجاحدون له علواً كبيراً» روى عن إبراهيم بن محمد الخزاز و محمد بن الحسين أنّهما حكيا للرضا عليه السلام: إنّ محمّداً صلى الله عليه و آله رأى ربّه في صورة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة - إلى أن قال - فخرّ ساجداً لله، ثمّ قال: سبحانك ما عرفوك و لا وحدوك، فمن أجل ذلك و صفوك - إلى أن قال - إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة

ص: ١٧٣

الشاب الموفق و سنّ أبناء ثلاثين سنة، يا محمّداً! عظم ربّي عز و جل أن يكون في صفة المخلوقين. قال: قلت له: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟

قال: ذاك محمّداً صلى الله عليه و آله و سلّم، كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب<sup>٦٤١</sup>.

و روى عن داود الرقيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل:

«وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>٦٤٢</sup>، فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إنّ العرش على الماء، و الرّبّ فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً، و وصفه بصفة المخلوق، و لزمه أن الشئ الذي يحمله أقوى منه<sup>٦٤٣</sup>.

و أمّا قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»<sup>٦٤٤</sup> فهو من قبيل قول الشاعر:

من غير سيف و دم مهراق

قد استوى بشر على العراق

<sup>٦٤٥</sup> في كون المراد به مجرد الاستيلاء و السلطنة.

<sup>٦٤٠</sup> (٣) وقعة صفين: ٤٠.

<sup>٦٤١</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٠٠ ح ٣، و الصدوق في التوحيد: ١١٣ ح ١٣ ضمن حديث طويل، و أخرج معناه أيضا الكليني في الكافي ١: ١٠٦ ح ٨، و الصدوق في التوحيد: ١٧ ح ١.

<sup>٦٤٢</sup> (٢) هود: ٧.

<sup>٦٤٣</sup> (٣) أخرجه ضمن حديث الكليني في الكافي ١: ١٣٢ ح ٧، و الصدوق في التوحيد: ٣١٩ ح ١.

<sup>٦٤٤</sup> (٤) طه: ٥.

هذا، و في (كامل الجزرى): و في سنة (٣٢٣) خرج توقيع الراضى الخليفة بما يقرأ على الحنابلة، ينكر عليهم فعلهم و يوبّخهم باعتقاد التشبيه و غيره، فمنه: تارة أنّكم تزعمون أنّ صورة و جوهكم القبيحة السّمجة على مثال ربّ العالمين، و هيئتكم الرّذلة على هيئته، و تذكرون الكفّ و الأصابع و الرجلين و النّعلين المذهّبين، و الشعر القطط، و الصعود الى السماء، و النزول الى الدنيا.

ص: ١٧٤

تبارك الله عمّا يقول الظالمون و الجاحدون علواً كبيراً ... ٦٤٦.

قلت: و الأصل في زعمهم قول النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته<sup>٦٤٧</sup>، و الضمير في (صورته) راجع الى رجل سيّبه من قال النبيّ صلّى الله عليه و آله له ذلك، فتوهموا رجوعه إلى (الله)، روى (العيون) عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السّلام: يابن رسول الله. إنّ الناس يروون أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته. فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله مرّ برجلين يتسابقان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه قبيح الله وجهك، و وجه من يشبهك. فقال صلّى الله عليه و آله له: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته<sup>٦٤٨</sup>.

و في (الكامل) أيضاً في سنة (٤٥٨): ذكر أنّ فيه توفى أبو يعلى الحنبلى مصنّف كتاب (الصفات)، أتى فيه بكلّ عجيبة، و فيه التجسيم، و كان ابن تميم

ص: ١٧٥

الحنبلى يقول: لقد خرى أبو يعلى على الحنابلة خرية لا يغسلها ماء<sup>٦٤٩</sup>.

<sup>٦٤٥</sup> (٥) أورده لسان العرب ١٤: ٤١٤ مادة (سوا).

<sup>٦٤٦</sup> (١) الكامل لابن الأثير ٨: ٣٠٨، سنة (٣٢٣).

<sup>٦٤٧</sup> (٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ٢١٨٣ ح ٢٨، و أحمد بطريقين في مسنده ٢: ٣١٥، ٣٢٣، و الطبراني في السنة، و الدار قطنى في الصفات عنهما منتخب كنز العمال ١: ١١٣، و أخرجه عنه عبد الرزاق في الجامع، و ابن عساکر في التاريخ، منتخب كنز العمال ١: ١١٣، و أخرجه ابن قتيبة في تأويل المختلف: ٢٢٠ مجرداً عن ابن عمر بلفظ «إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن»، و نحو هذا اللفظ أخرجه الطبراني عنه كنوز الحقائق ٢: ١٥٩، و روى الكشى اختيار الكشى: ٢٨٤ ح ٥٠٣ عن هشام بن سالم أنّه يقول: «إنّ آدم خلق على مثال الرب»، و روى الطبرسى في الاحتجاج ٢: ٣٤٤ ضمن حديث طويل عن الصادق عليه السّلام نسبة التمسك بهذا الحديث الى أصحاب التناسخ، و جاء ما يشبه هذا الحديث في التوراة الموجودة، العهد العتيق - سفر التكوين - الاصحاح الأوّل: ٢٦، ٢٧ و في رسالة بولس الى أهل افسس، العهد الجديد - الرسالة المذكورة - الاصحاح الرابع: ٢٤، و ما نقل من صحف ادريس عليه السّلام ابن طاوس في سعد السعود: ٣٣.

<sup>٦٤٨</sup> (٣) أخرجه الصدوق في العيون ١: ٩٨ ح ١٢، و التوحيد: ١٥٢ ح ١١، و رواه الطبرسى في الاحتجاج ٢: ٤١٠ عن الرضا عليه السّلام، و روى عنه الصدوق في التوحيد مسنداً: ١٥٢ ح ١٠، و ابن قتيبة في تأويل المختلف: ٢١٩، و المرتضى في تنزيه الأنبياء: ١٢٧، و ابن خالويه في الاعراب مجرداً: ١٢٩، و جاء في شرح الحديث روايات غير هذه الرواية، منها: ما رواه الصدوق في التوحيد: ١٠٣ ح ١٨، و الطبرسى في الاحتجاج ٢: ٣٢٣ عن الباقر عليه السّلام.

<sup>٦٤٩</sup> (١) الكامل لابن الأثير ١٠: ٥٢.

هذا، و نوح ابن أبي الحديد القول بالتشبيه من قائله أحد عشر نوعا:

كونه تعالى جسما و جوهرًا، و ذا أعضاء، و ذا جهة، و كونه عرضًا، و محلًا لشيء آخر، و متحدًا بغيره، و كونه ذا أعراض و لون، و ذا شهوة، و نفرة، و ذا تناء، و كونه مرثيًا، و نقل في كل نوع أباطيل من قائله، إلا أن في نقله الغث و السمين، فنسب الى جمع من أجلة الشيعة أضاليل<sup>٦٥٠</sup>، كما نقل ما لا ينبغي نقله من ترهات قصص العامة، مثل ما نقل عن قاص طبرى: أن في القيامة يخفى الله يزيد بن معاوية تحت قوائم عرشه من فاطمة، و يرغبها في العفو عنه بإراءته لها قدمه المجروحة من سهم نمروذ و عفوه عنه<sup>٦٥١</sup>، و نقل عن معاذ العنبري أن له جميع الأعضاء حتى الفرج<sup>٦٥٢</sup>. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٥

من الخطبة (٦٣) و من خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا - فَيَكُونُ أَوْلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا - وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا - كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ - وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ - وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ - وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ - وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ - وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا

ص: ١٧٦

وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَ لَطِيفِ الْأَجْسَامِ - وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ - لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ - وَ لَا تَخَوْفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ - وَ لَا اسْتِعَانَةَ عَلَى نِدِّ مُتَاوِرٍ وَ لَا شَرِيكَ مُكَاتِرٍ وَ لَا ضِدَّ مُنَافِرٍ - وَ لَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ - لَمْ يَحْتَلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالِ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ - وَ لَمْ يَبْنَأْ عَنْهَا فَيُقَالِ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ - لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقٌ مَا ابْتَدَأَ - وَ لَا تَدْبِيرٌ مَا ذَرَأَ وَ لَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ - وَ لَا وَ لَجَتْ عَلَيْهِ شُبُهَةٌ فِيمَا قَضَى وَ قَدَّرَ - بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنٌ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ - وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ - الْمَرْجُوعُ مَعَ النَّعَمِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» حمده تعالى باعتبار خمسة عشر وصفا، لا يوصف بواحد منها غيره تعالى:

الأول: «الذى لم يسبق له حال حالا، فيكون أولا قبل أن يكون آخرا» و غيره تعالى لا يوصف بالأولية و الآخريه في زمان واحد، مثل أول سلطنة سلطان و آخرها، و أول فاكهة و آخرها، و أما هو تعالى ففي كل وقت أول و آخر، و سئل الصادق عليه

<sup>٦٥٠</sup> (٢) مقصود الشارح هشام بن الحكم و هشام بن سالم و يونس بن عبد الرحمن و محمد بن النعمان صاحب الطاق و الفضل بن شاذان، و النسب التي نسبها اليهم

ابن أبي الحديد رواها جمع من مؤلفي الشيعة و السنة، لم يسع المقام لنقل رواياتهم.

<sup>٦٥١</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٥.

<sup>٦٥٢</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٤ نقله الشارح بالمعنى.

السَّلام عن معنى الأول والآخِر فيه تعالى، فقال: الأول: لا عن أول قبله و لا عن بدء سبقه، والآخِر: لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، و لكن قديم أول آخر لم يزل و لا يزول بلا بدء و لا نهاية<sup>٦٥٣</sup>.

«و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا» هو أيضا كسابقه تفريع على قوله: «لم يسبق له حال حالا» فكما أنه تعالى في حين آخِريته أول، كذلك هو في حين باطنيته ظاهر، قال تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ

ص: ١٧٧

«شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>٦٥٤</sup>.

و قال الرضا عليه السَّلام في خبر في أسمائه تعالى: و أمّا الظاهر فليس من أجل أنه علا الأشياء بركوب فوقها و قعود عليها، و تسنّم لذراها، و لكن ذلك لقهره و لغلبته الأشياء و قدرته عليها، كقول الرّجل: ظهرت على أعدائي، و أظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج و الغلبة، فهكذا ظهور الله على الأشياء. و وجه آخر أنه الظاهر لمن أرادته، و لا يخفى عليه شيء، و أنه مدبّر لكلّ ما برأ، فأىّ ظاهر أظهر و أوضح من الله تعالى؟! لأنك لا تعدم صنعته حيثما توجّهت، و فيك من آثاره ما يغنيك، و الظاهر منّا البارز بنفسه، و المعلوم بحدّه. فقد جمعنا الاسم و لم يجمعنا المعنى.

و أمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، و لكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما و حفظا و تدبيراً، كقول القائل: أبطنته، يعني: خبرته، و علمت مكتوم سرّه. و الباطن منّا الغائب في الشيء المستتر، فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى<sup>٦٥٥</sup>.

الثاني: «كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل» في وحدته، روى الفتح بن يزيد عن الرضا عليه السَّلام في خبر: فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، و الله تعالى واحد لا واحد غيره، و لا اختلاف فيه و لا تفاوت، و لا زيادة و لا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاء مختلفة و جواهر شتى، غير أنه بالاجتماع شيء واحد<sup>٦٥٦</sup>.

ص: ١٧٨

و في خبر عن الجواد عليه السَّلام: فلا يقال: الله مؤتلف و لا الله قليل و لا كثير.

و لكنه القديم في ذاته، لأنّ ما سوى الواحد متجزّيء، و الله واحد لا متجزّيء، و لا متوهّم بالقلّة و الكثرة، و كلّ متجزّيء أو متوهّم بالقلّة و الكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له<sup>٦٥٧</sup>.

<sup>٦٥٣</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١١٦ ح ٦، و الصدوق في التوحيد: ٣١٣ ح ١، و معاني الأخبار: ١٢ ح ١ عن ميمون اللبان عن الصادق عليه السَّلام.

<sup>٦٥٤</sup> (١) الحديد: ٣.

<sup>٦٥٥</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٢٠ ح ٢، و الصدوق في التوحيد: ١٨٩ ح ٢، و العيون ١: ١٢٢ ح ٥٠، و رواه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٩٨.

<sup>٦٥٦</sup> (٣) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٦٢ ح ١٨ ضمن حديث طويل، و أخرجه أيضا الكليني في الكافي ١: ١٣٧ ح ٣، لكن ليس في حديث الكافي هذه القطعة.

الثالث: «و كل عزيز غيره ذليل» «أ يبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً»<sup>٦٥٨</sup>. والعزة في غيره تعالى - وإن كان مجازياً -  
إلا أنها أيضاً بيده، فلا ينالها إلا من يشاء تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز  
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير»<sup>٦٥٩</sup>.

كما أنه تعالى جعلها بمعنى آخر للمنسويين إليه «و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون»<sup>٦٦٠</sup> وكتاهما و  
إن كانت غير حقيقية، إلا أن الأولى ظاهرية والثانية باطنية.

الرابع: «و كل قوى غيره ضعيف» كيف لا يكون غيره ضعيفاً، والإنسان الذي سخر له ما فى السماوات والأرض، وقال تعالى  
فيه: «و لقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً»<sup>٦٦١</sup> فى  
غاية الضعف، فقال تعالى: «و خلق الإنسان ضعيفاً»<sup>٦٦٢</sup>، وقال عليه السلام: «مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكنون العلل،  
محفوظ

ص: ١٧٩

العمل، تؤلمه البقعة وتقتله الشرقة، وتنته العرقة»<sup>٦٦٣</sup>.

الخامس: «و كل مالك غيره مملوك» هو تعالى «لله ملك السماوات والأرض»<sup>٦٦٤</sup>، وغيره «و لا يملكون لأنفسهم ضراً و لا  
نفعاً و لا يملكون موتاً و لا حياة و لا نشوراً»<sup>٦٦٥</sup>، «ما يملكون من قطمير»<sup>٦٦٦</sup>.

قال الجوهري: القطمير الفوفة التى فى النواة، وهى القشرة الرقيقة، ويقال: هى النكتة البيضاء التى فى ظهر النواة، تنبت منها  
النخلة<sup>٦٦٧</sup>.

السادس: «و كل عالم غيره متعلم» وأما هو تعالى فعلمه من صفات ذاته.

<sup>٦٥٧</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ١١٦ ح ٧، و الصدوق فى التوحيد: ١٩٣ ح ٧، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٢٤٢.

<sup>٦٥٨</sup> (٢) النساء: ١٣٩.

<sup>٦٥٩</sup> (٣) آل عمران: ٢٦.

<sup>٦٦٠</sup> (٤) المنافقون: ٨.

<sup>٦٦١</sup> (٥) الاسراء: ٧٠.

<sup>٦٦٢</sup> (٦) النساء: ٢٨.

<sup>٦٦٣</sup> (١) نهج البلاغة ٤: ٩٨ الحكمة (٤١٩).

<sup>٦٦٤</sup> (٢) الفرقان: ٢.

<sup>٦٦٥</sup> (٣) الفرقان: ٣.

<sup>٦٦٦</sup> (٤) فاطر: ١٣.

<sup>٦٦٧</sup> (٥) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٧٩٧ مادة (قطمر).

السابع: «وكلّ قادر غيره يقدر» على أشياء معدودة «ويعجز» عن أشياء غير محصورة، وأمّا هو تعالى فقادر على كلّ أمر غير مستحيل، وأمّا المستحيل كإدخال الدنيا في بيضة مع ابقائهما على حالهما، كما اقترحه جاهل معاند، فخارج عن موضوع القدرة، مع أنّه تعالى فعل نظيره.

قال الديصاني لهشام بن الحكم: ألك ربّ؟ فقال: بلى. قال: أ قادر هو؟

قال: نعم، قادر قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لا تكبير البيضة، ولا تصغر الدنيا؟ قال هشام: النظره. فقال له: قد أنظرتك حولاً. ثمّ خرج عنه، فركب هشام الى الصادق عليه السّلام فاستأذن عليه، فأذن له، فقال له: يا بن رسول الله! أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلّا على الله و عليك، فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: عن ما ذا سألك؟ فقال: قال لي: كيت وكيت. فقال أبو عبد الله عليه السّلام: يا هشام! كم حواسك؟ قال: خمس. قال: أيها أصغر؟ قال: الناظر.

ص: ١٨٠

قال: و كم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها. فقال عليه السّلام له: يا هشام! فانظر أمامك و فوقك و اخبرني بما ترى. فقال: أرى سماء و أرضاً و دوراً و قصوراً و برارى و جبلاً و أنهاراً. فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة، لا تصغر الدنيا و لا تكبير البيضة. فأكبّ هشام عليه، و قبل يديه و رأسه و رجله و قال: حسبي يا بن رسول الله، و رجع إلى الديصاني فأجابه. فقال: ليس هذا من عندك<sup>٦٦٨</sup>.

الثامن: «وكلّ سميع غيره يصمّ» بالفتح، كناية عن عدم السّماع «عن لطيف الأصوات و يصمّه» بالضمّ «كبيرها» و أمّا هو تعالى فيسمع السرّ و أخفى، و هو ما خطر بالقلب<sup>٦٦٩</sup>، «و يذهب عنه ما بعد منها» بخلافه تعالى، فالقرب و البعد عنده سواء، بل ليس عنده قرب و لا بعد.

التاسع: «وكلّ بصير غيره يعمي» كناية عن عدم الرؤية «عن خفيّ الألوان و لطيف الأجسام» الظاهر سقوط ما يؤدّي معنى قوله عليه السّلام في السابق «و يذهب عنه ما بعد منها» فكما يذهب عن كلّ سميع غيره تعالى ما بعد من الأصوات، كذلك يذهب عن كلّ بصير غيره جلّ و علا ما بعد من الألوان و لو كانت واضحة، و الأجسام و لو كانت عظيمة، فإنّ السّامعة و الباصرة منّا محدودتان، و غاية ما قالوا في القصص التاريخية: إنّ زرقاء اليمامة كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيّام، و أنّها قالت لقومها جديس - لمّا بعث ملك

ص: ١٨١

<sup>٦٦٨</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٧٩ ح ٤، و الصدوق في التوحيد ١٢٢ ح ١، و حديث البيضة جاء بألفاظ أخرى، منها: سؤال ابلّيس عيسى عليه السّلام أخرجه الصدوق في التوحيد: ١٢٧ ح ٥، و منها سؤال رجل عليّاً عليه السّلام أخرجه بروايتين الصدوق في التوحيد: ١٣٠ ح ٩، ١٠، و سؤال رجل الرضا عليه السّلام أخرجه الصدوق في التوحيد: ١٣٠ ح ١١.

<sup>٦٦٩</sup> (٢) قول الشارح اشارة الى قوله تعالى: «وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ» E\طه: ٧، و تفسيره بما خطر بالقلب مروى موقوفاً عن علي بن ابراهيم و قتادة و الحسن البصري و عكرمة، يجيء تخريجه في العنوان (١٥) من هذا الفصل.

اليمن اليهم لأخذ ثأر طسم منهم، و كانوا خافوا أن تبصرهم فتذرهم فيستعدوا و لا يقدرُوا عليهم، فقطعوا الأشجار و جعل كلَّ رجل منهم بين يديه شجرة-: أرى أشجارا تقبل اليكم، و أرى فيها رجلا معه كنف يأكلها أو نعل يخصفها، ففندوها، فصبَّحوهم على غرَّة و أبادوهم<sup>٦٧٠</sup>.

العاشر: «و كلَّ ظاهر غيره غير باطن، و كلَّ باطن غيره غير ظاهر» لأنَّ الظاهر و الباطن في غيره تعالى ضدَّان لا يجتمعان بخلافهما فيه جلَّ و علا، كما عرفت معناهما في شرح قوله عليه السَّلام «و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا»<sup>٦٧١</sup>.

الحادى عشر: «لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان» «و ما خلقت الجنَّ و الإنسَ إلَّا ليعبُدونِ ما أريدُ منهم من رزقٍ و ما أريدُ أن»<sup>٦٧٢</sup> «و لا تخوف من عواقب زمان» كالمملوك في أفعالهم.

و فى (تاريخ الطبرى): أن المنصور بنى الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة التى كانت إلى جانب الكوفة، و بنى أيضا الرصافة بظهر الكوفة، فلما ثارت الراوندية فى هاشميتها كره سكنائها، لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية مع قرب جواره من الكوفة، و لم يأمن أهلها على نفسه، فأراد أن يبعدهم من جوارهم، فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد موضعا يتخذ مسكنا لنفسه و جنده، فبدأ فانحدر إلى جرجرايا، ثم صار إلى بغداد، ثم مضى إلى الموصل، ثم عاد إلى بغداد، فقال: هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا و بين الصين شيء، يأتيها فيها كلُّ ما فى البحر، و تأتيها الميرة من الجزيرة و أرمينية و ما حول ذلك. و هذا الفرات يجيء فيه كلُّ شيء من الشام

ص: ١٨٢

و الرقة و ما حول ذلك، فنزل و ضرب عسكره على الصراط و خطَّ المدينة، و وكلَّ بكلِّ ربع قائدا<sup>٦٧٣</sup>.

«و لا استعانة على ند» بالكسر: المثل و النظير.

«مناور» أى: مواثب.

«و لا شريك مكاتر» كأهل الدنيا «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ و لهوٌ و زينةٌ و تفاخرٌ بينكم و تكاترٌ فى الأموالِ و الأولادِ»<sup>٦٧٤</sup>.

<sup>٦٧٠</sup> (١) نقل القصة بطولها الحموى فى معجم البلدان ٥: ٤٤٦.

<sup>٦٧١</sup> (٢) هى الفقرة الثالثة من هذا العنوان.

<sup>٦٧٢</sup> (٣) الذاريات: ٥٦ - ٥٧.

<sup>٦٧٣</sup> (١) تاريخ الطبرى ٦: ٢٣٤ سنة (١٤٥)، و نقلها الشارح بتلخيص.

<sup>٦٧٤</sup> (٢) الحديد: ٢٠.

و فى (المروج): كتب ملك الصين الى أنو شيروان: من فغفور ملك الصين صاحب قصر الدرّ و الجواهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود و الكافور الذى توجد رائحته على فرسخين، و الذى تخدمه بنات ألف ملك، و الذى فى مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه كسرى أنو شيروان<sup>٦٧٥</sup>.

و فيه: و كتب إليه ملك الهند: من ملك الهند و عظيم أركانته المشرق، و صاحب قصر الذهب، و أبواب الياقوت و الدرّ إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج و الراية كسرى أنو شيروان<sup>٦٧٦</sup>.

«و لا ضدّ منافر» كالسلاطين فى استحكاماتهم.

و فى (تاريخ الطبرى): قيل للمنصور فى ما قيل له فى محاسن موضع بغداد ليأخذ حصنا: و أنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر و أخرجت القناطر لم يصل إليك عدوك ...

و التدبير فى المدن أن تتخذ لها الأسوار و الخنادق و الحصون، و دجلة و الفرات

ص: ١٨٣

خنادق لمدينتك<sup>٦٧٧</sup>.

«و لكن خلائق مربوبون، و عباد داخرون» بالدال المهملة، أى: صاغرون ذليلون «إِنْ يَسْأَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ»<sup>٦٧٨</sup>، فكيف يعمل عملا لتشديد سلطان أو سائر ما ذكر؟

الثانى عشر: «لم يحلل فى الأشياء فيقال: هو فيها كائن، و لم يئأ» بفتح الهمزة، أى: لم يبعد و لم ينفصل «عنها، فيقال: هو منها بائن» مثلا لا يقال: إنّه تعالى حلّ فى السماء، كما لا يقال: إنّه عزّ و جلّ نأى عن الأرض، بل نسبتهما إليه تعالى على السواء «وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ»<sup>٦٧٩</sup>.

هذا، و (توحيد الشيخ الصدوق - التوحيد - ص ٤٢، ٤٣ ح ٣ الصدوق) روى الثانى عشر قبل الحادى عشر<sup>٦٨٠</sup>، و الظاهر أصحّيته، فإنّ المناسب أن يكون قوله: «لم يحلل ...» بعد قوله «و كلّ باطن غيره غير ظاهر»، كما أنّ المناسب أن يكون الثالث عشر «لم يؤده ...» بعد قوله «لم يخلق ...» لكونهما من واد واحد.

<sup>٦٧٥</sup> (٣) مروج الذهب ١: ٢٩٢.

<sup>٦٧٦</sup> (٤) مروج الذهب ١: ٢٩٣.

<sup>٦٧٧</sup> (١) تاريخ الطبرى ٦: ٢٣٦ سنة (١٤٥).

<sup>٦٧٨</sup> (٢) ابراهيم: ١٩.

<sup>٦٧٩</sup> (٣) الزخرف: ٨٤.

<sup>٦٨٠</sup> (٤) التوحيد للصدوق: ٤٢، ٤٣ ح البقرة ٣.

كما أنه زاد بعد قوله «بائن»: «و لم يخل منها فيقال له: أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، و أتقنها صنعه، و أحصاها حفظه» فالظاهر وقوع سقط في النهج لكون الزائد من موضوعه كتقديم و تأخير.

الثالث عشر: «لم يؤده» أى: لم ينقله، من آده الحمل أثقله، أو من آدى هذا الأمر بلغ منى المجهود. «خلق ما ابتداء» «وسع كُرسِيه السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا يُؤْدُهُ حِفْظُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>٦٨١</sup>. «و لا تدبير ما ذراً» فى (الصالح):

ص: ١٨٤

حكى بعضهم ذرات الأرض، أى: بذرتها، و زرع ذرى، على فعيل، و أنشد:

شقت القلب ثم ذرات فيه  
هواك فليم فالتأم الفطور

<sup>٦٨٢</sup> «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>٦٨٣</sup>، «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انْتَبِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>٦٨٤</sup>.

«و لا وقف به عجز عما خلق» هكذا فى النسخ<sup>٦٨٥</sup>، و الظاهر وقوع تصحيف، فقولك وقف بى الأمر الفلانى عن الشىء الفلانى إنما يقال اذا لم تفعله، فلا بدّ أن الأصل (و لا وقف به عجز فى ما خلق) أو (و لا وقف به عجز عما لم يخلق).

و يشهد له رواية (التوحيد) للخطبة: و لا من عجز، و لا من فترة، بما خلق اكتفى، علم ما خلق و خلق ما علم<sup>٦٨٦</sup>.

الرابع عشر: «و لا ولجت عليه شبهة فى ما قضى و قدر، بل قضاء متقن، و علم محكم، و أمر مبرم»، و فى (التوحيد): لا بالتفكر و لا بعلم حادث أصاب ما خلق، و لا شبهة دخلت عليه فى ما لم يخلق، لكن قضاء مبرم...<sup>٦٨٧</sup>.

<sup>٦٨١</sup> (٥): ٢٥٥.

<sup>٦٨٢</sup> (١) صحاح اللغة للجوهري ١: ٥١ مادة (ذرا).

<sup>٦٨٣</sup> (٢) فاطر: ٤١.

<sup>٦٨٤</sup> (٣) فصلت: ١١-١٢.

<sup>٦٨٥</sup> (٤) كذا فى نهج البلاغة ١: ١١٣، و شرح ابن الحديد ١: ٤٧١، و شرح ابن ميثم ٢: ١٦٨.

<sup>٦٨٦</sup> (٥) التوحيد للصدوق: ٣٣ ح ٣.

<sup>٦٨٧</sup> (٦) المصدر نفسه.

«قَالُوا أَوْ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» ... «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

ص: ١٨٥

«كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»<sup>٦٨٨</sup>.

الخامس عشر «المأمول مع النقم و المرجو مع النعم» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و المرهوب مع النعم) كما في (ابن ميثم، و غيره)<sup>٦٨٩</sup>.

يدل على كونه تعالى مأمولا مع النقم، و مرهوبا مع النعم ما ورد أنه تعالى قال لداود عليه السلام: بشر المذنبين، و انذر الصديقين.

قال داود: كيف أبشر المذنبين، و أنذر الصديقين؟ قال: يا داود بشر المذنبين أنى أقبل التوبة و أعفو عن الذنب، و أنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك<sup>٦٩٠</sup>.

هذا، و نقل ابن أبي الحديد<sup>٦٩١</sup> هنا آيات و أبياتا لا ربط لها بالمقام، كقوله تعالى «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»<sup>٦٩٢</sup>، و كقول الشاعر:

من الأنوار و ما يسر

من عاش لاقى ما يسوء

٤

من الخطبة (٨٣) و من خطبة له عليه السلام:

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ - لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ - وَ لَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ - وَ لَا تَنَالُهُ التَّجَزِئَةُ وَ التَّبَعِيضُ - وَ لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ

<sup>٦٨٨</sup> (١) البقرة: ٣٠، ٣٣.

<sup>٦٨٩</sup> (٢) في شرح ابن ميثم ٢: ١٦٨ «المرجو» أيضا، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٧١ «المرهوب»، و ليس قبله واو.

<sup>٦٩٠</sup> (٣) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٣١٤ ح ٨ في ذيل حديث عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله.

<sup>٦٩١</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٧٥.

<sup>٦٩٢</sup> (٥) النساء: ١٩.

«و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» روى (ثواب الأعمال) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خَيْرِ يَقُولِ تَعَالَى: فَمَنْ لَقِينِي مِنْكُمْ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدِي وَ رَسُولِي أَدْخَلْتَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي<sup>٦٩٣</sup>.

«الأوّل لا شيء قبله، و الآخر لا غاية له»، و في الخطبة (٩٩): «الأوّل قبل كلّ أوّل، و الآخر بعد كلّ آخر، بأوّلّيته و جب أن لا أوّل له، و بآخرّيته و جب أن لا آخر له»<sup>٦٩٤</sup>، و في الخطبة (٩٤): «الحمد لله الأوّل فلا شيء قبله، و الآخر فلا شيء بعده، و الظاهر فلا شيء فوقه، و الباطن فلا شيء دونه»<sup>٦٩٥</sup>. و مرّ في العنوان (١) من هذا الفصل.

«لا تقع الأوهام له على صفة» في حديث الزنديق مع الصادق عليه السّلام: قال الزنديق: فإنّنا لم نجد موهوما إلّا مخلوقا. قال أبو عبد الله عليه السّلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التّوحيد عنّا مرتفعا، لأنّنا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم، و لكنّا نقول: كلّ موهوم بالحواسّ مدرّك، فما تجده الحواسّ و تمثّله فهو مخلوق، و لا بدّ من إثبات صانع الأشياء خارج من الجهتين المذمومتين: إحداهما: النفي، إذا كان النفي هو الإبطال و العدم، و الجهة الثانية: التشبيه، إذا كان التشبيه من صفة المخلوق الظاهر التركيب و التّأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين و الاضطرار منهم إليه<sup>٦٩٦</sup>.

«و لا تعقد» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و لا تعقد) بتقديم العين، كما في (ابن ميثم) و غيره<sup>٦٩٧</sup>.

و من الغريب أن محسّي (المصرية) قرّروا الغلط، و قال: إنّه مجاز عن استقرار حكمها<sup>٦٩٨</sup>.

«القلوب منه على كفيّة» هو ردّ على المشبّهة حيث قالوا: كلّ ما لم تعقد القلوب منه على كفيّة، و لم ترجع فيه إلى إثبات هيئة لم نعقل منه شيئا.

فردّ عليه السّلام عليهم: أنّه واحد بلا كفيّة، و أنّ القلوب تعرفه بلا إحاطة.

و قال الصادق عليه السّلام: من نظر في الله: كيف هو هلك<sup>٦٩٩</sup>.

<sup>٦٩٣</sup> (١) أخرجه الصدوق في ثواب الأعمال: ٢٥ ح ٢.

<sup>٦٩٤</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١٩٤ الخطبة (٩٩).

<sup>٦٩٥</sup> (٣) نهج البلاغة ١: ١٨٦ الخطبة (٩٤).

<sup>٦٩٦</sup> (٤) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٢٤٥ ح ١، و الكليني في الكافي ١: ٨٠ ح ٥، لكن ليس في حديث الكافي هذه القطعة.

<sup>٦٩٧</sup> (٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٠، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٧٤ «تعقد» أيضا.

<sup>٦٩٨</sup> (١) المحسّى هو الشيخ محمد عبده، كذا قال في ذيل نهج البلاغة ١: ١٤٨.

<sup>٦٩٩</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٩٣ ح ٥، و البرقي في المحاسن: ٢٣٧ ح ٢٠٨.

«و لا تناله التجزئة و التبعض» و ما ورد من مثل «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»<sup>٧٠٠</sup> و «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»<sup>٧٠١</sup> فكنايات و استعارات.

«و لا تحيط به الأبصار و القلوب» قال الصادق عليه السّلام: يا بن آدم! لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، و بصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطّاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات و الأرض! إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله، فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول<sup>٧٠٢</sup>.

هذا، و يناسب كلامه عليه السّلام- في هذه الخطبة- قول الهادي عليه السّلام: إلهي تاهت أوهام المتوهّمين و قصر طرف الطارفين، و تلاشت أوصاف الواصفين، و اضمحلت أقاويل المبطلين عن الدّرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت في المكان الذي لا يتناهى، و لم تقع عليك عيون بإشارة و لا عبارة، هيهات ثم هيهات، يا أولى يا وحداني يا فرداني، شمخت في العلوّ بعزّ الكبير،

ص: ١٨٨

و ارتفعت من وراء كلّ غورة و نهايةً بجبروت الفخر<sup>٧٠٣</sup>.

٧

من الخطبة (٨٨) و من خطبة له عليه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ- الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَمْ يَكُنْ سَمَاءٌ ذَاتُ أُبْرَاجٍ- وَ لَمْ يَكُنْ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لَمْ يَكُنْ دَاجٍ وَ لَمْ يَكُنْ بَحْرٌ سَاجٍ- وَ لَمْ يَكُنْ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لَمْ يَكُنْ ذُو اغْوِجَاجٍ- وَ لَمْ يَكُنْ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لَمْ يَكُنْ ذُو اعْتِمَادٍ- ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ- وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ- يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ- وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ- وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ- وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ- إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ- وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ- فَاهِرٌ مِنْ عَازِهِ وَ مُدْمِرٌ مِنْ شَاقِهِ وَ مُذِلٌّ مِنْ نَاوَاهِ- وَ غَالِبٌ مِنْ عَادَائِهِ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ- وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ «الحمد لله» حمده على أوصاف أوجبت حمده:

الأول: «المعروف من غير رؤية» الابصار، بل من رؤية القلوب، و أملى الرضا عليه السّلام في (التوحيد): احتجب بغير حجاب محجوب، و استتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية، و وصف بغير صورة، و نعت بغير جسم، لا إله إلّا

<sup>٧٠٠</sup> (٣) الفتح: ١٠.

<sup>٧٠١</sup> (٤) المائدة: ٦٤.

<sup>٧٠٢</sup> (٥) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٩٣ ح ٨، و الصدوق في التوحيد: ٤٥٥ ح ٥.

<sup>٧٠٣</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٦٦ ح ١٩.

ص: ١٨٩

اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمَتَعَالِ<sup>٧٠٤</sup>.

الثاني: «و الخالق من غير رويّة» بخلاف باقى الصانعين.

و الثالث: «الذى لم يزل قائماً دائماً» قبل أن يكون خلق.

«إذ لا سماء ذات أبراج» قال فى (اللّسان): إن الأبراج جمع البرج كالبروج<sup>٧٠٥</sup>.

قال تعالى: «و السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ»<sup>٧٠٦</sup>، «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَ قَمَراً مُنِيراً»<sup>٧٠٧</sup>، «وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ زِينَةً لِّلنَّاطِرِينَ وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ»<sup>٧٠٨</sup>.

و البروج الاثنا عشر معروفة، و عن الفراء: اختلفوا فى البروج فقالوا: هى النجوم. و قالوا: هى البروج المعروفة اثنا عشر برجا. و قالوا: هى القصور فى السماء. و الله أعلم بما أراد<sup>٧٠٩</sup>.

«و لا حجب» و فى خبر زيد بن وهب: سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن الحجب.

فقال: أوّل الحجب سبعة، غلظ كلّ حجاب مسيرة خمسمائة عام، بين كل حجابين منها مسيرة خمسمائة عام، و الحجاب الثالث سبعون حجبا، بين كل حجابين منها مسيرة خمسمائة عام، و طوله خمسمائة عام، حجة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كلّ ملك منهم قوة الثقلين، منها ظلمة، و منها نور، و منها نار، و منها دخان، و منها سحب، و منها برق، و منها مطر،

ص: ١٩٠

و منها رعد، و منها ضوء، و منها رمل، و منها جبل، و منها عجاج، و منها ماء، و منها أنهار، و هى حجب مختلفة، غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام<sup>٧١٠</sup>.

«ذات إرتاج» بالكسر بمعنى: الاغلاق.

<sup>٧٠٤</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٩٨ ح ٥، و العلل ١: ٩ ح ٣.

<sup>٧٠٥</sup> (٢) لسان العرب ٢: ٢١٢ مادة (برج).

<sup>٧٠٦</sup> (٣) البروج: ١.

<sup>٧٠٧</sup> (٤) الفرقان: ٦١.

<sup>٧٠٨</sup> (٥) الحجر: ١٦ - ١٨.

<sup>٧٠٩</sup> (٦) نقله عن الفراء لسان العرب ٢: ٢١٢، مادة (برج).

<sup>٧١٠</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٢٧٨ ح ٣، و الخصال ٢: ٤٠١ ح ١٠٩ ضمن حديث.

«و لا ليل داج» فى معنى قوله تعالى: «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»<sup>٧١١</sup>. قال الأصمعى: دجا الليل إنما هو ألبس كل شيء، و ليس هو من الظلمة، و منه قولهم: «دجا الإسلام» أى: قوى، و ألبس كل شيء<sup>٧١٢</sup>.

و ممّا ذكرنا يظهر لك ما فى قول الشّراح «ليل داج» أى: مظلم<sup>٧١٣</sup>.

«و لا بحر ساج» أى: ساكن، قال الأعشى:

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمّكم  
و بحرک ساج لا يوارى الدعامصا

<sup>٧١٤</sup> و منه أيضا «وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى»<sup>٧١٥</sup> أى: بلغ النهاية فى الظلمة فسكن.

«و لا جبل ذو فجاج» فجاج: جمع فج، قال تعالى: «مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»<sup>٧١٦</sup>.

و فى (اللسان): قال أبو الهيثم: الفجّ الطريق الواسع فى الجبل، و كلّ طريق بعد فهو فجّ<sup>٧١٧</sup>.

ص: ١٩١

و قول بعضهم: الفجّ الطريق الواسع بين جبلين<sup>٧١٨</sup> يأباه قوله عليه السّلام هذا، فجعل عليه السّلام لجبل واحد فجاجا، بل الأصل فيه الطريق الواسع، و لو لم يكن فى جبل، قال تعالى: «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا»<sup>٧١٩</sup>. و كون الجبل ذا فجّ لا يستلزم أن يكون كلّ فجّ فى الجبل، فهو نظير أن تقول: جبل ذو عيون، مع حصول العين فى غير الجبل.

<sup>٧١١</sup> (٢) الليل: ١.

<sup>٧١٢</sup> (٣) هذا قول بعض أهل اللغة، قال به ابن الاثير فى النهاية ٢: ١٠٣ مادة (دجى)، و نقله ابن منظور عن مجهول فى لسان العرب ١٤: ٢٤٩ مادة (دجى)، و لم أر من نسبه الى الاصمعى، بل حكى ابن منظور فى لسان العرب ١٤: ٢٥٠ عن الأصمعى أن (دجى الليل) بمعنى: هذا و ساكن، و ذكر شاهده على قوله.

<sup>٧١٣</sup> (٤) كذا قال ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ١٣٧، و المجلسى فى شرح الخطبة فى بحار الأنوار ٥٧: ٢٦، و الخوئى فى شرحه ٣:

٦٨، و النقل بالمعنى.

<sup>٧١٤</sup> (٥) أورده لسان العرب ١٤: ٣٧١ مادة (سجا).

<sup>٧١٥</sup> (٦) الضحى: ٢.

<sup>٧١٦</sup> (٧) الحج: ٢٧.

<sup>٧١٧</sup> (٨) لسان العرب ٢: ٣٣٩ مادة (فجج).

<sup>٧١٨</sup> (١) هو مختار ابن منظور فى لسان العرب ٢: ٣٣٨ مادة (فجج)، و غيره.

<sup>٧١٩</sup> (٢) نوح: ١٩ - ٢٠.

«و لا فجّ ذو اعوجاج» هو أيضا لا يستلزم أن يكون الفجّ معوجًا، و إنما هو وصف غالبى كسابقه، فإنّ الأغلب فى الجبال أن تكون ذات فجّاج، كما أنّ الأغلب فى الفجّاج أن تكون ذات اعوجاج.

«و لا أرض ذات مهاد» «أ لم نجعل الأرض مهاداً»<sup>٧٢٠</sup>، «و الأرض فرشناها فنعم الماهدون»<sup>٧٢١</sup>، «الذى جعل لكم الأرض مهذاً و جعل لكم فيها سبلاً»<sup>٧٢٢</sup>، «الذى جعل لكم الأرض مهذاً و سلك لكم فيها سبلاً»<sup>٧٢٣</sup>.

هذا، و نقل (الهيئة و الإسلام)<sup>٧٢٤</sup> عن بعضهم الاستدلال بالآية الأخيرة على حركة الأرض لكون المهد يتحرّك بلا اضطراب.

قلت: و مثلها الآية الثالثة.

«و لا خلق ذو اعتماد» قال ابن أبى الحديد: أى و لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما، أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما، و نحو ذلك، و الاعتماد هنا

ص: ١٩٢

البطش و التصرف<sup>٧٢٥</sup>.

قلت: بل الظاهر أنّ المراد أنّه لم يكن مخلوقاً من مخلوقاته الحيّة التى لها قصد فى ما ربههم و حوائجهم. يقال: اعتمد فلان فلانا فى حاجته إذا قصده، و منه قتل العمدة، أى: قتل عن قصد، و قال خفاف بن ندبة:

و إن تك خيلى قد أصيب صميمها فعمدا على عين تيممت مالكا

<sup>٧٢٦</sup> «و الشمس و القمر دائبان»<sup>٧٢٧</sup> أى: جادان، من دأب فلان، أى: جدّ و تعب.

و الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «و سخّر لكم الشمس و القمر دائبين»<sup>٧٢٨</sup>.

<sup>٧٢٠</sup> (٣) النبأ: ٦.

<sup>٧٢١</sup> (٤) الذاريات: ٤٨.

<sup>٧٢٢</sup> (٥) الزخرف: ١٠.

<sup>٧٢٣</sup> (٦) طه: ٥٣.

<sup>٧٢٤</sup> (٧) الهيئة و الإسلام: ١: ٦٨.

<sup>٧٢٥</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٣٧.

<sup>٧٢٦</sup> (٢) أورده لسان العرب ٣: ٣٠٢ مادة (عمد).

<sup>٧٢٧</sup> (٣) لم يتعرّض الشارح لشرح فقرتين، هما: «ذلك مبتدع الخلق و وارثه»، «و إله الخلق و رازقه».

«فى مرضاته» حيث إنهما مسخران له فلا يقدران خلافه، قال تعالى:

«وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ»<sup>٧٢٩</sup>.

و قال الصادق عليه السلام للزنديق المصرى: يلجان فلا يشتبهان، و يرجعان قد اضطرّاً، ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان؟ و إن كانا غير مضطربين فلم لا يصير الليل نهارا و النهار ليلا؟

اضطرباً- و الله يا أبا أهل مصر- الى دوامهما، و الذى اضطرارهما أحكم منهما و أكبر. فقال الزنديق: صدقت<sup>٧٣٠</sup>.

«بيليان» أى يجعلان باليا.

ص: ١٩٣

«كلّ جديد» قال أبو النّجم:

طير عنها فنزعا من قنزع  
أفناه قيل لله للشمس اطلعي  
مرّ اللّيالى أبطنى و أسرعى  
حتى إذا داراك أفق فارجعى

<sup>٧٣١</sup> «و يقربان كلّ بعيد» قال الصّلتان العبدى:

أشاب الصغير و أفنى الكبير  
إذا هرمت ليلة يومها  
.....  
أتى بعد ذلك يوم فتى

<sup>٧٣٢</sup> «قسم أرزاقهم، و أحصى آثارهم، و أعمالهم» قالوا: مأخوذ من قوله تعالى:

<sup>٧٢٨</sup> (٤) إبراهيم: ٣٣.

<sup>٧٢٩</sup> (٥) يس: ٣٨ - ٣٩.

<sup>٧٣٠</sup> (٦) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٧٣ ح ١، و الصدوق فى التوحيد: ٢٩٥ ح ٤، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٣٤.

<sup>٧٣١</sup> (١) نقله السيوطى فى شواهد المغنى ٢: ٥٤٥.

«نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»<sup>٧٣٣</sup>، وقوله تعالى:

«وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ»<sup>٧٣٤</sup>.

قلت: و من قوله عزّ و جلّ: «فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا»<sup>٧٣٥</sup>، «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ»<sup>٧٣٦</sup>، «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ»<sup>٧٣٨</sup> و «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»<sup>٧٣٨</sup>.

«و عدد أنفاسهم» في الخبر: أن المراد من قوله تعالى: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا»<sup>٧٣٩</sup> عدّ الله تعالى لعدد أنفاس عبده لا لسنيهم، فإنّ سنيهم يعدّها

ص: ١٩٤

أبواهم أيضا<sup>٧٤٠</sup>.

«و خائنة أعينهم، و ما تخفى صدورهم من الضمير» قال الله تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»<sup>٧٤١</sup>.

«و مستقرهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات» «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ»<sup>٧٤٢</sup>، «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>٧٤٣</sup>.

<sup>٧٣٣</sup> (٢) نقله الفتازاني في المطول: ٦١، أحوال الاسناد الخبري بلفظ:

ذكر الغداة و مرّ العشى

أشباب الصغير و أفنى الكبير

<sup>٧٣٣</sup> (٣) الزخرف: ٣٢.

<sup>٧٣٤</sup> (٤) يس: ١٢.

<sup>٧٣٥</sup> (٥) الذاريات: ٤.

<sup>٧٣٦</sup> (٦) القمر: ٥٣.

<sup>٧٣٧</sup> (٧) ق: ١٨.

<sup>٧٣٨</sup> (٨) الانفطار: ١٠-١٢.

<sup>٧٣٩</sup> (٩) مريم: ٨٤.

<sup>٧٤٠</sup> (١) أخرج هذا المعنى عبد بن حميد في مسنده عنه الدر المنثور ٤: ٢٨٤ عن الباقر عليه السلام، و أخرجه علي بن ابراهيم في تفسيره ٢: ٥٣، و الكليني في

الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣٣ عن الصادق عليه السلام، و أخرجه ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و عنهما الدر المنثور ٤:

٢٨٤ عن ابن عباس، و جاء أيضا عنه في تنوير المقباس ٣: ٢١٨.

<sup>٧٤١</sup> (٢) غافر: ١٩.

و عن الحسن: الإنسان مستقرّ في القبر و مستودع في الدنيا<sup>٧٤٤</sup>.

و قال سليمان العدوي:

فالناس مفجوع به و مفعّج

فجع الأحبة بالأحبة قبلنا

فالمستقرّ يزوره المستودع

مستودع أو مستقرّ مدخلا

<sup>٧٤٥</sup> و الظاهر أنّ كلامه عليه السّلام ناظر إلى قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ»

ص: ١٩٥

«الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ»<sup>٧٤٦</sup>.

«هو الذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، و اتّسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته» بخلاف الملوك، فلا تجتمع فيهم شدة النعمة و سعة الرحمة في وقت واحد، و في (دعاء الافتتاح): أيقنت أنّك أرحم الراحمين في موضع العفو و الرحمة، و أشدّ المعاقبين في موضع النكال و النّعمة<sup>٧٤٧</sup>.

«قاهر من عازّه» أي: غالبه، بمعنى: أراد الغلبة عليه، «و قال فرعونُ يا أيُّها الملأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَآخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ»<sup>٧٤٨</sup>.

«و مدلّ من ناواه» أي: عاداه، قال الجوهري: و أصله الهمزة، لأنّه من النوء، و هو النهوض<sup>٧٤٩</sup>.

<sup>٧٢٢</sup> (٣) الأنعام: ٩٨.

<sup>٧٢٣</sup> (٤) هود: ٦.

<sup>٧٢٤</sup> (٥) أخرجه ابو الشيخ عنه الدر المنثور ٣: ٣٦ عن الحسن و قتادة، و جاء في المصدر أقوال أخرى في الآية.

<sup>٧٢٥</sup> (٦) أورده مجمع البيان ٤: ٣٤٠.

<sup>٧٢٦</sup> (١) المؤمنون: ١٢-١٦.

<sup>٧٢٧</sup> (٢) نقله ضمن الدعاء الطوسي في مصباح المتهجد: ٥٢٠، و الكفعمي في البلد الأمين: ١٩٣.

<sup>٧٢٨</sup> (٣) القصص: ٣٨-٤٠، لم يتعرض الشارح لشرح فقرة: «و مدمّر من شاقّه».

قال تعالى: «وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ»<sup>٧٥٠</sup>، «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا»<sup>٧٥١</sup>.

«و غالب من عاداه» قال تعالى: «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ»

ص: ١٩٦

«الْأَرْضِ وَ»<sup>٧٥٢</sup>، و قال الشاعر فى قيام قريش، و كانوا يكتون عنهم بسخينة على رسوله صلى الله عليه و آله:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها و ليغلبن مغالب الغلاب

<sup>٧٥٣</sup> «و من توكل عليه كفاه» «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»<sup>٧٥٤</sup>، و قد كفى تعالى من المتوكلين عليه خليله ابراهيم عليه السلام، قال تعالى: «قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ»<sup>٧٥٥</sup>.

و كفى حبيبه محمدا صلى الله عليه و آله، قال تعالى له: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»<sup>٧٥٦</sup> فأهلك تعالى جميع المستهزئين به: الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل، و عدى بن قيس، و الأسود بن المطلب، و الأسود بن عبد يغوث، و غيرهم، كل واحد ببيئته.

«و من سأله أعطاه» قال زكريا: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتَبِيَ وَيَرْتُقِ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا»<sup>٧٥٧</sup>.

<sup>٧٤٩</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٥١٧ مادة (نوى).

<sup>٧٥٠</sup> (٥) غافر: ٥.

<sup>٧٥١</sup> (٦) العنكبوت: ٤٠.

<sup>٧٥٢</sup> (١) يوسف: ٢١.

<sup>٧٥٣</sup> (٢) أورده أساس البلاغة: ٢٠٥ مادة (سخن).

<sup>٧٥٤</sup> (٣) الطلاق: ٣.

<sup>٧٥٥</sup> (٤) الأنبياء: ٦٨ - ٧٠.

<sup>٧٥٦</sup> (٥) الحجر: ٩٤ - ٩٥.

<sup>٧٥٧</sup> (٦) مريم: ٩ - ٥.

«و من أقرضه قضاها» و أعطاه ما أقرض «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا»\*

ص: ١٩٧

«حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»<sup>٧٥٨</sup> ، «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ»<sup>٧٥٩</sup> .

«و من شكره جزاه» «لَتِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»<sup>٧٦٠</sup> .

٨

من الخطبة (٨٩) و من خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح، و هي من جلائل خطبه، و كان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا، فغضب عليه السلام لذلك:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ - وَلَا يُكْذِبُهُ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ - إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ - وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسْمِ - عِبَالُهُ الْخَلْقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ - وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ - وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ - الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ - وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ - وَ الرَّادِعُ أَنَّاسِي الْأَبْصَارِ عَنِ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ - مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ - وَ لَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِتِّقَالُ قَوْلَ الْمَصْنَفِ: «تَعْرِفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ» قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: الْأَشْبَاحُ:

الأشخاص، و المراد بهم ها هنا الملائكة لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة<sup>٧٦١</sup> ،

ص: ١٩٨

و تبعه الخوئي<sup>٧٦٢</sup> ، إلّا أن الظاهر أن الخطبة كانت متضمنة لذكر لفظ الأشباح، كما أن الخطبة الشقشقية<sup>٧٦٣</sup> متضمنة لذكر الشقشقة، و روى (الروضة) خطبة معروفة بالطالوتية<sup>٧٦٤</sup> تضمنت قصة طالوت، و روى خطبة معروفة بالوسيلة<sup>٧٦٥</sup> لكونها متضمنة لذكر الوسيلة، و في هذه و إن لم تقف على لفظ أشباح، إلّا أن المصنف لم ينقل جميعها، بل انتخب منها، فقال تارة فيها: منها:

<sup>٧٥٨</sup> (١) البقرة: ٢٤٥.

<sup>٧٥٩</sup> (٢) الحديد: ١١.

<sup>٧٦٠</sup> (٣) إبراهيم: ٧.

<sup>٧٦١</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٩.

<sup>٧٦٢</sup> (١) شرح الخوئي ٣: ٧٤.

<sup>٧٦٣</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ٣٠ الخطبة (٣).

<sup>٧٦٤</sup> (٣) الكافي ٨: ٣١ ح ٥.

<sup>٧٦٥</sup> (٤) الكافي ٨: ١٨ ح ٤.

في صفة خلق السماء، وأخرى قال: منها: ثم خلق سبحانه، و ثالثة: منها: في صفة الأرض.

و لو كانت العلة ما ذكر كان كثير من خطب النهج متضمنا لذكر الملائكة، و منها في الأولى، فلم خصت هذه بالتسمية، مع أنه أي مناسبة للتعبير عن الملائكة بالأشباح؟ و إنما استعمل الأشباح في كلامه عليه السلام في مقابل الأجناس، ففي خطبة له عليه السلام رواها (توحيد الصدوق): «ليس بجنس فتعادل الأجناس، و لا بشيخ فتضارعه الأشباح»<sup>٧٦٤</sup>، و الظاهر أن المراد به الجسميّة، ففي أخرى رواها: «ليس بشيخ فيرى»<sup>٧٦٧</sup>.

و الظاهر أنه كان فيها هذه الفقرة: «و كيف يوصف بالأشباح و ينعت بالألسن الفصاح» - رواها أواخر توحيد توحيد<sup>٧٦٨</sup> - فسقطت منها، يعني لم ينقلها.

ص: ١٩٩

«و هي من جلائل» جمع الجليّة.

«خطبه» و في (ابن أبي الحديد)<sup>٧٦٩</sup> «الخطب».

«و كان سأله سائل» هكذا في (المصرية)، و لكن في (ابن ميثم و الخطيب)<sup>٧٧٠</sup> «و كان سائل سأله».

«أن يصف الله» هكذا في (المصرية) و زاد ابن ميثم: «تعالى» و (الخطيب):

«له».

«حتّى كأنه يراه عيانا فغضب عليه السلام لذلك» و زاد ابن ميثم<sup>٧٧٢</sup>: «و قال الخطيب».

ثم الكلام من قوله: «و كان - إلى - لذلك» في (المصرية) و (ابن ميثم و الخطيب) على اختلاف كما عرفت، و ليس في (ابن أبي الحديد) رأسا، و نقل ابن أبي الحديد بدل ذاك الكلام: «روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، و ذلك أن رجلا أتاه فقال: يا أمير المؤمنين! صف لنا ربنا مثل ما نراه عيانا لنزداد له حبا و به معرفة، فغضب و نادى الصلاة جامعة. فاجتمع إليه الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر

<sup>٧٦٤</sup> (٥) التوحيد للصدوق: ٧٠ ح ٢٦.

<sup>٧٦٧</sup> (٦) التوحيد للصدوق: ٧٨ ح ٣٤.

<sup>٧٦٨</sup> (٧) أخرج الصدوق الخطبة بروايتين في التوحيد: ٤٨ ح ١٣ و: ٧٧ ح ٣٤، و توجد هذه الفقرة في الرواية الثانية فقط، و الأولى أوفق بلفظ نهج البلاغة.

<sup>٧٦٩</sup> (١) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٨، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٢ «خطبه» أيضا.

<sup>٧٧٠</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٢.

<sup>٧٧١</sup> (٣) المصدر نفسه.

<sup>٧٧٢</sup> (٤) المصدر نفسه.

و هو مغضب متغيّر اللون، فحمد الله و أثنى عليه، و صَلَّى على النبي صَلَّى الله عليه و آله ثمّ قال: «...» و مثله نقل ابن ميثم زائدا على ذلك الكلام بدون فقرة «مثل ما نراه عيانا» و تبديل «ثمّ قال» في الآخر بقوله: «ثمّ خطبها»<sup>٧٧٣</sup> و ليس في (الخطبية) رأساً<sup>٧٧٤</sup>.

ص: ٢٠٠

و جمع الرضى رضوان الله عليه بينهما مشكل حيث إنه كالتركرار، و ليس ذلك دأبه، و كأنّ نسخ النهج كانت مختلفة، فنسخة ابن أبي الحديد منه كانت متضمنة لنقل الرواية، و النسخة الخطبية لنقل الكلام بدلها، و ابن ميثم جمع بينهما.

و كيف كان، فلا ريب أنّه رواية مسعدة عن الصادق عليه السلام، فروى (توحيد الصدوق) عن الأسدی عن البرمكى عن على بن العباس عن إسماعيل بن مهران عن إسماعيل بن إسحاق الجهني عن فرج بن فروة عن مسعدة عن الصادق عليه السلام: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! صف لنا ربك لنزداد له حباً و به معرفة، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام و نادى الصلاة جامعة. فاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله ثمّ قام متغيّر اللون، فقال: الحمد لله الذى لا يفره المنع، و لا يكديه الإعطاء...<sup>٧٧٥</sup> لكن ليس فيه جميع ما فى النهج، و فيه اختلافات.

و كيف كان فإنّما غضب عليه السلام لأنّه أحسّ من الرجل أنّه طلب منه عليه السلام و صفه تعالى بالكنه، و تعريفه بالتشبيه، ففى الخطبة على رواية (التوحيد):

«الذى عجزت الملائكة على قريهم من كرسى كرامته، و طول ولهم إليه، و تعظيم جلال عزّه، و قريهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلّا ما أعلمهم»<sup>٧٧٦</sup>.

و فيها أيضا: «أيها السائل! اعلم أنّ من شبّه ربنا الجليل بتباين أعضاء

ص: ٢٠١

خلقه...»<sup>٧٧٧</sup> فسؤال الرجل و غضبه عليه السلام نظير سؤال بنى إسرائيل موسى بن عمران عليه السلام أن يريهم الله عيانا، فغضب تعالى عليهم كما أخبر عزّ و جلّ عنهم بقوله: «وَ إِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»<sup>٧٧٨</sup>.

<sup>٧٧٣</sup> (٥) و حذف الباء من أول هذه و حذف (اليه) بعد (فاجتمع).

<sup>٧٧٤</sup> (٦) جمع ابن ميثم بين عنوان نهج البلاغة ١: ١٦٠ و شرح ابن أبي الحديد بفرق يسير، و العنوان المذكور فى رواية التوحيد:

٤٨ ح ١٣ نحو ابن أبي الحديد، و قد مرت الاشارة الى الاختلاف فى مقدمة المؤلف.

<sup>٧٧٥</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٤٨ ح ١٣.

<sup>٧٧٦</sup> (٢) التوحيد للصدوق: ٥٠ ح ١٣.

<sup>٧٧٧</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٥٤ ح ١٣.

«الحمد لله الذي لا يفره» هنا متعدّد و يأتي لازماً أيضاً، يقال: و فرت الشيء و وفر الشيء.

«المنع» كالنّاس.

«و الجمود» هكذا في (المصرية)، و ليست الكلمة في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٧٧٩</sup>، فهي زائدة.

«و لا يكديه» بالضمّ، قال تعالى: «وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْثَى»<sup>٧٨٠</sup>، أى: قطع القليل.

«الإعطاء و الجود» كالمخلوقين.

«إذ كلّ معط متقصّ سواه» علّة لقوله: «و لا يكديه الإعطاء و الجود».

«و كلّ مانع مذموم» صفة مانع.

«ما خلا» يعنى: سواه، و الجملة علّة لقوله: «لا يفره المنع» يعنى ليس منعه بخلا فيستحقّ الذم، بل حكمة فيستحقّ الحمد أيضاً، لأنّه منع ظاهراً و أعطى في الحقيقة، و المعنى: «وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ»<sup>٧٨١</sup>، «وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا

ص: ٢٠٢

«مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يُقُولُونَ وَ يَكْفُرُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا»<sup>٧٨٢</sup>.

و وجه كونه علّة: أنّ المنع لو فر المال مذموم لكونه بخلا.

«و هو» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (هو) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٧٨٣</sup>.

«المنان بفوائد النعم، و عوائد المزيد و القسم» «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»<sup>٧٨٤</sup>، «قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»<sup>٧٨٥</sup>.

<sup>٧٧٨</sup> (٢) البقرة: ٥٥.

<sup>٧٧٩</sup> (٣) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٨، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٣ أيضاً.

<sup>٧٨٠</sup> (٤) النجم: ٣٤.

<sup>٧٨١</sup> (٥) الشورى: ٢٧.

<sup>٧٨٢</sup> (١) القصص: ٨٢.

<sup>٧٨٣</sup> (٢) توجد (الواو) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٨، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٣ أيضاً.

<sup>٧٨٤</sup> (٣) إبراهيم: ١١.

«عِيَالَهُ الْخَلْقِ» هَكَذَا فِي (المصرية)، و الصواب (الخلائق) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبة)<sup>٧٨٦</sup>، فالتهج كان (الخلائق) و لكن نقله (التوحيد): «و بجموده ضمن عيالة الخلق»<sup>٧٨٧</sup>.

و في (دعاء أبي حمزة): «و الخلق كلهم عيالك و في قبضتك»<sup>٧٨٨</sup>.

و في قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>٧٨٩</sup>، «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَاً كَبِيراً»<sup>٧٩٠</sup>.

ص: ٢٠٣

«ضمن أرزاقهم» «و قدّر أوقاتهم» أي: أرزاق جميع خلقه من الانسان و أقسام الحيوان، و أصناف الطير، و صنوف الوحش و الهوام و الحيتان، و لكن غلب الإنسان في الضمير. و هو أيضا من باب التغليب، فقدّر لكلّ جنس قوته بحسب ما يناسبه حتى الجنين و الرضيع، و الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى:

«وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ»<sup>٧٩١</sup>.

«و نهج» أي: أوضح.

«سبيل الراغبين إليه» لعبادته.

«و الطّالبيين ما لديه» من الأجر و الثواب بنهج السبيل، بخلق العقول لهم، و بعث الرّسل إليهم، و إنزال الكتب عليهم.

«و ليس بما ستل بأجود منه بما لم يسأل» و في الدّعاء: يا من يعطى من سأله و من لم يسأله تحننا منه و رحمة، و يبتدىء بالخير من لم يسأله تفضلا منه و كرما<sup>٧٩٢</sup>.

<sup>٧٨٥</sup> (٤) يوسف: ٩٠.

<sup>٧٨٦</sup> (٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٨، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٢٢ «الخلق» أيضا.

<sup>٧٨٧</sup> (٦) التوحيد للصدوق: ٤٩ ح ١٣.

<sup>٧٨٨</sup> (٧) رواه ضمن الدعاء الطوسي في مصباح المتعجد: ٥٣٥.

<sup>٧٨٩</sup> (٨) هود: ٦.

<sup>٧٩٠</sup> (٩) الاسراء: ٣١.

<sup>٧٩١</sup> (١) فصلت: ١٠.

<sup>٧٩٢</sup> (٢) هذه قطعة من دعاء السحر، رواه الطوسي في مصباح المتعجد: ٥٤٠.

و فى الخبر: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله نارا فكلمه الله عزّ وجلّ و رجع نبياً مرسلًا، و خرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام، و خرجت سحرة فرعون يطلبون العزّ لفرعون فرجعوا مؤمنين»<sup>٧٩٣</sup>.

«الأول الذى لم يكن له قبل فيكون شىء قبله، و الآخر الذى ليس له بعد فيكون

ص: ٢٠٤

شىء بعده» قد مرّ نظيره<sup>٧٩٤</sup>.

و «الرادع» أى: المانع.

«أناسى» جمع إنسان العين، و فى (الصحاح): إنسان العين: المثال الذى يرى فى السواد، أى: سواد العين، و جميع أيضا على أناسى. قال ذو الرمة يصف إبلا غارت عيونها من التعب و السير:

أناسى ملحد لها فى الحواجب

٧٩٥

«الأبصار عن أن تناله» أى: تصله.

«أو تدركه» كما تدرك الأجسام، قال الصادق عليه السلام: «إن الأبصار لا تدرك إلّا ما له لون و كيفية، و الله خالق الألوان و الكيفية»<sup>٧٩٦</sup> «و لما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربّه قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني و لكن أنظر إلى الجبل فإن استقرّ

<sup>٧٩٣</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافى ٥: ٨٣ ح ٣، و الصدوق فى الفقيه ٤: ٢٨٤ ح ٣ مسندا، و فى الفقيه ٣: ١٠١ ح ٤٤ مجردا، و هو فى الأمالى: ١٥٠ ح ٧ المجلس)

(٣٣)، و ابن شعبة فى تحف العقول: ٢٠٨ عن على عليه السلام، و أخرج صدر الحديث الكليني فى الكافى ٥: ٨٣ ح ٢ عن الصادق عليه السلام.

<sup>٧٩٤</sup> (١) مر فى العنوان (٥ و ٦) من هذا الفصل.

<sup>٧٩٥</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٩٠١ مادة (أنس).

<sup>٧٩٦</sup> (٣) أخرجه الصدوق فى الأمالى: ٣٣٤ ح ٣ المجلس (٦٤)، و رواه الفتنال فى روضة الواعظين ١: ٣٤.

مَكَانَهُ فَسَوَّفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رُبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>٧٩٧</sup>.

هذا و فى (تاريخ الطبرى) فى الفداء بين المسلمين و صاحب الروم عن الواثق - الخليفة -: أنه وجّه من يمتحن الاسراء منهم: فمن قال منهم إن القرآن مخلوق و إن الله عزّ و جلّ لا يرى فى الآخرة فودى به، و من لم يقل ذلك ترك فى أيدي الروم<sup>٧٩٨</sup>.

و فيه أيضا: قتل الواثق بيده بسيف عمرو بن معد يكرب أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعى - و كان جدّه مالك أحد نقباء بنى العباس - و حظر

ص: ٢٠٥

على رأسه فى بغداد حظيرة، و ضرب عليه فسطاط، و أقيم عليه الحرس، و عرف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر، و كتب فى أذنه رقعة: هذا رأس الكافر المشرك الضالّ الذى أقرّ بالتشبيبه، و تكلم بالكفر، فاستحلّ دمه. و كان الواثق قال له: ما تقول فى ربك؟ فقال: جاءت الآثار عن النبى صلّى الله عليه و آله أنه قال:

ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر، لا تضامون فى رؤيته. فنحن على الخبر. و قال حدّثنى سفيان بن عيينة بحديث يرفعه: إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلّبه، و أنّ النبى صلّى الله عليه و آله كان يدعو: يا مقلب القلوب ثبت قلبى...<sup>٧٩٩</sup> و خبره الأول موضوع و أخيرا عمّا رآه بمراحل.

«ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال» يمكن أن يريد عليه السّلام بعدم اختلاف الحال منه تعالى لعدم اختلاف الدهر عليه، بالنسبة إلى الفقرات المذكورة قبله من إعطائه تعالى و منعه، و ضمانه للأرزاق، و تقديره للأقوات، و نهجه السبيل، و استواء المساوئل فيه عنده مع غيره، و غيرها، فإنّ أسخياء الناس إنّما يجودون إذا جاد عليهم الزّمان، و يبخلون إذا بخل عليهم، و يعطون أوّلا ثمّ يمنعون، و يضمنون شيئا ثمّ يتبرؤون، كلّ ذلك بحسب تأثير الدهر و الزّمان فيهم، و هو تعالى منزّه عن ذلك.

و يمكن أن يريد عليه السّلام به الأعمّ، مثلا الإنسان فى نشئه، و باختلاف دهره يختلف حاله، فهو - كما فى فقه اللغة - ما دام فى الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، و ما دام لم يستتم سبعة أيّام فهو صديق، لأنّه لا يشتدّ صدغه إلى تمام السبعة، ثمّ ما دام يرضع فهو رضيع، ثمّ إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، ثمّ إذا غلظ و ذهب عنه ترارة الرضاع فهو جحوش عن الأصمعى و أنشد للهدلى:

و آخر جحوشا فوق الفطيم

قتلنا مخلدا و ابني حراق

<sup>٧٩٧</sup> (٤) الاعراف: ١٤٣.

<sup>٧٩٨</sup> (٥) تاريخ الطبرى ٧: ٣٣٢ سنة (٢٣١).

<sup>٧٩٩</sup> (١) تاريخ الطبرى ٧: ٣٢٨ سنة (٢٣١)، و النقل بتصريف.

قال الأزهرى: كأنه مأخوذ من الجحش الذى هو ولد الحمار، ثم هو إذا دبّ و نما دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسى، فإذا سقطت رواقه فهو متغور، عن أبى زيد، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مثغر بالثاء و متغر بالثاء، عن أبى عمرو، فإذا كاد يجاوز عشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع و ناشئ، فإذا كاد يبلغ اللحم أو بلغه فهو يافع و مراهق، فإذا أدرك و اجتمعت قوته فهو حزور، و اسمه فى جميع هذه الأحوال غلام، فإذا اخضرّ شاربه و أخذ عذاره يسيل قيل: بقل وجهه، فإذا صار ذا فتاء فهو فتى و شارخ، فإذا اجتمعت لحيته و بلغ غاية شبابه، فهو مجتمع، ثم ما دام بين الثلاثين و الأربعين فهو شاب، ثم هو كهل الى أن يستوفى ستين<sup>٨٠٠</sup>. و هكذا نقل له أسام بحسب ازدياد سنّه، و الله تعالى منزّه عن جميع ذلك.

«و لا كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال» قيل للرضا عليه السّلام: ما تقول فى الحديث الذى يرويه الناس أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: ينزل الله تعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا؟<sup>٨٠١</sup> فقال: لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه، و الله ما قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله ذلك، إنّما قال: إنّ الله ينزل ملكا الى السماء الدّنيا كلّ ليلة فى الثلث الأخير، و ليلة الجمعة فى أوّل الليل<sup>٨٠٢</sup>.

من الخطبة (٨٩) بعد ما مرّ فى سابقه:

<sup>٨٠٠</sup> (١) فقه اللغة الثعالبي: ٨١ الباب (١٤) الفصل (٢٠).

<sup>٨٠١</sup> (٢) حديث نزول الربّ أخرجه أحمد فى مسنده ١: ١٢٠ عن على عليه السّلام عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و أخرجه جعفر الحضرمى فى أصله: ٦٩ عن الباقر عليه السّلام، و يحضر عندى له (٥١) طريقا عن أبى هريرة و أبى سعيد الخدرى و رفاعة الجهنى و جبير بن مطعم و ابن مسعود و أبى الدرداء و عبادة بن الصامت عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و أخرج زيد النرسى فى أصله: ٥٤ عن الصادق عليه السّلام: «ان الله ينزل فى يوم عرفة...»، و أخرج الصدوق فى التوحيد فى بعض نسخه: ٢٤٨- الهامش، البحار ٣:

٣٣١ عن الصادق عليه السّلام تأييد حديث نزول الربّ و تصحيحه، و أخرج على بن ابراهيم فى تفسيره ٢: ٢٠٤ عن الصادق عليه السّلام: «ينزل أمره كلّ ليلة»، و فى نقل البحار ٣: ٣١٥ عنه: «ينزل كلّ ليلة».

<sup>٨٠٢</sup> (٣) حديث الرضا عليه السّلام أخرجه الصدوق فى العيون ١: ١٠٤ ح ٢١، و التوحيد: ١٧٦ ح ٧ و أماليه: ٣٣٥ ح ٥ المجلس (٦٤)، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٤١٠، و أخرج نحوه الكلينى فى الكافى ١: ١٢٥ ح ١، و الصدوق فى التوحيد: ١٨٣ ح ١٨ عن الكاظم عليه السّلام، و الكلينى فى الكافى ١: ١٢٦ ح ٤ عن الهادى عليه السّلام، و روى قريبا منه ابن طاوس فى جمال الاسبوع:

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ - وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللَّجِينِ وَ الْعَقِيَانِ - وَ نُنَارَةُ الدَّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ - وَ لَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ - وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُتَفَدُّهُ مَطَالِبُ الْأَنْامِ - لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ - وَ لَا يُبْخِلُهُ إِحَاخُ الْمُلْحِينِ «و لو وهب» قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام من تنمة الكلام الأول، و هو قوله عليه السلام: «لا يفره المنع و الجمود و لا يكديه الإعطاء»<sup>٨٣</sup>.

قلت: بل خصوص قوله «و لا يكديه الإعطاء»، و لا ربط له بقوله «لا يفره المنع».

«ما تنفست عنه معادن الجبال» هو استعارة كقوله تعالى: «و الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ»<sup>٨٤</sup>، و المراد ما تشققت عنه المعادن.

«و ضحكت عنه» هو أيضا استعارة كقوله تنفست، و المراد أيضا ما تشققت، و لا يخفى حسن التعبير عن تشقق الجبال بالفلزات بالتنفس عن الشيء، و عن تشقق الأصداف باللالى بالضحك عنه.

«أصداف البحار» و الصدف غشاء الدرّة.

«من فلزّ» بكسرتين، و جوّز (القاموس) فيه الضمّتين كعتلّ، و الكسر

ص: ٢٠٨

فالفتح كهجف، و قال: الفلزّ نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو خبث الحديد أو الحجارة أو جواهر الأرض كلّها أو ما ينقيه الكير من كلّ ما يذاب منها<sup>٨٥</sup>.

قلت: الصواب هو القول الرابع لقوله عليه السلام: «اللّجين» بالتصغير الفضة.

«و العقيان» بالكسر الذهب الخالص، و رواه (التوحيد الصدوق - التوحيد - ص ٤٩ ح ١٣) «و سبائك العقيان»<sup>٨٦</sup>.

«و نثاره الدرّ» في (الصحاح): النّار بالضم ما تناثر من الشيء<sup>٨٧</sup>، و الدرّة:

اللؤلؤ، و الجمع درّ و درّات و درر.

«و حصيد المرجان» و رواه (التوحيد) «و نضائد المرجان»<sup>٨٨</sup> و قال ابن أبي الحديد: و يروى «و حصباء المرجان»<sup>٨٩</sup>.

<sup>٨٣</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٠.

<sup>٨٤</sup> (٢) التكويز: ١٨.

<sup>٨٥</sup> (١) القاموس المحيط ٢: ١٨٦ مادة (فلز).

<sup>٨٦</sup> (٢) التوحيد للصدوق: ٤٩ ح ١٣.

<sup>٨٧</sup> (٣) المصدر نفسه.

قلت: و أبو نؤاس نسب الحصباء إلى الدرّ، فقال:

حصباء درّ على أرض من الذهب

كأنّ صغرى و كبرى من فقاقتها

<sup>٨١٠</sup> و في (اللسان): قال بعضهم: المرجان البسّذ و هو جوهر أحمر، قال ابن برّي: الذي عليه الجمهور إنّه صغار اللؤلؤ، كما ذكره الجوهري، و الدليل على صحة ذلك قول امرئ القيس ابن حجر:

زياد غلام جرىّ جيادا

أذود القوافي عنّي زيادا

ص: ٢٠٩

و آخذ من درّها المستجادا

فأعزل مرجانها جانبا

<sup>٨١١</sup> قلت: جعله في الآية «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ»<sup>٨١٢</sup>، و في كلامه عليه السّلام و في شعر امرئ القيس مقابل اللؤلؤ، و الدرّ دالّ على كونه غيره، و في (المصباح) قال الطرطوشي: هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكفّ، قال: و هكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيرا<sup>٨١٣</sup>.

ثمّ الأكثر ذكروا مرجان في مرج، و عن الأزهرى: لا أدري أرباعي هو أم ثلاثي؟<sup>٨١٤</sup> هذا، و «من فلز اللّجين و العقيان» راجع إلى معادن الجبال، و «و نثارة الدرّ و حصيد المرجان» راجع إلى أصداف البحار.

<sup>٨٠٨</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨٢٢ مادة (نر).

<sup>٨٠٩</sup> (٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٠.

<sup>٨١٠</sup> (٦) أورده ابن هشام في شرح القطر: ٣١٦.

<sup>٨١١</sup> (١) لسان العرب ٢: ٣٦٦ مادة (مرج) و ما نقله عن الجوهري في صحاح اللغة ١: ٣٤١ مادة (مرج).

<sup>٨١٢</sup> (٢) الرحمن: ٢٢.

<sup>٨١٣</sup> (٣) المصباح المنير ٢: ٢٦٤ مادة (مرج).

«ما أثر ذلك في جوده، و لا أفند سعة ما عنده» وكيف ينفد و له خزائن السماوات و الأرض، و في (أصل البرسي): إن الله تعالى قال لداود: «يا داود و عزتي و جلالتي، لو أن أهل سماواتي و أرضي أمّلوني فأعطيت كل مؤمل أمله بقدر دنياكم سبعين ضعفا لم يكن ذاك إلّا كما يغمس أحدكم إبرة في البحر و يرفعها، فكيف ينقص شيء أنا أعطيته»<sup>٨١٥</sup>.

«و لكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام»، و في رواية (التوحيد): «و لكان عنده من ذخائر الإفضال ما لا ينفده مطالب السّؤال، و لا

ص: ٢١٠

يخطر لكثرة على بال»<sup>٨١٦</sup> «و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزله إلّا بقدر معلوم»<sup>٨١٧</sup>.

«لأنه الجواد الذي لا يغيضه» من غاض الماء قلّ و نضب. قال الجوهرى:

و غيض الماء فعل به ذلك، يتعدى و لا يتعدى. و قال الأخفش في قوله تعالى:

«و ما تغيض الأرحام»<sup>٨١٨</sup> أى: ما تنقص. و يقال غاض الكرام أى قلّوا، و فاض اللّثام أى كثروا، و أعطاه غيضا من فيض، أى: قليلا من كثير<sup>٨١٩</sup>.

«سؤال السائلين و لا يبخله إلحاح الملحّين» و في رواية (التوحيد) بدل «لأنه الجواد...»: «لأنه الجواد الذي لا تنقصه المواهب، و لا ينحله إلحاح الملحّين، «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كُنْ فيكون»<sup>٨٢٠</sup>.

١٠

من الخطبة (٨٩) بعد ما مرّ في سابقة:

<sup>٨١٤</sup> (٤) نقله عن الأزهري لسان العرب ٢: ٣٦٦ مادة (مرج)، و قال: «و أورده في رباعي الجيم».

<sup>٨١٥</sup> (٥) رواه الحافظ البرسي في مشارق الأنوار: ٤٢ بلا إسناد، لكن أخرج معناه الكليني بروايتين في الكافي ٢: ٦٦ و ٦٧، ح ٨، ٧، و أبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ١٩٦ المجلس (٦) و جاء قريبا منه أربع روايات رواها الطبرسي في مشكاة الأنوار: ١٦، ١٧، و أما قول الشارح اصل البرسي فهو، لأن الحافظ رجب البرسي ليس من أصحاب الأصول، بل صاحب الأصل هو زيد النرسي و ليس في أصله أثر من هذا الحديث.

<sup>٨١٦</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٤٩ ح ١٣.

<sup>٨١٧</sup> (٢) الحجر: ٢١.

<sup>٨١٨</sup> (٣) الرعد: ٨.

<sup>٨١٩</sup> (٤) صحاح اللغة ٣: ١٠٩٦ مادة (غيض).

<sup>٨٢٠</sup> (٥) التوحيد للصدوق: ٤٩ ح ١٣ و فقرة «أ» «إنما أمره» E... هي لفظ الآية (٨٢) من سورة يس.

وَ انظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ - فَمَا دَلَّكَ؟ الْقُرْآنُ؟ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّيَمَّ بِهِ - وَ اسْتَضَىٰ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ - مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرُضُهُ - وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ص؟ وَ أئِمَّةُ الْهُدَىٰ أَثَرُهُ - فَكُلَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ - فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ - وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ - عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ - الْأَقْرَارِ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ

ص: ٢١١

فَمَدَحَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ - عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا - وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ - فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا - فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ - وَ لَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ - فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ أَقُولُ: وَ رَوَاهُ (التَّوْحِيدِ الشَّيْخِ الصَّدُوقِ - التَّوْحِيدِ - ص ٥٥ ح ١٣) مَعَ زِيَادَةٍ وَ تَعْيِيرٍ، فَبَيْنَهُ: «الَّذِي لَمَّا شَبَّهَ الْعَادِلُونَ بِالْخَلْقِ الْمُبْعُضِ الْمَحْدُودِ فِي صِفَاتِهِ، ذِي الْأَقْطَارِ وَ النَّوَاحِي الْمَخْتَلِفَةِ فِي طَبَقَاتِهِ، وَ كَانَ عَزَّ وَ جَلَّ الْمَوْجُودِ بِنَفْسِهِ لَا بِأَدَاتِهِ، انْتَفَى أَنْ يَكُونَ قَدْرُوهَ حَقِّ قَدْرِهِ، فَقَالَ تَنْزِيهِهَا لِنَفْسِهِ عَنِ مِشَارَكَةِ الْأَنْدَادِ، وَ ارْتِفَاعًا عَنِ قِيَاسِ الْمُقَدَّرِينَ لَهُ بِالْمَحْدُودِ مِنْ كَفْرَةِ الْعِبَادِ: «وَ مَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»<sup>٨٢١</sup>، فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّبِعْهُ لِيُوصِلَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَ اتَّيَمَّ بِهِ، وَ اسْتَضَىٰ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ وَ حِكْمَةٌ أَوْتِيَتْهُمَا، فَخُذْ مَا أَوْتِيَتْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَ مَا دَلَّكَ الشَّيْطَانُ...»<sup>٨٢٢</sup>.

«وَ انظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّيَمَّ بِهِ، وَ اسْتَضَىٰ بِنُورِ هِدَايَتِهِ» وَ مِمَّا دَلَّنَا الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ تَعَالَى: «لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَ لَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» ... «وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>٨٢٣</sup>، وَ قَالَ تَعَالَى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»<sup>٨٢٤</sup>، وَ قَالَ جَلَّ وَ علا: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>٨٢٥</sup>.

«وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ» مِنْ عِرْفَانِ كُنْهِهِ.

«مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ» أَي: الْقُرْآنِ.

ص: ٢١٢

«عَلَيْكَ فَرُضُهُ، وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أئِمَّةِ الْهُدَى» وَ هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

<sup>٨٢١</sup> (١) الزمر: ٦٧.

<sup>٨٢٢</sup> (٢) التوحيد للصدوق: ٥٥ ح ١٣.

<sup>٨٢٣</sup> (٣) البقرة: ٢٥٥.

<sup>٨٢٤</sup> (٤) الاخلاص: ١ - ٤.

<sup>٨٢٥</sup> (٥) الشورى: ١١.

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ وَإِنْ سَمَّوْهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصْدُقُ إِلَّا إِذَا صَدَقَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»<sup>٨٢٦</sup>.

«أثره فكل» من و كل أى: فوض.

«علمه إلى الله سبحانه» كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: سبحان من لم يجعل فى أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل فى أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه<sup>٨٢٧</sup>.

«فإن ذلك منتهى حقّ الله عليك» لأنّه لم يكلف أحدا ما لم يطقه.

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى»<sup>٨٢٨</sup> قال: «إذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فامسكوا»<sup>٨٢٩</sup>.

و فى آخر عنه عليه السلام: «إنّ الناس لا يزال بهم المنطق حتّى يتكلّموا فى الله، فاذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلّا الله الواحد الذى «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»»<sup>٨٣٠</sup>.

«و اعلم أنّ الراسخين» أى: الثابتين، قال لبيد:

ثلّمته كلّ ريح و سبل

رسخ الدمن على أعضاده

<sup>٨٣١</sup> «فى العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام» الاقتحام: الرمي بالنفس فى شىء من غير رويّة.

ص: ٢١٣

«السّدّد» بالضمّ فالفتح: جمع السدّة باب الدّار، و فى الخير: «الشعث الرؤس الذين لا تفتح لهم السّدّد»<sup>٨٣٢</sup>.

<sup>٨٢٦</sup> (١) غافر: ٢٩، و هو مقول فرعون.

<sup>٨٢٧</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافى ٨: ٣٩٤ ح ٥٩٢.

<sup>٨٢٨</sup> (٣) النجم: ٤٢.

<sup>٨٢٩</sup> (٤) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٩٢ ح ٣، و البرقى فى المحاسن: ٢٣٧ ح ٢٠٦، و الصدوق فى الهداية: ٤٦ عن الصادق عليه السلام، و أخرجه على بن ابراهيم فى تفسيره ٢: ٣٣٨ بلا عزو.

<sup>٨٣٠</sup> (٥) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٩٢ ح ٣ عن الصادق عليه السلام، و أخرجه البرقى فى المحاسن: ٢٣٧ ح ٢٠٩ عن الباقر عليه السلام.

<sup>٨٣١</sup> (٦) أورده أساس البلاغة ١٦٢ مادة (رسخ).

وقال الجزري: السدّة كالظلّة على الباب لتقى الباب من المطر، وقيل: هي الباب نفسه، وقيل: هي الساحة بين يديه<sup>٨٣٣</sup>.

«المضروبة دون الغيوب» فلا يمكن لأحد الوقوف عليها.

«الإقرار» وهو فاعل «أغناهم».

«بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب» أشار عليه السلام الى قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»<sup>٨٣٤</sup>.

ثم إنه وإن اختلفت الخاصة والعامّة في الآية هل «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» عطف على (الله) أو مستأنف<sup>٨٣٥</sup>، إلا أن كلامه عليه السلام دال على الثاني، وهو الظاهر من الآية، حيث إنه لو كان عطفًا لكان الأنسب أن يقال: «و يقولون»

ص: ٢١٤

لا «يقولون»، ويأتي فيه زيادة كلام.

و لا ينافي ذلك علم النبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه بتأويل القرآن، فإن علمهم به بوحيه وإلهامه، فعلم تأويله من علم الغيب، وقد قال تعالى في موضع: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»<sup>٨٣٦</sup> مع أنه قال:

«إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>٨٣٧</sup> وقال: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>٨٣٨</sup>، وحينئذ فالآية في مقام آخر نظير قوله تعالى الآخر: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا»<sup>٨٣٩</sup>.

<sup>٨٣٣</sup> (١) نقل ابن منظور في لسان العرب ٣: ٢٠٩، مادة (سد) هذا اللفظ، وأخرجه الترمذي ٤: ٦٢٩ ح ٢٤٤٤، وابن ماجه ٢:

١٤٢٨ ح ٤٣٠٣، والحاكم في المستدرک عنه الجامع الصغير ١: ٩٠، وأحمد في مسنده ٥: ٢٧٥ عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث في ورود الحوض: «الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد».

وأخرج قريبا منه الضياء المقدسي في المختارة، والطبراني في معجمه الكبير عنهما منتخب كنز العمال ٦: ٩٢ عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله.

<sup>٨٣٣</sup> (٢) النهاية لابن الأثير ٢: ٣٥٣ مادة (سد).

<sup>٨٣٤</sup> (٣) آل عمران: ٧ - ٨.

<sup>٨٣٥</sup> (٤) ليس الاختلاف راجعا الى المذهب، بل القولان العطف والاستيناف يوجدان في كلا المذهبين، وكل على مذهبه تفسير وتأويل.

<sup>٨٣٦</sup> (١) الجن: ٢٦ - ٢٧.

<sup>٨٣٧</sup> (٢) الحجرات: ١٨.

«فمدح الله عزَّ و جلَّ اعترافهم بالعجز عن تناول» أى: فهم.

«ما لم يحيطوا به علما» من المتشابه، حيث حكى عنهم أنهم يقولون: آمنا به - أى: بالكتاب - كلَّ من المحكم الذى فهمنا، و المتشابه الذى لم نفهمه من عند ربنا.

«و سمى تركهم التعمق فى ما لم يكلفهم البحث» أى: الكشف، و الأصل فيه كشف التراب عن الشيء المدفون، قال ابن دريد: و فى مثل من أمثالهم: كباحثة عن حنظلها بظلفها، و ذلك أن شاء بحثت عن سكين مدفون بظلفها فذبحت به<sup>٨٤٠</sup>.

«عن كنهه» أى: حقيقته و بلوغ غايته.

«رسوخا» أى: ثبوتا مستحكما، من رسخ الجبل، فعبر عنهم بقوله:

«و الراسخون فى العلم».

ص: ٢١٥

«فاقتصر على ذلك» و تأدب بأدب الله.

«و لا تقدّر» أى: لا تعين مقدار.

«عظمة الله» و ذاته.

«على قدر عقلك» لقصوره.

«فتكون من الهالكين» حيث تجاوزت حدك، قال الباقر عليه السلام: إن قوما تكلموا فى الله عزَّ و جلَّ فتأهوا حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه، و ينادى من خلفه فيجيب من بين يديه<sup>٨٤١</sup>.

و قال الصادق عليه السلام: إن ملكا عظيم الشأن كان فى مجلس له، فتناول الربَّ تعالى، ففقد فما يدرى أين هو<sup>٨٤٢</sup>.

و فى خبر آخر: تكلموا فى كلِّ شيء، و لا تتكلموا فى ذات الله تعالى<sup>٨٤٣</sup>.

<sup>٨٣٨</sup> (٣) النمل: ٦٥.

<sup>٨٣٩</sup> (٤) البقرة: ٢٦.

<sup>٨٤٠</sup> (٥) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ١٩٩.

<sup>٨٤١</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٤٥٥ ح ٧، و البرقى فى المحاسن: ٢٣٨ ح ٢١١ فى ذيل حديث عن الباقر عليه السلام، و رواه صاحب فقه الرضا عنه بحار الأنوار ٣: ٢٦٢ ح ١٤ بلا عزو.

<sup>٨٤٢</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٩٣ ح ٦، و الصدوق فى التوحيد: ٤٥٨ ح ١٩، و البرقى فى المحاسن: ٢٤٠ ح ٢١٩ عن الصادق عليه السلام.

و عن الباقر عليه السلام: تكلموا في خلق الله، و لا تتكلموا في الله، فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحييراً<sup>٨٤٤</sup>.

١١

من الخطبة (٨٩) أيضا بعد ما مر:

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ - لِنُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ - وَ حَاوَلَ

ص: ٢١٦

الْفِكْرُ الْمُبْرَأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ - أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ - وَ تَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ - وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ - لِتَتَنَاوَلَ عِلْمَ ذَاتِهِ رَدْعَهَا - وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ - فَرَجَعَتْ إِذْ جَبِهَتْ مُعْتَرِفَةً - بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ - وَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ أَوْلَى الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ «هُوَ الْقَادِرُ» عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

«الذي إذا ارتمت» أي: قصدت، و الأصل فيه رمى الصيد.

«الأوهام لتدرك منقطع قدرته» و في رواية (التوحيد) بدل جميع الكلام:

«لأنه اللطيف الذي إذا أرادت الأوهام أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه»<sup>٨٤٥</sup>.

«و حاول» أي: قصد.

«الفكر المبرأ من خطرات» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (من خطر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٨٤٦</sup>.

«الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته» و في رواية (التوحيد) بدل جميع الكلام: «و حاولت الفكر المبرأة من خطر الوسواس إدراك علم ذاته»<sup>٨٤٧</sup>.

«و تولّته» أي: صارت و الهة.

<sup>٨٤٣</sup> (٣) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٩٢ ح ١، و الصدوق في التوحيد: ٤٥٥ ح ٢ عن الباقر عليه السلام.

<sup>٨٤٤</sup> (٤) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٩٢ ح ١، و الصدوق في التوحيد: ٤٥٤ ح ١ عن الباقر عليه السلام، و قد جاءت في هذا المعنى أحاديث كثيرة لم يسع المقام لذكرها.

<sup>٨٤٥</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٥١ ح ١٣.

<sup>٨٤٦</sup> (٢) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٢، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩ «خطرات» أيضا.

<sup>٨٤٧</sup> (٣) التوحيد للصدوق: ٥١ ح ١٣.

«القلوب إليه لتجرى في كَيْفِيَّة صفاته» و في رواية (التوحيد) «لتحوى منه مكَيِّفا في صفاته»<sup>٨٤٨</sup>.

ص: ٢١٧

«و غمضت» من أغمض في الأرض، إذا ذهب و غاب.

«مداخل العقول في حيث» أي: في مكان.

«لا تبلغه الصفات» أي: التوصيفات.

«لتناول» و في (ابن ميثم و الخطيئة)<sup>٨٤٩</sup> «لتناول».

«علم ذاته» أي: حقيقته، قال ابن أبي الحديد: ذات: لفظه قد طال فيها كلام كثير من أهل العربية، فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى و إضافتها إليه، أمّا إطلاقها فلأنها لفظه تأنيث، و الباري سبحانه منزّه عن الأسماء و الصفات المؤنثة، و أمّا إضافتها فلأنها عين الشيء، و الشيء لا يضاف إلى نفسه، و أجاز آخرون إطلاقها في الباري تعالى و إضافتها إليه، أمّا استعمالها فلو جهان:

أحدهما: أنها جاءت في الشعر القديم، قال حبيب الصحابيّ عند صلبه:

و ذلك في ذات الإله و إن يشأ      يبارك على أوصال شلو موزّع

و يروى: ممزّع.

و قال النابغة:

محبتهم ذات الإله و دينهم      قديم فما يخشون غير العواقب

<sup>٨٤٨</sup> (٤) التوحيد للصدوق ح: ١٣ ٥١.

<sup>٨٤٩</sup> (١) في شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩ في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٢ أيضا «لتناول».

و الوجه الثاني: أنّها لفظة اصطلاحية، فجاز استعمالها لا على أنّها مؤنث ذو، بل تستعمل ارتجالاً في مسماها الذي عبر عنه بها أرباب النظر الإلهي، كما استعملوا لفظ الجوهر والعرض وغيرهما في غير ما كان أهل العربية واللغة يستعملونها فيه، وأمّا منعهم إضافتها إليه تعالى - وأنه لا يقال:

ذاته، لأنّ الشيء لا يضاف الى نفسه - فباطل بقولهم: أخذته نفسه، وأخذته عينه<sup>٨٥٠</sup>.

ص: ٢١٨

قلت: من المنكرين ابن برهان، قال الفيومي: قال ابن برهان من النحاء:

قول المتكلمين: «ذات الله» جهل، لأنّ أسماءه لا تلحقها تاء التأنيث، فلا يقال:

علامة وإن كان أعلم العالمين. قال: وقولهم: «الصفات الذاتية» خطأ أيضاً، فإنّ النسبة إلى ذوات ذوى، لأنّ النسبة تردّ الاسم إلى أصله<sup>٨٥١</sup>.

قلت: كلامه غلط في غلط، فإنّ ذاتا بمعنى الحقيقة ليس تاؤه للتأنيث، وإنّما ذات و صفي، في قبالة ذواته للتأنيث، تقول: رجل ذو مال و امرأة ذات مال، كما أن (علامة) ليست تاؤه للتأنيث، بل للمبالغة، كيف و يطلق على الرجال، فيقال: فلان علامة الدهر؟! و ذات بمعنى الحقيقة: اسم، و قد خلطوا بينه و بين ذات و صفي بمعنى:

الصاحبة، و يشهد لخلطهم ما في (اللسان): أن ابن الأباري قال في قوله تعالى:

«الصدور»<sup>٨٥٢</sup>: معناه بحقيقة القلوب من المضمرات. فتأنيث ذات لهذا المعنى، كما قال: «و تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ»<sup>٨٥٣</sup> فأنّت على معنى الطائفة<sup>٨٥٤</sup>.

فجعل «ذات الصدور» كذات الشوكة مع أنّ الثاني وصف و الأصل أنّ الطائفة غير ذات الشوكة لقوله تعالى قبل: «وَ إِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ»<sup>٨٥٥</sup> و الأول اسم، و صرح بالفرق بينهما الفيومي أيضاً<sup>٨٥٦</sup>.

و قد استعمل (الذات) مضافاً إليه تعالى في غير كلامه عليه السلام، و بيت الصحار،

<sup>٨٥٠</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٢.

<sup>٨٥١</sup> (١) المصباح المنير ١: ٢٥٧ مادة (ذوى).

<sup>٨٥٢</sup> (٢) هود: ٥.

<sup>٨٥٣</sup> (٣) الأنفال: ٧.

<sup>٨٥٤</sup> (٤) لسان العرب ١٥: ٤٥٩ مادة (ذو).

<sup>٨٥٥</sup> (٥) الأنفال: ٧.

<sup>٨٥٦</sup> (٦) المصباح المنير ١: ٢٥٧ مادة (ذوى).

و بيت النابغة، و فى كلام سيّدة النساء فى خطبتها فى فدك: «مكدودا فى ذات الله»<sup>٨٥٧</sup>، و كلامها فى مرضها الذى توفيت فيه: «و تتمّره فى ذات الله»<sup>٨٥٨</sup>.

و فى بيت أبى تمام:

### و يضرب فى ذات الإله فيوجع

نقله (المصباح)<sup>٨٥٩</sup> و (المغرب)<sup>٨٦٠</sup>، و فى كلام العرب على نقل التكملة كما فيهما<sup>٨٦١</sup>: جعل الله ما بيننا فى ذاته.

و مرّ خبر (الكافى): و لا تتكلّموا فى ذات الله<sup>٨٦٢</sup>.

و جاء (ذات) مضافا إلى غير الله فى بيت سويد بن كراع العكلى، و قد نقله (كتاب سيبويه) شاهدا لكفّ لعلّ بلفظة (ما):

### أبا جعل لعلّما أنت حالم

### تحلّل و عالج ذات نفسك و انظرن

<sup>٨٦٣</sup> و فى بيت ذى الرّمّة، و قد نقله (الأساس)، و هو:

### بسائر أسباب الصباية راجح

### و إنّ هوى صيداء فى ذات نفسه

<sup>٨٥٧</sup> (١) رواه الطبرى فى دلائل الامامة: ٣٤، و الاربلى فى كشف الغمة ٢: ١١٢، و الطبرسى فى الاحتجاج ١: ١٠١، لكن رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٤: ٧٩ بدون هذه الفقرة.

<sup>٨٥٨</sup> (٢) رواه الصدوق فى معانى الأخبار: ٣٥٥ ح ١، و الجوهري فى السقيفة: ١١٨، و الطبرى فى دلائل الامامة: ٤٠، و أبو على الطوسى فى أماليه ١: ٣٨٤، المجلس (١٣)، و الطبرسى فى الاحتجاج ١: ١٠٨.

<sup>٨٥٩</sup> (٣) المصباح المنير ١: ٣٥٧ مادة (ذوى).

<sup>٨٦٠</sup> (٤) المغرب: ١٩٦ مادة (ذوى).

<sup>٨٦١</sup> (٥) المصدران أنفسهما.

<sup>٨٦٢</sup> (٦) مر هذا الخبر و أخبار أخرى فى المعنى فى العنوان (١٠) من هذا الفصل.

<sup>٨٦٣</sup> (٧) أورده سيبويه فى الكتاب ١: ٢٨٣.

<sup>٨٦٤</sup> و فى بيت حكاة ابن فارس فى (متخير ألفاظه) كما فى (المصباح):

ص: ٢٢٠

إذا كان بعض القوم فى ماله كلبا

فنعلم ابن عم القوم فى ذات ماله

<sup>٨٦٥</sup> ثم الظاهر أن معناه فى الكلّ واحد فى الأصل، و الاختلاف فيه من خصوصية المقام، فهو فى بيت النابغة بمعنى الإله نفسه، قال الفيومي فى بيت النابغة: المجلة (بالجيم) الصحيفة، أى: كتابهم عبودية نفس الإله <sup>٨٦٦</sup>.

و فى كلامه عليه السلام و فى كلام الصادق عليه السلام: (ذات الله) أى: حقيقته و هويته، و فى كلام الصديقة عليهما السلام و بيت الصحار، و بيت أبى تمام، و كلام العرب بمعنى فى جنب الله و لأجله.

و فى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ <sup>٨٦٨</sup>، و فى بيت سويد أيضا بمعنى الباطن، و فى بيت ذى الرمة بمعنى شخصه، و فى بيت ابن فارس بمعنى أصله.

«ردعها» أى: كفها.

«و هى تجوب» أى: تقطع.

«مهاوى» أى: مهالك.

«سدف» أى: ظلم.

«الغيوب متخلصة إليه سبحانه» لا يخالطها قصد غيره.

<sup>٨٦٤</sup> (٨) نقله أساس البلاغة: ١٤٧ مادة (ذوى).

<sup>٨٦٥</sup> (١) المصباح المنير ١: ٣٥٧ مادة (ذوى).

<sup>٨٦٦</sup> (٢) المصدر نفسه.

<sup>٨٦٧</sup> (٣) هود: ٥.

<sup>٨٦٨</sup> (٤) غافر: ١٩.

«فرجعت إذ جبهت» أى: صكّت جباهها.

«معرفةً بأنه» تعالى.

«لا ينال» بلفظ المجهول.

ص: ٢٢١

«بجور» أى: كثرةً.

«الاعتساف» أى: الأخذ على غير الطريق.

«كنه معرفته» عزّ و جلّ، لكونه من المحالات.

«و لا تخطر ببال» أى: ذهن.

«أولى الرويات» أى: أصحاب التفكير فى الأمور.

«خاطرة من تقدير جلال عزّته» كيف لا، و قد قال تعالى: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»<sup>٨٦٩</sup>؟! و كلامه عليه السّلام من أوّله إلى آخره ناظر إلى قوله تعالى: «ما ترى فى خلقِ الرّحمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ»<sup>٨٧٠</sup>.

و مثله دعاء قنوت (الصحيفة السجادية) الثانية: سبحانك طوت الأبصار فى صنعتك مديدتها، و ننت الألباب عن كنهك أعتتها<sup>٨٧١</sup>.

و قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: فإن قالوا: و لم يختلف فيه تعالى؟ قيل لهم:

لقصر الأوهام عن مدى عظمتها، و تعديها أقدارها فى طلب معرفتها، و أنّها تروم الإحاطة به، و هى تعجز عن ذلك و ما دونه، فمن ذلك: هذه الشمس التى تراها تطلع على العالم و لا يوقف على حقيقة أمرها، و لذلك كثرت الأقاويل فيها، و اختلف الفلاسفة المذكورون فى وصفها، فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوّ ناراً له فم يجيش بهذا الوهج و الشّعاع. و قال آخرون: هو سحابة. و قال

<sup>٨٦٩</sup> (١) الكهف: ١٠٩.

<sup>٨٧٠</sup> (٢) الملك: ٣-٤.

<sup>٨٧١</sup> (٣) لم أعر على نسخته.

آخرون: هو جسم زجاجي يقل نارياً في العالم و يرسل عليه شعاعها. و قال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد ماء البحر، و قال آخرون: هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار. و قال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة.

ثم اختلفوا في شكلها ... و كذلك اختلفوا في مقدارها ... ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر و يدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحس و استتر عن الوهم<sup>٨٧٢</sup>.

هذا، و زاد في رواية التوحيد بعد «من تقدير جلال عزته»: «لبعده من أن يكون في قوى المحدودين لأنه خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقين، و إنما يشبه الشيء بعديله، فأما ما لا عدل له، فكيف يشبهه بغير مثاله»<sup>٨٧٣</sup>.

من الخطبة (٨٩) بعد ما مر:

الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ امْتِنَانِهِ - وَ لَا مِقْدَارِ احْتِنَانِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ - وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ - وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ - وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ - مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ - فَظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ - الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلَامُ حِكْمَتِهِ - فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ - وَ إِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً - وَ دَلَّالَتُهُ عَلَى الْبُدْعِ قَائِمَةً

«الذي ابتدع الخلق» أي: اخترعه، قال تعالى: «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»<sup>٨٧٤</sup>.

«على غير مثال امتنانه» لنفسه، كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص، ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها، و كالبناء الذي يخط في الأرض أو غيرها خطوطا، ثم يبني بحسبها، و كالذي يضرب اللبن على القالب.

«و لا مقدار احتدى عليه» أي: جعله مقابلا له، يقال: حذو النعل بالنعل، و القذة بالقذة<sup>٨٧٥</sup>. و القذة، ريش السهم.

<sup>٨٧٢</sup> (١) توحيد المفضل: ١٧٨.

<sup>٨٧٣</sup> (٢) التوحيد للصدوق: ٥٢ ح ١٣.

<sup>٨٧٤</sup> (١) البقرة: ١١٧.

«من خالق معبود» و في (المصرية): «معهود» و هو غلط<sup>٨٧٦</sup>.

«كان قبله» كصنّاع يتبعون صنّاعا قبلهم كانوا مخترعي تلك الصنعة.

«و أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قَدْرَتِهِ» قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ»<sup>٨٧٧</sup>، فهل قدرة أملك من تلك القدرة التي جعلت التراب بشرا ينتشر؟

«و عجائب ما نطقت به آثار حكيمته» «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»<sup>٨٧٨</sup>.

فهل من حكمة أعجب من هذه فلو لم تكن أزواج الناس من جنس

ص: ٢٢٤

أنفسهم لنفروا عنها و لم يسكنوا إليها، و لنفرت الأزواج عنهم، و لم تسكن إليهم، كما أنه لو لم يكن جعل تعالى بينهم مودة و رحمة، كيف كان الرجال يتحملون مشاق مئونات النساء، و كيف كانت النساء يتحملن مشاق تكاليفات الرجال، الى غير ذلك من غرائب قدرته و عجائب حكيمته في خلقه الذي لا يحصى.

«و اعتراف الحاجة من الخلق» بلسان الحال.

«إلى أن» هكذا في النسخ<sup>٨٧٩</sup>، و الظاهر كونه مصحّف (إلى من).

«يقيمها بمساک قوته» «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>٨٨٠</sup>.

«ما» مفعول ثان لقوله «و أَرَانَا».

«دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته» بالوجود و القدرة و الحكمة.

<sup>٨٧٥</sup> (٢) هذا اصطلاح سائد في لغة العرب، و جاء في الحديث النبوي: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة»، رواه رزين في الجمع عنه جامع الاصول ١٠: ٤٠٨ ح ٧٤٧١، و الطوسي في الاقتصاد: ٢١٣، و المفصح: ١٢٧، و أورد الميداني في مجمع الأمثال ١: ١٩٥ و الزمخشري في المستقصى ٢: ٦١: «حذو القذة بالقذة»، و قال الزمخشري يضرب في التماثلين.

<sup>٨٧٦</sup> (٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٣: «معبود»، و لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩: «معهود».

<sup>٨٧٧</sup> (٤) الروم: ٢٠.

<sup>٨٧٨</sup> (٥) الروم: ٢١.

<sup>٨٧٩</sup> (١) كذا في نهج البلاغة ١: ١٦٣، و شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٣، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩.

<sup>٨٨٠</sup> (٢) فاطر: ٤١.

«و ظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعه و أعلام حكمته» هكذا فى (النهج)<sup>٨٨١</sup>، و الظاهر وقوع سقط لعدم ربط الكلام من أوّله بما قبله.

و يشهد للسّقط رواية (التوحيد) ففيها قبله «الذى صدرت الأمور عن مشيئته، و تصاغرّت عزّة المتجبرين دون جلال عظّمته، و خضعت له الرقاب، و عنّت الوجوه من مخافته»<sup>٨٨٢</sup>.

«فصار كلّ ما خلق حجّة له و دليلا عليه» قال:

فوا عجباً كيف يعصى الإله  
أم كيف يجحده الجاحد

ص: ٢٢٥

و فى كلّ شىء له آية  
تدلّ على أنّه واحد

<sup>٨٨٣</sup> «و إن كان خلقا صامتا» و فى (ابن ميثم)<sup>٨٨٤</sup>: «و إن كان صامتا».

«فحجّته بالتدبير» أى: بوجود مدبّر للخلائق.

«ناطقة» بلسان الحال.

«و دلّالته على البدع»: أى كونه تعالى مبدعا لها.

«قائمة» بشهادة العقول، قال بعضهم فى وصف النّرجس:

عيون فى جفون فى فنون  
بدت فأجاد صنعتها المليك

<sup>٨٨١</sup> (٣) كذا فى نهج البلاغة ١: ١٦٣، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٣، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩.

<sup>٨٨٢</sup> (٤) التوحيد للصدوق: ٥٢ ح ١٣.

<sup>٨٨٣</sup> (١) أورده ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ١٤٤.

<sup>٨٨٤</sup> (٢) فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩، و فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٣ «خلقاً صامتا» أيضا.

بأبصار التغمج لا محات

كأن حداقها ذهب سبيك

على غصن الزمرد مخبرات

بأن الله ليس له شريك

١٣

من الخطبة (٨٩) بعد ما مر:

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ - وَتَلَاخُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ - لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ - وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ - وَ كَانَهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَبُوعِينَ - إِذْ يَقُولُونَ «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>٨٨٥</sup> - كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَهَّوْكَ بِأَصْنَامِهِمْ - وَ نَحَلُّوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ - وَ جَزَّوْكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ - وَ قَدَّرُوكَ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ - وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ

ص: ٢٢٦

سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ - وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا نَزَلَتْ بِهِ مُحْكَمُ آيَاتِكَ - وَ نَطَقَتْ بِهِ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ - وَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ - فَتَكُونُ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفًا - وَ لَا فِي رَوَايَاتِ خَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصْرَفًا «فَأَشْهَدُ» إِخْبَارَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَهَادَتِهِ لِتَأْكِيدِ الْمَطْلَبِ نَظِيرِ قَوْلِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: «إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَ أَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ»<sup>٨٨٦</sup>.

«أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ» فِي كَوْنِ بَعْضِهَا أَفْرَادًا وَ بَعْضِهَا أَزْوَاجًا، قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُفَضَّلِ: فَالرَّأْسُ مِمَّا خَلَقَ فَرْدًا، وَ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ صِلَاحٌ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أَضِيفَ إِلَى رَأْسِ الْإِنْسَانِ رَأْسٌ آخَرَ لَكَانَ ثِقْلًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْحَوَاسِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مَجْتَمَعَةٌ فِي رَأْسٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ كَانَ الْإِنْسَانُ يَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ لَوْ كَانَ لَهُ رَأْسَانِ، فَإِنْ تَكَلَّمَ مِنْ أَحَدِهِمَا كَانَ الْآخَرَ مَعْطَلًا لَا إِرْبَ فِيهِ وَ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَ إِنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمَا جَمِيعًا بِكَلَامٍ وَاحِدٍ كَانَ أَحَدُهُمَا فَضْلًا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَ إِنْ تَكَلَّمَ بِأَحَدِهِمَا بِغَيْرِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ مِنَ الْآخَرِ، لَمْ يَدْرِ السَّمَاعُ بِأَيِّ ذَلِكَ يَأْخُذُ، وَ أَشْبَاهُ هَذِهِ مِنَ الْأَخْلَاطِ. وَ الْيَدَانِ مِمَّا خَلَقَ أَزْوَاجًا، وَ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ خَيْرٌ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ وَاحِدَةٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَخْلُ بِهَ فِي مَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعَالَجَتِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، أَلَا تَرَى أَنَّ التَّجَارَ وَ الْبِنَاءَ لَوْ شَلَّتْ إِحْدَى يَدَيْهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْالِجَ صِنَاعَتَهُ، وَ إِنْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ لَمْ يَحْكُمَهُ، وَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ مَا يَبْلُغُهُ إِذَا كَانَتْ يَدَاهُ تَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْعَمَلِ<sup>٨٨٧</sup>.

<sup>٨٨٥</sup> (٣) الشعراء: ٩٧-٩٨.

<sup>٨٨٦</sup> (١) هود: ٥٤-٥٥.

<sup>٨٨٧</sup> (٢) توحيد المفضل: ٦١.

«و تلاحم» أى: تلاصق، من تلاحمت الشجّة: تلاءم لحمها.

«حقاق» جمع الحقّ بالضمّ، و فى (الجمهرة): الحقّ رأس العضد الذى فيه

ص: ٢٢٧

الوابلة، و أصل الورك الذى فيه عظم رأس الفخذ<sup>٨٨٨</sup>، و زاد (اللّسان): و النقرة التى فى رأس الكتف أيضا<sup>٨٨٩</sup>.

«مفاصلهم المحتجبة» عن العيون، و فى (توحيد المفضل): و لو رأيت الدّماغ اذا كشف عنه لرأيتَه قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض و تمسكه فلا يضطرب، و لرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كما تقيه هدّ الصدمة و الصكّة التى ربّما وقعت فى الرّأس، ثمّ قد جلّلت الجمجمة بالشعر حتّى صارت بمنزلة الفرو للرأس، يستره من شدّة الحرّ و البرد، فمن حصّن الدماغ هذا التّحصين إلّا الذى خلقه، و جعله ينبوع الحس و المستحقّ للحيطّة و الصبانة بعلوّ منزلته من البدن، و ارتفاع درجته و خطير مرتبته. تأمّل - يا مفضّل - الجفن على العين كيف جعل كالغشاء، و الأشفار كالأشراح و أولجها فى هذا الغار، و أظّلها بالحجاب، و ما عليه من الشعر.

يا مفضل! من غيّب الفؤاد فى جوف الصدر، و كساه المدرعة التى هى غشاوة و حصّنه بالجوانح، و ما عليها من اللّحم و العصب لتلّا يصل إليه ما ينكؤه<sup>٨٩٠</sup>.

«لتدبير حكمتك» فى تباين ما تباين من الأعضاء، و تلاحم حقاك ما احتجبت من المفاصل على ما عرفت.

هذا و قال ابن الحديد: روى بعضهم قوله عليه السّلام: «المحتجبة لتدبير حكمتك»: (المحتجبة) فمن قال: المحتجبة، أراد أنّها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجبة المستدلّة على التدبير الحكمى من لدنه سبحانه، و من قال:

ص: ٢٢٨

المحتجبة، أراد المستترة لأنّ تركيبها الباطن خفى محجوب<sup>٨٩١</sup>.

و الاشكال عليه أنّ ابن ميثم الذى نسخه بخطّ المصنّف لم ينقل غير «المحتجبة»<sup>٨٩٢</sup>، و رواية التوحيد أيضا بلفظ «المحتجبة» نسخة واحدة<sup>٨٩٣</sup>، و قد عرفت أنّ التدبير مربوط بجميع الكلام لا بخصوص تلاحم حقاك المفاصل.

<sup>٨٨٨</sup> (١) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٦٣.

<sup>٨٨٩</sup> (٢) لسان العرب ١٠: ٥٦ مادة (حقق).

<sup>٨٩٠</sup> (٣) توحيد المفضل: ٦٤.

<sup>٨٩١</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٤.

<sup>٨٩٢</sup> (٢) فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٢٩ (المحتجبة).

و كيف كان فيبانه عليه السّلام لتدبير حكّمته تعالى في الأعضاء و المفاصل ضمنىّ، فإنّه عليه السّلام في مقام إنكار تشبيه الخالق بالخلّاق، كما أنّه قد يكون الكلام في غير مقام المدح و القدح، و يحصلان ضمنا.

كما أنّ قوله عليه السّلام: «شبهك بتباين» جعل وجه الشبه و المشبه و المشبه به اختصارا و ايضا حاشا لشناعة فعالهم.

«لم يعقد غيب ضميره على معرفتك» أى أنّ المشبه له تعالى بالخلق، و إن ادعى أنّه عرفك، إلّا أنّه لم يصل إلى معرفتك، حيث إنّ ما تصوّره الربّ ليس ربّ.

و لما اتّهم الواثق أحمد بن نصر الخزاعيّ بالخروج عليه، فأخذ و حمل اليه، قال له الواثق: دع ما أخذت له، أفترى ربّك في القيامة؟

قال: كذا جاءت الرواية.

فقال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم يحويه مكان، و يحصره الناظر، أنا أكفر ربّ هذه صفته، ما تقولون فيه؟

فقال ابن أبي داود: شيخ مختل لعلّ به عاهة أو تغير عقل.

قال الواثق: ما أراه إلّا مؤدّيا لكفره قائما بما يعتقد، و دعا بالصّمامة

ص: ٢٢٩

و قال: إذا قمت إليه، فلا يقوم أحد معي، فإنّي أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربّا لا عبده، و لا نعرفه بالصفة التي وصفه بها. و مشى إليه حتّى ضرب عنقه<sup>٨٩٤</sup>.

و من المضحك أنّ الخطيب الحشويّ وضع له نومين، أحدهما: رأوه في النوم، فقال: لقيت الله فضحك إليّ. و الثاني: رأوه في النوم، فقال: غضبت لله فأباحني النظر الى وجهه. تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

و روى ذاك الحشويّ في عنوانه للحسين بن شبيب خبراً عن أبي بكر الصيد لاني عن أبي بكر المروزيّ بأسناد له أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم قال: الكرسيّ الذي يجلس عليه الربّ و ما يفضل منه إلّا قدر أربع، و إن له أطيطاً كأطيط الرّحل الجديد (أى صوته).

<sup>٨٩٣</sup> (٣) التوحيد للصدوق: ٥٤ ح ١٣ و لم ينقل في الهامش اختلاف بين النسخ.

<sup>٨٩٤</sup> (١) نقله الطبري في التاريخ ٧: ٣٢٨ (سنة ٢٣١)، و نقله الشارح بتصرف، و قد سبق بعض القصّة في العنوان (٨) من هذا الفصل.

و قال ذاك الحشويّ: من ردّ هذا فإنّما أراد الطعن على أبي بكر المروزي، و على أبي بكر بن سلم. و هل كانا إلّا رجلين معروفين بالمنكر؟! و من العجب أنّ ذاك الحشويّ يطعن على أدلّة العقول و على كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و يدعن و يسكن الى جمع حشويين ناصبيين معتقدين بما «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا»<sup>٨٩٥</sup>.

و قال الرضا عليه السّلام: إلهي بدت قدرتك، و لم تبد هيئته، فجهلوك و قدروك، و التقدير على غير ما به وصفوك، و إنّي برىء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك<sup>٨٩٦</sup>.

ص: ٢٣٠

«و لم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ندّ» أي: مثل.

«لك» و إنّما استندوا إلى أوهام، و اعتمدوا على أباطيل، و منهم أبو إسماعيل الهرويّ، فاستند في ما توهم إلى ما عن مرامه بمراحل، فقال: لما عاب تعالى الأصنام بعدم أرجل يمشون بها، و أيد يبطشون بها، و أعين يبصرون بها، و آذان يسمعون بها حيث قال: «أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا»،<sup>٨٩٧</sup> و قال: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ»<sup>٨٩٨</sup> و قال: «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَ لَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا»،<sup>٨٩٩</sup> و قال: «أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا»<sup>٩٠٠</sup> تبيّن أنّه تعالى تمدّح بها، و أنّها حقائق فيه<sup>٩٠١</sup>.

فإنّ عيبهم بما قال لا يستلزم مدحه بها كما توهم، و إلّا لزم أن يكون جميع البشر آلهة، فعاب آلهتهم بعدم كونهم مثلهم تهجيناً لعقولهم، و لا ينافي ذلك اختصاص الإله من عبّده بكونه جامعا للصفات الكمالية بدون الحاجة إلى الجوارح الظاهرية.

«و كأنّه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ»»<sup>٩٠٢</sup> و الآيتان في الشعراء، و قبلهما:

«قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ»<sup>٩٠٣</sup>. و المراد من التابعين: الغاؤون، و من

<sup>٨٩٥</sup> (٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٨: ٥٢، و الآية (٩٠) من سورة مريم.

<sup>٨٩٦</sup> (٣) أخرجه الصدوق في التوحيد: ١٢٤ ح ٢، و العيون ١: ٩٥ ح ٥، و أماليه: ٤٨٧ ح ٢ المجلس (٨٩)، و نقله المجلسي عن الكتاب العتيق للغروي في بحار الأنوار ٩٤: ١٨١ ح ٩ عن الرضا عليه السّلام، و أخرجه المفيد في الارشاد: ٢٦٠ عن السجاد عليه السّلام.

<sup>٨٩٧</sup> (١) الأعراف: ١٩٥.

<sup>٨٩٨</sup> (٢) فاطر: ١٤.

<sup>٨٩٩</sup> (٣) الأعراف: ١٤٨.

<sup>٩٠٠</sup> (٤) طه: ٨٩.

<sup>٩٠١</sup> (٥) نقله عن ابن طاوس في الطرائف ٢: ٣٤٥.

<sup>٩٠٢</sup> (٦) الشعراء: ٩٧-٩٨.

المتبوعين: ما يعبدون من دون الله، قال تعالى: «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ»<sup>٩٠٢</sup>.

و خطابه عليه السلام و إن كان مع الموحدين، و الآيات في المشركين، إلّا أنّهم لمّا شبّهوه بخلقه صاروا كالمشركين غيره تعالى له عزّ وجلّ كما قال عليه السلام<sup>٩٠٥</sup>.

«إذ شبّهوك بأصنامهم» في إثبات الجسميّة له، و في (التوحيد) بدل (بأصنامهم) (بأصنافهم)<sup>٩٠٦</sup>.

«و نحلوك» أي: ادّعوا لك باطلا.

«حليّة المخلوقين» التي يكون الخالق منزّها عنها.

«بأوهامهم» و لم يراجعوا عقولهم.

«و جزّوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم، و قدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم» الناقصة، و المراد: باستنباط عقولهم الضعيفة، و الأصل في القريحة أوّل ماء يستنبط من البئر.

قال الدواني: المشبّهة منهم من قال: إنّ جسم حقيقة. ثم افترقوا، فقال بعضهم: إنّ مركّب من لحم و دم. و قال بعضهم: هو نور متألّف كالسبيكة البيضاء طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، و منهم من قال: إنّ على صورة إنسان. و منهم من يقول: إنّ شاب أمرّد جعد ققط. و منهم من قال: إنّ شيخ أشمط الرأس و اللحية. و منهم من قال: هو في جهة الفوق مماسّ للصفحة العليا من العرش، و يجوز عليه الحركة و الانتقال، تبدل الجهات و يتطّ العرش

تحتة أطيّط الرحل الجديد تحت الرّكب الثقيل، و هو يفضل على العرش بقدر أربع أصابع. و منهم من قال: هو محاذ للعرش غير مماسّ له، و بعده عنه بمسافة متناهية، و قيل: بمسافة غير متناهية<sup>٩٠٧</sup> ... إلى غير ذلك من خرافاتهم.

تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

<sup>٩٠٢</sup> (٧) الشعراء: ٩٦.

<sup>٩٠٤</sup> (١) الشعراء: ٩١-٩٣.

<sup>٩٠٥</sup> (٢) لم يتعرض الشارح لشرح فقرة «كذب العادلون بك».

<sup>٩٠٦</sup> (٣) التوحيد للصدوق: ٥١ ح ١٣ و نصه: «إذ شبّهوه بمثل أصنافهم» و في نسخة (أصنامهم).

<sup>٩٠٧</sup> (١) نقله عن الدواني المجلسي في بحار الأنوار ٣: ٢٨٩.

«و أشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك» عن جلالك.

«و العادل بك» غيرك.

«كافر بما نزلت به محكم آياتك» قال تعالى: «أ إله مع الله بل هم قومٌ يعدلون»<sup>٩٠٨</sup>، «و لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا و الذين لا يؤمنون بالآخرة و هم برئهم يعدلون»<sup>٩٠٩</sup>، «ثم الذين كفروا برئهم يعدلون»<sup>٩١٠</sup>.

«و نطقت به شواهد حجج بيناتك» من دلالة العقول على عدم إمكان كون الخالق كالخلاق.

«و أنت الله الذى لم تتناه فى العقول» لقصورها عن الإحاطة بك.

«فتكون فى مهبط» رياح.

«فكرها» ككثير من الأشياء.

«مكيّفا» بكيفيّه.

«و لا فى روّيات خاطرها» أى تفكرها فى الأمور.

«محدودا مصرفا» كخلقه، ورد أن رجلا قال له عليه السلام: أين المعبود؟

فقال عليه السلام: لا يقال له: أين. لأنّه أَيْن الأينية، و لا يقال له: كيف. لأنّه كَيْف الكيفيّة، و لا يقال له: ما هو. لأنّه خلق الماهية. سبحانه من عظيم تاهت الفطن

ص: ٢٣٣

فى تبار أمواج عظمته، و حصرت الألباب عن ذكر أزيلته، و تحيّرت العقول فى أفلاك ملكوته<sup>٩١١</sup>.

هذا، و فى (منهاج العلماء): حكى عن بعض المنقطعين التاركين من شيوخ الحشوية أنّه اجتاز عليه فى بعض الأيام نفاط و معه أمرد حسن الصورة قطط الشعر على الصفات التى يصفون ربّهم بها، فألحّ بالنظر إليه و كرّره، فتوهم منه النفاط أمرا، فجاء إليه ليلا و قال له: رأيتك تلحّ بالنظر إلى هذا الغلام و قد أتيتك به، فإن كان لك فيه نيّة فأنت الحاكم. فحرد عليه، و قال:

<sup>٩٠٨</sup> (٢) النمل: ٦٠.

<sup>٩٠٩</sup> (٣) الأنعام: ١٥٠.

<sup>٩١٠</sup> (٤) الأنعام: ١.

<sup>٩١١</sup> (١) رواه القتال فى روضة الواعظين ١: ٣٧ و روى فى معناه كثيرا لم يسع المقام لذكره.

إنما كررت النظر لأن مذهبي: أن الله ينزل على صورة هذا الغلام، فتوهمت أنه الله. فقال له النفاط: و الله ما أنا عليه من النفاطة أجد مما أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة.

وفيه: و ذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على شكل أمرد ببغداد راكبا على حمار، حتى ان بعضهم ببغداد صنع على سطح داره معلقا، و يضع كل ليلة جمعة فيه شعيرا و تنبا، فلعن ينزل الله على حماره على ذلك السطح، فيشتغل الحمار بالأكل، و يشتغل الربّ بالنداء، و يقول: هل تائب مستغفر؟<sup>٩١٢</sup>

١٤

من الخطبة (٨٩) بعد ما مر:

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَلْطَفَ تَقْدِيرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَحْكَمَ تَدْبِيرَهُ - وَ وَجَّهَهُ لَوِجْهِتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ - وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ - وَ لَمْ

ص: ٢٣٤

يَسْتَصْعِبُ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ - وَ كَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ - الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فَكَّرَ آلَ إِلَهِهَا - وَ لَا قَرِيحَةَ غَرِيضَةَ أَضْمَرَ عَلَيْهَا - وَ لَا تَجْرِبَةَ اسْتَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ - وَ لَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ - فَتَمَّ خَلْقُهُ وَ أَدْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ - وَ لَمْ يَعْطُرْ دُونَهُ رِيثَ الْبَطِيءِ وَ لَا أَنَاءَ الْمُتَلَكِّيِّ - فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا - وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا - وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِبِهَا وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاسًا - مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ - بَدَايَا خَلْقَاتٍ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا «قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَلْطَفَ» هكذا في (المصرية)<sup>٩١٣</sup>، و الصواب: (فأحكم).

«تقديره» «فالقُ الأصباح وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>٩١٤</sup>، «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ»<sup>٩١٥</sup>.

«و دبره فأحكم» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (فألطف) كما في غيرها<sup>٩١٦</sup>.

<sup>٩١٢</sup> (٢) نقلهما العلامة الحلي في منهاج الكرامة: ٧ و نقلناهما بتصرف يسير.

<sup>٩١٣</sup> (١) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٥ «فأحكم» و في شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٠ «فألطف».

<sup>٩١٤</sup> (٢) الأنعام: ٩٦.

<sup>٩١٥</sup> (٣) يس: ٣٦ - ٣٩.

<sup>٩١٦</sup> (٤) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٥ «فألطف»، و في شرح ابن ميثم ٢: ٣٤١ «فأحكم».

«تدبيره» «قُلْ أَيْنَ كُنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ»

ص: ٢٣٥

٩١٧

و في دعاء الهلال: «سبحانه ما أعجب ما دبر في أمرك، و أطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث»<sup>٩١٨</sup>.

و في (توحيد المفضل) قال الصادق عليه السلام: «انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه، و شرف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصباح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء، و لم تجعل في الأعضاء التي تحتها كاليدين و الرجلين فتعرضها الآفات، و يصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يعللها و يؤثر فيها، و ينقص منها، و لا في الأعضاء التي وسط البدن كالبدن و الظهر، فيعسر تقلبها و اطلاعها نحو الأشياء»<sup>٩١٩</sup>. و فيه أيضا: «اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه و مشربه، و تسهيل خروج الأذى، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها؟ فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيب للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزا من خلفه، و لا ناشرا من بين يديه، بل هو مغيب في موضع غامض من البدن، مستور محبوب يلتقى عليه الفخذان، و تحجبه الإليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه، فإذا احتاج الإنسان الى الخلاء و جلس تلك الجلسة ألقى ذلك المنفذ منه منصبا مهيبا لانحدار النفل، فتبارك من تظاهرت آلاؤه و لا تحصى نعمائه»<sup>٩٢٠</sup>.

«و وجهه» أي: ما خلق.

«لوجهته» التي ينبغي أن يكون عليها.

ص: ٢٣٦

«فلم يتعدّ حدود منزلته، و لم يقصر دون الانتهاء إلى غايته» بل يصير إلى ما خلق له بلا زيادة و لا نقصان.

<sup>٩١٧</sup> (١) فصلت: ٩ - ١٠.

<sup>٩١٨</sup> (٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٠، الدعاء (٤٣).

<sup>٩١٩</sup> (٣) توحيد المفضل: ٥٨.

<sup>٩٢٠</sup> (٤) توحيد المفضل: ٧٠.

فى (توحيد المفضل): انظر الآن كيف حياء الأنتى من الفيلة فى أسفل بطنها، فإذا هاجت للضراب ارتفع و برز حتى يتمكن الفحل من ضربها، فاعتبر كيف جعل حياء الأنتى من الفيلة على خلاف ما عليه فى غيرها من الأنعام، ثم جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيأ للأمر الذى فيه قوام النسل و دوامه<sup>٩٢١</sup>.

«و لم يستصعب» ما خلق.

«إذ أمر بالمضى» و النفوذ.

«على إرادته» و وفق مشيئته، قال تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>٩٢٢</sup>، و: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»<sup>٩٢٣</sup>.

«و كيف» يستصعب شىء عن إرادته تعالى.

«و إنما صدرت الأمور عن مشيئته» «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>٩٢٤</sup>، «وَ مَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»<sup>٩٢٥</sup>.

«المنشى أصناف الأشياء بلا رويّة» أى: تأمل.

«فكر آل» أى: رجع.

ص: ٢٣٧

«اليها» كالناس فى أفعالهم «وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أَكْلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَانَ مُتَشَابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً»<sup>٩٢٦</sup>.

«و لا قريحه» و الأصل فى القريحة أوّل ماء يستنبط من البئر، ثم استعير لما يستنبط بجودة الطبع.

«غريزة» بتقديم الرّاء على الزّاء، أى: الطبيعة.

<sup>٩٢١</sup> (١) توحيد المفضل: ١٠٤.

<sup>٩٢٢</sup> (٢) فصلت: ١١-١٢.

<sup>٩٢٣</sup> (٣) يس: ٤٠.

<sup>٩٢٤</sup> (٤) يس الانسان: ٨٢.

<sup>٩٢٥</sup> (٥): ٣٠.

<sup>٩٢٦</sup> (١) الأنعام: ١٤١-١٤٢.

«أضمر» أى: عمل فى الضمير.

«عليها» أى: على تلك القريحة.

«و لا تجربة استفادها من حوادث الدهور» كالنّاس المعمّرين.

«و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور» حسب شأن الخلائق.

«فتمّ خلقه» من حيث جمعه لجميع مصالحه «ما ترى فى خلقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ»<sup>٩٢٧</sup>.

«و أذعن» أى: خضع و ذلّ.

«لطاقته» أى: إطاعته.

«و أجاب إلى دعوته» فلمّا قال بلسان القدرة للسّماء و الأرض: «أَتَيْتِنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» قالتا بلسان المذلّة له: «أَتَيْتِنَا طَائِعِينَ»<sup>٩٢٨</sup>.

«و لم يعترض دونه ريث» الرّيث: ضد العجلة كالبطء.

«البطىء و لا أناء» أى: تأن.

ص: ٢٣٨

«المتلكّى» أى: المتباطىء، فى رواية (التوحيد) بدل «و أجاب إلى دعوته ...

أناء المتلكّى»: «و وافى الوقت الذى أخرجه إليه إجابة لم يعترض دونها ريث المبطىء، و لا أناء المتلكّى»<sup>٩٢٩</sup>. و هو الأقرب لإفادة المقصد.

و المراد: أنّ ما يحصل فى الوجود كالأسنان للرّضيع، و اللحية للرجل، و الندى للمرأة، إنّما كان لأنّ الأوّل إنّما يوافق الوقت الذى يحتاج إلى الأكل، و الثانى إنّما يوافق الوقت الذى يتميّز الرّجل من الطفل، و الثالث إنّما يوافق الوقت الذى تستعدّ المرأة للحمل، و كلّ منها قبل ذلك وجوده لغو، لا أنّها تلكأت و أبطأت عليه - تعالى - كالناس يريدون شيئاً لا يحصل لهم فى ذاك الوقت.

«فأقام من الأشياء أودها» أى: عوجها.

<sup>٩٢٧</sup> (٢) الملك: ٣.

<sup>٩٢٨</sup> (٣) هذا اقتباس من قوله تعالى: «أَمْ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْتِنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» E فصلت: ١١.

<sup>٩٢٩</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٥٣ ح ١٣.

«و نهج» أى: أوضح.

«حدودها» و نقله ابن أبى الحديد (جددها)، و قال: أى طريقها<sup>٩٣٠</sup>. مع أن فى (الصحاح): الجدد، بالفتح، الأرض الصلبة<sup>٩٣١</sup>، و فى (اللسان) قال ابن شميل:

الجدد ما استوى من الأرض<sup>٩٣٢</sup>.

قلت: و يشهد للثنائى المثل: من سلك الجدد أمن العثار<sup>٩٣٣</sup>. ثم فى (التوحيد) بدل الجملة «و نهى معالم حدودها»<sup>٩٣٤</sup>.

«و لاءم بقدرته بين متضادّها» فسّر متضادّ الأشياء - التى لاءم تعالى

ص: ٢٣٩

بينها - بعضهم بالحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، و بعضهم بالنار و الماء و الريح و التراب.

«و وصل أسباب قرائنها» قيل: المراد اقتران النفوس بالأبدان. و قيل:

هدايتها لما هو الأليق بها فى معاشها و معادها. و زاد (التوحيد) «و خالف بين ألوانها»<sup>٩٣٥</sup>.

«و فرقها أجناسا مختلفات» الإنسان و أنواع الحيوانات و الطيور و الهوامّ.

«فى الحدود و الأقدار» أى: المقادير.

«و الغرائز» بتقديم الرّاء، أى: الطّبائع.

«و الهيئات» أى: الأشكال، قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر يا مفضّل فى هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان، و فى خلقها على ما هى عليه ممّا صلاح كلّ واحد منها، فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوى ذهن و فطنة و علاج لمثل هذه الصناعات من البناء و التجارة و الصباغة و غير ذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ، ليتمكنوا من القبض على الأشياء و أوكدها هذه

<sup>٩٣٠</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٥ «حدودها» أيضا، و فى: ١٤٦ شرح فقرة «نهج البلاغة» بلفظ «أوضح الطريق»، و فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٤ «جددها»، و فى: ٣٤٤ جعل «حدودها» رواية و شرح الفقرة بلفظ «هو ايضاحه لكلّ شيء و جهته و غايته التى تيسرها له».

<sup>٩٣١</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ١: ٤٤٩ مادة (جدد).

<sup>٩٣٢</sup> (٤) لسان العرب ٣: ١٠٩ مادة (جدد).

<sup>٩٣٣</sup> (٥) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ٢: ٣٠٦ و الزمخشري فى المستقصى ٢: ٣٥٦ و قالوا: يضرب فى طلب العافية.

<sup>٩٣٤</sup> (٦) التوحيد للصدوق: ٥٤ ح ١٣.

<sup>٩٣٥</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٥٤ ح ١٣.

الصناعات، و آكلات اللحم لما قدر أن تكون معائشها من الصيد خلقت لهم أكفّ لطاف مدمجة ذوات برائن و مخالب تصلح لأخذ الصيد و لا تصلح للصناعات، و آكلات النبات لما قدر أن يكونوا لا ذوات صنعة و لا ذوات صيد، خلقت لبعضها أظلاف تقبها خشونة الأرض إذا حاولت طلب المرعى، و لبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيئتها للركوب و الحمولة. تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد و برائن شداد و أشداق و أفواه واسعة، فإنه لما قدر أن يكون طعامها اللحم، خلقت خلقة تشاكل ذلك، و أعينت بسلاح و أدوات

ص: ٢٤٠

تصلح للصيد، و كذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير و مخالب مهيأة لفعالها، و لو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه، لأنها لا تصيد و لا تأكل اللحم، و لو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه، أعنى السلاح الذى تصيد و تتعیش. أفلا ترى كيف أعطى كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقتة، بل ما فيه بقاءه و صلاحه<sup>٩٣٦</sup>.

«بدايا خلقت أحكم صنعها» قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في خلق الزرافة و اختلاف أعضائها، و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس، و عنقها عنق جمل، و أظلافها أظلاف بقرة، و جلدها جلد نمر، و زعم ناس من الجهال بالله تعالى أن نتاجها من فحول شتى قالوا: و سبب ذلك أن أصنافا من حيوان البر إذا وردت الماء تنزوا على بعض السائمة و ينتج مثل هذا الشخص الذى هو كالملتقط من أصناف شتى، و هذا جهل من قائله و قلّة معرفة بالبارئ جلّ قدسه، و ليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف، فلا الفرس يلقح الجمل، و لا الجمل يلقح البقر، و إنما يكون التلقيح من بعض الحيوان فى ما يشاكله، و يقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار، فيخرج بينهما البغل، و يلقح الذئب الضبع، فيخرج بينهما السم<sup>٩٣٧</sup>.

«و فطرها على ما أراد و ابتدعها» «سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى»<sup>٩٣٨</sup>.

و قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر فى الفطن التى جعلت فى البهائم لمصلحتها بالطبع و الخلق، لطف من الله عزّ و جلّ لهم لئلا يخلو من نعمه جلّ

ص: ٢٤١

و عزّ أحد من خلقه، لا يعقل و رويّة، فإن الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا، فيمتنع عن شرب الماء خوفا من أن يدبّ السمّ فى جسمه فيقتله، و يقف على الغدير و هو مجهود عطشا، فيعجّ عجيجا عاليا و لا يشرب منه، و لو شرب لمات من

<sup>٩٣٦</sup> (١) توحيد المفضل: ٩٦.

<sup>٩٣٧</sup> (٢) توحيد المفضل: ١٠٤.

<sup>٩٣٨</sup> (٣) الأعلى: ١-٣.

ساعته. فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب الشديد خوفا من المصرة في الشرب، و ذلك ممّا لا يكاد الإنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه<sup>٩٣٩</sup>.

هذا، و زاد (التوحيد) على ما مرّ: «انتظم علمه صنوف ذرئها، و أدرك تدبيره حسن تقديرها»<sup>٩٤٠</sup>.

١٥

من الخطبة (١٠٦) و من خطبة له عليه السّلام (و هي من خطب الملاحم):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ - وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ - خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ - إِذْ كَانَتْ الرُّوِّيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ - وَ لَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ - خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ - وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ قَوْلَ الْمُصَنَّفِ: «و هي من خطب الملاحم» الملاحم: الوقائع العظيمة في الفتن، جعلها منها لأن فيها: «رأيت ضلالة قد قامت على قطبها...»، كما يأتي في فصل إخباره عليه السّلام بالملاحم<sup>٩٤١</sup>.

قوله عليه السّلام: «الحمد لله المتجلى لخلقته» تجلياً أجلى من الشمس فقد يشكّ

ص: ٢٤٢

في طلوع الشمس و غروبها و زوالها و محلّها من السماء إذا كانت تحت السحاب، و ليس يشكّ في وجود الصانع غير مكابر في وقت «أ في الله شكّ فاطر السماوات و الأرض»<sup>٩٤٢</sup>.

«بخلقته»: أي تجليّه بسبب مشاهدة مخلوقاته، و لو لم يكن في خلقه إلّا الشمس لكفاه في تجليّه لخلقته، كيف و خلقه لا يحصى؟! «و الظاهر لقلوبهم بحجته» و إن لم يظهر لأعينهم بمشاهدته، كلّم الصادق عليه السّلام ابن أبي العوجاء يوماً فعاد إليه غداً فقال: كأنك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه. فقال: أردت ذلك يابن رسول الله. فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: ما أعجب هذا، تنكر الله و تشهد أنّي ابن رسول الله! فقال: العادة تحملني على ذلك.

فقال عليه السّلام: فما يمنعك من الكلام؟ قال: اجلالاً لك و مهابةً ما ينطلق لساني بين يديك، فإنّي شاهدت العلماء و ناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبه قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك.

قال: يكون ذلك و لكن أفتح عليك بسؤال و أقبل عليه، فقال له: أ مصنوع أنت أم غير مصنوع؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء: بل أنا غير مصنوع.

<sup>٩٣٩</sup> (١) توحيد المفضل: ١٠٩.

<sup>٩٤٠</sup> (٢) التوحيد للصدوق: ٥٤ ح ١٣.

<sup>٩٤١</sup> (٣) يأتي في العنوان (٣٠) منه.

<sup>٩٤٢</sup> (١) إبراهيم: ١٠.

فقال عليه السّلام: فصف لي لو كنت مصنوعا كيف كنت تكون؟

فبقى عبد الكريم مليّا لا يحير جوابا، و ولع بخشبة كانت بين يديه و هو يقول: طويل عريض عميق قصير متحرّك ساكن كلّ ذلك صفة خلقه.

فقال عليه السّلام: فإن كنت لم تعلم صفة الصّنع غير ما فاجعل نفسك مصنوعا لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور. فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، و لا يسألني أحد بعدك عن مثلها. فقال أبو عبد الله عليه السّلام: هبك علمت أنّك لم تسأل في ما مضى، فما علمك أنّك لا تسأل في

ص: ٢٤٣

ما بعد؟ على أنّك - يا عبد الكريم - نقضت قولك، لأنّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء، فكيف قدّمت و أخرت؟ ثم قال: يا عبد الكريم! أزيدك وضوحا:

أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر، فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟

فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك: صف لي الدينار، و كنت غير عالم بصفته، هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس و أنت لا تعلم؟ قال: لا. فقال أبو عبد الله عليه السّلام: فالعالم أكبر و أطول و أعرض من الكيس، فلعلّ في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة. (أى: فكيف تنفي الصنعة؟). فانقطع عبد الكريم، و أجاب إلى الإسلام بعض أصحابه و بقي معه بعض. فعاد في اليوم الثالث، فقال: ألقب السؤال. فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: سل عمّا شئت. فقال: ما الدليل على حدث الأجسام؟ فقال عليه السّلام: إنّي ما وجدت شيئا صغيرا و لا كبيرا إلّا و إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، و في ذلك زوال و انتقال عن الحالة الأولى، و لو كان قديما ما زال و لا حال، لأنّ الذي يزول و يحول يجوز أن يوجد و يبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، و في كونه في الأزل دخوله في العدم، و لن تجتمع صفة الأزل و العدم و الحدوث، و القدم في شيء واحد. فقال عبد الكريم: هبك علمت في جرى الحالتين و الزمانين على ما ذكرت و استدلت بذلك على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثهنّ؟ فقال عليه السّلام: إنّما نتكلّم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه و وضعنا عالما آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه، و وضعنا غيره، و لكن أجيبك من حيث قدّرت أن تلزمننا، فنقول: إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر، و في جواز التّغيير عليه خروجه من القدم، كما أنّ في تغييره دخوله في الحدث ليس لك و راءه شيء يا عبد الكريم. فانقطع و خزي.

ص: ٢٤٤

فلمّا كان من العالم القابل التقى معه في الحرم، فقال له بعض شيعته: إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم. فقال عليه السّلام: هو أعمى من ذلك، لا يسلم. فلمّا بصر به عليه السّلام قال: يا سيّدي و مولاي. فقال عليه السّلام: ما جاء بك الى هذا الموضوع؟ فقال:

عادةً الجسد و سنّة البلد، و لنتظر ما النَّاس فيه من الجنون و الحلق و رمى الحجارة. فقال له عليه السّلام: أنت بعد على عتوك و ضلالك يا عبد الكريم، فذهب يتكلّم.

فقال عليه السّلام له: لا جدال في الحجّ، و نفض رداءه من يده، و قال: إن يكن الأمر كما تقول - و ليس كما تقول - نجونا و نجوت، و إن يكن الأمر كما تقول - و هو كما تقول - نجونا و هلكت.

فأقبل عبد الكريم على من معه، فقال: وجدت في قلبي حزاةً فردّوني، فردّوه فمات<sup>٩٤٣</sup>.

«خلق الخلق من غير رويّة» أي: تفكّر.

«إذ كانت الرويات لا تليق إلّا بذوى الضمائر» الذين لهم قلوب في الصدور.

«و ليس بذى ضمير في نفسه» و هو نظير قوله عليه السّلام في الخطبة الأولى: «بلا رويّة أجالها و لا تجربة استفادها و لا حركة أحدثها و لا همامة نفس اضطرب فيها»<sup>٩٤٤</sup>.

«خرق علمه باطن غيب السترات» فجعلها منكشفة، «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ»<sup>٩٤٥</sup>، «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى»<sup>٩٤٦</sup>.

ص: ٢٤٥

قالوا: أخفى من السّرّ ما خطر بالقلب و لم يحصل في الخارج<sup>٩٤٧</sup>.

«و أحاط بغموض» أي: خفى.

«عقائد السريات» «قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ»<sup>٩٤٨</sup>، «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا»<sup>٩٤٩</sup>، «و

<sup>٩٤٣</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٧٦ ح ٢، و الصدوق في التوحيد: ٢٩٦ ح ٢، لكن الحديث في عدد من نسخ الكافي لا كلاًها.

<sup>٩٤٤</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١٦ شرح الخطبة (١).

<sup>٩٤٥</sup> (٣) غافر: ١٩.

<sup>٩٤٦</sup> (٤) طه: ٧.

<sup>٩٤٧</sup> (١) أخرج ما في معناه على بن ابراهيم في تفسيره ٢: ٥٩، و عبد الرزاق في الجامع، و عبد بن حميد في مسنده عن قتادة، و عبد بن حميد في مسنده، و ابن

المنذر عن الحسن البصري، و عكرمة عنهم الدر المنثور ٤: ٢٩٠.

<sup>٩٤٨</sup> (٢) آل عمران: ٢٩.

<sup>٩٤٩</sup> (٣) النساء: ١٠٨.

عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ»<sup>٩٥٠</sup>.

١٦

من الخطبة (١٠٧) و من خطبة له عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ - وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ - غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ - وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ - وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ - وَ مَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ - مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نَطْقَهُ - وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ - وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ - وَ مَنْ مَاتَ فَالَيْهِ مُنْقَلَبُهُ - لَمْ تَرَكَ الْعِيُونَ فَتُخْبِرُ عَنْكَ - بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ - لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحَشَهُ - وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ - وَ لَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ - وَ لَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ - وَ لَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ - وَ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ - وَ لَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ - وَ لَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى

ص: ٢٤٦

عَنْ أَمْرِكَ - كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ - وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ - أَنْتَ الْأَبْدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ - وَ أَنْتَ الْمُنتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ - وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ - بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ - وَ إِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ - سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ - وَ مَا أَصْغَرَ عَظْمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ - وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ - وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ - وَ مَا أَسْبَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا - وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ «كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ» هَكَذَا فِي (المصرية)، و الصواب: (خاشع له) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٩٥١</sup>. وَ خُشُوعُ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ بِمَعْنَى كَوْنِهِ تَحْتَ إِرَادَتِهِ كَالسُّجُودِ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلَالَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ»<sup>٩٥٢</sup>، «أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَبِّهُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»<sup>٩٥٣</sup>.

«وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ» «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ»<sup>٩٥٤</sup>، «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنَّ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>٩٥٥</sup>.

<sup>٩٥٠</sup> (٤) الأنعام: ٥٩ - ٦٠.

<sup>٩٥١</sup> (١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٧، و في شرح ابن ميثم ٣: ٤٩ «خاضع» أيضا.

<sup>٩٥٢</sup> (٢) الرعد: ١٥.

<sup>٩٥٣</sup> (٣) النحل: ٤٨ - ٤٩.

<sup>٩٥٤</sup> (٤) الرعد: ٣٣.

<sup>٩٥٥</sup> (٥) فاطر المنافقون: ٤١.

«غنى كل فقير» «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ»<sup>٩٥٦</sup>،

ص: ٢٤٧

«وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي»<sup>٩٥٧</sup>، «إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَ وَلدَا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ»<sup>٩٥٨</sup>.

«وَ عَزَّ كُلَّ ذَلِيلٍ» «أَبْتِنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»<sup>٩٥٩</sup>، «وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>٩٦٠</sup>.

«وَ قُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ» «أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى»<sup>٩٦١</sup>.

«وَ مَفْزَعُ كُلِّ لَهْوَفٍ» «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ»<sup>٩٦٢</sup>، «وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ»<sup>٩٦٣</sup>. و يشهد لجميع الفقرات قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>٩٦٤</sup>.

«وَ مِنْ» هكذا في (المصرية) و الصواب: (من) بدون واو، كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٩٦٥</sup>.

«تَكَلَّمَ سَمِعَ نَطْقَهُ، وَ مِنْ سَكَتِ عِلْمِ سِرِّهِ» «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ»

ص: ٢٤٨

«جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ»<sup>٩٦٦</sup>، «وَ إِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى»<sup>٩٦٧</sup>.

<sup>٩٥٦</sup> (٦): ٧.

<sup>٩٥٧</sup> (١) الضحى: ٨.

<sup>٩٥٨</sup> (٢) الكهف: ٣٩ - ٤٠.

<sup>٩٥٩</sup> (٣) النساء: ١٣٩.

<sup>٩٦٠</sup> (٤) المنافقون: ٨.

<sup>٩٦١</sup> (٥) الضحى: ٦.

<sup>٩٦٢</sup> (٦) النمل: ٦٢.

<sup>٩٦٣</sup> (٧) النحل: ٥٣.

<sup>٩٦٤</sup> (٨) آل عمران: ٢٦ - ٢٧.

<sup>٩٦٥</sup> (٩) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٧، و مع (الواو) في شرح ابن ميثم ٣: ٤٩.

«و من عاش فعليه رزقه» «و ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل في كتاب مبين»<sup>٩٦٨</sup>.

و قال الشاعر:

إن الذي شق فمي ضامن  
للرزق حتى يتوفاني

«و من مات فالإيه منقلبه» «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون»<sup>٩٦٩</sup>.

«لم ترك» الكاف مفعول (لم تر).

«العيون» كما ترى الجسمانيات.

«فتخبر عنك» بكيفية أو كمية.

«بل كنت قبل الواصفين من خلقك» يعني أن شهادة العقول بكونك قبل الخلق دالة على أن المخبر عنك إنما هو القلوب الشاهدة للغيوب لا العيون القاصرة عن رؤية أمر محجوب.

«لم تخلق الخلق لوحشة» «و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون»<sup>٩٧٠</sup>.

«و لا استعملتهم لمنفعة» «ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»<sup>٩٧١</sup>.

ص: ٢٤٩

«و لا يسبقك من طلبت» «و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له و ما لهم من دونه من وال»<sup>٩٧٢</sup>، «أم لهم آلهة تمنعهم من دُوننا»<sup>٩٧٣</sup>.

<sup>٩٦٦</sup> (١) الرعد: ١٠.

<sup>٩٦٧</sup> (٢) طه: ٧.

<sup>٩٦٨</sup> (٣) هود: ٦.

<sup>٩٦٩</sup> (٤) السجدة: ١١.

<sup>٩٧٠</sup> (٥) الذاريات: ٥٦.

<sup>٩٧١</sup> (٦) الذاريات: ٥٧ - ٥٨.

<sup>٩٧٢</sup> (١) الرعد: ١١.

«و لا يفلتک» أى: لا يخرج من تحت يدک.

«من أخذت» «فأخذناهم أخذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ»<sup>٩٧٤</sup>، «فَحَسَفْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»<sup>٩٧٥</sup>، «فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>٩٧٦</sup>.

«و لا ينقص سلطانک من عصاک» «و لا يحزنکَ الَّذينَ يسارعونَ فی الکفرِ إنهم لن یضروا اللهَ شیئاً»<sup>٩٧٧</sup>، «يا أيها الناسُ إنما بغيکم على أنفسکم متاعَ الحیاةِ الدنیا ثم إلینا مرجعکم فنبئکم بما کنتم تعملون»<sup>٩٧٨</sup>.

«و لا یزید فی ملکک من أطاعک» «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا»<sup>٩٧٩</sup>، «وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ»<sup>٩٨٠</sup> «و لا یردّ أمرک» المراد: أمره القدری لا التکلیفی.

«من سخط قضاءک» «و له أسلمَ مَنْ فی السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا»

ص: ٢٥٠

«وَاكْرَهًا»<sup>٩٨١</sup> و «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنِاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا»<sup>٩٨٢</sup>.

«و لا يستغنى عنک من تولّى عن أمرک» و المراد: أمره التشريعی، و لذا لم يقل عنه مع تقدّم قوله: و لا یردّ أمرک، «و إذا مسَّ الإنسانُ الضرَّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ»<sup>٩٨٣</sup>، «و ما بیکم من نعمةٍ فمنَ اللهِ ثمَّ إذا مسَّکم الضرُّ فإلیه تجترون ثمَّ إذا کشفَ الضرَّ عنکم إذا فریقٌ منکم برّیهم یشرکون»<sup>٩٨٤</sup>.

«کل سرّ عندک علانیة» «ألا إنهم یننون صدورهم لیستخفوا منه ألا حین یستغشون ثیابهم یعلم ما یسرون و ما یعلنون إنه علیهم بذات الصدور»<sup>٩٨٥</sup>.

<sup>٩٧٣</sup> (٢) الأنبياء: ٤٣.

<sup>٩٧٤</sup> (٣) القمر: ٤٢.

<sup>٩٧٥</sup> (٤) القصص: ٨١.

<sup>٩٧٦</sup> (٥) الواقعة: ٨٦-٨٧.

<sup>٩٧٧</sup> (٦) آل عمران: ١٧٦.

<sup>٩٧٨</sup> (٧) یونس: ٢٣.

<sup>٩٧٩</sup> (٨) فصلت: ٤٦.

<sup>٩٨٠</sup> (٩) النمل: ٤٠.

<sup>٩٨١</sup> (١) آل عمران: ٨٣.

<sup>٩٨٢</sup> (٢) الشورى: ٤٩-٥٠.

<sup>٩٨٣</sup> (٣) یونس: ١٢.

<sup>٩٨٤</sup> (٤) النحل: ٥٣-٥٤.

«وكلّ غيب عندك شهادة» «عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير»<sup>٩٨٦</sup>.

«أنت الأبد» أي: وجودك أبدى.

«لا أمد» أي: لا نهاية.

«لك» كما للخلق حتى السماء والأرض والشمس والقمر، وقال ابن أبي الحديد: «أنت الأبد فلا أمد لك» هذا الكلام علويّ شريف لا يفهمه إلّا الراسخون في العلم، وفيه شمة من قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا تسبوا الدهر فإنّ الدهر هو الله»<sup>٩٨٧</sup>.

ص: ٢٥١

وفي مناجاة الحكماء لمحّة منه أيضا وهو قولهم: أنت الأزل السرمد، وأنت الأبد الذي لا ينفد<sup>٩٨٨</sup>.

قلت: وهو كما ترى، فإنّ الطبيعيين ينسبون الخلق إلى الدهر فيعبّرون عن الله تعالى بالدهر، وأمّا الأبد فلم ينسب أحد إليه أفعال الله، والنهي عن سبّ الدهر في الخبر إنّما هو لكون الناس إذا نزلت بهم حادثة ينسبونها إلى الدهر و يسبونه، مع أنّ المبدئ لكلّ أمر هو الله تعالى، والكلام الذي نسبه إلى الحكماء لا يعرف حجّيته، مع أنّه لو كان مأخوذا من كلامه عليه السّلام فيه تجوز، والأصل إلى الأبد.

«و أنت المنتهى لا محيص» أي: لا عدول.

«عنك» «و أن إلى ربك المنتهى»<sup>٩٨٩</sup>.

«و أنت الموعد» أي في القيامة.

«لا منجى منك إلّا إليك» الكلام بتمامه في (المصرية)، وأمّا في (ابن ميثم، و الخطيبة) فليس قوله: «إلّا إليك» فيهما، لكن الأوّل ذكره في الشرح، وكأنّه أخذه من (ابن أبي الحديد)<sup>٩٩٠</sup>.

وكيف كان فالأصل فيه قوله تعالى: «وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»<sup>٩٩١</sup>، لأنّه في معنى كلامه عليه السّلام، فكما لا ملجأ غيره كذلك لا منجى غيره.

<sup>٩٨٥</sup> (٥) هود: ٥.

<sup>٩٨٦</sup> (٦) الأنعام: ٧٣.

<sup>٩٨٧</sup> (٧) أخرجه الشريف الرضى في المجازات النبوية: ٢٣٥، وأخرجه باختلاف لفظي آخرون، جمع بعض طرقه وألفاظه السيوطي في الدر المنتور ٦: ٣٥.

<sup>٩٨٨</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٨.

<sup>٩٨٩</sup> (٢) النجم: ٤٢.

<sup>٩٩٠</sup> (٣) في ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٧ «فلا منجى منك إلّا إليك» وفي ابن ميثم ٣: ٥٠ مثله بلا (فاء) قبل (لا).

«بيدك ناصية كل دابة» «ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مُستقيم»<sup>٩٩٢</sup>.

ص: ٢٥٢

«و اليك مصير كل نسمة» أي: ذى روح أو ذى نفس، «إليه مرجعكم جميعاً»<sup>٩٩٣</sup>.

«سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك» من السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و البحار و الأنهار و الوحوش و الطيور.

«و ما أصغر عظمه» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (عظيمه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم، و الخطيبه)<sup>٩٩٤</sup>.

«فى جنب قدرتك» «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»<sup>٩٩٥</sup>، «إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»<sup>٩٩٦</sup>.

و فى الخبر أن رجلا جاء اليه عليه السلام فقال: أ يقدر الله أن يدخل الأرض فى بيضة و لا يصغر الأرض و لا يكبر البيضة؟ فقال: ويلك إن الله لا يوصف بالعجز، و من أقدر ممن يلطّف الأرض أو يعظّم البيضة<sup>٩٩٧</sup>.

«و ما أهول ما نرى من ملكوتك، و ما أحقر ذلك فى ما غاب عنا من سلطانك» «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>٩٩٨</sup>، «لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى»<sup>٩٩٩</sup>، «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا يَئُودُهُ»

ص: ٢٥٣

«حَفِظْتُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>١٠٠٠</sup>، «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ»<sup>١٠٠١</sup>، «وَ يُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ»<sup>١٠٠٢</sup>.

<sup>٩٩١</sup> (٤) التوبة: ١١٨.

<sup>٩٩٢</sup> (٥) هود: ٥٦.

<sup>٩٩٣</sup> (١) يونس: ٤.

<sup>٩٩٤</sup> (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٢٧، و فى شرح ابن ميثم ٣: ٥٠ «عظمه» أيضا.

<sup>٩٩٥</sup> (٣) الكهف: ١٠٩.

<sup>٩٩٦</sup> (٤) ابراهيم: ١٩ - ٢٠.

<sup>٩٩٧</sup> (٥) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ١٣٠ ح ١٠ عن على عليه السلام، وأخرج ما فى معناه أيضا فى التوحيد: ١٣٠ ح ٩ عن على عليه السلام، و روى هذا المعنى

عن عيسى و الصادق و الرضا عليهم السلام مر تخريجه فى العنوان (٥) من هذا الفصل.

<sup>٩٩٨</sup> (٦) الطلاق: ١٢.

<sup>٩٩٩</sup> (٧) طه: ٦.

و فى (الفقيه) فى باب وصف الصلاة عن الصادق عليه السلام: صار التسبيح أفضل من القراءة فى الأخيرتين لأن النبىّ صَلَّى اللهُ عليه وآله لما كان فى الأخيرتين ذكر ما رأى من عظمة الله عزّ وجلّ فدهش فقال: «سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر»، فلذلك صار التسبيح أفضل من القراءة<sup>١٠٠٣</sup>.

«و ما أسبغ» أى ما أكمل.

«نعمك فى الدنيا» «و أسبغ عليكم نعمه ظاهرةً و باطنةً»<sup>١٠٠٤</sup>.

«و ما أصغرها فى نعيم» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (فى نعم) كما فى الثلاثة<sup>١٠٠٥</sup>.

«الآخرة» «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»<sup>١٠٠٦</sup>.

و فى الخبر: فى الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا على خاطر خطر، و ان نعمته أدنى أهل الجنة سبعون ضعفا لنعم الدنيا جميعا<sup>١٠٠٧</sup>.

ص: ٢٥٤

١٧

من الخطبة (١٣١) و من كلام له عليه السلام:

و انقادت له الدنيا و الآخرة بأزمتها - و قدفت إليه السماوات و الأرضون مقاليدها - و سجدت له بالغدو و الأصل الأشجار الناضرة - و قدحت له من فضبانها النيران المضيئة - و آتت أكلها بكللماته الثمار اليبنة «و انقادت له الدنيا و الآخرة بأزمتها»

<sup>١٠٠٠</sup> (١) البقرة: ٢٥٥.

<sup>١٠٠١</sup> (٢) المؤمنون: ٨٦ - ٨٧.

<sup>١٠٠٢</sup> (٣) النور: ٤٣.

<sup>١٠٠٣</sup> (٤) أخرجه الصدوق ضمن حديث فى الفقيه ١: ٢٠٢ ح ١٠، و فى علل الشرائع ٢: ٣٢٢ ح ٢.

<sup>١٠٠٤</sup> (٥) لقمان: ٢٠.

<sup>١٠٠٥</sup> (٦) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٢٧، و فى شرح ابن ميثم ٣: ٥٠ «نعيم» أيضا.

<sup>١٠٠٦</sup> (٧) السجدة: ١٧.

<sup>١٠٠٧</sup> (٨) أخرجه الى قوله: «خاطر خطر» البخارى فى صحيحه ٢: ٢١٧، و مسلم فى صحيحه ٤: ٢١٧٤ - ٢١٧٥ ح ٢ و ٣ و ٤، و الترمذى فى سننه ٥: ٣٤٦ ح ٣١٩٧، و ابن ماجه فى سننه ٢: ١٤٤٧ ح ٤٣٢٨، و الدارمى فى سننه ٢: ٣٣٢، ٣٣٥، و أحمد فى مسنده ٢: ٣٦٩، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٦٢، ٥٠٦، و ابن أبى شيبه فى مسنده، و هناد و أحمد كلاهما فى الزهد، و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و ابن الأثير عنهم الدر المنثور ٥: ١٧٦ عن أبى هريرة عن النبىّ صَلَّى اللهُ عليه وآله، و روى عن عذّة طرق عن أبى سعيد الخدرى و سهل بن سعد و ابن عباس و ابن مسعود و المغيرة بن شعبة و أبى اليمان الهذلى و غيرهم، و أما عبارة «ان نعمته أدنى أهل الجنة» فقد روى ما فى معناه كثيرا، و لا يسع المقام لذكر الطرق كلها.

كانقياد الخيول لراكبيها بأعنتها، أما انقياد الدنيا له تعالى بأزمته فلائه كما وصف نفسه: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>١٠٠٨</sup>.

وَأَمَّا انقياد الآخرة له تعالى فأوضح، فلا يملك غيره يومئذ شيئا:

«لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»<sup>١٠٠٩</sup>، «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»<sup>١٠١٠</sup>، «وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا»

ص: ٢٥٥

«يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا»<sup>١٠١١</sup>.

«وَ قَذَفَتْ» أى: ألقَتْ.

«إليه السماوات والأرضون مقاليدها» جمع مقلد المفتح، والأصل فيه قوله تعالى: «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»<sup>١٠١٢</sup> و قذف السماوات والأرض مقاليدها إليه تعالى كناية حسنة عن كمال سيطرته عليهما، كبيت مفتاحه بيد شخص يفتحه متى شاء و يغلقة متى شاء، فمتى شاء تعالى جادت السماء، و متى شاء بخلت، و متى شاء أخصبت الأرض، و متى شاء أجذبت، و قال تعالى فى قصة نوح فى ابتدائها: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَ فَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ»<sup>١٠١٣</sup>، و فى انتهائها: «وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي»<sup>١٠١٤</sup>.

ثم الذى وقفنا عليه فى النسخ: (بأزمته) و (مقاليدها)<sup>١٠١٥</sup>، و الظاهر وقوع تصحيف و كون الأصل (بأزمتهما) و (مقاليدهما) بلفظ التشبيه إرجاعا للأول إلى الدنيا والآخرة، و للثانى إلى السماوات و (الأرضون). فإن أول الثانى بكون السماوات و (الأرضون) بلفظ الجمع فلا يتأتى فى الأول، لكون كل من الدنيا والآخرة بلفظ المفرد، و ليسا فى معنى الجمع حتى يعبر عنهما بلفظ الجمع،

<sup>١٠٠٨</sup> (١) آل عمران: ٢٦-٢٧.

<sup>١٠٠٩</sup> (٢) غافر: ١٦.

<sup>١٠١٠</sup> (٣) الانفطار: ١٩.

<sup>١٠١١</sup> (١) طه: ١٠٨-١١١.

<sup>١٠١٢</sup> (٢) الزمر: ٦٣.

<sup>١٠١٣</sup> (٣) القمر: ١١-١٢.

<sup>١٠١٤</sup> (٤) هود: ٤٤.

<sup>١٠١٥</sup> (٥) كذا فى نهج البلاغة ٢: ١٦، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ٣٦١، و شرح ابن ميثم ٣: ١٥٢.

نظرا إلى المعنى كقوله تعالى: «هَذَانِ خَضَمَانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»<sup>١١٦</sup>، مع أن الثاني أيضا يعبر عنه بلفظ الاثنين كقوله تعالى: «أَ وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»<sup>١١٧</sup>.

«و سجدت له بالغدو» على فعول جمع الغدو على فعل، كما قاله الليث و جمعه الآخر الغدوات، و أمّا الغدايا في قولهم: «إني لآتيه بالغدايا و العشايا» فلا يأتي جمعا إلّا ازدواجا مع العشايا.

«و الآصال» جمع الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.

و في القرآن كلّمَا ذكر الأصيل ذكر مع بكرة، و كلّمَا ذكر الآصال ذكر مع الغدو، كما أنّه كلّمَا ذكر الأولان نكّرا فقال: «بُكْرَةٌ وَ أَصِيلًا»<sup>١١٨</sup> و كلّمَا ذكر الأخيران عرفّا فقال: «بِالْغَدُوِّ وَ الْآصَالِ»<sup>١١٩</sup>. الأوّل في أربع آيات في الفرقان و الأحزاب و الفتح و الدهر<sup>١٢٠</sup>، و الثاني في ثلاث في الأعراف و الرعد و النور<sup>١٢١</sup>.

«الأشجار الناضرة» أي: ذات الحسن و الرّونق، و الأشجار الناضرة و إن تسجد له تعالى في كلّ حال حسب غيرها من الأشياء كما قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ»<sup>١٢٢</sup> إلّا أنّه عليه السّلام قيّد سجودها بالغدو و الآصال، لأنّ المراد بالسجود لها هنا سجود خاص بظهور طراوتها و صفاتها و انتشار شميمها فيهما، دون السجود العام المراد به الدخول تحت خضوع التّكوّن، كما أراد عزّ و جلّ فيها.

«و قدحت» بلفظ المجهول من قدحت النّار، أي: أو قدتها.

«له» أي: لأمره.

«من قضبانها» القضبان جمع القضيب، أي: الغصن.

«النيران» جمع النّار.

<sup>١١٦</sup> (١) الحج: ١٩.

<sup>١١٧</sup> (٢) الأنبياء: ٣٠.

<sup>١١٨</sup> (٣) الفرقان: ٥، الأحزاب: ٤٢، الفتح: ٩، الدهر: ٢٥.

<sup>١١٩</sup> (٤) الأعراف: ٢٠٥، الرعد: ١٥، النور الحج: ٣٦.

<sup>١٢٠</sup> (٥) ١٨.

«المضيئة» «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَ مَتَاعاً لِلْمُقِيمِينَ»<sup>١٠٢١</sup>،  
«الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ»<sup>١٠٢٢</sup>.

«و آتت» أى: أعطت.

«أكلها» أى: ما يؤكل منها، مفعول مقدم.

«بكلماته التّمار اليانعة» و ينع الثمر: نضجه، قال تعالى: «انظروا إلى ثمره إذا أثمرَ و ينعه إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون»<sup>١٠٢٣</sup>،  
و قوله عليه السّلام:

«بكلماته» إشارة الى قوله تعالى: «توتى أكلها كل حين بإذن ربها»<sup>١٠٢٤</sup>.

و نظير فقراته عليه السّلام فى العنوان كلام السجّاد عليه السّلام من عترته فى مناجاته الإنجيلية: فسبّحت له السماوات و أكنافها،  
و الأرض و أطرافها، و الجبال و أعراقها، و الشجر و أغصانها، و البحار و حيطانها، و النجوم فى مطالعها، و الأمطار فى مواقعها،  
و وحوش الأرض و سباعها، و مدر الأنهار و أمواجها، و عذب المياه و أجاجها، و هبوب الرياح و عجاجها، و كل ما وقع عليه  
وصف و تسمية، أو يدركه حدّ يحويه ممّا يتصوّر فى الفكر، أو يتمنّل بجسم أو قدر أو ينسب إلى عرض أو جوهر، من صغير  
حقير أو خطير كبير، مقرّاً له

ص: ٢٥٨

بالعبودية، خاشعا معترفا له بالوحدانية، طائعا مستجيبا لدعوته، خاضعا متضرّعا لمشيئته متواضعا<sup>١٠٢٥</sup>.

١٨

من الخطبة (١٥٠) من كلام له عليه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ - وَ بِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ - وَ بِأَشْبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ - لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَسَاعِرُ وَ لَا  
تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ - لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ - وَ الْحَادِّ وَ الْمَحْدُودِ وَ الرَّبِّ وَ الْمَرْبُوبِ - الْأَحَدِ لَا بِنَاوِيلِ عَدَدٍ - وَ الْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى  
حَرَكَةٍ وَ نَصَبٍ - وَ السَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ وَ الْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ - وَ الشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ وَ الْبَاطِنِ لَا بِتَرَاحِي مَسَافَةٍ - وَ الظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَاهِ وَ  
الْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ - بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَ الْقُدْرَةَ عَلَيْهَا - وَ بَانَ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ - مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ

<sup>١٠٢١</sup> (١) الواقعة: ٧١-٧٣.

<sup>١٠٢٢</sup> (٢) يس: ٨٠.

<sup>١٠٢٣</sup> (٣) الأنعام: ٩٩.

<sup>١٠٢٤</sup> (٤) ابراهيم: ٢٥.

<sup>١٠٢٥</sup> (١) روى هذه القطعة ضمن المناجاة الانجيلية المجلسى فى بحار الأنوار ٩٤: ١٥٩ عن كتاب أنيس العابدين.

حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ - وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلُهُ - وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ - وَ مَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّرَهُ - عَالِمٌ إِذْ لَمْ مَعْلُومٌ وَ رَبٌّ إِذْ لَمْ مَرْبُوبٌ - وَ قَادِرٌ إِذْ لَمْ مَقْدُورٌ أَقُولُ: رواه (الكافي الكليني - الكافي - ج ١ ص ١٣٩ ح ٥) في إسناده عن الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، و في آخره عن الكاظم عليه السلام، و رواه (توحيد الشيخ الصدوق - التوحيد - ص ٥٦ ح ١٤ الصدوق) عن الرضا عليه السلام.

فروى الأول أولاً عن علي بن محمد عن سهل عن شباب الصير في عن علي بن سيف عن إسماعيل بن قتيبة قال: دخلت أنا و عيسى شلقان علي أبي عبد الله عليه السلام فابتدأنا فقال: عجبا لأقوام يدعون علي أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط، خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال: الحمد لله الملهم

ص: ٢٥٩

عباده حمده، و فاطرهم علي معرفة ربوبيته، الدال علي وجوده بخلقه، و بحدوث خلقه علي أزله، و باشتباههم علي أن لا شبه له، المستشهد بآياته علي قدرته، الممتنعة من الصفات ذاته، و من الأبصار رؤيته، و من الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، و لا غاية لبقائه، لا تشمله المشاعر، و لا تحجبه الحجب، و الحجاب بينه و بين خلقه، خلقه إيّاهم لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم، و لإمكان مما يمتنع منه، و لا فتراق الصانع من المصنوع، و الحادّ من المحدود، و الربّ من المربوب، الواحد بلا تأويل عدد، و الخالق لا بمعنى حركة، و البصير لا بأداء، و السميع لا بتفريق آله، و الشاهد لا بمماسّة، و الباطن لا باجتان، و الظاهر البائن لا بتراخي مسافة، أزله نهية لمجاول الأفكار، و دوامه ردع لطامحات العقول، قد حسر كنهه نوافذ الأبصار، و قمع وجوده جوائل الأوهام، فمن وصف الله فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله، و من قال: أين. فقد غيابه، و من قال: علام. فقد أخلى منه، و من قال: فيم. فقد ضمّنه<sup>١٠٢٦</sup>.

ثم قال: و رواه محمد بن الحسين عن صالح بن حمزة عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم، قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إليّ بخطه: الحمد لله، و ذكر مثل ما رواه سهل - إلى قوله - و قمع وجوده جوائل الأوهام. رواه في باب جوامع التوحيد<sup>١٠٢٧</sup>.

و روى الثاني عن الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن عباس بن جعفر بن محمد الأشعري عن فتح بن يزيد الجرجاني، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إليّ بخطه، قال جعفر:

ص: ٢٦٠

و إنّ فتحاً أخرج إلى الكتاب فقرأته بخطّ أبي الحسن عليه السلام ... مع تفاوت يسير<sup>١٠٢٨</sup>.

<sup>١٠٢٦</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٣٩ ح ٥.

<sup>١٠٢٧</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٤٠ ح ٦ و زاد فيه «أول الديانة به معرفته ...».

<sup>١٠٢٨</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٥٦ ح ١٤.

«الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه، و بمحدث خلقه على أزلّيته، و بأشباههم على أن لا شبه له» استدلّ عليه السّلام على أصل وجوده تعالى، ثمّ على أزلّيته، ثمّ على نفى الشّبّه له بما ذكر.

قال الصادق عليه السّلام: لم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين و الاضطرار منهم إليه أثبت أنّهم مصنوعون، و أنّ صانعهم غيرهم، و ليس مثلهم إذا كان مثلهم شبيها بهم في ظاهر التركيب و التّأليف، و فيما يجرى عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، و تنقلهم من صغر إلى كبر، و من سواد إلى بياض، و من قوّة إلى ضعف<sup>١٠٢٩</sup>.

«لا تستلمه» من استلم الحجر إذا المسه.

«المشاعر» أى: الحواس الظاهرة، و هى السامعة و الباصرة و الذائقة و الشامّة و اللامسة، قال الشاعر:

و الرأس مرتفع فيه مشاعره  
يهدى السبيل له سمع و عيان

<sup>١٠٣٠</sup> «و لا تحجبه السّواتر» كما تستر البيت أستار الكعبة.

«لافتراق الصانع و المصنوع» فلا يمكن أن يكون فى الصانع مشاعر مثل مشاعر المصنوعين.

«و الحادّ و المحدود، و الربّ و المربوب» فلا يمكن أن تحجبه السّواتر كالمحدود و المربوب.

ص: ٢٤١

«الأحد لا بتأويل عدد» هكذا فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٠٣١</sup> و أمّا ما فى (المصرية) «الأحد بلا تأويل عدد» فغلط.

و فى الخبر: أنّ أعرابيا قام يوم الجمل الى أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال يا أمير المؤمنين! أ تقول: إنّ الله واحد؟ ثمّ انجرّ الحديث إلى أن قال عليه السّلام: إنّ القول فى أنّ الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى، و

<sup>١٠٢٩</sup> (٢) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٢٤٦ ح ١ ضمن احتجاج له عليه السّلام، و روى هذا الاحتجاج الكلينى فى الكافى ١: ٨٠ ح ٥، و الطبرسى فى الاحتجاج ٢:

٣٣١، و لكن ليست هذه القطعة فهما.

<sup>١٠٣٠</sup> (٣) لسان العرب ٤: ٤١٣ مادة (شعر) و الشاعر بلعاء بن قيس.

<sup>١٠٣١</sup> (١) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٤٢٢، و شرح ابن ميثم ٣: ٢٢٨ «بلا تأويل» أيضا.

وجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه: فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد... ١٠٣٢.

وَأَمَّا مَا فِي دَعَاءِ (الصَّحِيفَةِ): «لَكَ يَا إِلَهِي وَحِدَانِيَّةَ الْعَدَدِ»<sup>١٠٣٣</sup> فالمراد به أنه لا يطلق عليه من لفظ الأعداد إلا الواحد، وإن لم يكن إطلاقه عليه بمعنى كونه أول الأعداد، بل بمعنى أنه لا ثاني له.

وَأَمَّا قَوْلِ ابْنِ سِينَا- كَمَا نَقَلَ عَنْهُ فِي اسْتَشْكَالِهِ فِي كَوْنِ مَوْضِعِ عِلْمِ الْحِسَابِ الْعَدَدَ الْحَاصِلَ فِي الْمَادَّةِ، بِأَنَّ الْمَحَاسِبَ يَبْحَثُ عَنِ الْعَدَدِ الْمَفَارِقِ لِلْمَادَّةِ فِي الْخَارِجِ أَيْضًا، لِعَرْوَضِهِ الْمَجْرَدَاتِ كَالْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ وَذَاتِ الْوَاجِبِ إِنْ قَلْنَا: إِنَّ الْوَاحِدَ عَدَدٌ<sup>١٠٣٤</sup>- فَخَطَأً مِنْهُ حَسَبَ كَثِيرٍ مِنْ أَوْهَامِهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ.

«وَالْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَسْبٍ» أَيْ: تَعَبٌ «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>١٠٣٥</sup>.

«وَالسَّمِيعُ لَا بِأَدَاءٍ» أَيْ: أَذُنٌ وَسَامِعَةٌ.

ص: ٢٦٢

«وَالْبَصِيرُ لَا بِتَفْرِيقٍ» وَ أَمَّا مَا فِي (المصرية): «وَالْبَصِيرُ بِلَا تَفْرِيقٍ» فَغَلَطُ<sup>١٠٣٦</sup>.

«آلَةٌ» قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ (الكافي) رَوَاهُ: «الْبَصِيرُ لَا بِأَدَاءٍ وَالسَّمِيعُ لَا بِتَفْرِيقٍ آلَةٌ»<sup>١٠٣٧</sup>.

لكن الظاهر صحة ما هنا لتصديق (التوحيد) له<sup>١٠٣٨</sup>، مع أنه لا معنى لتفريق الآلة في السمع بخلافه في البصر، فالإنسان في إبطاره للأشياء يفرق الآلة (أي الحدقة) مرة إلى شيء وأخرى إلى آخر، وسماعه لشيئين وإن كان بتوجهه إلى هذا مرة، و إلى ذاك أخرى إلا أنه ليس فيه تفريق آلة.

قال ابن أبي الحديد: المراد بتفريق الآلة هاهنا الشعاع الذي باعتباره يكون الواحد من مبصر، فإن القائلين بالشعاع يقولون: إنه يخرج من العين أجسام لطيفة هي الأشعة، وتكون آلة للحى في أبصار المبصرات فيتفرق عليها، فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرًا<sup>١٠٣٩</sup>.

<sup>١٠٣٢</sup> (٢) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٨٣ ح ٣، ومعاني الأخبار: ٥ ح ٢، والخصال: ١ ح ٢.

<sup>١٠٣٣</sup> (٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥١ الدعاء (٢٨).

<sup>١٠٣٤</sup> (٤) قاله ابن سينا في المقالة الثالثة في إلهيات الشفاء: ٣٣٥ من الفصل الثاني إلى السادس بتفصيل، وهذا مستنبط من كلامه.

<sup>١٠٣٥</sup> (٥) يس: ٨٢.

<sup>١٠٣٦</sup> (١) في شرح ابن أبي الحديد: ٢: ٢٢٢ «لا بتفريق»، وفي شرح ابن ميثم: ٣: ٢٢٨ «بلا تفريق» وفي نهج البلاغة: ٢: ٤٠ «لا بتفريق» أيضا.

<sup>١٠٣٧</sup> (٢) مر في بداية هذا العنوان.

<sup>١٠٣٨</sup> (٣) التوحيد للصدوق: ٥٦ ح ١٤.

قلت: و على ما فسّرنا كلامه عليه السّلام لا يستلزم صحّة القول بالشّعاع، بل الأصحّ هو القول بالانطباع، و تشهد له الأخبار الدّالة على أنّ الله تعالى أدخل العالم بكبره فى سواد العين الذى يكون بقدر عدسة<sup>١٠٤٠</sup>.

«و الشاهد» للأشياء.

ص: ٢٦٣

«لا بمماسّة» منه تعالى له بل بعلمه و إحاطته بها.

«و البائن» أى: البعيد عن الأشياء.

«لا بتراخى» تفاعل من الرخو مقابل الصعب، و المراد البعد، يقال: تراخى السماء، إذا بعد نزول المطر.

«مسافة» و الأصل فى المسافة: سفت الشىء، إذا شممته، كان الدليل على الطريق إذا كان فى فلاة أخذ التراب فشّمه ليعلم أعلى قصد أم جور، قال رؤبة:

إذا الدليل استاف أخلاق الطرق

<sup>١٠٤١</sup> ثمّ كثر حتّى سمّوا البعد مسافة. و المسافة فى قصر الصلاة أربعة و عشرون ميلا.

«و الظاهر لا برؤية» أحد له كظهور غيره من الأشياء.

«و الباطن لا بلطافة» كبطون غيره من الأشياء.

«بان» أى: انفصل و بعد.

«من الأشياء بالقهر لها و القدرة عليها» جملة (بان ...) تفسير و شرح لقوله:

«و البائن لا بتراخى مسافة».

---

<sup>١٠٣٩</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٤٢٣.

<sup>١٠٤٠</sup> (٥) مقصود الشارح حديث سؤال الديصاني هشام بن الحكم و جواب الصادق عليه السّلام له، أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٧٩ ح ٤، و الصدوق فى التوحيد:

١٢٢ ح ١، و مر متن الحديث فى العنوان (٥) من هذا الفصل.

<sup>١٠٤١</sup> (١) أساس البلاغة: ٢٢٥ مادة (سوف)، و لسان العرب ١: ١٦٥ مادة (سوف).

«و بانء الأشياء منه بالخضوع له و الرجوع إليه» الجملة من ءءمة الأولى؁ فإنه اذا كان ءعالى بان من الأشياء كانت الأشياء باءنة منه؁ لكن كلٌّ منهما لا بمعنى البءءونة فى الأشياء بعضها مع بعض.

«من وصفه فقد حدّه» و لا حدّ له.

«و من حدّه فقد عدّه» و هو منزّه عن العدد.

«و من عدّه فقد أبطل أزلّه» مع أنّه أزلّى لا آخر له؁ فلا ىجىء العدّ فى أمده.

«و من قال: كيف» خبءا.

ص: ٢٦٤

«فقد استوصفه» و محال استىصافه؁ و بىان وصف له.

«و من قال: أين» خبءا.

«فقد حبّزه» أى: جعله فى حبّز و موضع؁ قال القءامىّ فى امرأه خافت أن ىصىر ضىفها:

كما انءازء الأفعى مخافة ضارب

ءحبّز منىّ خشىة أن أضىفها

١٠٢٢ و فى (الكافى) بءل «فقد حبّزه»: «فقد غىّاه»<sup>١٠٢٣</sup>؁ و فى (ءءوئء) بءله «فقد أخلى منه»<sup>١٠٢٤</sup>.

«عالم إذ لا معلوم؁ و ربّ إذ لا مرىوب؁ و قاءر إذ لا مقءور» إذ ءءالءة من صفاء ءءاء لا الفعل؁ و صفاء ءءاء أبءىة بلا ضءّ بخلاف صفاء الفعل.

قال الكلبنى: إن كلّ شىءىن وصفء الله بهما و كانا جمىعا فى الوجود فءلك صفة فعل؁ و ءفسىر هذه الجملة أنّك ءءبء فى الوجود ما ىرىء و ما لا ىرىء؁ و ما ىرضاه و ما ىسخطه؁ و ما ىحبّ و ما ىبغض- ءم قال- إنّا لا نجء فى الوجود ما لا ىعلم و ما لا ىقءر علىه<sup>١٠٢٥</sup>.

<sup>١٠٢٢</sup> (١) لسان العرب ٥: ٣٤٣ مءة (حبّز).

<sup>١٠٢٣</sup> (٢) الكافى ١: ١٤٠ ح ٥.

<sup>١٠٢٤</sup> (٣) ءءوئء للصدوق: ٥٧ ح ١٤.

قال الصادق عليه السلام- لبيك بن أعين لما سأله: هل علمه تعالى و مشيئته مختلفان أو متفقان؟-: العلم ليس هو المشيئة، ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، و لا تقول: سأفعل إن علم الله<sup>١٠٤٦</sup>.

و بالجملة كان عز و جلّ عالما و ربّا و قادرا أبدا قبل الخلق و بعد الخلق.

ص: ٢٦٥

١٩

من الخطبة (١٦١) و من خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَ سَاطِحِ الْمَهَادِ- وَ مُسِيلِ الْوَهَادِ وَ مُخْصِبِ النَّجَادِ- لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ إِبْتِدَاءٌ وَ لَا لِزَلَمَتِهِ انْقِضَاءٌ- هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بَلَا أَجَلٍ- خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَدَّتْهُ الشَّفَاهُ- حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبْهَهَا- لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ- وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدْوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى- وَ لَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى- الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّا وَ الْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَا- لَا شَيْخٌ فَيَتَقَضَّى وَ لَا مَحْجُوبٌ فَيُحَوَى- لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ- وَ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقِ- وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لِحِطَّةٍ- وَ لَا كُرُورٌ لِفِطْئَةٍ وَ لَا اِزْدِلَافٌ رِبْوَةٍ- وَ لَا انْبِسَاطٌ خُطْوَةٍ فِي لَيْلِ دَاجٍ- وَ لَا غَسَقٌ سَاجٍ يَنْفِيًا عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُئِيرُ- وَ تَعْقِبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفْوَالِ وَ الْكُرُورِ- وَ تَقْلُبُ الْأَزْمَنَةَ وَ الدُّهُورَ- مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ- قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَ مَدَّةٍ وَ كُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّةٍ- تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ- وَ نِهَآيَاتِ الْأَقْطَارِ وَ تَأْتِلُ الْمَسَاكِينِ- وَ تَمَكِّنُ الْأَمَاكِينَ- فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ- لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولِ أَرْزَلِيَّةٍ- وَ لَا مِنْ أَوَائِلِ أَبْدِيَّةٍ- بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَاقَامَ حَدَّهُ- وَ صَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ- لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَ لَا لَهُ بَطَاعَةٌ شَيْءٌ انْتِفَاعٌ- عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْحَيَاءِ الْبَاقِينَ- وَ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى- كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقُولُ: لَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ فِي الْخُطْبَةِ مَا رَوَاهُ (توحيد الشيخ الصدوق- التوحيد- ص ٧٧ ح ٣٤ الصدوق)

ص: ٢٦٦

مسندا عن أبي المعتمر مسلم بن أوس، قال: حضرت مجلس علىّ عليه السلام في جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللون كأنه من متهودة اليمن. فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك و انعته لنا كأننا نراه و ننظر إليه. فسبح علىّ عليه السلام ربّه و عظّمه، و قال: الحمد لله الذي هو أول بلا بدء ممّا، و لا باطن فيما، و لا يزال مهما، و لا ممازج مع ما، و لا خيال وهما. ليس بشيح فيرى، و لا بجسم فيتنجزى، و لا بذى غاية فيتاهاى، و لا بمحدث فيبصر، و لا بمستتر فيكشف، و لا بذى حجب فيحوى. كان و لا أماكن تحمله أكنافها، و لا حملة ترفعه بقوتها، و لا كان بعد أن لم يكن، بل حارت الأوهام أن تكيّف المكيف للأشياء، و من لم يزل بلا مكان، و لا يزول باختلاف الأزمان، و لا يتقلب شأننا بعد شأن، البعيد من حدس القلوب، المتعالي عن الأشياء و

<sup>١٠٢٥</sup> (٤) الكافي ١: ١١١.

<sup>١٠٢٦</sup> (٥) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٠٩ ح ٢، و الصدوق في التوحيد: ١٤٦ ح ١٦، و نقله الحسن بن سليمان في مختصر بصائر الدرجات: ١٤٠ في صدر حديث.

الضروب، الوتر علّام الغيوب. فمعانى الخلق عنه منفيّة و سرائرهم عليه غير خفيّة. المعرفّ بغير كفيّة، لا يدرك بالحواس، و لا يقاس بالنّاس، و لا تدركه الأبصار، و لا تحيط به الأفكار، و لا تقدّره العقول، و لا تقع عليه الأوهام. فكلّ ما قدّره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، و كيف يوصف بالأشباح و ينعت بالألسن الفصاح من لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال: هو عنها بائن، و لم يخل منها فيقال: أين، و لم يقرب منها بالالتزاق، و لم يبعد عنها بالافتراق، بل هو في الأشياء بلا كفيّة، و هو أقرب إلينا من حبل الوريد، و أبعد من الشبه من كلّ بعيد. لم يخلق الأشياء من أصول أزيّة، و لا من أوائل كانت قبله بديّة، بل خلق ما خلق و أتقن خلقه، و صوّر ما صوّر فأحسن صورته. فسبحان من توحد في علوه، فليس لشيء منه امتناع، و لا له بطاعة أحد من خلقه انتفاع. إجابته للدّاعين سريعة، و الملائكة له في السماوات و الأرض مطيعة. كلّ موسى تكليما بلا جوارح و أدوات و لا شفة و لا لهوات. سبحانه و تعالى عن الصفات، فمن زعم أن إله

ص: ٢٤٧

الخلق محدود، فقد جهل الخالق المعبود... ١٠٤٧.

فإنهما مشتركتان في كثير من الفقرات، و اختلافهما في بعضها لا يبعد أن يكون من اختلاف الروايات، كما أن نقصهما و زيادتهما لا يبعد أن يكونا من حيث إن الرضى - رضوان الله عليه - ينتخب من الخطب، و قد قال في هذه الخطبة: «و منها أيها المخلوق السّوى...» ١٠٤٨.

و صرح (التوحيد) أيضا بأن الخطبة طويلة أخذ منها موضع الحاجة ١٠٤٩.

«الحمد لله خالق العباد» «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بثّ منهما رجالا كثيرا و نساء» ١٠٥٠.

يمكن أن يراد بقوله عليه السلام: «العباد» البشر فقط، و يمكن أن يراد به الجنّ و الإنس معا لقوله تعالى: «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون» ١٠٥١، فالكلّ عباده، بل مع الملائكة لقوله تعالى: «إن كل من في السماوات و الأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم و عدّهم عدداً و كلهم آتية يوم القيامة فردا» ١٠٥٢.

«و ساطح المهاد» أى: الأرض التى جعلها للناس كالمهد للطفل، قال تعالى:

١٠٢٧ (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٧٧ ح ٣٤ و قال بعد فقرة « فقد جهله الخالق المعبود » و الخطبة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.»

١٠٢٨ (٢) نهج البلاغة ٢: ٦٧.

١٠٢٩ (٣) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٧٧ ح ٣٤ و قال بعد فقرة « فقد جهله الخالق المعبود » و الخطبة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.»

١٠٥٠ (٤) النساء: ١.

١٠٥١ (٥) الذاريات: ٥٦.

١٠٥٢ (٦) مريم النبأ: ٩٣ - ٩٥.

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا»<sup>١٠٥٣</sup>، أو الأرض التي جعلناها ممهّدة و مهَيَّأَةً لانتفاع النَّاسِ بها، أى نوع أرادوا منها، قال تعالى: «وَلِلَّهِ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا»

ص: ٢٦٨

«لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا»<sup>١٠٥٤</sup>، و قال عزّ و جلّ: «وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ»<sup>١٠٥٥</sup>، و قال عزّ اسمه: «وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ»<sup>١٠٥٦</sup>.

هذا، و قالوا: إنّ قوله عليه السّلام: «ساطح المهاد» كآلآية الأخيرة لا ينافى كروية الأرض<sup>١٠٥٧</sup>.

«و مسيل الوهاد» أى: الأمكنة المنخفضة، حمد الله تعالى على إيجاده الأراضى المنخفضة التي تجرى فيها سيول المطر، لأنّه لو لا ذلك لما حدثت هذه الأنهار، و لا حصلت منها البساتين و الأشجار، و الرياحين و الأزهار.

«و مخصب النّجاد» النّجاد: جمع النّجد الموضع المرتفع، عكس الوهد، و الخصب ضدّ الجذب. حمد تعالى على إخصابه النّجاد بإنزال الأمطار عليها فى ما لم تجر الأنهار إليها، و لو لا ذلك لبقيت الأراضى المرتفعة و رءوس الجبال و الآكام معطلّة مجدبة.

«ليس لأوليته ابتداء، و لا لأزليته انقضاء» «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ»<sup>١٠٥٨</sup>.

و سئل الصادق عليه السّلام عن الأوّل، و الآخر فى وصفه تعالى، فقال: الأوّل لا عن أوّل قبله و لا عن بدء سبقه، و الآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، و لكن قديم أوّل آخر لم يزل و لا يزول بلا بدء و لا نهاية<sup>١٠٥٩</sup>.

ص: ٢٦٩

«هو الأوّل لم يزل، و الباقي بلا أجل» هما كالشرح لسابقيهما.

<sup>١٠٥٣</sup> (٧) : ٦.

<sup>١٠٥٤</sup> (١) نوح: ١٩ - ٢٠.

<sup>١٠٥٥</sup> (٢) الذاريات: ٤٨.

<sup>١٠٥٦</sup> (٣) الغاشية: ٢٠.

<sup>١٠٥٧</sup> (٤) لسان العرب ١٥: ١١٦ - ١١٧ مادة (غدا)، عن الليث «يقال: غدا غدك، و غدا غدوك، ناقص و تام»، و فى موضع آخر قال الليث: «الغدو جمع، مثل الغدوات، و العدى جمع غدوة».

<sup>١٠٥٨</sup> (٥) الحديد: ٣.

<sup>١٠٥٩</sup> (٦) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ١١٦ ح ٦، و الصدوق فى التوحيد: ٣١٣ ح ١، و فى معانى الأخبار: ١٢ ح ١ عن ميمون البان عن الصادق عليه السّلام، و قد مر الحديث فى العنوان (٥) من هذا الفصل.

«خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ» الجباه جمع الجبهة، يمكن أن يراد بالجباه الجباه الظاهرة، فيكون المراد جباه بنى آدم، و يمكن أن يراد بها جباه الذلّة و المسكنة من جميع الخليقة استعارة، و هو الأظهر، قال تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ»<sup>١٠٦٠</sup>، «وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ»<sup>١٠٦١</sup>.

«وَ وَحَدَّثَهُ الشَّفَاهُ» الشَّفَاه جمع الشِّفَّة، و الكلام فيه كسابقه، فيمكن أن يكون الكلام على الحقيقة، و يمكن أن يكون استعارة، فيراد بالشفاه شفاه الاعتراف بلسان الحال من كل الحقيقة ربوبيته: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»<sup>١٠٦٢</sup>.

«حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا» أى: جعلها محدودة، فلنشو الحيوان و النبات حدًا.

«إِبَانَةٌ» أى: فصلا.

«له» تعالى.

«من شبهها» فلا يمكن أن يكون محدودا، و فى خطبة أخرى له عليه السّلام «إِبَانَةٌ لَهَا مِنْ شَبْهِهِ وَ إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبْهِهَا»<sup>١٠٦٣</sup>.

«لَا تَقْدَرُهُ الْأَوْهَامُ» أى: لا تقدر الأفكار أن تعين له مقدارا.

«بالحدود و الحركات» كما تكون للكواكب.

ص: ٢٧٠

«وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدْوَاتِ» كما تكون للإنسان و الحيوانات.

«لَا يُقَالُ لَهُ: مَتَى» لأنّها موضوعة للسؤال عن الزّمان، قال امرؤ القيس:

و المجد و الحمد و السؤدد

متى عهدنا بطعان الكماء

<sup>١٠٦٠</sup> (١) النحل: ٤٨.

<sup>١٠٦١</sup> (٢) الرعد: ١٥.

<sup>١٠٦٢</sup> (٣) الاسراء: ٤٤.

<sup>١٠٦٣</sup> (٤) هذه قطعة من خطبة أخرجها الكليني فى الكافي ١: ١٣٥ ح ١، و الصدوق فى التوحيد: ٤٢ ح ٣.

١٠٦٤ و قال جرير:

متى كان حكم الله في كرب النخل

١٠٦٥ و هو تعالى منزّه عن المكان.

«و لا يضرب له أمد» أى: مدّة.

«بحتى» لأنّها موضوعة للانتهاء، و لا انتهاء له تعالى.

«الظاهر لا يقال: ممّا» كما تقول: ظهرت الشمس من السحاب.

«و الباطن لا يقال: فى ما» كما تقول: بطن القمر فى السحاب، و (ما) فى (مما) و (فى ما) كناية عن الشىء غير المعين.

«لا شبح» يأتى الشّبح بمعنى الجسد، كقولهم: أشباح بلا أرواح، و بمعنى الهباء، كقولهم: أدقّ من شبح باطل. و الظاهر أنّ المراد هنا: الثانى لقوله عليه السّلام:

«فيتقضّى» أى: فينقضى.

«و لا محجوب» كملوك الدّنيا.

«فيحوى» بالأستار و الكل.

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق» كقرب جسم من جسم.

«و لم يبعد عنها بافتراق» كبعد شخص عن شخص.

«لا يخفى عليه من عباده شخوص» من شخص بصره إذا فتحه، و جعل

ص: ٢٧١

لا يطرف.

١٠٦٤ (١) أوردته لسان العرب ١٥: ٤٧٥ مادة (متى).

١٠٦٥ (٢) المصدر نفسه.

«لحظة» أى: النظر بمؤخر العين، و اللحاظ بالفتح مؤخر العين، و اللحاظ بالكسر مصدر لا حظ، قال تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»<sup>١٠٦٦</sup>.

«و لا كرور» مصدر كرّ.

«لفظة» و الأصل فى اللفظ الحذف، يقال: لفظ اللقمة من فيه، سمى اللفظ لفظاً لأنه يحذف من الفم، قال تعالى: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»<sup>١٠٦٧</sup>، و قال عزّ و جلّ: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>١٠٦٨</sup>.

«و لا ازدلاف» أى: التقدّم و التقرب، قال الشاعر:

فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

و كل يوم مضى أو ليلة سلفت

<sup>١٠٦٩</sup> «ربوة» بالضّمّ و الفتح و الكسر: الموضع المرتفع.

«و لا انبساط خطوة» بالفتح: المشى قدما واحداً، و أمّا بالضّمّ فما بين قدمين مرّة أو أكثر.

«فى ليل داج» أى: مظلم، و عن الأصمعى معنى ليل داج: ألبس كلّ شيء لقولهم: دجى الإسلام...<sup>١٠٧٠</sup> و قال الشاعر:

ص: ٢٧٢

و الليل داج كنف جلابه

<sup>١٠٧١</sup> «و لا غسق» عطف على شخوص، قال الجوهري: الغاسق الليل إذا غاب الشفق<sup>١٠٧٢</sup>.

<sup>١٠٦٦</sup> (١) غافر: ١٩.

<sup>١٠٦٧</sup> (٢) ق: ١٨.

<sup>١٠٦٨</sup> (٣) المجادلة: ٧.

<sup>١٠٦٩</sup> (٤) أساس البلاغة: ١٩٤ مادة (زلف).

<sup>١٠٧٠</sup> (٥) مرّ الكلام حول تخريجه فى العنوان (٧) من هذا الفصل.

«ساج» أى: دام و سكن، قال تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى»<sup>١٠٧٣</sup>، وكيف يخفى عليه شيء و قد قال عزّ و جلّ: «وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>١٠٧٤</sup>، «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ»<sup>١٠٧٥</sup>.

«بِتَقِيًّا» أى: يرجع.

«عليه» أى: على الليل الداجى أو الغسق الساجى.

«القمر المنير» «أ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ»<sup>١٠٧٦</sup>.

«و تعقبه الشمس ذات النور فى الأفول» أى: الغروب.

«و الكروور» أى: الرجوع و الطلوع، قال تعالى: «وَالشَّمْسُ وَ ضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَاهَا»<sup>١٠٧٧</sup>، و قال عزّ و جلّ:

ص: ٢٧٣

«وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى»<sup>١٠٧٨</sup>.

«و تقليب» و فى (المصرية): (و تقلب) و هو غلط<sup>١٠٧٩</sup>.

«الأزمنة و الدهور من إقبال ليل مقبل و إدبار نهار مدبر» قال تعالى: «كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ»<sup>١٠٨٠</sup>.

<sup>١٠٧١</sup> (١) أساس البلاغة: ١٢٧، مادة (دجى).

<sup>١٠٧٢</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٥٣٧ مادة (غسق).

<sup>١٠٧٣</sup> (٣) الضحى: ٢.

<sup>١٠٧٤</sup> (٤) يونس: ٦١.

<sup>١٠٧٥</sup> (٥) الرعد: ١٠.

<sup>١٠٧٦</sup> (٦) النحل: ٤٨.

<sup>١٠٧٧</sup> (٧) الشمس: ١-٤.

<sup>١٠٧٨</sup> (١) الليل: ١-٢.

<sup>١٠٧٩</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٤٥٨، و شرح ابن ميثم ٣: ٢٩٧ «تقلب» أيضا.

<sup>١٠٨٠</sup> (٣) المدثر: ٣٢-٣٤.

و لعلّ وجه تخصيصه عليه السّلام الإقبال بالليل و الإدبار بالنّهار، مع أنّ لكلّ منهما إقبالا و إدبارا: كون الأمور فى الدّنيا على خلاف المراد فى الأغلب.

«قبل كلّ غاية و مدّة» فلا يمكن أن تكونا مضافتين إليه تعالى.

«و كلّ إحصاء و عدّة» فلا يمكن أن يكونا منسوبين إليه جلّ و علا.

«تعالى» أى: ارتفع.

«عمّا ينحله» بالفتح أى: يدّعيه.

«المحدّدون» له تعالى.

«من صفات الأقدار»: أى: الأشياء التى لها مقدار.

«و نهايات الأقطار» من الطول و العرض و العمق.

«و تأثّل» أى: اتخاذا.

«المساكن و تمكّن الأماكن» أى: جعلها مكانا له.

«فالحدّ لخلقه مضروب» و هو تعالى أجلّ من أن يحدّ.

«و إلى غيره منسوب» فمن نسبه إليه فقد أخطأ.

«لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، و لا أوائل أبدية» هو مثل قوله عليه السّلام فى خطبة له أخرى: «لا من شيء خلق ما كان»<sup>١٠٨١</sup>.

ص: ٢٧٤

و قال الكليني بعد نقل ذاك القول: دفع عليه السّلام بقوله جميع حجج النّويّة و شبههم، لأنّ أكثر ما يعتمد النّويّة فى عدم حدوث العالم أن يقولوا: لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء. فقولهم من شيء خطأ، و قولهم من لا شيء مناقضة و إحالة، لأنّ من توجب شيئا و لا شيء تنفيه، فأخرج أمير المؤمنين عليه السّلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ و أصحّها، فقال:

<sup>١٠٨١</sup> (٤) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٣١٤ ح ١.

لا من شيء خلق ما كان. فنفي من إذ كانت توجب شيئاً، ونفي الشيء إذ كان كل شيء مخلوقاً محدثاً لا من أصل أحدثه الخالق كما قالت التنوية: إنه خلق من أصل قديم فلا يكون تدبير إلا باحتذاء مثال<sup>١٠٨٢</sup>.

«بل خلق ما خلق فأقام حدّه» الذى خلق كل شيء ثم هدى<sup>١٠٨٣</sup>.

«و صور ما صور فأحسن صورته» «و صوركم فأحسن صوركم و إليه المصير»<sup>١٠٨٤</sup>، «الذى أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين»<sup>١٠٨٥</sup>.

«ليس لشيء منه امتناع» «إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد و ما ذلك على الله بعزيز»<sup>١٠٨٦</sup>.\*

«و لا له بطاعة شيء انتفاع» «و قال موسى إن تكفروا أنتم و من فى الأرض جميعاً فإن الله لعننى حميداً»<sup>١٠٨٧</sup>.

«علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين» «و لقد علمنا»<sup>١٠٨٨</sup>.\*

ص: ٢٧٥

«المستقدمين منكم و لقد علمنا المستأخرين»<sup>١٠٨٨</sup>.

«و علمه بما فى السماوات العلى كعلمه بما فى الأرضين السفلى» «و لله غيب السماوات و الأرض و إليه يرجع الأمر كله»<sup>١٠٨٩</sup>.

و فى الخبر أن داود عليه السلام لما وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس و كثرتهم، فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلما قضى نسكه أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا داود! يقول لك ربك: لم صعدت الجبل، ظننت أنه يخفى على صوت من صوت؟! ثم مضى به الى البحر إلى جدّة، فرسب به فى الماء مسيرة أربعين صباحاً فى البر، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة، فقال له: يا داود يقول لك ربك: أنا أسمع صوت هذه فى بطن هذه الصخرة فى قعر هذا البحر. فظننت أنه يخفى على صوت من صوت<sup>١٠٩٠</sup>.

<sup>١٠٨٢</sup> (١) الكافى ١: ١٣٤.

<sup>١٠٨٣</sup> (٢) فى طه: ١٥٠ «الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» E.

<sup>١٠٨٤</sup> (٣) التغابن: ٣.

<sup>١٠٨٥</sup> (٤) السجدة: ٧.

<sup>١٠٨٦</sup> (٥) فاطر: ١٦ و ١٧.

<sup>١٠٨٧</sup> (٦) إبراهيم: ٨.

<sup>١٠٨٨</sup> (١) الحجر: ٢٤.

<sup>١٠٨٩</sup> (٢) هود: ١٢٣.

<sup>١٠٩٠</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافى ٤: ٢١٤ ح ١١، و اخرج قريباً منه الحسين بن سعيد فى الزهد: ٦٤ ح ١٦٩، ١٧٠، و بلا استناد التعليق فى العرائس: ٢٧٦، و

المسعودى فى اثبات الوصية: ٥٦، و رواية الكليني عن الصادق عليه السلام و رواية الحسين بن سعيد عنه و عن الباقر عليه السلام.

من الخطبة (١٧٦) و من خطبة له عليه السلام:

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يُعَيِّرُهُ زَمَانٌ - وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ - وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ - وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ - وَلَا ذَيْبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا - وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ - يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ وَ خَفَى طَرْفِ الْأَحْدَاقِ «لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ» أى: عن شأن آخر كما هو شأن الناس، فاذا اشتغل أحد

ص: ٢٧٦

بالخياطة لا يمكنه التجارة، و إذا تكلم مع زيد لا يستطيع التكلم مع عمرو.

«و لا يعيِّره زمان» كما يعيِّر الخلق.

«و لا يحويه» أى: لا يضمه.

«مكان» كما يحوى الجسمانيات، و فى الخبر: سأل يونس بن عبد الرحمن الكاظم عليه السلام عن عروج النبىِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم إلى حجب النور، فخاطبه و ناجاه هناك، و الله لا يوصف بمكان. فقال عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى لا يوصف بمكان، و لا يجرى عليه زمان، و لكنه عزَّ و جلَّ أراد أن يشرف به ملائكته و سكان سماواته، و يكرمهم بمشاهدته، و يريه من عجائب عظمتة ما يخبر به بعد هبوطه<sup>١٠٩١</sup>.

«و لا يصفه لسان» «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»<sup>١٠٩٢</sup>.

«و لا يعزب» أى: لا يغيب و لا يبعد.

«عنه عدد قطر» بالكسر فالفتح، جمع قطرة.

«الماء» من الأمطار و البحار، قال تعالى: «وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا»<sup>١٠٩٣</sup>.

«و لا نجوم السماء» «وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ»<sup>١٠٩٤</sup>.

<sup>١٠٩١</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ١٧٥ ح ٥، و علل الشرائع ١: ١٣٢ ح ٢.

<sup>١٠٩٢</sup> (٢) الكهف: ١٠٩.

<sup>١٠٩٣</sup> (٣) الجن: ٢٨.

<sup>١٠٩٤</sup> (٤) النحل: ١٢.

«و لا سوافى» جمع سافية، من سفت الريح التراب إذا ذرته.

«الريح فى الهواء» و المراد ذرات التراب التى تنيرها الرياح فى الفضاء، قال تعالى: «عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى»

ص: ٢٧٧

«الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين»<sup>١٠٩٥</sup>.

«و لا ديبب» و هو المشى على البطن.

«النمل على الصفا» أى: الصخرة الملساء «وسع ربنا كل شىء علماً»<sup>١٠٩٦</sup>.

«و لا مقيل» أى: مستقر، قال ابن رواة:

ضربا يزيل الهام عن مقيله

اليوم نضربكم على تنزيله

<sup>١٠٩٧</sup> «الذر» قال الجوهري: الذر جمع ذرة، و هى أصغر من النمل<sup>١٠٩٨</sup>.

«فى الليلة الظلماء» «و ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل فى كتاب مبين»<sup>١٠٩٩</sup>.

«يعلم مساقط الأوراق» «و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة فى ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلا فى كتاب مبين»<sup>١١٠٠</sup>.

«و خفى» عن اضافة الصفة.

<sup>١٠٩٥</sup> (١) سبأ: ٣.

<sup>١٠٩٦</sup> (٢) الأعراف: ٨٩.

<sup>١٠٩٧</sup> (٣) لسان العرب: ١١: ٥٧٨ مادة (قيل).

<sup>١٠٩٨</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٦٣ مادة (ذر).

<sup>١٠٩٩</sup> (٥) هود: ٦.

<sup>١١٠٠</sup> (٦) الأنعام: ٥٩.

«طرف» بالفتح فالسكون، قال الجوهري: طرف بصره يطرف طرفاً إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. الواحدة من ذلك طرفة، يقال: أسرع من طرفة عين، و فلان مطروف العين بفلان إذا كان لا ينظر إلّا إليه<sup>١١٠١</sup>.

«الأحداق» جمع الحدقة سواد العين الأعظم، قال تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ»

ص: ٢٧٨

«الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ»<sup>١١٠٢</sup>.

٢١

من الخطبة (١٧٠) و من خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَأ تُوَارَى عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءٌ - وَ لَأ أَرْضٌ أَرْضاً فِي تَسْبِيحِ (الصحيفة): سبحانك تسمع و ترى ما تحت الثرى، سبحانك أنت شاهد كل نجوى، سبحانك موضع كل شكوى، سبحانك حاضر كل ملا، سبحانك عظيم الرجاء، سبحانك ترى ما في قعر الماء، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار. سبحانك تعلم وزن السماوات. سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة و النور، سبحانك تعلم وزن الفىء و الهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة، سبحانك قدّوس قدّوس قدّوس<sup>١١٠٣</sup>. و قال تعالى: «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا»\*<sup>١١٠٤</sup> «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»<sup>١١٠٥</sup>، «وَ مَا يَعْرُجُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّنْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَأ فِي السَّمَاءِ وَ لَأ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لَأ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ»<sup>١١٠٦</sup>.

ص: ٢٧٩

٢٢

من الخطبة (١٩٦) و من خطبة له عليه السلام:

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ - وَ مَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ - وَ اخْتِلَافَ النَّيَّانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ - وَ تَلَاطَمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْغَاصِقَاتِ «يعلم عجيج» أى: صياح.

<sup>١١٠١</sup> (٧) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٣٩٥ مادة طرف().

<sup>١١٠٢</sup> (١) غافر: ١٩.

<sup>١١٠٣</sup> (٢) ملحقات الصحيفة السجادية الكاملة: ٣١٩ الدعاء (١).

<sup>١١٠٤</sup> (٣) سبأ: ٢.

<sup>١١٠٥</sup> (٤) الحديد: ٤.

<sup>١١٠٦</sup> (٥) يونس: ٦١.

«الوحوش» و المراد ما يعمّ السباع.

«في الفلوات» أى: البرارى و المفازات. و مرّ خبر داود فى ذلك<sup>١١٧</sup>.

«و معاصى العباد فى الخلوات» «وَهُوَ الَّذِى يَتَوَقَّأَكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»<sup>١١٨</sup>. و فى (دعاء الوتر): فإن قلت: نعم. فأين المهرب من عدلك، و إن قلت: لم أفعل. قلت: ألم أكن الشاهد عليك<sup>١١٩</sup>.

و فى الخبر: إن إبراهيم عليه السلام لما أرى ملكوت السماوات و الأرض التفت فرأى رجلا يزنى، فدعا عليه فمات، حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى تعالى إليه: أن دعوتك مجابة، فلا تدع على عبادى، و لو شئت لم أخلقهم<sup>١٢٠</sup>.

ص: ٢٨٠

هذا، و فى (اليتيمة): يحكى أنّه كان فى جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى، و يجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة و التّبسّط فى القصف و الخلاعة، ابن قريعة و ابن معروف و القاضى التّوخى، و ما منهم إلّا أبيض اللّحية طويها، و كذلك كان الوزير المهلبى، فإذا تكامل الأنس و طاب المجلس، و لذّ السماع، و أخذ الطرب منهم مأخذه، و هبوا ثوب الوقار للعقار، و تقلّبوا فى أعطاف العيش بين الخفة و الطيش، و وضع فى يد كلّ منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها مملوءا شرابا قطر بليا أو عكبريا، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتّى تتشرب أكثره، و يرشّ بها بعضهم على بعض و يرقصون أجمعهم، و عليهم المصبغات، و مخانق البرم و المنثور، و يقولون كلّما يكثر شربهم: «هرهر»، و إيّاهم عنى السرى بقوله:

إذا انتشوا فى مخانق البرم

مجالس ترقص القضاة بها

بشيمة حلوة من الشيم

و صاحب يخلط المجون لنا

أنامل مثل حمرة النعم

تخضب بالراح شبيبة عبثا

شبيبة فعلان ضرّجت بدم

حتّى تخال العيون شبيته

<sup>١١٧</sup> (١) مر فى العنوان (١٩) من هذا الفصل.

<sup>١١٨</sup> (٢) الأنعام: ٦٠.

<sup>١١٩</sup> (٣) هذا دعاء فى تعقيب صلاة الوتر، و يسمى بدعاء الحزين، رواه الطبرسى فى مكارم الأخلاق: ٢٩٦ عن السجاد عليه السلام، و رواه الطوسى فى مصباح المتهجد: ١٤٥ بلا عزو.

<sup>١٢٠</sup> (٤) أخرجه ابن مردويه عن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله، و أخرجه أبو الشيخ و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الايمان عنهم الدر المنثور ٣: ٢٤ عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه و آله، و أخرجه صاحب تفسير العسكرى: ٢٣٤، و الطبرسى فى الاحتجاج ١: ٣٥ عن النبى صلى الله عليه و آله، و أخرجه الكلينى فى الكافى ٨: ٣٠٥ ح ٤٧٣، و على بن ابراهيم فى تفسيره ١: ٢٠٦، و العياشى فى تفسيره ١: ٣٦٤ ح ٣٧، و الصدوق فى علل الشرائع ٢: ٥٨٥ ح ٣١ عن الصادق عليه السلام، و روى موقوفا عن سلمان و عطاء و شهر بن حوشب بطرق الدر المنثور ٣: ٢٤، و نقلها الشارح هنا باختصار.

فإذا أصبحوا عادتهم عادتهم في التوقّر و التحفّظ بأبهة القضاء و حشمة المشايخ الكبراء<sup>١١١١</sup>.

قلت: ألم يكونوا سمعوا قوله تعالى: «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا»<sup>١١١٢</sup>، «فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ»

ص: ٢٨١

«وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ»<sup>١١١٣</sup>.

«و اختلاف النّينان» جمع النّون أى: الحيتان بأنواعها- الّتى لا يعلمها إلّا خالقها- و اختلافها بالذّهاب و الإياب فى الماء.

و فى (توحيد المفضّل): تأمّل خلق السمك و مشاكلته للأمر الّذى قدّر أن يكون عليه، فإنّه خلق غير ذى قوائم لأنّه لا يحتاج إلى المشى إذ كان مسكنه الماء، و خلق غير ذى رية لأنّه لا يستطيع أن يتنفّس و هو منغمس فى اللجّة، و جعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها فى جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة، و كسى جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع و الجواشن لتقيه من الآفات. فأعين بفضل حسّ فى الشّم لأنّ بصره ضعيف و الماء يحجبه، فصار يشمّ الطعم من البعد البعيد، فينتجعه فيتبعه، و إلّا فكيف يعلم به و بموضعه؟ و اعلم أنّ من فيه إلى صماخه منافذ فهو يعبّ الماء بفيه، و يرسله من صماخيه فيتروّح إلى ذلك كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا التّسيم.

فكرّ الآن فى كثرة نسله، و ما خصّ به من ذلك، فإنك ترى فى جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، و العلّة فى ذلك أن يتسع لما يغتذى به من أصناف الحيوان فإنّ أكثرها يأكل السمك، حتى إنّ السباع فى حافات الآجام عاكفة على الماء كى ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفتها، فلما كانت السباع تأكل السمك، و الطير يأكل السمك، و الناس يأكلون السمك، و السمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق و قصر علم المخلوقين فانظر إلى ما فى البحار من ضروب السمك و دوابّ الماء و الأصداف و الأصناف الّتى لا

ص: ٢٨٢

<sup>١١١١</sup> (١) يتيمة الدهر ٢: ٣٣٥.

<sup>١١١٢</sup> (٢) النساء: ١٠٨.

<sup>١١١٣</sup> (١) النساء: ٨١.

تحصى و لا تعرف منافعها، إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث مثل القرمز، فإنه لما عرف الناس صبغه، بأن كلبه تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذى يسمى الحلزون فأكلته، فاخضب خطمها بدمه، فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغاً، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال و زمانا بعد زمان<sup>١١١٤</sup>.

«فى البحار الغامرات» أى: تغمر كل شيء دخلها و تغطيه لكثرتها، فالبهار ثلاثة أرباع الأرض.

قال الصادق عليه السلام للمفضل: فإن شككت فى منفعة هذا الماء الكثير المتراكم فى البحار، و قلت: ما الإرب فيه؟ فاعلم أنه مكتنف و مضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك و دواب البحر، و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر و أصناف شتى تستخرج من البحر، و فى سواحله منابت العود البنجوج و ضروب من الطيب و العقاقير، ثم هو بعد مركب للناس و محمل لهذه التجارات التى تجلب من البلدان البعيدة، كمثل ما يجلب من الصين الى العراق، و من العراق إلى الصين، فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلا على الظهر لبارت و بقيت فى بلدانها و أيدى أهلها، لأن أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها، و كان يجتمع فى ذلك أمران: أحدهما: فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها. و الآخر: انقطاع معاش من يحملها و يتعيش بفضلها<sup>١١١٥</sup>.

«و تلاطم الماء بالرياح العاصفات» قال تعالى: «و المرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً»<sup>١١١٦</sup>، أى: الرياح الشديدة، كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً.

ص: ٢٨٣

و قال جلّ و علا: «حتى إذا كنتم فى الفلك و جرّين بهم بريح طيبة و فرحوا بها جاءتها ریح عاصف و جاءهم الموج من كل مكان»<sup>١١١٧</sup>.

٢٣

من الخطبة (١٧٧) و من كلام له ع و قد سأله؟ ذعلب اليماني؟ فقال- هل رأيت ربك يا؟ أمير المؤمنين؟ فقال ع:

أ فأعبد ما لا أرى فقال و كيف تراه فقال- لا تدركه العيون بمشاهدة العيان- و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان- قريب من الأشياء غير ملامس بعيد منها غير مبين- متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة- لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء- بصير لا يوصف بالحاسه رحيم لا يوصف بالرقه- تغو الوجوه لعظمته و تجب القلوب من مخافته قول

<sup>١١١٤</sup> (١) توحيد المفضل: ١٢٣.

<sup>١١١٥</sup> (٢) توحيد المفضل: ١٤٦.

<sup>١١١٦</sup> (٣) المرسلات: ١-٢.

<sup>١١١٧</sup> (١) يونس: ٢٢.

المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام» المفهوم من أسانيده أنّه من خطبة له عليه السّلام<sup>١١١٨</sup>. فروى الصدوق في (التوحيد) بروايتين و في (الأمالى الشيخ الصدوق - الأمالى - ص ٢٨٠ ح ١ المجلس ٥٥) برواية مسندا عن الأصبح، قال: لما بايع الناس عليّا عليه السّلام خرج إلى الناس متعمّما بعمامة النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم لابسا بردته صلّى الله عليه وآله و سلّم متعلّقا نعله صلى الله عليه وآله و سلم متقلّدا سيفه صلّى الله عليه وآله، فصعد

ص: ٢٨٤

المنبر فجلس متمكّنا، ثمّ شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معاشر الناس! سلونى قبل أن تفقدونى هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، هذا ما زقنى النبي صلّى الله عليه وآله زقا زقا، سلونى فإنّ عندى علم الأولين و الآخرين، أما و الله لو ثبت لى الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتّى تنطق التوراة فتقول: صدق علىّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فىّ، و أفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علىّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فىّ، و أنتم تتلون القرآن ليلا و نهارا، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ و لو لا آية فى كتاب الله لأخبرتكم بما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، و الآية: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»<sup>١١١٩</sup>. ثمّ قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة و برأ النسمة لو سألتمونى عن آية آية فى ليل أنزلت أو فى نهار أنزلت، مكّيها و مدنيها، سفريها و حضريها، ناسخها و منسوخها، محكمها و متشابها، تأويلها و تنزيلها، لأخبرتكم. فقام إليه رجل يقال له ذعلب، و كان ذرب اللسان بليغا فى الخطب شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرقاة صعبة لأخجلته اليوم لكم فى مسألتي إياه. فقال له: هل رأيت ربّك؟

قال: و يلك يا ذعلب! لم أكن بالذى أعبد ربّا لم أره.

فقال: فكيف رأيت صفه لنا؟

قال: و يلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، و يلك يا ذعلب! إن ربّي لا يوصف بالبعد، و لا بالحركة و لا بالسكون، و لا بالقيام قيام انتصاب، و لا بمجىء و لا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف

ص: ٢٨٥

<sup>١١١٨</sup> (٢) المفهوم من رواية الديلمى فى إرشاد القلوب الديلمى - إرشاد القلوب - ص ١٦٧ ح ٥: ١٦٧ ح ٥ لحديث ذعلب أنّه كلام له عليه السّلام، و يؤيده ما روى الكليني فى الكافى الكليني - الكافى - ج ١ ص ٩٧ ح ٦ و ص ١٣٨ ح ١٤: ٩٧ ح ٦، و الصدوق فى التوحيد الشيخ الصدوق - التوحيد - ص ١٠٩ ح ٦ و ص ٣٠٤ ح ١، و ص ٣٠٨ ح ٢: ١٠٩ ح ٦ بلفظ «جاء حبر إلى على عليه السّلام»، و ما رواه البرقى فى المحاسن البرقى - المحاسن - ص ٢٣٩ ح ٢١٦: ٢٣٩ ح ٢١٦ بلفظ «جاء رجل من اليهود إلى على عليه السّلام». و ما رواه المفيد فى الارشاد الشيخ المفيد - الارشاد - ص ١٢٠: ١٢٠، و الطبرسى فى الاحتجاج الطبرسى - الاحتجاج - ج ١ ص ٢٠٩: ٢٠٩ بلفظ «جاء رجل الى على عليه السّلام» و ما رواه سبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص سبط ابن الجوزى - تذكرة الخواص - ص ١٥٧: ١٥٧ بلفظ «سأل رجل عليّا عليه السّلام» لكن يؤيد كونه خطبة مضافا إلى رواية الصدوق المذكورة فى رواية الكليني فى الكافى: ١: ١٣٨ ح ٤، و المفيد فى الاختصاص الشيخ المفيد - الاختصاص - ص ٢٣٦ ح ٢٣٦.

<sup>١١١٩</sup> (١) الرعد: ٣٩.

باللطيف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبر لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسّة، قائل لا باللفظ. هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيء فلا يقال شيء فوقه، و أمام كلّ شيء و لا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، و خارج منها لا كشيء من شيء خارج.

قال: فخرّ ذعلب مغشيا عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، و الله لا عدت إلى مثلها<sup>١١٢٠</sup>.

لكن يمكن أن يقال: إنّه يصدق مع ذلك أن يجعل العنوان كلاما، لأنّه كان كلاما خارجا عن خطبته عليه السّلام في جواب ذعلب لما اعترض في الأثناء.

«و قد سأله ذعلب اليمانيّ» لم أف في أسانيده على وصف ذعلب باليمانيّ، فقد رأيت خلوّ أسناد الصدوق في (التوحيد) و (الأمالى) عنه، و رواه (الكافي) في باب جوامع التوحيد عن محمد بن أبي عبد الله مرفوعا عن الصادق عليه السّلام، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ في الخطب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين! هل رأيت ربك<sup>١١٢١</sup> ... باختلاف مع رواية الصدوق.

و في (الإرشاد) في باب مختصر من كلامه عليه السّلام في وجوب المعرفة بالله: روى أهل السيرة و علماء النّقلة أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: يا أمير المؤمنين! خبرني عن الله تعالى، رأيت حين عبدته؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: لم أك بالذي أعبد من لم أراه.

ص: ٢٨٦

فقال له: فكيف رأيت حين رأيتك؟

فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان، معروف بالدلالات، منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس، و لا تدركه الحواس.

فانصرف الرجل و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته. و تبعه في (الاحتجاج)<sup>١١٢٢</sup>.

و روى مضمون الخبر (الكافي) في باب إبطال الرؤية عن الباقر عليه السّلام و اشتمل على أن رجلا من الخوارج سأل الباقر عليه السّلام<sup>١١٢٣</sup>.

<sup>١١٢٠</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٠٤ ح ١، و ٣٠٨ ح ٢ بروايتين و في الأمالى: ٢٨٠ ح ١ المجلس (٥٥).

<sup>١١٢١</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٣٨ ح ٤.

<sup>١١٢٢</sup> (١) أخرجه المفيد في الإرشاد: ١٢٠، و رواه الطبرسي في الاحتجاج ١: ٢٠٩ و بينهما اختلاف لفظي يسير.

فالظاهر و هم المفيد فى نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و لعلّ المصنّف وقف على مستند آخر غير سند الكلينى و الصدوق فى الكتابين و كان مشتتلا على ذكر اليماني<sup>١١٢٤</sup>.

لكن الظاهر أنّ ذعبل اليمانيّ كان رجلا آخر متأخرا من الرواة التنبس على المصنّف هذا بذاك، فقال نفسه فى الخطبة (٢٣٢): روى ذعبل اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام...<sup>١١٢٥</sup>، لكن نقله ابن أبى الحديد على ما فى النسخة «ذعبل

ص: ٢٨٧

اليماني»<sup>١١٢٤</sup>.

«فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين» و قد عرفت أنّ خارجياّ سأل الباقر عليه السلام عن مثله.

«فقال: أ فأعبد ما لا أرى» و روى (المحاسن) أنّ رجلا من اليهود أتاه عليه السلام فقال: يا على هل رأيت ربك؟ فقال عليه السلام ما كنت بالذى أعبد إلها لم أراه. ثم قال: لم تره العيون فى مشاهدة الأبصار غير أنّ الإيمان بالغيب بين عقد القلوب<sup>١١٢٧</sup>.

«فقال: و كيف تراه؟ فقال» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (قال: كيف تراه؟ قال) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة)<sup>١١٢٨</sup>، ثم كلمة (قال) الثانية زائدة توكيدا، و إلّا يصير ما بعدها مقولها، و يبقى قوله: «و من كلام له عليه السلام» خبرا بلا مبتدأ.

«لا تدركه العيون بمشاهدة العيان»، و فى رواية الكلينى و الصدوق: «لم تره العيون بمشاهدة الأبصار»<sup>١١٢٩</sup>.

«و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» و إدراك القلوب فوق إدراك العيون، لعدم وقوع لبس فى إدراكها، بخلاف إدراك العيون فيقع اللبس فيها كثيرا، و لبعضهم:

---

<sup>١١٢٣</sup> (٢) أخرج المضمون الكلينى فى الكافي ١: ٩٧ ح ٥، و الصدوق فى التوحيد: ١٠٨ ح ٥، و الأمالى: ٢٢٩ ح ٤ المجلس (٤٧)، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٢١ عن الباقر عليه السلام و رواه - بلا إشارة الى كون الرجل من الخوارج - الديلمى فى ارشاد القلوب: ١٦٧ ح ١، و الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٣٦، و رواه مترددا عن الباقر أو الصادق عليهما السلام الاربلى فى كشف الغمّة ٢: ٤١٨.

<sup>١١٢٤</sup> (٣) يؤيد هذا الاحتمال رواية الديلمى فى ارشاد القلوب التى كانت أوفق الروايات للفظ نهج البلاغة، و لكونه أكمل متنا لا يحتمل روايته عن نهج البلاغة، بل المحتمل رواية كليهما عن مصدر واحد، و فى لفظ الديلمى «ذعبل اليماني» أيضا.

<sup>١١٢٥</sup> (٤) لفظ نهج البلاغة ٢: ٢٢٧ «روى اليماني» بدون ذكر ذعبل و لفظ ابن ميثم فى شرحه ٤: ١١٤ «روى أبو محمد اليماني».

<sup>١١٢٦</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٨٦.

<sup>١١٢٧</sup> (٢) أخرجه البرقى فى المحاسن: ٢٣٩ ح ٢١٦.

<sup>١١٢٨</sup> (٣) لفظ ابن أبى الحديد ٢: ٥٠٤ «فقال: و كيف تراه؟ قال»، و لفظ ابن ميثم ٣: ٣٧٣، فقال: و كيف تراه؟ فقال».

<sup>١١٢٩</sup> (٤) الكافي ١: ٩٧ ح ٥، و التوحيد للصدوق: ٣٠٥ ح ١، و ح ٣٠٨.

و قال الصدوق في (توحيده): و الأخبار التي ذكرها أحمد بن محمد بن عيسى في (نواده) و محمد بن أحمد بن يحيى في (جامعه) في معنى الرؤية صحيحة لا يردّها إلّا مكذب بالحق أو جاهل به، و ألفاظه ألفاظ القرآن، و لكلّ

ص: ٢٨٨

خبر معنى ينفي التشبيه و التعطيل و يثبت التوحيد، و قد أمرنا الأئمة عليهم السلام أن لا نكلّم الناس إلّا على قدر عقولهم، و معنى الرؤية الواردة في الأخبار: العلم، و ذلك أنّ الدّنيا دار شكوك و ارتباب و خطرات، فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله و أموره في ثوابه و عقابه ما يزول به الشكوك، و يعلم حقيقة قدرة الله تعالى، و تصديق ذلك في كتاب الله تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»<sup>١١٣٠</sup>، فمعنى ما روى في الحديث أنّه تعالى يرى، أي: يعلم علما يقينا، كقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ»<sup>١١٣١</sup> و قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ»<sup>١١٣٢</sup> و قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ»<sup>١١٣٣</sup> و قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ»<sup>١١٣٤</sup> و أشباه ذلك من رؤية القلب، و ليست من رؤية العين، و أمّا قوله تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ»<sup>١١٣٥</sup>، فمعناه لما ظهر عزّ و جلّ للجبل بآية من آيات الآخرة التي يكون بها الجبال سرايا و التي ينسف بها الجبال نسفا، تدكدك الجبل فصار ترابا لأنّه لم يطق حمل تلك الآيّة، و قد قيل: إنّه بدا له من نور العرش<sup>١١٣٦</sup>.

و أمّا قول موسى عليه السلام: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»<sup>١١٣٧</sup> فليس دالّا على تجويز موسى عليه السلام رؤيته تعالى، فإنّه عليه السلام قال ذلك لما سأله قومه رؤيته

ص: ٢٨٩

<sup>١١٣٠</sup> (١) ق: ٢٢.

<sup>١١٣١</sup> (٢) الفرقان: ٤٥.

<sup>١١٣٢</sup> (٣) البقرة: ٢٥٨.

<sup>١١٣٣</sup> (٤) البقرة: ٢٤٣.

<sup>١١٣٤</sup> (٥) الفيل: ١.

<sup>١١٣٥</sup> (٦) الأعراف: ١٤٣.

<sup>١١٣٦</sup> (٧) التوحيد للصدوق: ١١٩.

<sup>١١٣٧</sup> (٨) الأعراف: ١٤٣.

تعالى جهرة، فقال ذلك ليفهمهم امتناعها بجوابه تعالى «لَنْ تَرَانِي»<sup>١١٣٨</sup>، كما يشهد له قوله تعالى فى موضع آخر: «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ»<sup>١١٣٩</sup>، فَإِنَّ الْقِصَّةَ فِي الْآيَتَيْنِ وَاحِدَةٌ، وَ قَدْ صَرَّحَ فِي الثَّانِيَةِ بِأَنَّ السُّؤَالَ لَهُ تَعَالَى كَانَ مِنْهُمْ، فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاكِيًا عَنْهُمْ.

هذا، و الإمامية و المعتزلة على امتناع رؤيته تعالى فى الدنيا و الآخرة لقوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»<sup>١١٤٠</sup> و لقوله تعالى: لموسى عليه السلام: «لَنْ تَرَانِي»<sup>١١٤١</sup>.

و ذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته فى الدنيا منزها عن الجهة و المكان و المقابلة. و قالت المشبهة و الكرامية برؤيته فى الجهة و المكان لكونه عندهم جسما<sup>١١٤٢</sup>، و نسبوا إلى ابن عباس أنه قال: إنَّ اللَّهَ اخْتَصَّ مُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَةِ، كَمَا اخْتَصَّ مُوسَى بِالْكَلَامِ<sup>١١٤٣</sup>.

و قال أحمد بن حنبل و الفضل الحنبلى و هما من أصحاب النظام بحمل كلِّ ما ورد فى الخبر من رؤية البارى تعالى - مثل قوله صلى الله عليه و آله: «إنكم سترون

ص: ٢٩٠

ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر و لا تضامون فى رؤيته»<sup>١١٤٤</sup> - على رؤية العقل الأوَّل الذى هو أوَّل مبدع، و هو العقل الفعَّال الذى منه تفيض الصور على الموجودات، و إياه عنى النبىُّ صلى الله عليه و آله بقوله: «أوَّل ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل. ثم قال له: أدبر فأدبر. فقال: و عزتى و جلالى ما خلقت خلقا أحسن منك، و بك أعزَّ و بك أذلَّ و بك

<sup>١١٣٨</sup> (١) الأعراف: ١٤٣.

<sup>١١٣٩</sup> (٢) النساء: ١٥٣.

<sup>١١٤٠</sup> (٣) الأنعام: ١٠٣.

<sup>١١٤١</sup> (٤) الأعراف: ١٤٣.

<sup>١١٤٢</sup> (٥) هذا اقتباس من قول المجلسى فى بحار الأنوار ٤: ٥٩ - ٦٠، و خلاصة قول المفيد فى أوائل المقالات: ٦٣ أنَّ صحَّة رؤية الله تعالى قول المشبهة و بعض الصفتية، و عدم رؤيته قول جمهور الامامية و عامة متكلمى الامامية إلا من شذ منهم، و جميع المعتزلة، و جمهور المرجئة، و كثير من الخوارج، و الزيدية، و بعض أهل الحديث.

<sup>١١٤٣</sup> (٦) هذا المعنى أخرجه النسائى و الحاكم و ابن مردويه عن ابن عباس، و أخرجه الحاكم فى المستدرک و ابن مردويه و ابن جرير و ابن المنذر و عبد بن حميد فى مسنده عن الشعبي: أن كعبا قاله بحضرة ابن عباس، و عنهم الدر المنثور ٦: ١٢٤.

<sup>١١٤٤</sup> (١) أخرجه عدة عن أبى هريرة و أبى سعيد الخدرى و ابن رزين و صهيب و جابر بن عبد الله باختلاف يسير و جمع بعض طرقه و ألفاظه ابن الأثير فى جامع الأصول ١١: ١٦٨ ح ٨٠٩٨، و المتقى فى منتخب كنز العمال ٦: ١٢٤، و شرح الحديث الشريف الرضى فى المجازات النبوية: ٤٧ و الشريف المرتضى فى تنزيه الأنبياء: ١٢٨.

أعطى و بك أمنع»<sup>١١٤٥</sup>. فهو الذى يظهر يوم القيامة، و ترتفع الحجب بينه و بين الصور التى فاضت منه، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر، فأما واهب العقل فلا يرى البتة و لا يشبهه إلا مبدع بمبدع إلى غير ذلك من مذاهبهم البدعية التى نقلها (الملل)<sup>١١٤٦</sup>.

و الرّجلان و إن نفيا عنه رؤية البصر و هو حقّ إلا أنّهما جعلاه شريكا، و تعالى الله عمّا يشركون.

«قريب من الأشياء غير ملامس» قال تعالى فى وصف قربه: «و نَعَلِمُ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»<sup>١١٤٧</sup>. و قال عزّ و جلّ: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»<sup>١١٤٨</sup>.

ص: ٢٩١

«بعيد منها غير مباين» فالبعد بالبينونة صفة الأجسام.

«متكلّم لا بروية» كالإنسان يتروى أولا فى المعانى ثم يتكلّم بالألفاظ.

«مرید لا بهمة» بالإضمار فى نفسه.

«صانع لا بجارحة» كالإنسان يصنع شيئا بيده.

«لطيف لا يوصف بالخفاء» كأرواح ذوى الأرواح.

«كبير لا يوصف بالجفاء» كأجساد ذوى الأجساد الجسمية.

«بصير لا يوصف بالحاسة» أى: الباصرة.

«رحيم لا يوصف بالرقة» للقلب.

«تعنو» أى: تخضع و تذلل.

<sup>١١٤٥</sup> (٢) أخرجه بفرق يسير داود بن المحبّر فى كتاب العقل، و عنه هامش جامع الاصول ٤: ٤٢٢، و الكراجكى فى كنز الفوائد:

١٤، و كون العقل أول ما خلق الله أخرجه الصدوق فى الفقيه ٤: ٢٦٧، و رواه الطبرسى فى مكارم الأخلاق: ٤٢٢، و كون العقل أول خلق من الروحانيين أخرجه البرقى فى المحاسن: ١٩٦ ح ٢٢، و الكليني فى الكافي ١: ٢٠ ح ١٤، و الصدوق فى الخصال ٢: ٥٨٨ ح ١٣ عن الصادق عليه السلام، لكن اللفظ المشهور فى حديث العقل: «لما خلق الله العقل...» رواه عدة عن النبىّ صلى الله عليه و آله و الباقر عليه السلام و الصادق عليه السلام و موقوفا عن الحسن البصرى لا يسع ذكره المقام.

<sup>١١٤٦</sup> (٣) الملل و النحل للشهرستانى ١: ٦٣.

<sup>١١٤٧</sup> (٤) ق: ١٦.

<sup>١١٤٨</sup> (٥) البقرة: ١٨٦.

«الوجه لعظمته» «وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا»<sup>١١٤٩</sup>.

«و تجب» أى: تضطرب.

«القلوب من مخافته» «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»<sup>١١٥٠</sup>، «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»<sup>١١٥١</sup>.

٢٤

من الخطبة (١٨٣) و من خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ - وَ لَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ - وَ لَا تَرَاهُ

ص: ٢٩٢

النَّوَظِرُ - وَ لَا تَحْجِبُهُ السَّوَاتِرُ - الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ - وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ - الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ - وَ ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ - وَ قَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ - وَ عَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ - مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ - وَ بِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ - وَ بِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ - وَاحِدٌ لَا بَعْدَ دَائِمٍ لَا بِأَمَدٍ وَ قَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ - تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعِرَةٍ - وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضِرَةٍ - لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا - وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا حَاكَمَهَا - لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا - وَ لَا بِذِي عَظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيمًا - بَلْ كَبُرَ شَأْنًا وَ عَظُمَ سُلْطَانًا أَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ<sup>١١٥٢</sup> أَنَّ نَسَخَنَا مِنْ هُنَا إِلَى خُطْبَةِ الْمُتَّقِينَ، بَيْنَهُمَا سَبْعُ خُطَبٍ مُخْتَلِفَةٍ مَعَ نَسَخَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، وَ قَدْ عَرَفْتُ تَصْرِيحَ ابْنِ مَيْثَمٍ بِالِاخْتِلَافِ مِنَ الْأَوَّلِ.

«الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد» الشواهد جمع الشاهدة، و الشاهدة الحاسّة. فيكون المعنى لا تدركه الحواسّ الظاهرة: السامعة، و الباصرة، و الذائفة، و الشامة، و اللامسة، فإنها تدرك المحسوسات.

«و لا تحويه» قال الجوهري: حواه يحويه حبّا، أى: جمعه<sup>١١٥٣</sup>.

«المشاهد» أى: المحاضر، قالوا: مشاهد مَكَّةَ مواطن يحضرها الناس، و إنّه تعالى شاهد كلّ ملاء، و لا يحويه مشهد.

<sup>١١٤٩</sup> (١) طه: ١١١.

<sup>١١٥٠</sup> (٢) المؤمنون: ٦٠.

<sup>١١٥١</sup> (٣) آل عمران: ٨.

<sup>١١٥٢</sup> (١) مرّ في مقدّمة المؤلف.

<sup>١١٥٣</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣٢٢ مادة (حوى).

«و لا تراه النَّواظِر» النَّواظِر جمع النَّاظِرَة، أى: القوَّة الباصِرَة، قال تعالى:

ص: ٢٩٣

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»<sup>١١٥٤</sup>.

«و لا تحجبه السَّواتر» بخلاف باقى الأشياء حتى الشمس، فإنَّها مع كونها أظهر من كلِّ شىء و بها يظهر كلِّ شىء تحجب بغمام، بل بقتام.

«الدَّال على قدمه بحدوث خلقه» و إلَّا لزم التسلسل المحال، و زاد (الاحتجاج): «و بحدوث خلقه على وجوده»<sup>١١٥٥</sup>.

«و باشتباههم على أن لا شبه له» أى: لمَّا امتنع عند العقل مشابهة الصَّانع و المصنوع و نرى فى جميع الأشياء التشابه، نعلم أنَّه تعالى هو الذى ليس له شبه.

«الَّذى صدق فى ميعاده» «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا»<sup>١١٥٦</sup>.

«و ارتفع عن ظلم عباده» «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ»<sup>١١٥٧</sup>. و الظالم إنَّما يظلم إمَّا لاحتياجه و إمَّا لجهله، كما أنَّ المخلف لو عده إنَّما يخلف إمَّا لعجزه عن الوفاء به أو لجهله بقبحه، و هو تعالى منزّه عن الحاجة و العجز و الجهل.

نعم يمكن صفحه عن وعيده، و فى الدَّعاء: يا من إذا وعد و فى، و إذا تواعد عفا<sup>١١٥٨</sup>.

«و قام بالقسط» أى: العدل.

ص: ٢٩٤

«فى خلقه» «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ»<sup>١١٥٩</sup>.

<sup>١١٥٤</sup> (١) الأنعام: ١٠٣.

<sup>١١٥٥</sup> (٢) الاحتجاج للطبرسى ١: ٢٠٤ روى الخطبة بتمامها.

<sup>١١٥٦</sup> (٣) لقمان: ٣٣.

<sup>١١٥٧</sup> (٤) يونس: ٤٤.

<sup>١١٥٨</sup> (٥) الفقرتان جاءتا ضمن دعاء رواه المجلسى فى بحار الأنوار ٩٤: ١٣٢ عن الكتاب العتيق الغروى عن السجاد عليه السَّلام، و جاء قريبا منه ما فى دعاء رواه الطبرسى فى مكارم الأخلاق: ٢٩٥ عن الباقر و الصادق عليهما السَّلام مترددا.

<sup>١١٥٩</sup> (١) آل عمران: ١٨.

«و عدل عليهم فى حكمه» «و يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ»<sup>١١٦٠</sup>، «أَنْتَى لَا أُضِيعُ عَمَلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى»<sup>١١٦١</sup>، «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِیُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»<sup>١١٦٢</sup>، «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»<sup>١١٦٣</sup>، «وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»<sup>١١٦٤</sup>، «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»<sup>١١٦٥</sup>، «بَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>١١٦٦</sup>، «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا»<sup>١١٦٧</sup>.

«مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته» قال الرضا عليه السلام: خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على عرشه، وكان قادرا على أن يخلقها فى طرفه عين، ولكنه تعالى خلقها فى ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئا بعد شيء، فيستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرة بعد مرة<sup>١١٦٨</sup>.

«و بما وسماها» أى: جعل لها علامة، من اسمه إذا أثر فيه بسمه وكى.

«به من العجز على قدرته» فحيث إن كلهم عاجزون، ومعلوم أن فى

ص: ٢٩٥

الوجود قادرا على ما يشاء، يعلم أنه هو القادر، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ»<sup>١١٦٩</sup>، «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»<sup>١١٧٠</sup>.

«و بما اضطرها إليه من الفناء» أى: مستشهد به أيضا.

«على دوامه» فحيث نرى جميع الخلق فانيين، ومعلوم أنه يجب أن يكون فى الوجود مفن دائم الوجود، نعلم ونفهم من فنائهم دوامه تعالى، قال تعالى:

<sup>١١٦٠</sup> (٢) هود: ٣.

<sup>١١٦١</sup> (٣) آل عمران: ١٩٥.

<sup>١١٦٢</sup> (٤) البقرة: ١٤٣.

<sup>١١٦٣</sup> (٥) الأعراف: ١٧٠.

<sup>١١٦٤</sup> (٦) يوسف: ٥٦.

<sup>١١٦٥</sup> (٧) هود: ١١٥.

<sup>١١٦٦</sup> (٨) آل عمران: ١٧١.

<sup>١١٦٧</sup> (٩) الكهف: ٣٠.

<sup>١١٦٨</sup> (١٠) أخرجه الصدوق فى العيون ١: ١١٠ ح ٣٣ ضمن حديث روى معناه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٤١٢ عن على عليه السلام.

<sup>١١٦٩</sup> (١) الحج: ٧٣.

<sup>١١٧٠</sup> (٢) إبراهيم: ١٩ - ٢٠.

«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»<sup>١١٧١</sup>، «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»<sup>١١٧٢</sup>.

«واحد لا بعدد» أى: أحد لا ثانى له.

«دائم لا بآمد» أى: مدّة و انتهاء، و كلّ شَيْءٍ سِوَاهُ تَعَالَى حَتَّى الْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ وَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ الْجِبَالِ وَ الْبِحَارِ الَّتِي يَضْرِبُ النَّاسُ بِهَا الْأَمْثَالَ فِي الدَّوَامِ، لَهُ أَمَدٌ وَ مَدَّةٌ، قَالَ تَعَالَى: «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى»<sup>١١٧٣</sup>.

«و قائم لا بعمد» كلّ قائم سِوَاهُ تَعَالَى عَلَى سَاقٍ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ كَالْإِنْسَانِ وَ أَقْسَامِ الْحَيَوَانِ، أَوْ عَلَى عَمَدٍ يَسْتَنْدِ إِلَيْهِ كَالْأَبْنِيَةِ وَ الْأَخْبِيَةِ، وَ هُوَ تَعَالَى قَائِمٌ بِوَجُوبِ ذَاتِهِ.

«تتلقّاه الأذهان» أى: العقول.

ص: ٢٩٦

«لا بمشاعرة» فإن كثيرا من الأشياء تتلقّاه الأذهان من المشاعر الظاهرية، و هو عزّ و جلّ لا يتلقى إلّا من البراهين العقلية.

«و تشهد له المرآة لا بمحاضرة» هكذا فى النسخ<sup>١١٧٤</sup>، و يمكن أن يكون (المرآة) مصحف (المرايا) جمع المرآة، فيكون المعنى: أن المرآة تشهد لما حاضرها بالتّقابل بالوجود لانتقاشه فيها، و أمّا الباري تعالى فتشهد لوجوده مرايا العقول من غير حضور و مقابلة.

و يحتمل أن يكون (المرآة) جمع (المراى) اسم مكان بمعنى المنظر، و هو الناظر كما قاله ابن ميثم<sup>١١٧٥</sup>، فيكون المعنى: أن رؤيته تعالى لما كانت بالقلب لا بالنواظر لا يحتاج إلى أن يكون حاضرا للناظر. و لا يخلو من بعد.

و أمّا ما قال ابن أبى الحديد<sup>١١٧٦</sup> من أنّه من قولهم: فلان هو حسن فى مرآة عيني يقول: إنّ جنس الرّؤية يشهد بوجود الباري تعالى من غير محاضرة منه للحواسّ، ففى غاية البعد.

و أمّا ما قاله الخوئى<sup>١١٧٧</sup> تبعا للمجلسى<sup>١١٧٨</sup> من أنّه جمع المرئى (بلفظ المفعول)، أى: المرئيات تشهد بوجوده تعالى من غير محاضرة منه، فلا وجه له، فإنّ الشاهد لشيء إنّما يكون الرأى لا المرئى، و المرئيات و إنّ تشهد له تعالى إلّا أنّه ليس من حيث كونها مرئية بل من حيث كونها أشياء.

<sup>١١٧١</sup> (٣) القصص: ٨٨.

<sup>١١٧٢</sup> (٤) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

<sup>١١٧٣</sup> (٥) الزمر: ٥.

<sup>١١٧٤</sup> (١) كذا فى نهج البلاغة ٢: ١١٥، و شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٩٤، و شرح ابن ميثم ٤: ١٢١.

<sup>١١٧٥</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٤: ١٢٥.

<sup>١١٧٦</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٩٦.

«لم تحط به الأوهام» لقصرها عن الإحاطة به.

ص: ٢٩٧

«بل تجلّى لها» هكذا في (المصرية) الأخيرة، و في (المصرية) الأولى: «بل تجلّى بها» و كلتاها ناقصتان. و الصواب ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١١٧٩ بلفظ: «بل تجلّى لها بها». هذا من حيث إحراز ما في النهج، لكن الظاهر وقوع تحريف فيه، و أنّ الأصل: «بل تجلّى للعقول بها». كما يشهد له قوله عليه السّلام في الآتي ١١٨٠: «بها تجلّى صانعها للعقول».

و حينئذ يكون معنى قوله عليه السّلام بعده: «و بها امتنع منها، و إليها حاكمها» أنّ بالعقول - و حكمها أنّه تعالى لا يدرك بالأوهام - امتنع من الأوهام أن تدركه، و أنّ؟؟؟ العقول حاكم تعالى الأوهام لو تدعى معرفته تعالى، حتّى تحكم العقول بعجزها عن إدراك جلاله، فيكون الضمير في (بها) راجعا إلى (العقول) و في (منها) راجعا إلى الأوهام، و في (إليها) أيضا راجعا إلى (العقول) و في (حاكمها) راجعا إلى الأوهام.

و أمّا على ما في النهج من إرجاع الضمائر كلّها إلى الأوهام - كما يقتضيه السياق - فيحتاج المعنى إلى تكلف، بأن يكون المراد من الأوهام المعنى الأعم لها من المتعارف، و من معنى العقول كما احتمله المجلسي ١١٨١.

«ليس بذى كبر امتدّت به النّهيات» أى: الطّول و العرض و العمق.

«فكبرته تجسيما» حسب شأن أشياء نهاياتها ممتدّة.

«و لا بذى عظم تناهت به الغايات» فى أبعاده.

«فِعظّمته تجسيما» و تجعل جسده ضخيمًا.

«بل كبر شأنًا و عظم سلطانا» يعنى أنّ الكبر و العظمة بالنسبة إليه تعالى

ص: ٢٩٨

كبر الشّان، و عظم السلطان، و إنّما كبر الجسم و عظم الجسد فى غيره تعالى، قال تعالى فى كبره: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ» ١١٨٢. و قال عزّ و جلّ فى عظمه: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»\* ١١٨٣.

١١٧٧ (٤) شرح الخوئي ٥: ١٢٧.

١١٧٨ (٥) بحار الأنوار ٤: ٢٦١ و جعله المجلسي احتمالا ثانيا، و احتماله الأول كونه جمع مرآة بفتح الميم، من قولهم: هو حسن فى مرآة عيني.

١١٧٩ (١) فى شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٤، و شرح ابن ميثم ٤: ١٢١ «بل تجلّى لها و بها».

١١٨٠ (٢) يأتي فى متن الخطبة فى العنوان (٢٥).

١١٨١ (٣) بحار الأنوار ٤: ٢٦٢.

من الخطبة (١٨٤) و من خطبة له عليه السلام في التوحيد، و تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة:

مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ وَ لَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ - وَ لَا إِيَّاهُ عَنَى مِنْ شَبْهِهِ - وَ لَا صَمَدَهُ مِنْ أَشَارِ إِيَّاهِ وَ تَوَهَّمَهُ - كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُوفٌ - فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ - غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ - لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تَرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ - سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ - وَ الْعَدَمَ وَ جُودَهُ وَ الْإِبْتِدَاءَ أَزْلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ - وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ - وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ - ضَادَّ التُّورِ بِالظُّلْمَةِ وَ الْوُضُوحِ بِالْبَهْمَةِ - وَ الْجُمُودِ بِالْبَلَلِ وَ الْحُرُورِ بِالصَّرْدِ مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا - مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفْرَقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا - لَا يُشْمَلُ بِحَدِّ<sup>١١٨٢</sup> وَ لَا يُحَسَبُ بَعْدٌ - وَ إِنَّمَا تَحَدُّ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا - وَ تَشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا مَعْتَمِدَةً مُنْذُ الْقَدِيمَةِ وَ حَمَتَهَا قَدُّ الْأَزَلِيَّةِ - وَ جَبَّتْهَا لَوْ لَا التَّكْمِلَةُ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ - وَ بِهَا اِمْتَنَعَ

ص: ٢٩٩

عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ - لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَ الْحَرَكَةُ - وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ - وَ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَ يَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدَنُهُ - إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ - وَ لَا مَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ - وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامَهُ - وَ لَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ التَّقْصَانُ - وَ إِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ - وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ - وَ خَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ - مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ الَّذِي لَا يَحُولُ وَ لَا يَزُولُ وَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَفُولُ - وَ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا وَ لَمْ يُوَلَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا - جَلَّ عَنْ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَ طَهَّرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ - لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدِرُهُ وَ لَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ - وَ لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحَسِّسُهُ وَ لَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ - وَ لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَ لَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ - وَ لَا تَبْلِيهِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامُ وَ لَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَ الظُّلَامُ وَ لَا يُوصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ - وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ لَا بَعْرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ - وَ لَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَ الْأَبْعَاضِ - وَ لَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَ لَا نِهَآيَةٌ وَ لَا انْقِطَاعٌ وَ لَا غَايَةٌ - وَ لَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيَهُ - أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ - لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٌ وَ لَا عَنْهَا بَخَارِجٌ - يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَ لِهَوَاتٍ - وَ يَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدْوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفِظُ - وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضْمِرُ - يُحِبُّ وَ يَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ - وَ يُبْغِضُ وَ يَبْغِضُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ - يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ - لَا بِصَوْتٍ يَفْرَعُ وَ لَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ - وَ إِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فَعَلٌ مِنْهُ أَنْشَاءٌ وَ مَثَلُهُ - لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا - وَ لَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهَا ثَانِيًا لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ - فَتَجْرَى عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ - وَ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ فَضْلٌ - وَ لَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ

ص: ٣٠٠

<sup>١١٨٢</sup> (١) الرعد: ٩.

<sup>١١٨٣</sup> (٢) الواقعة: ٧٤، ٩٦.

<sup>١١٨٤</sup> (٣) قال الشارح و من بعض النسخ «مقرب بين متباعداتها، و مفرق بين متدانياتها، لا يشمل بحد».

وَالْمَصْنُوعُ- وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ- خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ خَلَا عَنْ غَيْرِهِ- وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعَالٍ- وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ- وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ- وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوَاجِ- وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالِانْفِرَاجِ- أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا- وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَّتِهَا- فَلَمْ يَبْنِ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعَفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ- وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ- وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ- لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ- وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ- وَلَا يَقُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ- وَلَا يَحْتِاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيُرْزَقُهُ- خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ- لَا يَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ- فَيَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِهِ- وَلَا كُفَّ لَهُ فَيُكَافِتُهُ- وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ- هُوَ الْمُنَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا- حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا- بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا- وَكَيْفَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا- وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا- وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا- وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَّمِهَا وَأَكْيَاسِهَا- عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا- وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا- وَتَحْيِيرَتِ عُقُولِهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ- وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ- وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً- عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقَرَّةٌ بِالْعِزِّ عَنْ إِنْشَائِهَا- مُدْعِيَةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحُدَّةَ لَا شَيْءَ مَعَهُ- كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا- بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا

ص: ٣٠١

رَمَانَ- عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالَ وَالْأَوْقَاتُ- وَزَالَتِ السُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ- فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ- الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ- بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا- وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا- وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لِدَامِ بَقَاؤِهَا- لَمْ يَتَكَادَهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ- وَلَمْ يُوَدِّهِ مِنْهَا خَلْقٌ مَا خَلَقَهُ وَبَرَّاهُ- وَلَمْ يَكُونَتْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ- وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنَقْصَانِ- وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نَدِّ مَكَاتِرٍ- وَلَا لِلِاخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مَثَاوِرٍ- وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ- وَلَا لِلْمَكَاتِرَةِ شَرِيكِ فِي شِرْكِهِ- وَلَا لَوْحْشَةِ كَانَتْ مِنْهُ- فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا- ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا- لَا لِسَلَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا- وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ- وَلَا لِتَقَلُّ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ- لَمْ يُمِلَّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا- وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ- وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتَقَنَّا بِقُدْرَتِهِ- ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا- وَلَا لِاسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا- وَلَا لِانْتِصَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِثْنَاءِ- وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى عِلْمٍ وَالتَّمَّاسِ- وَلَا مِنْ قُفْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ- وَلَا مِنْ ذُلِّ وَضِعَةٍ (ضِعَةٌ. خ) إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ أَقُولُ: وَرَوَاهُ (تحف العقول- تحف العقول- ص ٦١) ١١٨٥ مع اختلاف، إلى فقره: «والتحوّل دليلاً».

قول المصنف: «و تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة».

قلت: و بعد هذه الخطبة في الجامعة خطبة الأشباح المتقدمة ١١٨٦.

١١٨٥ (١) تحف العقول: ٦١ روايته يشبه بعضها بالخطبة (١) و بعضها بالخطبة (١٨٤) من نهج البلاغة، لكن الاختلاف كثير.

١١٨٦ (٢) تقدم في العنوان (٨) من هذا الفصل و رقمه (٨٩).

ص: ٣٠٢

قوله عليه السلام: «ما وحده من كيفه» لأن من كيفه فقد ثناه.

«و لا حقيقته أصاب من مثله» لأنه ليس كمثلته شيء، فمن مثله أخطأه تعالى و أصاب غيره.

هذا، و فى (ميزان الذهبى) فى أبى السعادات أحمد بن منصور قال: من وضعه حديث يقول فيه: و بين يدي الربّ لوح فيه أسماء من يثبت الصورة و الرؤية و الكيفية، فيباهى بهم الملائكة<sup>١١٨٧</sup>.

قلت: فتكنيته بأبى السعادات من قبيل ما قيل بالفارسيّة: «بر عكس نهند نام زنگى كافور»<sup>١١٨٨</sup>. و إلّا فهو أبو الشقاوات.

«و لا إياه عنى» أى: قصد.

«من شبّه» «و ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ»<sup>١١٨٩</sup>.

«و لا صمده» أى: قصده.

«من أشار إليه» عن الباقر عليه السلام: أن الكفار تبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا النبيّ صلّى الله عليه و آله: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذى تدعو إليه حتّى نراه و ندركه و لا نأله فيه، فأنزل الله تعالى: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»<sup>١١٩٠</sup>.

و حاصله أنه الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس.

«و توهمه» عطف على (أشار إليه)، و لكن فى (تحف العقول): «و لا إياه أراد من توهمه»<sup>١١٩١</sup>. و هو الأصحّ.

«كلّ معروف بنفسه» أى: بذاته.

ص: ٣٠٣

«مصنوع» و ليس بالصانع.

<sup>١١٨٧</sup> (١) ميزان الاعتدال للذهبي ١: ١٥٩.

<sup>١١٨٨</sup> (٢) أورده (دهخدا) فى أمثال و حكم ١: ٤٢٣ و ترجمة المثل: يسمون الزنجى كافورا بالعكس.

<sup>١١٨٩</sup> (٣) الأتعام: ٩١.

<sup>١١٩٠</sup> (٤) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٨٨ ح ١، و الآية (١) من سورة الاخلاص.

<sup>١١٩١</sup> (٥) تحف العقول: ٦٢.

«وكل قائم في سواه معلول» و البارى تعالى قائم بذاته، و زاد (التحف):

«باطن لا بمداخلة، ظاهر لا بمزايلة، متجل لا باشمال رؤية، لطيف لا بتجسم»<sup>١١٩٢</sup>.

«فاعل لا باضطراب آله» كالناس «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»<sup>١١٩٣</sup>.

«و مقدر» «فالقُ الأصباح وَ جعلَ اللَّيْلَ سَكناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>١١٩٤</sup>، «وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>١١٩٥</sup>، «وَ زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>١١٩٦</sup>، «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا»<sup>١١٩٧</sup>، «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»<sup>١١٩٨</sup>.

«لا بجول» أى: جولان.

«فكرة» كالناس، بل بإيجاده على طبق الحكمة.

«غنى لا باستفادة» شىء كالناس «وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ»<sup>١١٩٩</sup>.

«لا تصحبه الأوقات» لكونه جاعل الأوقات.

ص: ٣٠٤

«و لا ترفده» أى: لا تعينه.

«الأدوات» جمع الأداة أى الآلات، و كيف ترفده تعالى و هو موجدتها؟! «سبق الأوقات» بالنصب.

«كونه» أى: وجوده، فالأوقات عبارة عن الليل و النهار و الشهور و السنين، و هى لا توجد إلّا من طلوع الشمس و غروبها و قطع الشمس و القمر بروجهما، و هو تعالى سابق عليهما.

«و العدم» بالنّصب أيضا.

<sup>١١٩٢</sup> (١) تحف العقول: ٦٣.

<sup>١١٩٣</sup> (٢) يس: ٨٢.

<sup>١١٩٤</sup> (٣) الأنعام: ٩٦.

<sup>١١٩٥</sup> (٤) يس: ٣٨.

<sup>١١٩٦</sup> (٥) فصلت: ١٢.

<sup>١١٩٧</sup> (٦) الفرقان: ٢.

<sup>١١٩٨</sup> (٧) القمر: ٤٩.

<sup>١١٩٩</sup> (٨) المنافقون: ٧.

«وجوده» بالرفع، وإنما سبق العدم وجود خلقه.

«و الابتداء» أيضا بالنصب.

«أزله» بالرفع، وإنما يكون ابتداء لشيء لم يكن أزليا.

«بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له» زاد في رواية (التحفة):

«و بتجهيره الجواهر علم أن لا جوهر له، و بانشائه البرايا علم أن لا منشى له»<sup>١٢٠٠</sup>. و المشاعر: الحواس، قال بلعاء:

و الرأس مرتفع فيه مشاعره  
يهدى السبيل له سمع و عينان

<sup>١٢٠١</sup> «و بمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له».

«ضادّ النور بالظلمة» قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ»<sup>١٢٠٢</sup>. و جعل كلّا من الضديين ذا حكمة في نظام العالم و صلاح بنى آدم، فإنه لو كان النهار و لم يكن ليل كم كان يدخل على الناس، كما في عكسه كالنور و الظلمة.

ص: ٣٠٥

«و الوضوح بالبهمة» فجعل علم الحرث و الغرس و اتّخاذ الأنعام و استخراج المعادن واضحا جليا في جميع الأدوار، و عند جميع الأجيال، و جعل علم الآجال و الرزايا و البلايا المقدّرة مبهما خفيا، و إلّا لتنقص عيش الإنسان، و لم يتمتّع بشيء من النعم.

«و الجمود بالبلل، و الحرور بالصرد» أى: البرد، فجعل كلّا منها ذا حكمة، فلو لم يجعل جمود الخريف و بلل الربيع، و حرور الصيف و سرد الشتاء، لما وجد كثير من المصالح و تولد كثير من المفاسد.

<sup>١٢٠٠</sup> (١) تحفة العقول: ٤٤.

<sup>١٢٠١</sup> (٢) لسان العرب ٤: ٤١٣ مادة (شعر).

<sup>١٢٠٢</sup> (٣) الأنعام: ١.

و قالوا: يُوجَل العَيْن سنةً في فسخ امرأته العقد لعلّه يرفع عجزه بأحد الفصول الأربعة، ثمّ بعد السنة للمرأة الفسخ إذا لم يرفع مرضه، إذ علم أنّ العلة لم تكن البلل و الجمود و الحرور و الصرد<sup>١٢٠٣</sup>. كما أنّه تعالى خلق الذكر و الأنتى في البشر و غيره، و إلّا لما حصل نسل.

هذا، و فى (المروج) عن يموت بن المزارع ابن اخت الجاحظ فى ذكر علته التى مات فيها: و كان يطلى نصفه الأيمن بالصندل و الكافور لشدة حرارته،

ص: ٣٠٦

و النصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره و برده<sup>١٢٠٤</sup>.

«مؤلف بين متعاداتها، مقارن بين متبايناتها» قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ»<sup>١٢٠٥</sup>.

«مقرب بين متعاداتها» بجعل أسباب لذلك، و فى (توحيد المفضل): لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه، و لو كان منعظا أبدا كيف كان الرجل يتقلب فى الفراش أو يمشى بين الناس و شىء شاخص أمامه. ثمّ يكون فى ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة فى كل وقت من الرجال و النساء جميعا، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر فى كل وقت، و لا يكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك، لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل و بقاءه<sup>١٢٠٦</sup>.

---

<sup>١٢٠٣</sup> (١) تأجيل العين سنة مروى و أفتى به، أخرج الرواية الحميرى فى قرب الاسناد: ٥٠، و الطوسى فى التهذيب ٧: ٤٣١ ح ٣٠، و الاستبصار ٣: ٢٤٩ ح ٤، و رواه القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ٢: ٢٣١ ح ٨٦٩ عن على عليه السلام، و أخرجه أحمد بن محمد بن عيسى فى النوادر عنه البحار ١٠٣: ٣٦٤ ح ١٧، و الكلينى فى الكافى ٥: ٤١١ ح ٧ و الطوسى بروايتين فى التهذيب ٧: ٤٢٩ ح ٢٠، و ٤٣١ ح ٢٧، و الاستبصار ٣: ٢٤٩ ح ١، و: ٢٥١ ح ٣ عن الباقر عليه السلام، و أخرجه أحمد بن محمد بن عيسى فى النوادر و عنه البحار ١٠٣: ٣٦٤ ح ٢٦، و الكلينى فى الكافى ٥: ٤١١ ح ٥، و الطوسى فى الاستبصار ٣: ٢٤٩ ح ٣، و رواه القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ٢: ٢٣٢ ح ٨٧٠ عن الصادق عليه السلام، و أخرجه الطوسى فى التهذيب ٧: ٤٣١ ح ٢٩ عن أبى الصباح، و الظاهر أنّه حدّثه عن الصادق عليه السلام، و أخرجه صاحب فقه الرضا عليه السلام عنه البحار ١٠٣: ٣٦٢ ح ١٠، و أخرجه الصدوق فى المقنع: ٢٦ بلا عزو، و رواه موقوفا ابن حجر فى بلوغ المرام: ٢١٢ ح ١٠٤١ عن عمر و مالك فى الموطأ: ٥٢٨ عن سعيد بن المسيب. و اما الفتوى فنقلها العلامة الحلى فى المختلف: ٥٥٥ عن الصدوق و المفيد و المرتضى و الطوسى و ابن زهرة و بتفصيل عن ابن الجنيد، و نقله الوزير فى الافصاح ٢: ٣٣٠ عن مالك و أبى حنيفة و الشافعى و أحمد.

<sup>١٢٠٤</sup> (١) مروج الذهب للمسعودى ٤: ١٠٩.

<sup>١٢٠٥</sup> (٢) النور: ٤٣.

<sup>١٢٠٦</sup> (٣) توحيد المفضل: ٦٩.

«لا يشمل بحدّ، ولا يحسب بعدّ» و في (التحفة): «أحد لا بتأويل عدد. صمد لا بتبعيض بحدّ»<sup>١٢٠٧</sup>.

«و إنّما تحدّد الأدوات أنفسها، و تشير الآلات إلى نظائرها» الظاهر وقوع سقط في الكلام لعدم ذكر حكم للأدوات والآلات قبل حتّى يقال بعد «و إنّما...» و يشهد للسقط أنّ في (التحفة)<sup>١٢٠٨</sup> و خطبة الرضا عليه السّلام<sup>١٢٠٩</sup> و (مجالس

ص: ٣٠٧

الشيخ)<sup>١٢١٠</sup> قبل هذا الكلام: «له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، و حقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه، و معنى العالم و لا معلوم، و معنى الخالق و لا مخلوق، و تأويل السّمع و لا مسموع. ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، و لا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة. كيف و لا تغييره مذ، و لا تدنيه قد، و لا تحجبه لعل، و لا توقته متى، و لا تشمله حين، و لا تقارنه مع». لكنّ في الأخير بدل قوله: «و لا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة»: «و لا من حيث أحدث استفاد معنى المحدث».

و حينئذ يكون معنى قوله: «و إنّما تحدّد الأدوات أنفسها و تشير الآلات إلى نظائرها» أنّ هذه الأدوات والآلات، أي: (مذ، و قد، و لعلّ، و متى، و حين، و مع) إنّما تعيّن الحدّ لأنفسها من الممكنات، و تشير إلى نظائرها من المخلوقات، و لا يمكن أن تحدّد الباري تعالى و تشير إليه جلّ و علا.

هذا، و زاد (التحفة) بعد (إلى نظائرها): «و عن الفاقة تخبر الأداء، و عن الضدّ يخبر التضادّ، و إلى شبهه يؤول الشبّه، و مع الأحداث أوقاتهما، و بالأسماء تفترق صفاتها، و منها فصلت قرائنها، و إليها آلت أحداثها»<sup>١٢١١</sup>.

«منعتها منذ» تخفف (منذ) فيقال: «مذ». قال:

و ما زلت أبغى المال مذ أنا يافع<sup>١٢١٢</sup> و مع ان (التحفة) بدّلها بها<sup>١٢١٣</sup>.

ص: ٣٠٨

<sup>١٢٠٧</sup> (٤) تحف العقول: ٤٣.

<sup>١٢٠٨</sup> (٥) تحف العقول: ٤٥.

<sup>١٢٠٩</sup> (٦) هذه خطبة للرّضا عليه السّلام، خطبها عند المأمون، و ألفاظها نحو رواية تحف العقول عن عليّ عليه السّلام، روى هذه الخطبة الصدوق في التوحيد: ٣٤ ح

٢، و في العيون ١: ١٢٥، و الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٩٨، و الفقرة في التوحيد: ٣٨، و العيون:

١٢٥، و الاحتجاج ٢: ٤٠٠.

<sup>١٢١٠</sup> (١) أمالي ابي عليّ الطوسي ١: ٢٣، المجلس (١)، و رواية ابن عليّ أيضا عن الرضا عليه السّلام.

<sup>١٢١١</sup> (٢) تحف العقول: ٤٤.

<sup>١٢١٢</sup> (٣) المصدر نفسه.

<sup>١٢١٣</sup> (٤) أورده السيوطي و نسبه إلى الأعشى في شواهد المغنى ٢: ٧٥٧، و نقل في ٢: ٥٧٦ عن ابن اسحاق: «إذ أنا يافع»، و ليس بشاهد حينئذ، و نقل سيبويه في

الكتاب ١: ٢٣٩ بيتا قريبا منه.

«القدمية» هكذا في (المصرية) و الصواب: (القدمه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطية)<sup>١٢١٤</sup>.

«و حمتها» أى: منعتها.

«قد» في (اللسان) قال الخليل: هي (أى قد) جواب لقوم ينتظرون الخبر أو لقوم ينتظرون شيئا، تقول: «قد مات فلان» و لو أخبره و هو لا ينتظره لم يقل:

«قد مات»، و لكن يقول: «مات فلان». و قيل: هي جواب قولك: «لما يفعل» فيقول:

قد فعل، قال النابغة:

لما نزل برحالنا و كأن قد

أفد الترحل غير أن ركبنا

أى و كأن قد زالت، فحذف الجملة، ثم قال أيضا: و تكون (قد) مع الأفعال الآتية بمنزلة ربما، قال الهذلي:

كأن أثوابه مجت بفرصاد

قد أترك القرن مصفرا أنامله

ثم قال أيضا: و تكون (قد) بمنزلة (ما) فينفى بها، سمع بعض الفصحاء يقول:

قد كنت في خير فتعرفه<sup>١٢١٥</sup> و في (القاموس) ل (قد) ستة معان: التوقع: (قد يقدم الغائب)، و تقريب الماضي من الحال: (قد قام زيد)، و التحقيق: «قد أفلح من زكأها»<sup>١٢١٦</sup>، و النفي:

(قد كنت في خير فتعرفه) بنصب تعرف، و التقليل: (قد يصدق الكذوب)، و التكنيس: (قد أترك القرن مصفرا أنامله)<sup>١٢١٧</sup>.

«الأزلية» له تعالى.

<sup>١٢١٤</sup> (١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٦، و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٤٦ «القدمية» أيضا.

<sup>١٢١٥</sup> (٢) لسان العرب ٣: ٣٤٦-٣٤٧ مادة (قدد).

<sup>١٢١٦</sup> (٣) الشمس: ٩.

<sup>١٢١٧</sup> (٤) القاموس المحيط ١: ٣٢٦ مادة (قدد).

«وَجَنَّبْتُهَا لَوْ لَا» الَّتِي تَثَبَّتِ النَّقْصُ، فَتَقُولُ: «نَعَمْ الرَّجُلُ فُلَانٌ لَوْ لَا فِيهِ الشَّيْءُ الْفُلَانِيُّ»، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فلو لا حصين غيبه أن أسوءه  
وإن بنى سعد صديق و والد

«التَّكْمَلَةُ» أَي: كَمَالُهُ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ، وَجَعَلَ (اللِّسَانَ) التَّكْمَلَةَ كَالتَّكْمِيلِ خَطَأً<sup>١٢١٨</sup>.

هَذَا، وَفِي (التَّحْفِ) بَدَلَ «وَجَنَّبْتُهَا لَوْ لَا التَّكْمَلَةَ»: «وَنَفَتَ عَنْهَا لَوْ لَا الْجَبْرِيَّةُ»<sup>١٢١٩</sup>.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ قَالَ: إِنَّ بَعْضَهُمْ نَصَبَ (الْقَدَمَةَ) وَ (الْأَزْلِيَّةَ) وَ (التَّكْمَلَةَ) عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَ الْأَوَّلُ: الضَّمَاثِرُ الْمُتَصِلَةُ بِالْأَفْعَالِ، وَ الْفَاعِلُ (مَنْذٌ) وَ (قَدْ) وَ (لَوْ لَا)، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ إِطْلَاقَ (مَنْذٌ) عَلَى الْآلَاتِ وَ الْأَدْوَاتِ يَمْنَعُهَا عَنْ كَوْنِهَا قَدِيمَةً، وَ إِطْلَاقَ (لَوْ لَا) عَلَيْهَا يَمْنَعُهَا مِنَ التَّكْمَلَةِ. قَالَ:

و بَعْضُهُمْ رَفَعَ (الْقَدَمَةَ) وَ (الْأَزْلِيَّةَ) وَ (التَّكْمَلَةَ) عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، وَ تَكُونُ الضَّمَاثِرُ مَفْعُولًا أَوَّلًا، وَ (مَنْذٌ) وَ (قَدْ) وَ (لَوْ لَا) مَفْعُولًا ثَانِيًا، وَ يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ قَدَمَ الْبَارِي وَ أَزْلِيَّتَهُ وَ كَمَالَهُ مَنَعَتِ الْأَدْوَاتِ وَ الْآلَاتِ مِنَ إِطْلَاقِ (مَنْذٌ) وَ (قَدْ) وَ (لَوْ لَا) عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ<sup>١٢٢٠</sup>.

وَ قَالَ ابْنُ مَيْثَمٍ بَعْدَ نَقْلِهِمَا: وَ الرَّوَايَةُ الْأُولَى أَوْلَى لِوُجُودِهَا فِي نَسْخَةِ الرَّضِيِّ<sup>١٢٢١</sup> بِخَطِّهِ.

قُلْتُ: وَ التَّحْقِيقُ أَنَّ الْأَفْعَالَ الثَّلَاثَةَ لَيْسَ لَهَا إِلَّا مَفْعُولٌ وَاحِدٌ، وَ إِنَّمَا تَتَعَدَّى

إِلَى مَفْعُولٍ آخَرَ بِوَسْطَةِ (مَنْ) وَ (عَنْ) وَ لَيْسَتْ فِي الْكَلَامِ، وَ إِنَّ (مَنْذٌ) وَ (قَدْ) وَ (لَوْ لَا) بَدَلَ بَعْضِ مِنَ الضَّمَاثِرِ فِي (مَنْعَتِهَا) وَ (حَمَتِهَا) وَ (جَنَّبْتُهَا)، فَيَتَعَيَّنُ كَوْنُ (الْقَدَمَةَ) وَ (الْأَزْلِيَّةَ) وَ (التَّكْمَلَةَ) بِالرَّفْعِ فَوَاعِلَ لِأَفْعَالِهَا، فَقَدْ عَرَفْتُ مِنْ رَوَايَةِ (التَّحْفِ) أَنَّ قَبْلَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَ إِنَّمَا تَحَدُّ الْأَدْوَاتُ» كَانَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَ لَا تَغْيِيهِ مَذٌ، وَ لَا تَدْنِيهِ قَدْ، وَ لَا تَحْجِبُهُ لَعْلٌ، وَ لَا تَوَقَّتْهُ مَتَى، وَ لَا تَشْمَلُهُ حِينٌ وَ لَا تَقَارَنَهُ مَعٌ» وَ حِينَئِذٍ فَالْأَدْوَاتُ وَ الْآلَاتُ عِبَارَةٌ عَنْ (مَنْذٌ) وَ (قَدْ) وَ (لَوْ لَا).

<sup>١٢١٨</sup> (١) هَكَذَا قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ١١: ٥٩٨ مَادَّةُ (كَمَلٌ)، وَ قَالَ بِقَوْلِهِ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي مَتَنِ الشَّافِيَّةِ، وَ رَضِيَ الدِّينُ فِي شَرْحِهِ الشَّافِيَّةَ ١: ١٦٣-١٦٤.

<sup>١٢١٩</sup> (٢) تَحْفِ الْعُقُولِ: ٦٦.

<sup>١٢٢٠</sup> (٣) شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٣: ٢٠٦ نَقَلَهُ بِالْمَعْنَى.

<sup>١٢٢١</sup> (٤) شَرْحُ ابْنِ مَيْثَمٍ ٤: ١٥٩.

و فى كلام للحسين عليه السلام: لا تحلّه (فى)، و لا توقّته (إذ) و لا تؤامره (إن) <sup>١٢٢٢</sup>.

«بها تجلّى صانعها للعقول» قالت الشّراح: معنى الجملة أنّ بمشاعرنا و خلقه تعالى إيّاها، و تصويره لها تجلّى صانعها لعقولنا بالعلم و القدرة <sup>١٢٢٣</sup>.

فجعلوا الضمير فى (بها) للمشاعر، مع أنّ الظاهر أنّ الضمير للأمور و الأشياء فى قوله عليه السلام «و بمضادته بين الأمور» و «بمقارنته بين الأشياء» بعد قوله عليه السلام: «و بتشعيره المشاعر»: و يشهد له أنّ قبل الفقرة فى خطبة الرضا عليه السلام: «افتترقت فدلّت على مفرّقها، و تباينت فأعربت عن مباينها» <sup>١٢٢٤</sup> فإنّ الضمير فى (افتترقت) و (تباينت) للأمور و الأشياء قطعاً.

و يمكن أن يكون الضمير فى (بها) للتشعير و المضادة و المقارنة فى الفقرات الثلاث المتقدمة.

«و بها امتنع عن نظر العيون» قال بعضهم: أى و بمشاعرنا استنبطنا استحالة كونه مرئياً بالعيون، لأنّنا بالمشاعر و الحواسّ كملت عقولنا، و بعقولنا استخرجنا الدلالة على أنّه لا تصحّ رؤيته <sup>١٢٢٥</sup>.

ص: ٣١١

و قال بعضهم: أى بايجاده المشاعر مدركة لحاسة البصر ظهر امتناعه عن نظر العيون <sup>١٢٢٦</sup>.

قلت: و كلاهما كما ترى، و الصواب كون الضمير فى (و بها) راجعاً إلى العقول المذكورة قبله أى بالعقول و حكمها امتنع عن نظر العيون.

و يشهد له أيضاً أنّ (التّحف) زاد بعد الفقرة: «و إليها تحاكم الأوهام» <sup>١٢٢٧</sup>.

و لا ريب أنّ الضمير فى (و إليها) راجع إلى العقول، مع أنّه لو كان الضمير راجعاً إلى مرجع الأوّل لما احتاج إلى تكراره، و كان يقول: «و امتنع عن نظر العيون»، مع أنّك قد عرفت أنّ الضمير الأوّل أيضاً غير راجع إلى المشاعر.

<sup>١٢٢٢</sup> (١) أخرجه ابن شعبة فى تحف العقول: ٢٤٥ ضمن حديث طويل عن الحسين عليه السلام.

<sup>١٢٢٣</sup> (٢) قال هذا المعنى ابن أبى الحديد فى شرحه ٣: ٢٠٧، و ابن ميثم فى شرحه ٤: ١٥٩، و الخوئى فى شرحه ٥: ١٥٣.

<sup>١٢٢٤</sup> (٣) التوحيد للصدوق: ٣٩، و العيون للصدوق ١: ١٢٥، و الاحتجاج للطبرسى ٢: ٤٠٠.

<sup>١٢٢٥</sup> (٤) القائل ابن أبى الحديد فى شرحه ٣: ٢٠٦ و النقل بالمعنى، و نقل أيضاً عنه ابن ميثم فى شرحه ٤: ١٦٠ مشيراً إليه ببعض الشارحين، و يمكن نقل كليهما من شارح أقدم.

<sup>١٢٢٦</sup> (١) القائل ابن ميثم فى شرحه ٤: ١٥٩ و النقل بالمعنى.

<sup>١٢٢٧</sup> (٢) تحف العقول: ٦٦.

«لا يجرى عليه السكون والحركة، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، و يعود فيه ما هو أباداه، و يحدث فيه ما هو أحدثه، إذن لتفاوتت ذاته و لتجزأ كنهه» زاد (التحف) ١٢٢٨ و خطبة الرضا عليه السلام ١٢٢٩ قبله فقرات، و فى آخرها: «فكل ما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، و كل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه».

«و لا تمتنع من الأزل معناه» زاد (التحف) ١٢٣٠، و خطبة الرضا عليه السلام ١٢٣١: «و لما كان البارئ معنى غير المبروء».

«و لكان له وراء إذ وجد له أمام» إذ هما من الأمور الإضافية.

«و لا تمتس التمام إذ لزمه نقصان» كما هو شأن كل ساكن يتحرك.

ص: ٣١٢

«و إذن لقامت آية المصنوع فيه» زاد قبله ١٢٣٢: «كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، و كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء»، و زاد الأول ١٢٣٣: «و كيف يستأهل الدوام من تنقله الأحوال و الأعوام».

«و لتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه» حسب دلالة المصنوع على الصانع، و البناء على البانى.

«و خرج» مستأنفة، و لا يبعد أن يكون (و خرج) محرف (قد خرج)، فالفرق بينهما فى الخطّ قليل.

«بسلطان الامتناع من أن يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره» إذن لتساوى مع باقى الأشياء، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ١٢٣٤.

«الذى لا يحول و لا يزول، و لا يجوز عليه الأقول» أى: الغيبة، بشهادة العقول أن كل آفل لا يمكن أن يكون ربّا، و لذا كان الخليل عليه السلام لما رأى أقول الكوكب و القمر و الشمس أنكر على عابديها بأقولها، و قال لهم: إني برىء ممّا تعبدون من دونه تعالى ١٢٣٥.

«و لم يلد» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (لم يلد) بدون واو، كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة) ١٢٣٤، و لأنّ المقام مقام الفصل.

١٢٢٨ (٣) تحف العقول: ٦٧.

١٢٢٩ (٤) التوحيد للصدوق: ٤٠، و العيون للصدوق ١: ١٢٥-١٢٦، و الاحتجاج للطبرسى ٢: ٤٠٠.

١٢٣٠ (٥) تحف العقول: ٦٧.

١٢٣١ (٦) التوحيد للصدوق: ٤٠، و العيون للصدوق ١: ١٢٥-١٢٦، و الاحتجاج للطبرسى ٢: ٤٠٠.

١٢٣٢ (١) تحف العقول: ٦٧، التوحيد للصدوق: ٤٠، و العيون للصدوق ١: ١٢٥-١٢٦، و الاحتجاج للطبرسى ٢: ٤٠٠.

١٢٣٣ (٢) تحف العقول: ٦٧.

١٢٣٤ (٣) الشورى: ١١.

١٢٣٥ (٤) ما نقل عن الخليل عليه السلام مقتبس من قوله تعالى فى سورة الأنعام: ٧٥-٧٨.

«فيكون مولودا» كما هو شأن المتوالدة.

«و لم يولد فيصير محدودا» فإن كل مولود محدود<sup>١٢٣٧</sup>.

ص: ٣١٣

«جلّ عن اتخاذ الأبناء» ردّ على اليهود في قولهم: «عزيرُ ابنُ الله»<sup>١٢٣٨</sup> و على النصارى في قولهم: «المسيحُ ابنُ الله»<sup>١٢٣٩</sup> و على الوثنيين في قولهم: إن الملائكة بنات الله. قال تعالى: «و قالوا اتّخذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ»<sup>١٢٤٠</sup>.

و ورد أن اليهود والنصارى حضروا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْمَحَاجَّةِ. فقال لليهود: ما الذي دعاكم إلى القول بأنّ عزيرا ابن الله؟

قالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهب، و لم يفعل به هذا إلّا لأنّه ابنه.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فكيف صار عزيز ابن الله دون موسى، و هو الذي جاءهم بالتوراة و رأى منه من المعجزات ما قد علمتم، و لئن كان عزيز ابن الله لأظهر من إكرامه بإحياء التوراة، فلقد كان موسى بالبنوة أولى و أحقّ، و لئن كان هذا المقدار من الكرامة لعزيز يوجب أنّه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى يوجب له منزلة أجلّ من البنوة، لأنكم إن كنتم إنّما تريدون بالبنوة الدلالة على سبيل ما تشاهدون في دنياكم هذه من ولادة الأمّهات الأولاد بوطء آبائهم لهم، فقد كفرتم بالله و شبّهتموه بخلقه و أوجبتهم فيه صفات المحدثين، و وجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا، و أنّ له خالقا صنعه و ابتدعه.

قالوا: لسنا نعني هذا فإنّ هذا كفر كما قلت، لكننا نعني أنّه ابنه على معنى الكرامة و إن لم يكن هناك ولادة، كما يقول بعض عظمائنا لمن يريد إكرامه

ص: ٣١٤

و إبانته بالمنزلة من غيره: «يا بني» و «إنّه ابني» لا على إثبات ولادته منه، لأنّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبيّ و لا نسب له بينه و بينه، و كذلك لما فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتّخذّه ابنا على الكرامة لا على الولادة.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فهذا ما قلته لكم إنّّه إن وجب على هذا القول أن يكون عزيز ابنه فإنّ هذه المنزلة بموسى أولى، و إنّ الله يفضح كلّ مبطل بإقراره و يغلب على حجّته، إن ما احتججتم به يؤدّيكم إلى ما هو أكثر ممّا ذكرته، لأنكم قلتم:

<sup>١٢٣٦</sup> (٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٧، و لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٤٧ «و لم يلد» أيضا.

<sup>١٢٣٧</sup> (٦) الفقرتان مأخوذتان من قوله تعالى: «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُؤَلَدْ» E\الاخلاص: ٣.

<sup>١٢٣٨</sup> (١) قول اليهود و النصارى جاء في سورة التوبة: ٣٠.

<sup>١٢٣٩</sup> (٢) هذا مفهوم من قوله تعالى في النحل: ٥٧، و الزخرف: ١٦، و الطور: ٣٩، و الأنبياء: ٢٦ - ٢٩.

<sup>١٢٤٠</sup> (٣) الأنبياء: ٢٦.

إِنَّ عَظِيمًا مِنْ عِظَمَائِكُمْ يَقُولُ لِأَجْنَبِيٍّ لَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ: يَا بَنِيَّ لَا عَلَى طَرِيقِ الْوِلَادَةِ، فَقَدْ تَجَدَّدُونَ هَذَا الْعَظِيمَ يَقُولُ لِأَجْنَبِيٍّ آخَرَ: «هَذَا أَخِي» وَ لِآخَرَ: «هَذَا شَيْخِي وَ أَبِي» وَ لِآخَرَ: «هَذَا سَيِّدِي» وَ: «يَا سَيِّدِي» عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ، وَ إِنَّ مَنْ زَادَهُ فِي الْكِرَامَةِ زَادَهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ، فَإِذَنْ يَجُوزُ عِنْدَكُمْ أَنْ يَكُونَ مُوسَى أَخَا اللَّهِ وَ شَيْخًا لَهُ أَوْ أَبَا وَ سَيِّدًا، لِأَنَّهُ قَدْ زَادَهُ فِي الْإِكْرَامِ مِمَّا لِعَزِيزٍ. فَبِهِتُوا.

... ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّصَارَى وَ قَالَ لَهُمْ: وَ أَنْتُمْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْقَدِيمَ عَزَّ وَ جَلَّ اتَّحَدَ بِالْمَسِيحِ ابْنِهِ، مَا الَّذِي أُرِدْتُمُوهُ بِهَذَا الْقَوْلِ؟ فَإِنْ أُرِدْتُمْ بِأَنَّ الْقَدِيمَ صَارَ مُحَدَّثًا فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ، لِأَنَّ الْقَدِيمَ مُحَالٌ أَنْ يَنْقَلِبَ فِيصِيرَ مُحَدَّثًا، وَ إِنْ أُرِدْتُمْ أَنَّ الْمُحَدَّثَ صَارَ قَدِيمًا فَقَدْ أَحْلَلْتُمْ، لِأَنَّ الْمُحَدَّثَ أَيْضًا مُحَالٌ أَنْ يَنْقَلِبَ فِيصِيرَ قَدِيمًا، وَ إِنْ أُرِدْتُمْ بِقَوْلِكُمْ: «اتَّحَدَ بِهِ» أَنَّهُ اخْتَصَّه وَ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ فَقَدْ أَقْرَرْتُمْ بِحُدُوثِ عَيْسَى، وَ بِحُدُوثِ الْمَعْنَى الَّذِي اتَّحَدَ بِهِ مِنْ أَجْلِهِ.

فَقَالُوا: لَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْعَجِيبَةِ مَا أَظْهَرَ فَقَدْ اتَّخَذَهُ وَلَدًا عَلَى جِهَةِ الْكِرَامَةِ.

فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: فَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا قُلْتُمْ لِلْيَهُودِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ أَعَادَهُ.

ص: ٣١٥

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: قَوْلُنَا «عَيْسَى ابْنُ اللَّهِ» كَقَوْلِكَ: «ابْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ».

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: إِنَّمَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَلِيلًا لَمَّا قَالَ لِجِبْرِئِيلَ لَمَّا لَقِيَهُ فِي الْهَوَاءِ: لَا حَاجَةَ لِي إِلَّا إِلَيْهِ. وَ الْخَلِيلُ مِنَ الْخَلَّةِ وَ هِيَ: الْفَاقَةُ، وَ ذَلِكَ لَا يُوْجِبُ تَشْبِيهًا بِخَلْقِهِ، وَ الْخَلَّةُ يُمْكِنُ أَنْ تَسْلُبَ وَ الْوِلَادَةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْلُبَ، ثُمَّ يَجِبُ عَلَى قَوْلِكُمْ أَنْ يَجُوزَ أَنْ يَقَالَ ذَلِكَ لِمُوسَى.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي الْكُتُبِ الْمَنْزُلةُ أَنَّ عَيْسَى قَالَ «أَذْهَبْ إِلَى أَبِي».

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ «أَذْهَبْ إِلَى أَبِي وَ أَبِيكُمْ»، فَقُولُوا: إِنْ جَمِيعَ مُخَاطَبِيهِ أَيْضًا كَانُوا أَبْنَاءَ اللَّهِ وَ مَا يَدْرِيكُمْ لَعَلَّهُ عَنَى «أَذْهَبْ إِلَى آدَمَ وَ نُوحَ» بَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَ جَمَعَهُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمَا وَ هُمَا أَبَوَاهُ وَ أَبَوَاهُمْ، فَسَكَنُوا<sup>١٢٤١</sup>.

«وَ طَهَرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ» «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوءٌ أَحَدٌ»<sup>١٢٤٢</sup>، «أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَ لَدَّ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>١٢٤٣</sup> «وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَ لَدًا»<sup>١٢٤٤</sup>.

<sup>١٢٤١</sup> (١) أَخْرَجَهُ صَاحِبُ تَفْسِيرِ الْعَسْكَرِيِّ: ٢٤٤، وَ رَوَاهُ الطَّبْرَسِيُّ فِي الْاِحْتِجَاجِ ١: ٢٣ وَ النُّقْلَ بَتَلْخِيصٍ وَ تَصْرُفٍ.

<sup>١٢٤٢</sup> (٢) الْاِخْلَاصُ: ٤.

<sup>١٢٤٣</sup> (٣) الْأَنْعَامُ: ١٠١.

<sup>١٢٤٤</sup> (٤) الْجِنُّ: ٣.

«لا تناله الأوهام» أى: الخيالات.

«فتقدّره» أى: تعيّن له مقداراً بتخمينها.

«و لا تنوّههمه الفطن» بالكسر فالفتح جمع الفطنة.

«فتنصّوره» أى: تعيّن له صورةً بحدسها.

«و لا تدركه الحواس» جمع الحاسّة، و المراد: السامعة و الباصرة و الشامّة و اللّامسة.

ص: ٣١٦

«فتنحسّه» أى: تجعله من محسوساتها.

«و لا تلمسه الأيدي فتمسّه» ذكر الأيدي بعد الحواس من ذكر الخاصّ بعد العامّ، و أمّا الخبر «يده بيد الله يرفعه»<sup>١٢٤٥</sup> فاستعارة.

«لا يتغيّر بحال» كالإنسان يكون أولاً طفلاً، ثمّ شاباً، ثمّ شيخاً.

«و لا يتبدّل بالأحوال» هكذا فى (المصريّة) و الصواب: (فى الأحوال) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٢٤٦</sup>.

«و لا تبليه» أى: لا تجعله بالياً.

«الليالى و الأيام» كما تبليان الإنسان و الحيوان و النبات.

«و لا يغيّره الضياء و الظلام» فهو متجلّ بالوجود فى الظلام كالضياء، و مستور بالكنه فى الضياء كالظلام.

«و لا يوصف بشيء من الأجزاء» حتّى الأجزاء العقلية، فعلمه و قدرته عين ذاته.

«و لا بالجوارح و الأعضاء» و أمّا قوله تعالى «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»<sup>١٢٤٧</sup> فهو استعارة.

«و لا بعرض من الأعراض» كأبيض يصير أسود أو أحمر أو أخضر أو أصفر، و سليم يصير سقيماً.

<sup>١٢٤٥</sup> (١) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغة ٤: ٦ الحكمة (١٩) و لفظه «يد الله بيده يرفعه».

<sup>١٢٤٦</sup> (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٧، و لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ١٤٧ «بالأحوال» أيضاً.

<sup>١٢٤٧</sup> (٣) الفتح: ١٠.

«و لا بالغيريَّة و الأبعاض» فليست سمعيَّته غير بصيرتته، كما أنَّ السَّمع ليس بعضا منه، و لا البصر بعضا منه، كما هو كذلك في خلقه.

و في خير الصادق عليه السَّلام مع الزنديق: ليس قولي: «أنَّه سميع بصير» أي:

ص: ٣١٧

يسمع بنفسه، و يبصر بنفسه، إنَّه شيء و النَّفس شيء آخر، و إنَّما أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا، و افهاما لك إذ كنت سائلا. فأقول: إنَّه سميع بكلِّه، لا أنَّ الكلَّ منه له بعض، و لكنِّي أردت إفهامك و التَّعبير عن نفسي<sup>١٢٤٨</sup>.

«و لا يقال له حدٌّ و لا نهاية» فكلَّ ذي روح له حدٌّ و نهاية في حياته الطبيعيَّة.

«و لا انقطاع و لا غاية» كما ليس له أوَّل و بداية.

«و لا أنَّ الأشياء تحويه» أي: تجمعه و تستولي عليه.

«فتقلَّه» أي: ترفعه. يقال: أقلَّ الجرَّة، إذا أطاق رفعها.

«أو تهويه» أي: تخفضه.

«أو أنَّ شيئا يحمله فيميله أو يعدِّله» أي ليس محمولا على شيء حتَّى يميله أو يعدِّله على ظهره من غير ميل.

«و ليس» هكذا في (المصريَّة)، و الصواب: (ليس) بدون و او كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيَّة)<sup>١٢٤٩</sup>.

«في الأشياء بوالج» أي: داخل.

«و لا عنها بخارج» فإنَّ ذلك صفة مخلوقه، بل كما قال هو تعالى: «بَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا»<sup>١٢٥٠</sup>.

«يخبر لا بلسان و لهوات» اللّهوات جمع اللّهاة: اللّحمة في أقصى سقف الفم.

«و يسمع لا بخروق» أي خروق الآذان.

<sup>١٢٤٨</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٠٩ ح ٢، و الصدوق بطريقين في التوحيد: ١٤٤ ح ١٠، و: ٢٤٥ ح ١: و رواه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٣٢، لكن توجد فيه هذه القطعة، و قد مر في العنوان (٢) من هذا الفصل.

<sup>١٢٤٩</sup> (٢) كذا في شرح ابن ميثم ٤: ١٤٧، و لكن مع الواو في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٨.

<sup>١٢٥٠</sup> (٣) سبأ: ٢.

«و أدوات» يترکب منها السامعة، روى الفتح الجرجاني عن الهادى عليه السلام

ص: ٣١٨

قال: سمى ربنا سميعا لا بخرت فيه، يسمع به الصوت، و لا يبصر به، كما أن خرتنا الذى به نسمع لا تقوى به على البصر، و لكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شىء من الأصوات، و هكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أنا نبصر بخرت منا لا ننتفع به فى غيره<sup>١٢٥١</sup>.

«يقول و لا يلفظ» أى: لا يكون قوله خارجا من فم.

و من أمثالهم «أسمح من لاقظة»<sup>١٢٥٢</sup>. قيل: المراد باللاقظة العنز، لأنها تشلى للحلب و هى تجتر، فتلفظ بجرتها و تقبل فرحا منها بالحلب. و قيل: المراد بها الطيور التى تزق فراخها، لأنها تخرج ما فى جوفها و تطعمها. و قيل: المراد بها الديك، لأنه يلفظ الحب من منقاره لدجاجة. و قيل: المراد بها الرحى، لأنها تلفظ ما صب فيها. و قيل: المراد بها البحر، لأنه يلفظ بالعنبر و الجوهر.

«و يحفظ» كل شىء..

«و لا يتحفظ» بالقوة الحافظة مثلنا.

«و يريد» شيئا.

«و لا يضم» فى النفس مثلنا.

«يحب و يرضى من غير رقة» له تحصل فى القلب مثلنا.

«و يبغض» و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: ما من شىء مما أحله الله عز و جل أبغض إليه من الطلاق، و إن الله يبغض المطلق الذواق<sup>١٢٥٣</sup>.

ص: ٣١٩

«و يغضب» فى الخبر: لا يغضب تعالى كغضبه لظلم الضعيفين النساء و الأطفال<sup>١٢٥٤</sup>.

<sup>١٢٥١</sup> (١) أخرجه الكليني ضمن حديث طويل فى الكافى ١: ١٢١ ح ٢ عن على بن محمد مرسلا عن أبى الحسن الرضا عليه السلام، و أخرجه الصدوق فى التوحيد: ١٨٨ ح ٢، و العيون ١: ١٢١ ح ٥٠ باسناده عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن الرضا عليه السلام، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٩٧ بلا اسناد عن الرضا عليه السلام، و لكن ليس فى رواية الطبرسى هذه القطعة، و اما قول الشارح الفتح الجرجاني عن الهادى عليه السلام فسهو و هو حديث آخر.

<sup>١٢٥٢</sup> (٢) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ٣٥٣، و الزمخشري فى المستقصى ١: ١٧١.

<sup>١٢٥٣</sup> (٣) رواه الكليني فى الكافى ٦: ٥٤ ح ٢، و صاحب تحفة الإخوان عنه المستدرک ٣: ٢ الباب (١) ح ٣ و روى فى معناه كثيرا.

و روى (الكافى) عن الباقر و الصادق عليهما السّلام عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله قال: صدقة السرّ تطفى غضب الربّ<sup>١٢٥٥</sup>.

«من غير مشقة» أى: غضبه ليس كغضبنا بتأثر و انقلاب فى النّفس يوجب المشقة، قال الباقر عليه السّلام فى قوله سبحانه: «وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ»<sup>١٢٥٦</sup>: إنّ غضبه هو عقابه لا أنّه استفزه شىء<sup>١٢٥٧</sup>.

«يقول لمن» هكذا فى (المصرية) و الصحيح: (لما) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة)<sup>١٢٥٨</sup>.

«أراد كونه» أى: وجوده.

«كن فيكون» أى: فيوجد.

«لا بصوت يقرع، و لا بندا يسمع» كما فى أقوال الناس بعضهم مع بعض،

ص: ٣٢٠

فإنّ كلامهم أثر يؤثّر اصطكاك الأجسام فى الهواء، و الهواء يؤدّيه إلى المسامع، و ليس كلامه تعالى - و المراد كلامه التكوينى - كذلك ليس فيه صوت يقرع و لا نداء يسمع، بل هو فعله و خلقه كما قال.

«و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثله» فله تعالى صفات ذات، كالعلم و القدرة، و صفات فعل، كالمشيئة و الإرادة و كلامه مع خلقه.

«لم يكن» أى: ذاك الفعل الذى أنشأه و مثله.

«من قبل ذلك» أى: أنشأه تعالى.

---

<sup>١٢٥٢</sup> (١) أخرج هذا المعنى الحميرى فى قرب الاسناد: ٤٤، و الكلينى فى الكافى ٥: ٥١١ ح ٣، و البيهقى فى شعب الايمان عنه الجامع الصغير ١: ٨، و الصدوق فى الفقيه ٣: ٢٤٨ ح ١، و الخصال ١: ٣٧ ح ١٣ و غيرهم.

<sup>١٢٥٥</sup> (٢) أخرج صاحب مسند زيد: ١٩٩، و ابن الأشت فى سننه: ٥٦، و الصدوق فى الفقيه ٢: ٣٨ ح ٨، و معانى الأخبار: ٢٤٤ ح ١، و الطوسى فى التهذيب ٤: ١٠٥ ح ٣٣، و الطبرانى و ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج، و البيهقى فى شعب الايمان، و الاصبهانى فى الترغيب عنهم الدر المنثور ١: ٣٥٤ و ابن عساکر فى التاريخ عنه الجامع الصغير ١: ٩١، و رواه القاضى النعمان فى دعائم الإسلام ١: ٢٤١، و الراوندى فى النوادر عنه البحار ٩٦: ١٨١ ح ٢٧ عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و رواه الصدوق فى ثواب الأعمال: ١٧٢ ح ١، و الاربلى فى كشف الغمّة ٢: ٢٨٩ عن السّجاد عليه السّلام، و الأهوازى فى الزهد: ٣٦ ح ٩٤ عن الباقر عليه السّلام، و الصدوق فى ثواب الأعمال: ١٧٢ ح ١ عن الصادق عليه السّلام، و أما الكلينى فأخرجه بروايتين فى الكافى ٤:

٧ ح ١، و ٨ ح ٣ عن الباقر عليه السّلام عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و معنى الحديث روى كثيرا.

<sup>١٢٥٦</sup> (٣) طه: ٨١.

<sup>١٢٥٧</sup> (٤) أخرج هذا المعنى الصدوق فى التوحيد: ١٦٨ ح ١، و معانى الأخبار: ١٨ ح ١، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٢٢ عن الباقر عليه السّلام.

<sup>١٢٥٨</sup> (٥) فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٨، و شرح ابن ميثم ٤: ١٤٨ «لمن» أيضا.

«كائنا» أى: موجودا.

«و لو كان قديما» أى: وجد قبل.

«لكان إلهًا ثانيًا» مع الله تعالى.

و قلنا: إن مراده عليه السّلام كلامه تعالى التكويني، و أمّا كلامه التكليفي مع ملائكته و رسله فبايجاده الكلمات.

ففى خبر عن الرضا عليه السّلام فى موسى عليه السّلام: لمّا كلّمه الله تعالى، و قرّبه نجيبًا رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّ و جلّ كلّمه و قرّبه و ناجاه. فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت. و كان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفًا، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم فى سفح الجبل و صعد موسى عليه السّلام إلى الطور، و سأل الله تعالى أن يكلمه، و يسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى و سمعوا كلامه من فوق و أسفل، و يمين و شمال، و وراء و أمام، لأنّ الله عزّ و جلّ أحدثه فى الشجرة، ثمّ جعله منبعنا منها، حتّى سمعوه من جميع الوجوه<sup>١٢٥٩</sup>.

ص: ٣٢١

و فى (كتاب أخطب خوارزم) عن ابن عمر قال: قال النّبى صلى الله عليه و آله و قد سئل بأى لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: بلغة على بن أبى طالب. فألهمنى أن قلت: أ خاطبتنى أنت أم على؟ فقال: يا محمد أنا شىء لا كالأشياء، لا أقاس بالناس، و لا أوصف بالأشياء. خلقتك من نورى، و خلقت عليًا من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك، فلم أجد إلى قلبك أحبى من على بن أبى طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك<sup>١٢٦٠</sup>.

و يمكن أن يكون قوله عليه السّلام «و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثله» إشارة إلى كلامه التكليفي الذى قلنا، لكن مع وقوع تحريف فيه، و أنّ الأصل:

«و أمّا كلامه سبحانه فقول منه أنشأه و مثله»، و حينئذ فقله بعد «لم يكن من قبل ذلك كائنا، و لو كان لكان إلهًا ثانيًا» معناه: أنّ كلامه تعالى لمّا كان صفة فعله ليس بقديم، و لو كان قديما و هو غيره صار إلهًا ثانيًا.

و فى خبر أبى بصير عن الصادق عليه السّلام قلت: فلم يزل الله متكلمًا؟ قال:

<sup>١٢٥٩</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ١٢١ ح ٢٤ و ضمن حديث طويل فى العيون ١: ١٥٩ ح ١، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٢٢٩ عن الرضا عليه السّلام، و روى معناه المرتضى فى تنزيه الأنبياء: ١٧٥ بلا عزو.

<sup>١٢٦٠</sup> (١) أخرجه الخوارزمى فى المناقب: ٣٧.

فقال: إنَّ الكلامَ صفةٌ محدثةٌ ليست بأرثيَّة، كان اللهُ تعالى ولا متكلِّمٌ<sup>١٢٦١</sup>.

ومن كلامه عليه السَّلام يظهر بطلان مذاهب الحنابلة، و الكرامية، و الأشاعرة.

قالت الحنابلة: إنَّ كلامه تعالى حروف و أصوات قديمة. و قالت الكرامية: إنَّ كلامه تعالى صفةٌ له مؤلَّفةٌ من الحروف و الأصوات الحادثة القائمة بذاته، و قالت الأشاعرة: كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته القديمة<sup>١٢٦٢</sup>.

ص: ٣٢٢

هذا، و فى (ملل الشهرستاني) فى ذكر انفرادات الجبائى و ابنه أبى هاشم قال: إنَّهما حكما بكونه تعالى متكلِّما بكلام يخلقه فى محلّ، و حقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة و حروف منظومة، و المتكلِّم من فعل الكلام لا من قام به الكلام، إلَّا ان الجبائى خالف أصحابه خصوصا بقوله يحدث اللهُ تعالى عند كلِّ قارئٍ كلاما لنفسه فى محلّ القراءة، و ذلك حين ألزم أن الذى يقرؤه القارئ ليس بكلام الله، و المسموع منه ليس من كلام الله، فالنزم هذا المحال من إثبات أمر غير معقول و لا مسموع، و هو اثبات كلامين فى محلّ واحد<sup>١٢٦٣</sup>.

«لا يقال كان بعد أن لم يكن» يعنى: أن قولنا (كان) فى «كَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً»<sup>١٢٦٤</sup> و «كَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً»\*<sup>١٢٦٥</sup> بمعنى الاستمرار لا بمعنى (صار)، و إلَّا لزم بواطل:

احدها: «فتجرى عليه الصفات المحدثات» قال ابن أبى الحديد و ابن ميثم:

و روى (صفات المحدثات)<sup>١٢٦٦</sup>: أى بالاضافة، و كيف كان فوجه جريان المحدثات عليه حينئذ: أن شيئا لم يكن ثمَّ كان محدثا.

و ثانيها: «و لا يكون بينها» أى: المحدثات.

«و بينه» تعالى.

«فصل» لكونه مثلها فى السبق بالعدم.

<sup>١٢٦١</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ١٠٧ ح ١، و الصدوق فى التوحيد: ١٣٩ ح ١، و قريبا منه أبو على الطوسى فى أماليه ١:

١٧٠ المجلس (٦).

<sup>١٢٦٢</sup> (٣) نقل هذه المقالات الفاضل السيورى فى إرشاد الطالبين: ٢١٩، لكن نسبة المقالة المذكورة إلى الكرامية بإطلاقها مشكل، كما يظهر لك من المثل و النحل

للشهرستاني ١: ٩٩-١٠٣.

<sup>١٢٦٣</sup> (١) المثل و النحل ١: ٧٤.

<sup>١٢٦٤</sup> (٢) النساء: ١٣٤.

<sup>١٢٦٥</sup> (٣) النساء: ١٧، ٩٢، ١٠٤، ١١١، ١٧٠، و الفتح: ٤.

<sup>١٢٦٦</sup> (٤) نقل ابن أبى الحديد هذه الرواية فى شرحه ٣: ٢١٠، و لكن لم نجدتها فى شرح ابن ميثم ٤: ١٧٣ و سائر الصفحات.

و ثالثها «و لا له عليها فضل» بدوام الوجود.

«فيستوى الصانع و المصنوع» فى كونه معدوماً أولاً.

ص: ٣٢٣

«و يتكافأ المبتدع» قال ابن ميثم: و فى نسخة الرضى «المبدع» بفتح الدال<sup>١٢٤٧</sup>.

«و البديع» أى: الله تعالى، قال عز و جل: «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»<sup>١٢٤٨</sup>.

«و خلق الخلائق على غير مثال خلا» أى: مضى.

«عن غيره» كيف لا، و لم يكن موجودا غيره تعالى، فكيف يكون منه له مثال؟! «و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه» فلم يكن خلق حتى يستعين بهم فى خلقه.

«و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال» بامساکها عن فعل آخر، كأحدنا إذا أمسك شيئا يشتغل به عن شيء آخر: «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>١٢٤٩</sup>.

«و أرساها» أى: أثبتها.

«على غير قرار» لها، فإنها تتحرك فى الفضاء و تدور.

«و أقامها بغير قوائم» جمع القائمة.

«و رفعها» فى الفضاء كباقي الكرات.

«بغير دعائم» جمع الدعامة، أى: العماد لها.

«و حصنها» بالتشديد، أى: أحكمها.

«من الأود» أى: الميل و الانحناء عن مدارها.

«و الاعوجاج» بالخروج عن مركزها.

<sup>١٢٤٧</sup> (١) شرح ابن ميثم ٤: ١٧٤.

<sup>١٢٤٨</sup> (٢) البقرة: ١١٧.

<sup>١٢٤٩</sup> (٣) فاطر: ٤١.

ص: ٣٢٤

«و منعها من التهافت» أى: التساقط قطعة قطعة.

«و الانفراج» أى: الانشكاف، قال: له فرجة كحل العقال<sup>١٢٧٠</sup>.

«أرسى» أى: أثبت.

«أو تادها» و هى جبالها، قال تعالى: «و الْجِبَالُ أَرْسَاهَا»<sup>١٢٧١</sup>.

«و ضرب أسداده» حتى لا يختلط شىء منها بشىء آخر، قال تعالى:

«مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ»<sup>١٢٧٢</sup>، «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>١٢٧٣</sup>.

«و استفاض» يقال: فاض الماء يفيض، إذا كثر حتى سال.

«عيونها» أى: ينابيعها، «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرَعَاهَا»<sup>١٢٧٤</sup>.

«و خدّ» أى: شقّ و حفر.

«أوديتها» جمع الوادى، و فى (اللسان) عن ابن سيده: الوادى كلّ مفرج بين الجبال و التلال و الآكام، سمى بذلك لسيلانه يكون مسلكا للسيل و منفذا.

قال أبو الريبس التغلبى:

بينكم ما حملت عاتقى

لا صلح بينى فاعلموه و لا

قرقر قمر الواد بالشاهق

سيفى و ما كُنّا بنجد و ما

<sup>١٢٧٠</sup> (١) أورده أساس البلاغة: ٣٣٧ مادة (خرج)، و لسان العرب ٢: ٣٤١ مادة (خرج)، و الشاعر أمية ابن أبى الصلت، و البيت بتمامه فى العنوان (٣٥) من هذا الفصل.

<sup>١٢٧١</sup> (٢) النازعات: ٣٢.

<sup>١٢٧٢</sup> (٣) الرحمن: ١٩ - ٢٠.

<sup>١٢٧٣</sup> (٤) النمل: ٦١.

<sup>١٢٧٤</sup> (٥) النازعات: ٣١.

## ص: ٣٢٥

وقوله عزّ وجلّ: «أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ»<sup>١٢٧٤</sup>. ليس يعنى أودية الأرض إنما هو مثل لشعر الشعراء، كما تقول: أنا لك فى واد، و أنت لى فى واد.

أى: يقولون فى الذم و يكذبون، و فى المدح و يكذبون، و جمع الوادى أوداء و أودية و أوداية، قال: «و اقطع الأبحر و الأوداية»<sup>١٢٧٧</sup>.

«فلم يهن» أى: لم يضعف.

«ما بناه» «و السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ»<sup>١٢٧٨</sup>.

«و لا ضعف ما قواه» «و بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا»<sup>١٢٧٩</sup>، «أَ أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»<sup>١٢٨٠</sup>.

«هو الظاهر عليها» الضمير فى (عليها) راجع إلى (الأرض) فى قوله:

«و أنشأ الأرض»، أو إلى (الخلائق) فى قوله: «خلق الخلائق»، و الأوّل أقرب لفظاً، و الثانى معنى.

«بسلطانه و عظمته» يتصرف فيها ما يشاء كيف يشاء.

«و هو الباطن لها بعلمه و معرفته» «و لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»<sup>١٢٨١</sup>.

«و العالى على كل شىء منها بجلاله و عزّته» «و اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ»

<sup>١٢٧٥</sup> (٦) لسان العرب ١٥: ٣٨٤ مادة (ودى).

<sup>١٢٧٤</sup> (١) الشعراء: ٢٢٥.

<sup>١٢٧٧</sup> (٢) لسان العرب ١٥: ٣٨٥ مادة (ودى).

<sup>١٢٧٨</sup> (٣) الذاريات: ٤٧-٤٨.

<sup>١٢٧٩</sup> (٤) النبأ: ١٢-١٣.

<sup>١٢٨٠</sup> (٥) النازعات: ٢٧-٣٠.

<sup>١٢٨١</sup> (٦) ق: ١٦.

ص: ٣٢٦

«أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>١٢٨٢</sup>.

«و لا يعجزه شيء منها طلبه» «وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ»<sup>١٢٨٣</sup> «و لا يؤدُّه حِفْظُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>١٢٨٤</sup>.

«و لا يمتنع» شيء.

«عليه فيغلبه» ذلك الشيء، قال تعالى: «فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>١٢٨٥</sup>.

«و لا يفوته السريع منها» كما يفوتنا كثير من الأشياء السريعة.

«فيسبقه» فلا يلحقه، «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»<sup>١٢٨٦</sup>.

و فى الخبر: إن إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات والأرض، فالتفت ثلاثا و رأى رجالا يزنون فدعا عليهم فماتوا، أوحى تعالى إليه: إني خلقتهم على أصناف: عبد يعبد غيرى فلن يفوتنى ...<sup>١٢٨٧</sup>.

«و لا يحتاج إلى ذى مال فيرزقه» «و ما خلقت الجنَّ و الإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ما أريدُ منهم من رزقٍ و ما أريدُ أن يطعمون إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»<sup>١٢٨٨</sup>.

ص: ٣٢٧

«خضعت الأشياء له، و ذلت مستكينة لعظمته» «قُلْ أ أنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين و تجعلون له أندادا ذلك رب العالمين و جعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أوقاتها فى أربعة أيام سوا للسنائين ثم استوى إلى السماء

<sup>١٢٨٢</sup> (١) يوسف: ٢١.

<sup>١٢٨٣</sup> (٢) الاحقاف: ٣٢.

<sup>١٢٨٤</sup> (٣) البقرة: ٢٥٥.

<sup>١٢٨٥</sup> (٤) الواقعة: ٨٦-٨٧.

<sup>١٢٨٦</sup> (٥) يونس: ٢٣.

<sup>١٢٨٧</sup> (٦) روى بطرق عديدة عن النبى صلى الله عليه و آله و عن الصادق عليه السلام و عن سلمان و عطاء و شهر بن حوشب، و قد مر تخريجه فى العنوان (٢٢)

من هذا الفصل.

<sup>١٢٨٨</sup> (٧) الذاريات: ٥٦-٥٨.

وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>١٢٨٩</sup>.

«لا يستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فيمتنع من نفعه و ضره» فهرب موسى عليه السلام من مصر لما خاف أن يقتله فرعون، فورد ماء مدين و امتنع من أن تناله يد فرعون<sup>١٢٩٠</sup>، و هرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ مَشْرِكِي مَكَّةَ لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهُ، فَلَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ أَمِنَ مِنْ أَدَاهِمُ<sup>١٢٩١</sup>، وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا لَمْ يَرْضُوا بِسُلْطَانِهِمْ يَخْرُجُونَ مِنْ مَمْلَكَتِهِ فَيَمْتَنِعُونَ مِنْ نَفْعِهِ وَ ضَرِّهِ، وَ أَمَّا هُوَ تَعَالَى فَالْأَرْضُ وَ السَّمَاءُ فِي سُلْطَانِهِ، وَ الْبِرُّ وَ الْبِحْرُ مِنْ مَمْلَكَتِهِ، «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً»<sup>١٢٩٢</sup>، «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشْداً قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً»<sup>١٢٩٣</sup>.

«و لا كفاء له فيكافئه» كيف و هو الخالق و غيره مخلوق؟! «و لا نظير له فيساويه» «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>١٢٩٤</sup>.

ص: ٣٢٨

«هو المفقى لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها» «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ»<sup>١٢٩٥</sup>.

«و ليس فناء» هكذا في النسخ<sup>١٢٩٦</sup>، و الظاهر أن الأصل (افناء).

«الدنيا بعد ابتداعها» و خلقها.

«بأعجب من إنشائها و اختراعها» كيف لا و الإيجاد أصعب من الاحزاب؟! فاستبعاد من استبعد إخراب هذه الأفلاك من قصر نظره و ضعف بصره.

«و كيف» لا يكون الإنشاء و الإفناء مختصين به تعالى.

«لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها و بهائمها» البهائم جمع البهيمة، و في (اللسان): البهيمة: كل ذات أربع قوائم من دواب البر و الماء. ثم نقل عن الزجاج:

<sup>١٢٨٩</sup> (١) فصلت: ٩-١٢.

<sup>١٢٩٠</sup> (٢) جاءت القصة في أوائل سورة القصص.

<sup>١٢٩١</sup> (٣) القصة مشهورة في كتب السيرة و التاريخ، و أشار إليها تعالى في التوبة: ٤٠.

<sup>١٢٩٢</sup> (٤) الأحزاب: ١٧.

<sup>١٢٩٣</sup> (٥) الجن: ٢١-٢٢.

<sup>١٢٩٤</sup> (٦) الشورى: ١١.

<sup>١٢٩٥</sup> (١) الرحمن: ٢٦-٢٧.

<sup>١٢٩٦</sup> (٢) كذا في نهج البلاغة: ٢: ١٢٤، و شرح ابن أبي الحديد: ٣: ٢١١، و شرح ابن ميثم: ٤: ١٤٩.

كلّ حىّ لا يميّز بهيمه<sup>١٢٩٧</sup>.

«و ما كان من مراحها» بالضمّ، و المراد به: ما أريح من تعب الرعى كالحمير و البغال و الخيل.

«و سائمها» و المراد بالسائم ما ترعى، كالأغنام و ما من قبيلها، فالتقابل واقع بين المراح و السائم مثل الطير و البهائم، و لقد وقع ابن أبى الحديد و كثير منهم هنا فى حيص و بيض و خبط و خلط.

«و أصناف أسناخها» أى: أصولها.

«و أجناسها» أى: أنواعها، فالضأن و المعز متّحدان بالأصل مختلفان بالنوع.

«و متبلّدة» من البلادة ضدّ الذكاوة و الكياسة، و قولهم «بيضة البلد» فى

ص: ٣٢٩

الدمّ، كقول حسّان فى نفسه:

و ابن الفريضة أمسى بيضة البلد

<sup>١٢٩٨</sup> بكسر اللام، الوصف من البلادة، و المراد بالبلد فيه النعامة، فمن أمثالهم «أحمق من نعامة»<sup>١٢٩٩</sup>، قالوا: إنّها تنتشر للطعم فربّما رأّت بيض نعامة قد انتشرت لمثل ما انتشرت هى له، فتحضن بيضها و تنسى بيض نفسها، قال ابن هرمة:

و ملبسة بيض أخرى جناحا

كتاركة بيضها بالعراء

<sup>١٣٠٠</sup> و قالوا أيضا: أذلّ من بيضة البلد<sup>١٣٠١</sup>.

<sup>١٢٩٧</sup> (٣) لسان العرب ١٢: ٥٦ مادة (بهم).

<sup>١٢٩٨</sup> (١) لسان العرب ٧: ١٢٦، مادة (بيض) و صدره: رأى الجلابيب قد عزّوا و قد كثروا. و احتمل ابن منظور كون البيت لرجل آخر يهجو حسّان بن ثابت.

<sup>١٢٩٩</sup> (٢) أوردته الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ٢٢٥، و الزمخشري فى المستقصى ١: ٨٥.

<sup>١٣٠٠</sup> (٣) أوردته فى مجمع الأمثال ١: ٢٢٥، و المستقصى ١: ٨٥ و نسبه الزمخشري إلى أبى داود.

<sup>١٣٠١</sup> (٤) أوردته الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ٢٨٥ و الزمخشري فى المستقصى ١: ١٣٢.

و فسّر (أم البيض) بالنعامة في قول الشاعر:

و أتانا يسعى تفرس أمّ البيض  
شدا و قد تعالی النهار

<sup>١٣٠٢</sup> و أمّا في المدح كقول أخت عمرو بن عبدود فيه عليه السّلام:

و كان يدعى ابوه بيضة البلد

<sup>١٣٠٣</sup> فالبلد فيه بالفتح واحد البلاد، كما أنّ البيضة في الأوّل بيضة الطير، و في الثاني بيضة الحديد التي يقال لها بالفارسية (كلاه خود)<sup>١٣٠٤</sup>، و قد خلطوا بينهما فقالوا: بيضة البلد يأتي للمدح و الدم، و الحقيقة ما عرفت.

ص: ٣٣٠

هذا، و قد يأتي التبدّل في قبال التجلّد، إذا كان تبدّله عارضيا من شدّة المصيبة، قال الشاعر:

ألا لا تلمه إن يتبدلا  
فقد غلب المحزون أن يتبدّلا

<sup>١٣٠٥</sup> «أممها» قال الجوهري: كلّ جنس من الحيوان أمّة<sup>١٣٠٦</sup>.

و في الحديث: «لو لا أنّ الكلاب أمّة من الأمم لأمرت بقتلها»<sup>١٣٠٧</sup>.

---

<sup>١٣٠٢</sup> (٥) لسان العرب ١٢: ٣٢ مادة (أمم) و نسبه إلى أبي دواد.

<sup>١٣٠٣</sup> (٦) هذا شطر من بيتين مرّ في شرح خطبة الرضى، و قد أشرنا إلى اختلاف ألفاظ الروايات و هذا اللفظ لابن أبي الحديد في شرحه ١: ٧.

<sup>١٣٠٤</sup> (٧) (كلاه خود) آلة حربية حديدية تستعمل لوقاية الرأس، و في العربية: البيضة أو الخوذة و الأخير معرب خود أيضا.

<sup>١٣٠٥</sup> (١) لسان العرب ٣: ٩٦ مادة (بلد).

<sup>١٣٠٦</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٨٦٤ مادة (أمم).

<sup>١٣٠٧</sup> (٣) هذا صدر حديث أخرجه الترمذى بطريقين في سننه ٤: ٧٨، و ٨٠ ح ١٤٨٦ و ١٤٨٩، و النسائي في سننه ٧: ١٨٥، و أبو داود في سننه ٣: ١٠٨ ح ٢٨٤٥،

و ابن ماجه في سننه ٢: ١٠٦٩ ح ٣٢٠٥، و الدارمي في سننه ٢: ٩٠، و أحمد في مسنده ٥:

قلت: لم خصّ الأمة بالحيوان، وقد قال تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ»<sup>١٣٠٨</sup>.

«وَأَكْبَاسُهَا» أى: أذكائها، و من أمثالهم: «أكبس من قشة»<sup>١٣٠٩</sup>، و هى جرو القرد، كما أن من أمثالهم: «أبلد من ثور و من سلحفاة»<sup>١٣١٠</sup>.

«على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها» «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ»<sup>١٣١١</sup>.

«و لا عرفت كيف السبيل إلى ايجادها» «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ»

ص: ٣٣١

«أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ»<sup>١٣١٢</sup>.

«و لتحيّرت عقولها فى علم ذلك» كيف لا، و لا وقفت بعد على حقيقة الروح و عرفانها فضلا عن علم ايجادها.

«و تاهت» أى: ضلّت.

«و عجزت قواها، و تناهت» أى: بلغت إلى النهاية.

«و رجعت خاسئة» من خسا البصر: كلّ و أعبا.

«حسيرة» من حسر بصره، إذا كلّ و انقطع من طول النظر، و الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «ما ترى فى خلقِ الرّحمنِ من تفاوتٍ فارجع البصر هل ترى من فطورٍ ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حسير»<sup>١٣١٣</sup>.

«عارفة بأنّها مقهورة» أى: مغلوبة.

---

٥٤ و ٥٦ بطريقتين عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه و آله، و أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير عنه منتخبا كنز العمال ٦: ١٤٥، و رواه من الشيعة بلا اسناد أبو الفتوح فى تفسيره عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه و آله، و الاحسائى فى غوالى اللآلى عن النبي صلى الله عليه و آله عنهما المستدرک ٣: ٦٥ الباب (٣٢) ح ٢، و شرحه ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث: ١٣٣، و السندى فى حاشية سنن النسائى ٧: ١٨٥.

<sup>١٣٠٨</sup> (٤) الأنعام: ٣٨.

<sup>١٣٠٩</sup> (٥) أوردته الميدانى فى مجمع الأمثال ٢: ١٦٩، و الزمخشري فى المستقصى ١: ٢٩٧، قال الميدانى: و هى جرو القرد، ثم قال:

يضرب مثلا للسوار خاصة.

<sup>١٣١٠</sup> (٦) أوردته الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ١١٩، و الزمخشري فى المستقصى الحج ١: ٢٨.

<sup>١٣١١</sup> (٧) ٧٣.

<sup>١٣١٢</sup> (١) الواقعة: ٥٨ - ٥٩.

<sup>١٣١٣</sup> (٢) الملك ٣ - ٤.

«مقرّة بالعجز عن إنشائها» فكيف تقدر على ايجاد الروح فيها، وكيف تقدر على ايجاد السامعة والباصرة والذائقة والشامة واللامسة فيها، بل والعاطفة وقوى آخر غير محصورة؟

«مذعنة» أى: معتقدة.

«بالضعف عن إفنائها» والمراد إفناء نوعها.

«وإن الله» هكذا فى (المصرية)، والصواب: (وإنه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم والخطية)<sup>١٣١٤</sup>.

«سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شىء معه كما كان» وحده لا شىء معه.

ص: ٣٣٢

«قبل ابتدائها كذلك يكون» وحده لا شىء معه.

«بعد فنائها» حتى ملك الموت أيضا لا يبقى، روى (الكافى) فى نوادر جنائزه عن يعقوب الأحمر قال: دخلنا على الصادق عليه السلام نزيه بإسماعيل فترحم عليه، ثم قال: إن الله عز وجل نعى إلى نبيه صلى الله عليه وآله نفسه، فقال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنْهُمْ مَيِّتُونَ»<sup>١٣١٥</sup>، وقال عز وجل: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»<sup>١٣١٦</sup>. ثم انشأ يحدث فقال: إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحمله العرش وجبرئيل وميكائيل. قال:

فيجىء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله، فيقال له: من بقى؟ وهو أعلم.

فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحمله العرش وجبرئيل وميكائيل.

فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا ... فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت.

فيقال له: مت يا ملك الموت، فيموت. ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه، ويقول: أين الذين كانوا يدعون معى شريكا، أين الذين كانوا يجعلون معى إلها آخر؟<sup>١٣١٧</sup> «بلا وقت» من ليل أو نهار.

«و لا مكان» أرض أو سماء.

<sup>١٣١٤</sup> (٣) فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢١١، و شرح ابن ميثم ٤: ١٤٩ «و ان الله» أيضا.

<sup>١٣١٥</sup> (١) الزمر: ١.

<sup>١٣١٦</sup> (٢) آل عمران: ١٨٥.

<sup>١٣١٧</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافى ٣: ٢٥٦ ح ٢٥، و أحمد بن محمد بن عيسى فى النوادر عنه البحار ٦: ٣٢٩ ح ١٤.

«و لا حين و لا زمان» شهر أو سنة.

«عدمتم عند ذلك» أى فناء العالم.

«الآجال» للأشياء.

«و الأوقات» للأمر لعدم وجود شمس و قمر.

ص: ٣٣٣

«و السنون» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و زالت السنون) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>١٣١٨</sup>.

«و الساعات» التى هى أجزاء الليل و النهار.

«فلا شىء إلا الواحد القهار» «لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»<sup>١٣١٩</sup>.

«الذى إليه مصير جميع الأمور» و تديرها.

«بلا قدرة منها» الظرف الأول خبر كان قدّم لكونه مهمًا فى القصد، و الظرف الثانى متعلق بالأول.

«كان ابتداء خلقها» كيف لا و لم تكن شيئًا حتى تكون ذات قدرة؟! «و بغير امتناع منها» مثل سابقه فى التركيب.

«كان فناؤها» و لو كان فيها استعداد البقاء.

«و لو قدرت على الامتناع» من الفناء.

«دام» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (دام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>١٣٢٠</sup>.

«بقاؤها» بالامتناع من الفناء.

«لم يتكأده» أى: لم يشقّ عليه.

«صنع شىء منها إذ صنعه» «وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»<sup>١٣٢١</sup>.

---

<sup>١٣١٨</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢١١، و شرح ابن ميثم ٤: ١٤٩.

<sup>١٣١٩</sup> (٢) غافر: ١٦.

<sup>١٣٢٠</sup> (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢١١، و بلا (لام) فى شرح ابن ميثم ٤: ١٤٩.

«و لم يؤده» بدون واو، أى: لم يثقل عليه.

«منها خلق ما خلقه و برأه» أى: خلقه عن غير مثال.

«و لم يكوّنها» أى: لم يوجد لها.

ص: ٣٣٤

«لتشديد سلطان» كسلطين الدنيا يصنعون أمورا لتشديد سلطانهم، و منهم المعتصم جمع من الأتراك أربعة آلاف فألبسهم - كما فى المروج - أنواع الديباج و المناطق المذهبة و الحلية المذهبة، و أبانهم بالزّى عن سائر جنوده، و قد كان اصطنع قوما من حوف مصر و من حوف اليمن و حوف قيس فسمّاهم المغاربة، و استعدّ رجال خراسان من الفراغنة و غيرهم من الأشروسية، فكثرت جيشه حتّى اضطرّ إلى الخروج عن بغداد لما ينال الناس من جيشه، فانتقل إلى محل سامراء و بناها<sup>١٣٢٢</sup>.

«و لا لخوف من زوال و نقصان» كالناس يبنون القلاع لتصونهم من الزوال و النقصان.

«و لا للاستعانة بها على ندّ» أى: مثل و نظير.

«مكاثر» له.

«و لا للاحتراز بها» أى: التوقى.

«من ضدّ مثار» أى: مواب، بنى المنصور تحت قصره نفقا يخرج إلى خارج البلد لكى يفرّ إذا غلبه عدو.

«و لا للازدياد بها فى ملكه» كملوك الدنيا فى بنائهم للبلاد.

«و لا لمكاثرة شريك فى شركه» كأهل الدنيا فى تكاثرهم بالأموال و الأولاد فى ما بينهم.

«و لا لوحشة كانت منه» إذ كان وحده.

«فأراد أن يستأنس إليها» و يرفع وحشته بها.

«ثمّ هو» تعالى.

«يفنيها بعد تكوينها» و إيجادها.

<sup>١٣٢١</sup> (٤) ابراهيم: ٢٠.

<sup>١٣٢٢</sup> (١) مروج الذهب للمسعودى ٣: ٤٦٥ و النقل بالمعنى.

ص: ٣٣٥

«لا لسأم» أى: ملال.

«دخل عليه فى تصريفها» و تغييرها من حال إلى حال.

«و تدبيرها» بما يكون صلاحها.

«و لا لراحة واصله إليه» من إفنائها.

«و لا لتقل شىء منها عليه» وقت بقائها.

«لم يملّه» أى: لم يجعله ملولا.

«طول بقائها فيدعوه» ملله.

«إلى سرعة إفنائها» حتى لا يزداد ملله.

«لكنه سبحانه دبّرها» حين ابقائها.

«بلطفه» «الذرى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى»<sup>١٣٢٣</sup>.

«و أمسكها بأمره» لكيلا تضحلّ.

«و أتقنها» أى: أحكمها.

«بقدرته» فلم يكن فيها انقطاع دون ما أريد منها.

«ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها» كمن يخرّب بيته، ثم يعيده لحاجته إلى سكناه.

«و لا لاستعانة بشىء منها عليها» كالنّاس فى أسباب أعمالهم.

«و لا لانصراف من حال وحشة» حين الفناء.

«إلى حال استئناس» بها بعد إعادتها.

«و لا من حال جهل و عمى» فى إفتائها.

«إلى حال علم» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (إلى علم) كما فى (ابن

ص: ٣٣٦

أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة) ١٣٢٤.

«و التماس» أى: تبصّر.

«و لا من فقر و حاجة» من فئاتها.

«إلى غنى و كثرة» بإعادتها.

«و لا من ذلّ و ضعة» أى: انحطاط من انعدامها.

«إلى عزّ و قدرة» بعد إيجادها.

٢٤

من الخطبة (١٩٣) و من خطبة له عليه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَ جَلَالَ كِبْرِيَاةِهِ - مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ - وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ  
عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ» فى تصرفه فى العالم و فى نفوس بنى آدم بما شاء و كيف شاء.

«و جلال كبريائه» من خلقه السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و البحار و أصناف الخلق.

«ما حيرّ» و أدهش.

«مقل» بالضمّ فالفتح جمع مقلة: شحمة العين التى تجمع البياض و السواد.

«العيون» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (العقول) كما فى (ابن أبى

ص: ٣٣٧

---

١٣٢٤ (١) فى شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢١٢، و شرح ابن ميثم ٤: ١٥٠ «إلى حال علم» أيضا.

الحديد و ابن ميثم و الخطيبه<sup>١٣٢٥</sup>.

«من عجائب قدرته» و منها ما بينه في قوله عزّ و جلّ: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»<sup>١٣٢٤</sup>.

و قال الصادق عليه السلام للمفضل في ما بينه من حكم البارى تعالى: و اعلم- يا مفضل- ان اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجارى المعروف عندهم (قوسموس)<sup>١٣٢٧</sup> و تفسيره الزينة، و كذلك سمته الفلاسفة و من ادعى الحكمة، ا فكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير و النظام، فلم يرضوا أن يسموه تقديرا و نظاما حتى سموه زينة ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب و الاتقان على غاية الحسن و البهاء<sup>١٣٢٨</sup>.

و قال الرضا عليه السلام: خلق الله الخلق على أنواع شتى، و لم يخلقهم نوعا واحدا لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز، فلا يقع في وهم أحد صورة إلا و قد خلق تعالى عليها خلقا، و لا يقول قائل: هل يقدر الله على أن يخلق على صورة كذا و كذا إلا وجد ذلك في خلقه عزّ و جلّ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل

ص: ٣٣٨

شئء قدير<sup>١٣٢٩</sup>.

«و ردع» أى: كفّ.

«خطرات» ممّا يخطر بالبال.

«هماهم» جمع الهمهمة، ترديد الصوت في الصدر.

«النفوس عن عرفان كنه صفته» جلّ و علا فإذا كان الإنسان لا يعرف كنه كثير ممّا أظهر من آثار سلطنته من الشمس و القمر و النجوم و السماء و غيرها ممّا يشاهدها كيف يعرف كنه صانعها.

<sup>١٣٢٥</sup> (١) في شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥٣٨، و شرح ابن ميثم ٣: ٤٣١ «العيون» أيضا.

<sup>١٣٢٤</sup> (٢) البقرة: ١٦٤.

<sup>١٣٢٧</sup> (٣) (قوسموس) معرب(Koouos) اليونانية ذكر(Liddell) و(Scott) في معجم اليونانية Greek EnglishLexicon [الصفحة ٧٨٢] من معانى الكلمة: «الترتيب الجيد: النظم الجيد» و «الزينة- الحلية» و «العالم- الكائنات» و قالوا أول من استعمل هذه الكلمة في معنى العالم فيثاغورس في فلسفته لنظم العالم و ترتيبه الكامل.

<sup>١٣٢٨</sup> (٤) توحيد المفضل: ١٧٦.

<sup>١٣٢٩</sup> (١) أخرجه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤ ح ١٣ بفرق يسير.

و فى (الحليّة) قال أحمد بن أبى الحوارى: حدّثنى أحمد بن داود قال:

اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا من كلّ عشرة واحدا، ثمّ أخرجوا من كلّ مائة واحدا، ثمّ أخرجوا من كلّ ألف واحدا حتّى أخرجوا سبعة خيار بنى إسرائيل.

فقال: أدخلونا فى بيت و طينوا علينا، و لا تخرجونا حتّى نعرف ربّنا.

ففعّلوا، فمات أول يوم واحد، و فى اليوم الثانى آخر، ثم مات فى اليوم الثالث آخر، فقال شابّ و كان أصغرهم: أخرجونا قد عرفته. قال: ففتحوا فأخرجوهم. فقال لهم: قد عرفته. قالوا: و أى شىء عرفت. قال: عرفت أنّه لا يعرف. فإن شئتم فدعونا حتّى نموت عن آخرنا و إن شئتم أخرجونا<sup>١٣٣٠</sup>.

٢٧

من الخطبة (١٥٣) و من خطبة له عليه السّلام: يذكر فيها بديع خلقه الخفّاش: الحمد لله الذى انحسرت الأوصاف عن كنهه معرّفته - و ردّعت عظمته العقول - فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غاية ملكوته - هو الله الملك الحقّ

ص: ٣٣٩

المبين حقّ و أبين ممّا ترى العيون - لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً - و لم تقع عليه الأوهام فيكون ممثلاً -<sup>١٣٣١</sup> خلق الخلق على غير تمثيل و لا مشورة مشير - و لا معونة معين فتم خلقه بأمره و أذعن لإطاعته - فأجاب و لم يدفع و اتقاد و لم يُنازع «الحمد لله الذى انحسرت» أى: كلّت و انقطعت.

«الأوصاف عن كنه معرفته» كيف لا تنحسر عن كنه معرفته، و قد انحسرت عن كنه كثير من خلقه؟! «و ردّعت» أى: كفّت.

«عظمته العقول» عن فهمه.

«فلم تجد مساعاً» أى: جوازاً، و الأصل فيه: ساع الشراب، إذا سهل مدخله فى الحلق.

«إلى بلوغ غاية ملكوته» قال تعالى: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّى لَنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى و لو جئنا بمثله مدداً»<sup>١٣٣٢</sup>.

<sup>١٣٣٠</sup> (٢) حلية الأولياء لأبى نعيم ١٠: ١٢.

<sup>١٣٣١</sup> (١) قال الشارح و فى نسخ «و لم تقع على الاوهام بتقدير فيكون ممثلاً».

<sup>١٣٣٢</sup> (٢) الكهف: ١٠٩.

و قال الصادق عليه السّلام: فقالوا و لم لا يدرك تعالى بالعقل؟ قيل: لأنّه فوق مرتبة العقل، كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته، فإنّك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت أنّ راميا رمى به. فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل، لأنّي العقل هو الذي يميّزه، فيعلم أنّ الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه، أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه فلم يتجاوزه، فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه، و لكن يعقله بعقل أقرّ أنّ فيه نفسا و لم يعاينها و لم يدركها بحاسة من الحواس. و على حسب هذا أيضا نقول: إنّ

ص: ٣٤٠

العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، و لا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته - إلى أن قال - فان قالوا: أ و ليس قد نصفه؟ فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم. قيل لهم: كلّ هذه صفات إقرار، و ليست صفات إحاطة فإنّا نعلم أنّه حكيم، و لا نعلم بكنه ذلك منه، و كذلك قدير و جواد، و سائر صفاته كما قد نرى السماء، فلا ندرى ما هو جوهرها و نرى البحر و لا ندرى أين منتهاه<sup>١٣٣٣</sup>.

«هو الله الملك» هكذا في (المصرية)، و كلمة (الملك) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٣٣٤</sup>.

«الحقّ المبين» «يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»<sup>١٣٣٥</sup>.

«أحقّ و أبين ممّا تراه العيون» لأنّ ما تراه العيون قد يقع فيه الخطأ، و أمّا هو تعالى فتحقّقه بالعقل الذي استحال أن يخطئ.

قال الصادق عليه السّلام بعد ما مرّ في ما مرّ: فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه و صفا حتّى كأنّه غير معلوم. قيل لهم: هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه و الإحاطة به، و هو من جهة أخرى أقرب من كلّ قريب، إذا استدلّ عليه بالدلائل الشافية، فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد، و هو من جهة كالغامض لا يدركه أحد، و كذلك العقل أيضا ظاهر بشواهد و مستور بذاته<sup>١٣٣٦</sup>.

«لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها، و لم تقع عليه الأوهام فيكون ممثلا»

ص: ٣٤١

قال الصادق عليه السّلام: فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مباينا لكلّ شيء متعاليا عن كلّ شيء؟

قيل لهم: الحقّ الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه، فأولها:

<sup>١٣٣٣</sup> (١) توحيد المفضل: ١٧٦.

<sup>١٣٣٤</sup> (٢) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٣٣، و شرح ابن ميثم ٣: ٢٥٢ توجد كلمة «الملك» أيضا.

<sup>١٣٣٥</sup> (٣) النور: ٢٥.

<sup>١٣٣٦</sup> (٤) توحيد المفضل: ١٨٠.

أن ينظر أ موجود هو أم ليس بموجود. و الثاني: أن يعرف ما هو في ذاته و جوهره. و الثالث: أن يعرف كيف هو و ما صفته. و الرابع: أن يعلم لما ذا هو، و لأى علة، فليس من هذه الوجوه شىء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط. فإذا قلنا: (و كيف) و (ما هو) فممتنع علم كنهه و كمال المعرفة به، و أمّا (لما ذا هو) فساقط في صفة الخالق، لأنه جلّ ثناؤه علة كل شىء، و ليس شىء بعلة له، ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو و كيف هو، كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي و كيف هي، و كذلك الأمور الروحانية اللطيفة<sup>١٣٣٧</sup>.

«خلق الخلق على غير تمثيل، و لا مشورة مشير، و لا معونة معين» كيف لا و لم يكن شىء حتى يخلق على تمثيله، و لم يكن أحد حتى يكون مشيرا له أو معيناً؟! «فتم خلقه بأمره» «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»<sup>١٣٣٨</sup>.

«و أذن» أى: اعترف بلسان الحال.

«لطاغته فأجاب و لم يدفع، و انقاد و لم ينازع» بحصوله على وفق مراده، قال تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ»

ص: ٣٤٢

«الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>١٣٣٩</sup>.

٢٨

من الخطبة (١٨٩) و من خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ - وَ الْعَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالَى جَدُّهُ - أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التَّوَامِ وَ آلَائِهِ الْعِظَامِ - الَّذِي عَظَّمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى - وَ عَلَّمَ مَا يَمْضَى وَ مَا مَضَى - مُبْتَدِعَ الْخَلَائِقِ بَعْلَمِهِ وَ مُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ - بِلَا اقْتِدَاءٍ وَ لَا تَعْلِيمٍ - وَ لَا اخْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ - وَ لَا إِصَابَةٍ خَطِيئٍ وَ لَا حَضْرَةَ مَلَأَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي» أى: المنتشر.

«حمده» قال تعالى: «تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»<sup>١٣٤٠</sup>، «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ»<sup>١٣٤١</sup>، «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»<sup>١٣٤٢</sup>.

<sup>١٣٣٧</sup> (١) توحيد المفضل: ١٧٩.

<sup>١٣٣٨</sup> (٢) يس: ٨٢.

<sup>١٣٣٩</sup> (١) فصلت: ١١-١٢.

<sup>١٣٤٠</sup> (٢) الاسراء: ٤٤.

<sup>١٣٤١</sup> (٣) الروم: ١٨.

«و الغالب جنده» «وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ»<sup>١٣٤٣</sup>، «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»<sup>١٣٤٤</sup>.

«و المتعالى جدّه» أى: عظمته، و الأصل فيه قوله تعالى حكاية عن الجن:

ص: ٣٤٣

«وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا»<sup>١٣٤٥</sup>.

«أحمده على نعمه التّوأم» جمع توأم أى المتواترة، قال الشاعر:

كالدّر إذ أسلمه النّظام

قلت لنا و دمعها توأم

على الذين ارتحلوا السّلام

<sup>١٣٤٦</sup> و الظاهر كونه استعارة، و الأصل فيه: الولدان التّوأمان.

«و آلائه» أى: نعمائه، قال الجوهري: الآلاء النعم واحدها (ألى) بالفتح، و قد يكسر و يكتب بالياء، مثاله: معى و أمعاء<sup>١٣٤٧</sup>. و قال الفيروزآبادى: واحدها إلى و ألو و ألى و ألى و إلى<sup>١٣٤٨</sup>.

قلت: و لم أقف على استعمال مفرد للآلاء أصلا، و لنا جموع لا يستعمل مفرد لها.

«العظام» و كلّ نعمة منه تعالى عظيمة، و إنّما فيها عظيم و أعظم.

«الَّذِي عَظَمَ حِلْمَهُ فَعَفَا» «وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ»<sup>١٣٤٩</sup>، «وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»<sup>١٣٥٠</sup>.

<sup>١٣٤٢</sup> (٤) الجمعة: ١.

<sup>١٣٤٣</sup> (٥) الصافات: ١٧٣.

<sup>١٣٤٤</sup> (٦) المجادلة: ٢١.

<sup>١٣٤٥</sup> (١) الجن: ٣.

<sup>١٣٤٦</sup> (٢) لسان العرب ١٢: ٦١ مادة (تأم).

<sup>١٣٤٧</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٧٠ مادة (ألى).

<sup>١٣٤٨</sup> (٤) القاموس المحيط ٤: ٣٠٠ مادة (ال).

«و عدل في كل ما قضى» «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ»<sup>١٣٥١</sup>، «و قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ»

ص: ٣٤٤

كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ...<sup>١٣٥٢</sup>.

و قال جابر الجعفي للباقر عليه السلام: نرى من الأطفال من يولد ميتاً، و منهم من يسقط غير تام، و منهم من يولد أعمى أو أخرس أو أصم، و منهم من يموت من ساعته إذا سقط على الأرض، و منهم من يبقى إلى الاحتلام، و منهم من يعمر حتى يصير شيخاً، فكيف ذلك و ما وجهه؟

فقال عليه السلام: إن الله أولى بما يدبره من أمر خلقه منه و هو الخالق و المالك لهم، فمن منعه التعمير فإنما منعه ما ليس له، و من عمره فإنما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضل بما أعطى و عادل في ما منع<sup>١٣٥٣</sup>.

«و علم ما يمضي و ما مضى» قال تعالى: «وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ»<sup>١٣٥٤</sup>.

«مبتدع الخلاق بعلمه» قال الصدوق: من الدليل على أن الله تبارك و تعالى عالم: أن الأفعال المختلفة التقدير المتضادة التدبير المتفاوتة الصنعة لا تقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها، و لا يستمر على منهاج منتظم ممن يجهلها، ألا ترى أنه لا يصوغ قرطاً يحكم صنعته، و يضع كلاً من دقيقه و جليله موضعه من لا يعرف الصياغة، و لا أن ينتظم كتابة يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة، و العالم أطف صنعة و أبدع تقريراً ممّا وصفناه، فوقعه من غير عالم بكيفيته قبل وجوده أبعد و أشدّ استحالة<sup>١٣٥٥</sup>.

ص: ٣٤٥

«و منشئهم بحكمه» «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ»<sup>١٣٥٦</sup>، «هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»<sup>١٣٥٧</sup>، «و هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»<sup>١٣٥٨</sup>.

<sup>١٣٤٩</sup> (٥) فاطر: ٤٥.

<sup>١٣٥٠</sup> (٦) الشورى: ٣٠.

<sup>١٣٥١</sup> (٧) النحل: ٩٠.

<sup>١٣٥٢</sup> (١) الشورى: ١٥.

<sup>١٣٥٣</sup> (٢) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٩٧ ح ١٣ في صدر الحديث.

<sup>١٣٥٤</sup> (٣) الحجر: ٢٤.

<sup>١٣٥٥</sup> (٤) التوحيد للصدوق: ١٣٧.

<sup>١٣٥٦</sup> (١) الواقعة: ٦٦.

«بلا اقتداء» لغيره.

«و لا تعليم» من سواه.

«و لا احتذاء» يقال: حذوت النعل بالنعل، إذا قدّرت كلّ واحدة على صاحبها.

«لمنال صانع حكيم» لعدم وجود لغيره.

«و لا إصابة» أحد.

«خطأ» له في خلقه: «ما ترى في خلقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ»<sup>١٣٥٩</sup>.

و اجتهد الطبيعّيون في إصابة خطأ في الخليقة، فعابوا بجهلهم الشعر النَّابت على الرُّكبة و على الابطين، و كون بطن الإنسان مصمتا لا يمكن فتحه لعلاج، و وجود الموت و الفناء، و وجود الآفات الحادثة في بعض الأحيان، مثل الوباء و البرقان و الجراد، و قلّة المطر و كثرتة و الزلازل و غيرها، مع أنّ ذلك عين الصواب و محض الحكمة، كما شرحه الصادق عليه السّلام للمفضّل في (توحيده).

«و لا حضرة مألّ» وقت خلقه ما خلق: «و جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ»

ص: ٣٤٦

الرَّحْمَنِ إِنَانًا أ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ ...<sup>١٣٦٠</sup>، «ما أشهدتُهم خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا خَلَقَ أَنفُسِهِمْ وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا»<sup>١٣٦١</sup>.

٢٩

من الخطبة (١٨٠) و من خطبة له عليه السّلام: روى عن نوف البكاليّ، قال: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السّلام و هو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ...<sup>١٣٦٢</sup>، فقال عليه السّلام:

<sup>١٣٥٧</sup> (٢) هود: ٦١.

<sup>١٣٥٨</sup> (٣) الأنعام: ٩٨.

<sup>١٣٥٩</sup> (٤) الملك: ٣-٤.

<sup>١٣٦٠</sup> (١) الزخرف: ١٩.

<sup>١٣٦١</sup> (٢) الكهف: ٥١.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ - وَ عَوَاقِبُ الْأَمْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ - وَ نَبِيرُ بُرْهَانِهِ وَ نَوَامِي فَضْلِهِ وَ اِمْتِنَانِهِ - حَمْدًا يُكَوْنُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَ لِشُكْرِهِ أَدَاءً - وَ إِلَى تَوَابِهِ مُقْرَبًا وَ لِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا - وَ نَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَ اتَّقِي بِدَفْعِهِ - مُتَّخِرٌ لَهُ بِالطَّوْلِ مُدْعِنٌ لَهُ بِالْعَمَلِ وَ الْقَوْلِ - وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاهُ مُوقِنًا - وَ أَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا وَ خَنَعَ لَهُ مُدْعِنًا - وَ أَخْلَصَ لَهُ مَوْحِدًا وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّدًا وَ لَازِمًا بِهِ رَاجِيًا مُجْتَهِدًا «لَمْ يُولَدْ» سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا - وَ «لَمْ يَلِدْ» فَيَكُونُ مَوْرَثًا هَالِكًا - وَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَفْتٌ وَ لَا زَمَانٌ - وَ لَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَ لَا نَقْصَانٌ - بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَّقِنِ - وَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ - وَ مِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّاتٍ بِلَا عَمَدٍ - قَائِمَاتٍ بِلَا سِنْدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ - غَيْرِ مُتَلَكِّاتٍ وَ لَا مُبْطِئَاتٍ - وَ لَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ - وَ إِذْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِيَةِ - لَمَا

ص: ٣٤٧

جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ - وَ لَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ - فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ - لَمْ يَمْنَعِ ضَوْءُ نُورِهَا اذْهَابَ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ - وَ لَا اسْتِطَاعَتِ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ - أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ - فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ - وَ لَا لَيْلِ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ - وَ لَا فِي بَقَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ - وَ مَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ - وَ مَا تَلَاسَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْعَمَامِ - وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تَزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ - وَ اِنْهَطَالُ السَّمَاءِ - وَ يَعْلَمُ مَسْقَطُ الْقَطْرَةِ وَ مَقَرُّهَا وَ مَسْحَبُ الدَّرَّةِ وَ مَجْرَهَا - وَ مَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَ مَا تَحْمِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ - أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ - لَا يُدْرِكُ بُوْهْمٌ وَ لَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ - وَ لَا يَسْعَلُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ - وَ لَا يَنْظُرُ بَعَيْنٌ وَ لَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ وَ لَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ - وَ لَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ وَ لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَ لَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ - الَّذِي كَلَّمَ؟ مُوسَى؟ تَكْلِيمًا وَ أَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا - بِلَا جَوَارِحٍ وَ لَا أَدْوَاتٍ وَ لَا نُطُقٍ وَ لَا لِهَوَاتٍ - بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْصَفَ رَبِّكَ - فَصِفْ؟ جِبْرَائِيلُ؟ وَ؟ مِيكَائِيلُ؟ وَ جُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَجِينَ - مُتَوَلِّهَةً عُفُولَهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ - فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَ الْأَدْوَاتِ - وَ مَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ - فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلِّ ظَلَامٍ - وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ قَوْلِ الْمَصْنُفِ: «رَوَى عَنِ نَوْفِ الْبِكَالِيِّ» قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: قَالَ

ص: ٣٤٨

صاحب (الصحيح): نواف البكالوي بفتح الباء كان حاجب علي عليه السلام ١٢٤٣.

قلت: لم يقل صاحب (الصحيح): إن بكال بفتح الباء فهذا نصه:

نواف البكالوي: قال الثعلب: هو منسوب إلى بكالة قبيلة ... و بنو بكال من حمير منهم نواف البكالوي صاحب علي عليه السلام ١٢٤٤.  
و لو كان (الصحيح) قال: إنه بالفتح لغلطه (القاموس) حيث إنه قال: إنه كتاب ١٢٤٥. و إنما قال ابن بري محشى (الصحيح) - كما

١٢٤٢ (٣) بقية قول نواف: «و عليه مدرعة من صوف و حمائل سيفه ليف و في رجليه نعلان من ليف و كأن جبينه ثفنة بعير» نهج البلاغة ٢: ١٠٣.

١٢٤٣ (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٩.

نقل عنه فى (اللسان) - قال المهلبى: بكالة بكسر الباء قبيلة من اليمن و المحدثون يقولون: نوف البكالى بفتح الباء و التشديد<sup>١٣٦٦</sup>. و كيف كان فقال الجوهرى و الفيروزآبادى: إن (بكيلا) من همدان، و (بكاللا) من حمير.

لكن الصواب: كون بكال أيضا من همدان، فروى الطبرى فى ذكر خبر الخوارج خبرا فى سنده جبر بن نوف أبو الوداك الهمدانى<sup>١٣٦٧</sup>، و قد صرح (المغرب) أن جبرا بن نوف البكالى<sup>١٣٦٨</sup>، و الراوى عن جبر هذا كان أعرف به فوصفه بالهمدانى. و اختار ما قلنا ابن دريد فى جمهرته مع تردّد. فقال: بنو بكيل، و بنو بكال بطنان من العرب أحسبهما من همدان أو يكون بكال من حمير و بكيل من همدان، منهم نوف البكالى صاحب علىّ عليه السّلام<sup>١٣٦٩</sup>، بل قال به الفيروز آبادى أيضا فى مادة (خير) بالخاء و الياء المثناة. فقال ثمة: خير بن نوف من همدان<sup>١٣٧٠</sup>. لكن الظاهر و همه فى جعل الابن خيرا بل هو جبر بالجيم

ص: ٣٤٩

و الموحدة، كما عرفته من (المغرب).

هذا، و المفهوم من خليفة كونه من كهلان، فعنون (الاستيعاب) عمرو البكالى، و نقل عن خليفة فى الصحابة و هو من بنى بكال بن دعى بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن كهلان<sup>١٣٧١</sup>.

«قال خطبنا هذه» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (بهذه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٣٧٢</sup>.

«الخطبة» الظاهر أن هذه الخطبة كانت آخر خطباته عليه السّلام، فقال نوف فى آخرها: فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون.

«بالكوفة أمير المؤمنين عليه السّلام» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفة) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطيب) لكن ليس فى نسخة (ابن ميثم) لفظ (بالكوفة) رأسا<sup>١٣٧٣</sup>.

<sup>١٣٦٦</sup> (٢) كذا فى صحاح اللغة للجوهرى ٤: ١٦٣٨ مادة (بكل)، و فيه مثل ما نقله ابن أبى الحديد أيضا.

<sup>١٣٦٥</sup> (٣) القاموس المحيط ٣: ٣٣٩ مادة (بكل).

<sup>١٣٦٦</sup> (٤) لسان العرب ١١: ٦٣ مادة (بكل).

<sup>١٣٦٧</sup> (٥) تاريخ الطبرى ٤: ٥٧ سنة (٣٧).

<sup>١٣٦٨</sup> (٦) المغرب: ٢٤٣ مادة (ودك).

<sup>١٣٦٩</sup> (٧) جمهرة اللغة ١: ٣٢٥.

<sup>١٣٧٠</sup> (٨) لفظ القاموس المحيط ٢: ٢٥ مادة (خير): «و والد نوف بن همدان»، و فى بعض النسخ: «و ولد نوف بن همدان».

و الاقيانوس شرح القاموس ١: ٨٤٩ خال من هذا، و فى تاج العروس ١١: ٢٤٥ أيضا «ولد نوف بن همدان»، نقله عن ابن الجوانى النسابة.

<sup>١٣٧١</sup> (١) الاستيعاب لا بن عبد البر ٢: ٥٣٣، و قال ابن منظور فى لسان العرب ١١: ٦٣ مادة (بكل): «بنو بكيل هى من همدان» ثم قال: و بنو بكال (بكسر الباء) من

حمير منهم نوف البكالى صاحب علىّ عليه السّلام» و أقول: همدان المذكور كرارا من ولد كهلان و هو من ولد قحطان.

<sup>١٣٧٢</sup> (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥٠٨، لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٨٠ بدون (الباء) أيضا.

<sup>١٣٧٣</sup> (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥٠٨، لكن يوجد فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٨٠ «بالكوفة» أيضا.

«و هو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي» و هو ابن أخته عليه السّلام أمّ هاني، و روى الكشي عن الصادق عليه السّلام: «كان مع أمير المؤمنين عليه السّلام من قريش خمسة نفر، و كانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية، فأما الخمسة محمد بن أبي بكر أخته النّحابة من قبل أمّه اسماء بنت عميس، و كان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، و كان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، و كان أمير المؤمنين عليه السّلام خاله، و هو الذي قال له عتبة بن أبي

ص: ٣٥٠

سفيان: إنّما لك هذه الشّدة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك<sup>١٣٧٤</sup>.

و روى (صفي بن مزاحم): أنّه عليه السّلام لما ورد الكوفة من البصرة نزل على جعدة<sup>١٣٧٥</sup>.

و روى الطبري أنّه عليه السّلام لما ضرب تقدّم جعدة فصلّى بالناس الغداة<sup>١٣٧٦</sup>.

«الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق» «و صوّركم فأحسن صوركهم و إليه المصير»<sup>١٣٧٧</sup>.

«و عواقب الأمر» «ألا إلى الله تصير الأمور»<sup>١٣٧٨</sup> «و لله عاقبة الأمور»<sup>١٣٧٩</sup>، «فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء و إليه ترجعون»<sup>١٣٨٠</sup>، «له ملك السماوات و الأرض و إلى الله ترجع الأمور»<sup>١٣٨١</sup>.

«نحمده على عظيم إحسانه» قال عزّ و جل: «خلق الإنسان علّمه البيان»<sup>١٣٨٢</sup>، «خلق الإنسان من علق» ... «علّم الإنسان ما لم يعلم»<sup>١٣٨٣</sup> «ألم نجعل له عينين و لساناً و شفّتين و هديناه النّجدين»<sup>١٣٨٤</sup>.

«و نبر برهانه» «و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر»

ص: ٣٥١

<sup>١٣٧٤</sup> (١) اختيار رجال الكشي ٦٣: ١١١.

<sup>١٣٧٥</sup> (٢) وقعة صفي: ٥.

<sup>١٣٧٦</sup> (٣) تاريخ الطبري ٤: ١١ سنة (٤٠)، و لم يتعرض الشارح لشرح قول نوف: «و عليه مدرعة من صوف...».

<sup>١٣٧٧</sup> (٤) التغابن: ٣.

<sup>١٣٧٨</sup> (٥) الشورى: ٥٣.

<sup>١٣٧٩</sup> (٦) الحج: ٤١.

<sup>١٣٨٠</sup> (٧) يس: ٨٣.

<sup>١٣٨١</sup> (٨) الحديد: ٥.

<sup>١٣٨٢</sup> (٩) الرحمن: ٣-٤.

<sup>١٣٨٣</sup> (١٠) العلق: ٢-٥.

<sup>١٣٨٤</sup> (١١) البلد: ٨-١٠.

«تَنْشِرُونَ»<sup>١٣٨٥</sup>، «أَفِي اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>١٣٨٦</sup>، «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافُ السِّنِّيَّاتِ وَالْأَنْوَاعِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ»<sup>١٣٨٧</sup>.

«و نوامی» من إضافة الصفة.

«فضله و امتنانه» على كل شخص و كل نوع، قال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً تَبْجَاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ»<sup>١٣٨٨</sup>.

«حمدا يكون لحقه قضاء و لشكره أداء» أى: بالإجمال كقولنا: الحمد لله كما هو أهله<sup>١٣٨٩</sup>، و كما ينبغي لكرم وجهه و عزّ جلاله. و كقولنا: لا أحصى ثناء عليك،

ص: ٣٥٢

أنت كما أثبتت على نفسك<sup>١٣٩٠</sup>. و أمّا حمده التفصيلي فخارج عن طوق البشر لعدم إحصاء نعمه و مننه.

«و إلى ثوابه مقرباً» «كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ»<sup>١٣٩١</sup>، «وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ»<sup>١٣٩٢</sup>.

«و لحسن مزیده موجبا» «لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»<sup>١٣٩٣</sup>.

<sup>١٣٨٥</sup> (١) الروم: ٢٠.

<sup>١٣٨٦</sup> (٢) ابراهيم: ١٠.

<sup>١٣٨٧</sup> (٣) الروم: ٢١-٢٥.

<sup>١٣٨٨</sup> (٤) النبأ: ٦-١٦.

<sup>١٣٨٩</sup> (٥) هذا التحميد رواه ابن فهد في عدّة الداعي عنه بحار الأنوار ٩٣: ٢١٦ ح ٢١ عن النبي صلى الله عليه و آله، و الصدوق في ثواب الأعمال: ٢٨ ح ١ عن الصادق عليه السلام.

<sup>١٣٩٠</sup> (١) هذا التناء أخرجه ضمن حديث صاحب مصباح الشريعة: ٥٦، و الدار قطنى فى الافراد عنه منتخب كنز العمال ١: ٣٤٨، و غيرهما عن النبي صلى الله عليه و آله، و مرّ تخريجه فى العنوان (١) من هذا الفصل.

<sup>١٣٩١</sup> (٢) القمر: ٣٥.

<sup>١٣٩٢</sup> (٣) آل عمران: ١٤٥.

<sup>١٣٩٣</sup> (٤) ابراهيم: ٧.

«و نستعين به استعانة راج لفضله، مؤمل لنتفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول» بفتح الطاء، أى: المن، يقال: «تطول عليه» أى: من.

«مذعن» أى: مقر.

«له بالعمل والقول» جعل عليه السلام فى قوله «و نستعين به ...» استعانت به تعالى استعانة متصف بالصفات الخمس، ليعلم أنه لا ينبغى الاستعانة إلا به تعالى، كما قال عز و جل مؤدبا لهم «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»<sup>١٣٩٤</sup>.

«و نؤمن به إيمان من رجاه موقنا» بأنه هو محل الرجاء لا غيره.

«و أناب» أى: أقبل و تاب.

«إليه» تعالى.

«مؤمنا» أى: معتقدا بأنه تعالى أهل ذلك.

«و خنع» أى: خضع.

«له مذعنا» أى: مقرا.

ص: ٣٥٣

«و أخلص له موحدا» «و اذعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون»<sup>١٣٩٥</sup>.

«و عظمه ممجدا» «و من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب»<sup>١٣٩٦</sup>، «و من يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه»<sup>١٣٩٧</sup>.

«و لاذ» أى: لجأ.

«به راغبا مجتهدا» أى: ساعيا، جعل عليه السلام إيمانه فى قوله «و نؤمن به ...» إيمان متصف بالصفات الست، ليفهم أنه الإيمان المطلوب، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذى نزل على رسوله و الكتاب الذى أنزل من قبل»<sup>١٣٩٨</sup>.

<sup>١٣٩٤</sup> (٥) فاتحة الكتاب: ٥.

<sup>١٣٩٥</sup> (١) الأعراف: ٢٩.

<sup>١٣٩٦</sup> (٢) الحج: ٣٢.

<sup>١٣٩٧</sup> (٣) الحج: ٣٠.

«لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركا» لأنّ والد العزيز عزيز و لو بسببه، قال الشاعر:

كما علا برسول الله عدنان

<sup>١٣٩٩</sup> «و لم يلد فيكون مورثا» هكذا في (المصريّة)، و الصواب: (موروثا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) <sup>١٤٠٠</sup>.

«هالكا» فليس الموروث إلّا هالكا.

«و لم يتقدّمه وقت و لا زمان» الظاهر كون الوقت خاصّا و الزّمان عامّا، فإنّ الوقت يأتي للزّمان المعين كثيرا، قال تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ»

ص: ٣٥٤

«الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا» <sup>١٤٠١</sup> و لا يصحّ كتابا مزمنّا.

و من ذلك يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد من كونهما مترادفين <sup>١٤٠٢</sup>، و قول (ابن ميثم) بكون الأوّل جزء الثاني <sup>١٤٠٣</sup>.

«و لم يتعاوره» أي: لم يعترضه.

«زيادة و لا نقصان» فإنّهما من عوارض الجسمانيّات.

«بل ظهر للعقول بما أَرَانَا من علامات التدبير المتقن و القضاء المبرم» «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُّوا وَ ارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ» <sup>١٤٠٤</sup>، «أَلَمْ تَرَ أَنَّ

<sup>١٣٩٨</sup> (٤) النساء: ١٣٦.

<sup>١٣٩٩</sup> (٥) أوردته ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٦٧، و الشاعر علي بن العباس بن جريح، مرّ ذكره مفضلا في شرح خطبة الرضى.

<sup>١٤٠٠</sup> (٦) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٠، و شرح ابن ميثم ٣: ٣٨١ «مورثا أيضا».

<sup>١٤٠١</sup> (١) النساء: ١٠٣.

<sup>١٤٠٢</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٠.

<sup>١٤٠٣</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٨٥.

<sup>١٤٠٤</sup> (٤) طه: ٥٣-٥٤.

اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً لَوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفراً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ»<sup>١٤٠٥</sup>.

«و من» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (فمن) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) <sup>١٤٠٦</sup>.

«شواهد خلقه» أي: من شواهد ظهوره لعقول خلقه.

«خلق السماوات موطدات» أي: مثبتات.

«بلا عمد» قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»<sup>١٤٠٧</sup>.

ص: ٣٥٥

«دعاهن فأجبن طائعات مدعنات» أي: معترفات.

«غير متلكئات» أي: معتلات.

«و لا مبثطات» أي: و لا غير مسرعات، قال تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْتِ بِطَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»<sup>١٤٠٨</sup>، و المراد من إجابتهما: إجابتهما بلسان الحال لا المقال. و نظيره في كلام العرب كثير، قال الشماخ:

كأنني كسرت الرجل أخفت سوقها      أطاع له مرزا متين حديق

فجعل الحديث مطيعا للغير لما تمكن من رعيه.

«و لو لا إقرارهن له بالربوبية و إذعانهن له» هكذا في (المصرية و ابن ميثم)<sup>١٤٠٩</sup> و ليست كلمة (له) في (ابن أبي الحديد و الخطيب)<sup>١٤١٠</sup>.

<sup>١٤٠٥</sup> (٥) الزمر: ٢١.

<sup>١٤٠٦</sup> (٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٠، و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٨١ «و من» أيضا.

<sup>١٤٠٧</sup> (٧) الرعد: ٢، و لم يتعرض الشارح لشرح فقرة: «قائما بلا سند».

<sup>١٤٠٨</sup> (١) فصلت: ١١.

<sup>١٤٠٩</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٣: ٣٨١.

<sup>١٤١٠</sup> (٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٠ كذلك أيضا.

«بالتواعية» أي: الطاعة.

«لما جعلهنّ موضعا لعرشه» و لا ينافى ذلك قوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>١٤١١</sup>، فقبله «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»<sup>١٤١٢</sup>، فالمراد: أنّ العرش كان على الماء قبل خلق السماوات، و يأتي تصريح الخبر بذلك<sup>١٤١٣</sup>.

«و لا مسكنا لملائكته» روى عن الرضا عليه السلام: أنّ الله تعالى خلق العرش و الماء و الملائكة قبل خلق السماوات و الأرض، و كانت الملائكة تستدلّ بأنفسها و بالعرش و الماء على الله تعالى، ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة، فيعلم أنّه على كلّ شيء قدير، ثمّ رفع العرش بقدرته،

ص: ٣٥٤

و نقله فجعله فوق السماوات السبع<sup>١٤١٤</sup>.

و قال شيخنا المفيد: فأما العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك، و هو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة، و تعبّد الملائكة بحمله و تعظيمه، كما خلق سبحانه بيئا في الأرض، و أمر البشر بقصده و زيارته، و الحجّ إليه و تعظيمه، و قد جاء الحديث: أنّ الله تعالى خلق بيئا تحت العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام، و خلق في السماء الرابعة بيئا سمّاه الضّراح، و تعبّد الملائكة بحجّه و التعظيم له و الطواف حوله، و خلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت الضّراح<sup>١٤١٥</sup>.

و روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لو ألقى حجر من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور، و لو ألقى حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام<sup>١٤١٦</sup>.

و لم يخلق الله عرشا لنفسه ليستوطنه - تعالى الله عن ذلك - لكنّه خلق عرشا أضافه إلى نفسه تكريما له و إعظاما، و تعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيئا في الأرض، و لم يخلقه لنفسه و لا ليسكنه<sup>١٤١٧</sup>.

<sup>١٤١١</sup> (٤) هود: ٧.

<sup>١٤١٢</sup> (٥) هود: ٧.

<sup>١٤١٣</sup> (٦) مقصوده الخبر المروي عن الرضا عليه السلام الذي يأتي في شرح الفقرة الآتية.

<sup>١٤١٤</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٢٠ ح ٢، و العيون ١: ١١٠ ح ٣٣.

<sup>١٤١٥</sup> (٢) لم أجد الخبر بهذا اللفظ، و لكن ثمة أخبار عديدة بهذا المعنى، فعن الدر المنثور ٦: ١١٧-١١٨، و بحار الأنوار ٥٨: ٥٥، الباب (٧)، و الأقوى أنّ المفيد أخذ لفظه من مشايخ الحديث لكنّه جرّد الخبر عن السند.

<sup>١٤١٦</sup> (٣) لم أجد الخبر بهذا اللفظ، و لكن ثمة أخبار عديدة بهذا المعنى، فعن الدر المنثور ٦: ١١٧-١١٨، و بحار الأنوار ٥٨: ٥٥، الباب (٧)، و الأقوى أنّ المفيد أخذ لفظه من مشايخ الحديث لكنّه جرّد الخبر عن السند.

<sup>١٤١٧</sup> (٤) تصحيح الاعتقاد للمفيد: ٢٩.

«و لا مصعدا للكلم الطيب و العمل الصالح من خلقه» و الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»<sup>١٤١٨</sup> و الصعود و الرفع إلى السماوات: صعود و رفع إلى الله تعالى فلا تنافى.

ص: ٣٥٧

«جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيران فى مختلف فجاج» بالضم، قال الفيروز آبادى: هو الطريق الواسع بين الجبلين<sup>١٤١٩</sup>.

«الأفطار» قال تعالى: «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ»<sup>١٤٢٠</sup>.

و قال الصادق عليه السلام: فكّر فى هذه النجوم التى تظهر فى بعض السنّة و تحتجب فى بعضها، كمثل الثريا و الجوزاء و الشعريين و سهيل، فإنّها لو كانت بأسرها تظهر فى وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حiale دلالات يعرفها الناس، و يهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثريا و الجوزاء إذا طلعت، و احتجابها إذا احتجبت، فصار ظهور كلّ واحد و احتجابها فى وقت غير وقت الآخر، لينتفع الناس بما يدلّ كلّ منها عليه على حدته، و ما جعلت الثريا و أشباهها تظهر حيناً و تحتجب حيناً إلّا لضرب من المصلحة، و كذلك جعلت بنات النّعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنّها بمنزلة الأعلام التى يهتدى بها الناس فى البرّ و البحر للطريق المجهولة، و كذلك إنّها لا تغيب و لا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا، و صار الأمر أنّ جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب و المصلحة، و فيهما مآرب أخرى علامات و دلالات على أوقات كثيرة من الأعمال، كالزراعة و الغراس و السّفر فى البرّ و البحر، و أشياء ممّا يحدث فى الأزمنة من الأمطار و الرياح، و الحرّ و البرد، و بها يهتدى السائرون فى ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة و اللّجج الهائلة، مع ما فى تردّها فى

ص: ٣٥٨

كبد السماء<sup>١٤٢١</sup>.

«لم يمنع ضوء» مفعول مقدّم.

«نورها» أى: نور النّجوم.

«ادلهمام» أى: ظلمة.

«سجف» أى: ستور.

<sup>١٤١٨</sup> (٥) فاطر: ١٠.

<sup>١٤١٩</sup> (١) القاموس المحيط ١: ٢٠٢ مادة (فجج).

<sup>١٤٢٠</sup> (٢) الأتعام: ٩٧.

<sup>١٤٢١</sup> (١) توحيد المفضل: ١٣٤.

«الليل المظلم» قال الصادق عليه السلام في إدامة قوله: و جعل فيها (أى فى النجوم) جزءا يسيرا من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر، و يمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المرء، فيحتاج إلى التجافى فى جوف الليل، فإن لم يكن شىء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه، فتأمل اللطف و الحكمة فى هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة و مدّة لحاجة إليها، و جعل خلالها شىء من الضوء للمآرب التى وصفنا<sup>١٤٢٢</sup>.

«و لا استطاعت جلابيب» أى: ملاحظ، قالت امرأة من هذيل ترثى قتيلا:

مشى العذارى عليهنّ الجلابيب

تمشى النسور إليه و هى لاهية

١٤٢٣ «سواد الحنادس» أى: الظلم الشديدة.

«أن تردّ ما شاع فى السماوات من تالأؤ نور القمر» فيوجد مع الظلام نور، قال الصادق عليه السلام للمفضّل: فكّر فى إنارة القمر فى ظلمة الليل و الإرب فى ذلك، فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان، و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح فى أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شىء من العمل لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم فى بعض

ص: ٣٥٩

الأعمال فى النهار، و لشدة الحرّ و إفراطه، فيعمل فى ضوء القمر أعمالا شتى، كحرث الأرض و ضرب اللبن و قطع الخشب و ما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معائشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، و أنسا للسائرين، و جعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض، و نقص مع ذلك عن نور الشمس و ضيائها، لكيلا ينبسط الناس فى العمل انبساطهم بالنهار، و يمتنعوا من الهدوء و القرار فيهلكهم ذلك، و فى تصرف القمر خاصّة فى مهله و محاقه، و زيادته و نقصانه، و كسوفه من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه، المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون<sup>١٤٢٤</sup>.

«فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق» فى (الصحيح): الغسق أوّل ظلمة الليل، و الغاسق الليل إذا غاب الشفق، و قوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ»<sup>١٤٢٥</sup> قال الحسن: الليل إذا دخل، و يقال: إنّه القمر<sup>١٤٢٦</sup>.

<sup>١٤٢٢</sup> (٢) توحيد المفضل: ١٣٦.

<sup>١٤٢٣</sup> (٣) لسان العرب ١: ٢٧٢ مادة (جلب).

<sup>١٤٢٤</sup> (١) توحيد المفضل: ١٣١.

<sup>١٤٢٥</sup> (٢) الفلق: ٣.

<sup>١٤٢٦</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٥٣٧ مادة (غسق).

«داج» قال الأصمعي: دجا الليل إنما هو ألبس كل شيء، وليس هو من الظلمة، ومنه قولهم: دجى الاسلام، أى: قوى<sup>١٤٢٧</sup>.

قلت: ويمكن أن يكون منه قولهم: وإنه لفى عيش داج. قالوا: أى عيش خفض.

«و لا ليل ساج» أى: سكن و دام من قوله تعالى: «و اللَّيْلُ إِذَا سَجَى»<sup>١٤٢٨</sup> و منه البحر الساجى. قال الأعشى:

ص: ٣٦٠

### فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم و بحرك ساج لا يوارى الدعامصا

<sup>١٤٢٩</sup> «فى بقاع الأرضين المتطأطات» أى: المنهبطات.

«و لا فى يفاع» أى: ارتفاع، من أيفع الغلام فهو يافع، على خلاف الأصل.

«السَّعْف» بالضمّ سواد شرب حمرة، و منه قيل للأتافى السفع.

«المتجاورات» و المراد بالسَّعْف المتجاورات هنا الجبال أو الأكم و الأطلال.

«و ما يتجلجل» قال الجوهري: الجلجلة: صوت الرعد أيضا، و المجلجل السحاب الذى فيه صوت الرعد<sup>١٤٣٠</sup>.

«به الرعد فى أفق السماء» قيده بالأفق غالبى.

«و ما تلاشت» قال ابن أبى الحديد: أهمل بناء تلاشت كثير من أئمة اللغة و هى صحيحة و قد جاءت و وردت، قال ابن الاعرابى: لشا الرّجل إذا اتضع و خسّ بعد رفعة<sup>١٤٣١</sup>، و إذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل. و قال القطب الراوندى: تلاشى مركّب من لا شيء، و لم يقف على أصل الكلمة<sup>١٤٣٢</sup>.

<sup>١٤٢٧</sup> (٤) قد مرّ الكلام حول تخريجه فى العنوان (٧) من هذا الفصل.

<sup>١٤٢٨</sup> (٥) الضحى: ٢.

<sup>١٤٢٩</sup> (١) أوردته لسان العرب ١٤: ٣٧١ مادة (سجى).

<sup>١٤٣٠</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٦٥٩ مادة (جلجل).

<sup>١٤٣١</sup> (٣) نقله عن ابن الاعرابى ابن منظور فى لسان العرب ١٥: ٢٤٦ مادة (لشا).

<sup>١٤٣٢</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥١٢.

قلت: لم يتفطن ابن أبي الحديد أنّ (لشا الرجل) الذي ذكره ابن الاعرابي أيضا أصله من لا شيء، و المراد أنه كان شيئاً ثم صار لا شيئاً. و مثل تلاشي قولهم: أيش، و قولهم: بلاش، فإنّ الأصل في الأوّل أيّ شيء، و في الثاني بلا شيء، و كذلك قولهم: لوحش فإنّه مخفف لا أوحش، و ليس لنا في اللّغة أيش، و بلش، و لحش، كما ليس لشيء، و نظيرها في الفارسية قولهم:

ص: ٣٦١

(نفرين) في مقابل (آفرين)، فإنّه مخفّف (نه آفرين) و معنى (آفرين) حييت، و معنى (نفرين): لا حييت.

«عنه بروق الغمام» أي: السحاب.

«و ما تسقط» عطف على سواد. مثل (و ما يتجلجل) و (و ما تلاشت) أي: لا يخفى عليه ما تسقط.

«من ورقة» قال تعالى: «و ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٌ وَ لا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>١٤٣٣</sup>.

«تزيلها عن مسقطها» أي: مكان سقوطها.

«عواصف» صفة لرياح مقدره، أي: شدائد، و الإضافة فيه بمعنى اللام.

«الأنواء» جمع النوء بالفتح، و في (الصحاح) النوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، و طلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته في كلّ ساعته إلى ثلاثة عشر يوماً، و هكذا كلّ نجم منها إلى انقضاء السنّة ما خلا الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوماً. قال أبو عبيد: و لم نسمع في النوء أنّه السقوط إلّا في هذا الموضع، و كانت العرب تضيف الأمطار و الرياح و الحرّ و البرد إلى الساقط منها. و قال الأصمعي: إلى الطالع منها في سلطانه فتقول مطر بالنوء كذا<sup>١٤٣٤</sup>.

«و انهطال السماء» أي: تتابع المطر.

«و يعلم مسقط القطرة» أي: قطرة المطر.

«و مقرّها» في سيلانها.

«و مسح الذرّة» أي: ديبها، و الذرّة أصغر النمل.

ص: ٣٦٢

<sup>١٤٣٣</sup> (١) الأنعام: ٥٩.

<sup>١٤٣٤</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٧٩ مادة (نوء).

«و مجرّها» أى: مكان تجرّ قوتها إليه.

«و ما يكفى البعوضة» أى: البق.

«من قوتها» قال تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>١٤٣٥</sup>.

«و ما تحمل الأنتى فى بطنها» «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»<sup>١٤٣٦</sup>، «وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ»<sup>١٤٣٧</sup>، «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ»<sup>١٤٣٨</sup>.

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى» الذى قال فيه: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»<sup>١٤٣٩</sup>.

«أو عرش» الذى قال فيه: «وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»<sup>١٤٤٠</sup>.

و فى (اعتقادات الصدوق): اعتقادنا فى الكرسى أنه وعاء جميع الخلق و العرش و السماوات و الأرض، و كلّ شىء خلق الله فى الكرسى فى وجه آخر هو العلم.

و قد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» قال: هو علمه<sup>١٤٤١</sup>.

ص: ٣٦٣

و فيه: اعتقادنا فى العرش أنه جملة جميع الخلق، و العرش فى وجه آخر هو العلم.

و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ»<sup>١٤٤٢</sup> فقال: استوى من كلّ شىء، فليس شىء أقرب إليه من شىء<sup>١٤٤٣</sup>.

<sup>١٤٣٥</sup> (١) هود: ٦.

<sup>١٤٣٦</sup> (٢) فاطر: ١١.

<sup>١٤٣٧</sup> (٣) لقمان: ٣٤.

<sup>١٤٣٨</sup> (٤) الرعد: ٨.

<sup>١٤٣٩</sup> (٥) البقرة: ٢٥٥.

<sup>١٤٤٠</sup> (٦) التوبة: ١٢٩.

<sup>١٤٤١</sup> (٧) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٣٢٧ ح ١، و معانى الأخبار: ٣٠ ح ٢ و الهداية: ٤٦.

<sup>١٤٤٢</sup> (١) طه: ٥.

فَأَمَّا الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ حَمَلُ جَمِيعِ الْخَلْقِ فَحَمَلْتَهُ ثَمَانِيَةَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ أَعْيُنٍ، كُلٌّ عَيْنٌ طَبَاقِ الدُّنْيَا<sup>١٤٤٤</sup>،  
وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ بَنِي آدَمَ فَهُوَ يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ لَوْلَدِ آدَمَ، وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الثَّوْرِ يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ تَعَالَى لِلْبَهَائِمِ كُلِّهَا، وَ  
وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الْأَسَدِ يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ تَعَالَى لِلسَّبَاعِ، وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الدَّيْكَ يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ لِلطَّيُورِ، فَهَمَّ الْيَوْمَ أَرْبَعَةَ،  
فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَارُوا ثَمَانِيَةَ<sup>١٤٤٥</sup>.

وَأَمَّا الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ فَحَمَلْتَهُ أَرْبَعَةَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ أَرْبَعَةَ مِنَ الْآخِرِينَ، فَأَمَّا الْأَرْبَعَةَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، فَنُوحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ مُوسَى وَ  
عِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَ أَمَّا الْأَرْبَعَةَ مِنَ الْآخِرِينَ فَمُحَمَّدٌ وَ عَلِيٌّ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ<sup>١٤٤٦</sup>.

ص: ٣٦٤

قال الصدوق: هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة في العرش و حملته<sup>١٤٤٧</sup>.

«أَوْ سَمَاءٍ» «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ»<sup>١٤٤٨</sup>.

«أَوْ أَرْضٍ» «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ»<sup>١٤٤٩</sup>.

«أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسَانٌ» «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ»<sup>١٤٥٠</sup> و معلوم تقدّم الخالق على  
المخلوق، و الرَّبُّ عَلَى الْمَرْبُوبِ، وَ الْمَالِكُ عَلَى الْمَمْلُوكِ.

«لَا يَدْرِكُ بُوْهَمَ» لعجز الوهم عن إدراكه.

«وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمٍ» لأجلبيته تعالى عن ذلك. «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ»<sup>١٤٥١</sup>.

<sup>١٤٤٢</sup> (٢) أخرجه الصدوق بأربع طرق في التوحيد: ٣١٥ ح ١، ٢، ٤، ٧، و معاني الأخبار: ٢٩ ح ١، و الهداية: ٤٦ و الكليني بثلاث طرق في الكافي: ١-١٢٧-١٢٨ ح ٦، ٧، ٨، و علي بن ابراهيم في تفسيره ٢: ٥٩.

<sup>١٤٤٣</sup> (٣) هذا المعنى أخرجه الصدوق في الخصال ٢: ٤٠٧ ح ٤ عن الصادق عليه السلام.

<sup>١٤٤٥</sup> (٤) هذا المعنى أخرجه الصدوق في الخصال ٢: ٤٠٧ ح ٥ عن الصادق عليه السلام و علي بن ابراهيم في تفسيره ١: ٨٥ عن علي عليه السلام، و روى موقوفا بطرق عديدة عن وهب بن منبه و أبي مالك و مكحول و عروة، جمعها السيوطي في الدر المنثور ١: ٣٢٨ و ٣: ٢٩٨ و ٥: ٣٤٦-٣٤٧ و ٦: ٢٦١ من عدا الصدوق روى بدل الديك (النسر).

<sup>١٤٤٦</sup> (٥) هذا المعنى رواه البحراني في البرهان ٤: ٩١ ح ٦ و ٣٧٧ ح ٤، و شرف الدين في تأويل الآيات عنه البحار ٥٨: ٣٥ ح ٥٦ عن الباقر عليه السلام و الكاشاني في الشافي ١: ٥٧ عن الكاظم عليه السلام و علي بن ابراهيم في تفسيره ٢: ٣٨٤ بلا عزو، و أخرج قريبا منه الكليني في الكافي ١: ١٣٢ ح ٦ عن الصادق عليه السلام و علي بن ابراهيم في تفسيره ٢: ٢٥٥ بلا عزو.

<sup>١٤٤٧</sup> (١) الاعتقادات للصدوق: ١٠-١١.

<sup>١٤٤٨</sup> (٢) المؤمنون: ٨٦.

<sup>١٤٤٩</sup> (٣) الزخرف: ٨٤.

<sup>١٤٥٠</sup> (٤) الرحمن: ١٤-١٥.

«و لا يشغله سائل» عن سائل آخر كباقي المسئولين.

«و لا ينقصه نائل» أى: عطاء كباقي المعطين.

«و لا ينظر بعين» كذوى الأرواح.

«و لا يحدّ بأين» كالجسمانيات، فلا تطلق لفظه (أين) عليه تعالى، قال ابن أبي الحديد بعد قوله عليه السلام «و لا يحدّ بأين»: و لفظه (أين) فى الأصل مبنية على الفتح، فإذا نكرتها صارت اسما متمكنا، كما قال الشاعر:

ليت شعرى و أين منى ليت  
إن ليتا و إن لوّا عناء

١٤٥٢

ص: ٣٦٥

قلت: فى ما قال أولا: إن (أين) فى قوله عليه السلام: «و لا يحدّ بأين» أريد به لفظه، فهو اسم متمكن لا أنه نكر، و إنما يقال فى مثل (صه) إنه قد ينكر فيدخله تنوين التثنية لا هنا، و ثانيا: إن البيت الذى استشهد به، (أين) فيه على أصله مبنى على الفتح، و إنما (ليت) و (لو) أريد بهما فيه اللفظ فصارا اسمين و أعربا، لا (أين) كما هو مدّعا.

«و لا يوصف بالأزواج» و قال الله: «لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأياى فارهبون»<sup>١٤٥٣</sup>.

«و لا يخلق بعلاج» كالبشر «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»<sup>١٤٥٤</sup>.

«و لا يدرك بالحواس» «قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني»<sup>١٤٥٥</sup>.

«و لا يقاس بالناس» «ليس كمثله شيء و هو السميع البصير»<sup>١٤٥٦</sup>.

<sup>١٤٥١</sup> (٥) الصافات: ١٨٠.

<sup>١٤٥٢</sup> (٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٣.

<sup>١٤٥٣</sup> (١) النحل: ٥١.

<sup>١٤٥٤</sup> (٢) يس: ٨٢.

<sup>١٤٥٥</sup> (٣) الأعراف: ١٤٣.

<sup>١٤٥٦</sup> (٤) الشورى: ١١.

«الذى كلم موسى تكليماً، و أراه من آياته عظيماً» من جعل عصاه حيّة تسعى، و جعل يده بيضاء من غير سوء و غيرهما.

قال تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمُ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى...» «وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَ أَهْسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَ لِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَ»

ص: ٣٦٦

«وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَانَّهُ وَجْهُ اللَّهِ»<sup>١٤٥٧</sup>.

«فى حجرات القدس مرجحين» كمقشعرين، أى: خاضعين، و فى المثل:

«إذا ارجحن شاصيا فارفع يدا»<sup>١٤٥٨</sup>، يعنى: إذا خضع لك فاكفف عنه.

«متولّاه» أى: متحيّره.

«عقولهم إن يحدوا أحسن الخالقين» لعدم إمكان ذلك لهم.

«فإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات و الأدوات» و هو تعالى منزّه عن أن يكون له هيئة أو أداة.

«و من» بمعنى: الذى، عطف على (ذوو).

«ينقضى إذا بلغ أمد حدّه» أى: غايه أجله.

«بالفناء» متعلّق بقوله: «ينقضى»، و هو تعالى باق أبداً، فكيف يمكن إدراكه بالصفات؟! «فلا إله إلا هو» بلا شريك.

«أضاء بنوره» أى: بنهاره.

«كلّ ظلام» من البرّ و البحر و المنكشف و المسقف، و الأرض و السماء.

«و أظلم بظلمته» أى: بليله.

<sup>١٤٥٧</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ١٨٢ ح ١٦ ضمن حديث، و الآية (١١٥) من سورة البقرة.

<sup>١٤٥٨</sup> (٢) أورده الزمخشري فى المستقصى ١: ١٢٢، و قال: يضرب فى العفو عن العدو عند ذلّه و استكانته.

«كل نور» من كوكب و قمر و سراج و نار لعدم إغنائها إغناء كاملا، قال تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ»<sup>١٤٥٩</sup> أى يغشى الليل كل شيء، و يتجلى بالنهار كل شيء، و لا يقدر أحد أن يظلم نوره أو يضيء ظلامه. و فسّر

ص: ٣٦٨

الشرّاح قوله عليه السّلام: «بنوره» و «بظلمته» بمعان مختلفة، و الأظهر ما عرفت.

٣٠

من الخطبة (١١٠) و من خطبة له عليه السّلام ذكر فيها ملك الموت:

إ: هل تحسُّ به إذا دخل منزلاً- أم هل تراه إذا توفّي أحداً- بل كيف يتوفّي الجنين في بطن أمّه- أ يلج عليه من بعض جوارحها- أم الروح أجابته بإذن ربّها- أم هو ساكن معه في أحشائها- كيف يصف إلهه- من يعجز عن صفة مخلوق مثله «هل تحسّ» بالفتح.

«به إذا دخل منزلاً» قال الصادق عليه السّلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلّا و ملك الموت يتصفّحهم في كل يوم خمس مرّات<sup>١٤٦٠</sup>.

«أم هل تراه إذا توفّي» بلفظ المعلوم.

«أحداً» «قل يتوفّاكم ملك الموت الذى وكلّ بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون»<sup>١٤٦١</sup>، «فلو لا إذا بلغت الحلقوم و أنتم حينئذ تنظرون و نحن أقرب إليه منكم و لكن لا تبصرون»<sup>١٤٦٢</sup>.

«بل كيف يتوفّي الجنين ... فى أحشائها» روى الصدوق عن الصادق عليه السّلام:

أنّه قيل لملك الموت: كيف تقبض الأرواح و بعضها فى المغرب و بعضها فى المشرق فى ساعة واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبنى. قال: فقال ملك الموت عليه السّلام:

إنّ الدّنيا بين يديّ كالقصة بين يديّ أحدكم يتناول منها ما شاء، و الدّنيا

ص: ٣٦٩

<sup>١٤٥٩</sup> (٣) الليل: ١-٢.

<sup>١٤٦٠</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافي ٣: ٢٥٦ ح ٢٢.

<sup>١٤٦١</sup> (٢) السجدة: ١١.

<sup>١٤٦٢</sup> (٣) الواقعة: ٨٣-٨٥.

عندى كالدراهم فى كفّ أحدكم يقلّبه كيف يشاء<sup>١٤٦٣</sup>.

«كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله» هو نظير قوله عليه السّلام فى سابقه: «بل إن كنت صادقاً أيها المتكلّف لوصف ربك فصف جبرائيل و ميكائيل و...»، بل الإنسان عاجز عن وصف نفسه و روحه «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»<sup>١٤٦٤</sup>. فكيف لا يعجز عن وصف ربّ لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته و لو جىء بمثله مدداً؟!

٣١

من الخطبة (١٦٥) أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَ الْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ- فى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ-. بُدِئَتْ «مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ»- وَ وُضِعَتْ «فِي قَرَارِ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» وَ أَجَلَ مَقْسُومٍ- تَمُورٌ فى بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا لَأ تُحِيرَ دُعَاءً وَ لَأ تَسْمَعَ نِدَاءً- ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَفْرَكٍ إِلَى دَارٍ لَمْ تُشْهَدْهَا- وَ لَمْ تُعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا- فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْعِذَاءِ مِنْ نُدَى أُمِّكَ- وَ عَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبَتِكَ وَ إِرَادَتِكَ- هَيَّاتِ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ صِفَاتِ ذِي الْهَيْبَةِ وَ الْأَدْوَاتِ- فَهُوَ عَنِ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجِزُ- وَ مَنْ تَنَاولَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ «أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ» وَ المراد نوع الإنسان.

«السَّوِيُّ» أى: المستقيم من بين ذوى الأرواح، قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: انظر إلى ما خصّ به الإنسان فى خلقه تشريفاً و تفضيلاً على البهائم، فإنّه خلق ينتصب قائماً و يستوى جالسا ليستقبل الأشياء بيديه و جوارحه،

ص: ٣٧٠

و يمكنه العلاج و العمل بهما، فلو كان مكبوا على وجهه كذوات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال<sup>١٤٦٥</sup>.

«وَ الْمُنْشَأُ» «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»<sup>١٤٦٦</sup>، «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»<sup>١٤٦٧</sup>.

«المرعى» من قبل ربّه فى نشوئه.

«فى ظلمات الأرحام» «يَخْلُقُكُمْ فى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ»<sup>١٤٦٨</sup>.

«و مضاعفات الأستار» ستر البطن، و ستر الرّحم، و ستر المشيمة، قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: تصور الجنين فى الرّحم حيث لا تراه عين و لا تتاله يد، تدبّره حتّى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه و صلاحه من الأحشاء و الجوارح، و

<sup>١٤٦٣</sup> (١) أخرجه الصدوق فى الفقيه ١: ٨٠ ح ١٢.

<sup>١٤٦٤</sup> (٢) الاسراء: ٨٥.

<sup>١٤٦٥</sup> (١) توحيد المفضل: ٥٨.

<sup>١٤٦٦</sup> (٢) الأنعام: ٩٨.

<sup>١٤٦٧</sup> (٣) هود: ٦١.

<sup>١٤٦٨</sup> (٤) الزمر: ٦.

العوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام و اللحم و الشحم و المخ و العصب و العروق و الغضاريف، فإذا أخرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه، و هو ثابت على شكل و هيئة لا تتزايد و لا تنقص إلى أن يبلغ أشده، إن مدّ في عمره، أو يستوفى مدّته قبل ذلك، هل هذا إلّا من لطيف التدبير و الحكمة<sup>١٤٦٩</sup>.

«بدئت من سلالة من طين، و وضعت في قرار مكين» الأصل فيه قوله تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»<sup>١٤٧٠</sup>.

ص: ٣٧١

و سلالة من قولهم سللت الشيء من الشيء إذا استخراجته منه، و هو خلاصته، و «مِنْ طِينٍ» متعلّق بقوله «سُلَالَةٍ».\*

«إلى قدر معلوم و أجل مقسوم» من ستة أشهر إلى تسعة أشهر، أيام الحمل و مدّة تحولات النطفة إلى نفخ الروح فيه، كما قال عزّ و جلّ: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»<sup>١٤٧١</sup>.

«تمور» أي: تتحرّك، قال الأعشى:

مور السحابة لا ريث و لا عجل

كأن مشيتها من بيت جاريتها

١٤٧٢ «في بطن أمك جنينا» «وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ»<sup>١٤٧٣</sup>.

«لا تحير» أي: لا تجيب، و منه المحاورّة.

«دعاء» إذا دعاك أحد.

«و لا تسمع نداء» إذا نوديت، قال الصادق عليه السّلام في ذكر خلق الإنسان:

<sup>١٤٦٩</sup> (٥) توحيد المفضل: ٥٧.

<sup>١٤٧٠</sup> (٦) المؤمنون: ١٢-١٣.

<sup>١٤٧١</sup> (١) المؤمنون: ١٤.

<sup>١٤٧٢</sup> (٢) أورده لسان العرب ٥: ١٨٦ مادة (مور).

<sup>١٤٧٣</sup> (٣) النجم: ٣٢.

فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم، و هو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، و ظلمة الرحم، و ظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، و لا دفع أذى، و لا استجلاب منفعة، و لا دفع مضرة، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه الماء و النبات، فلا يزال ذلك غذاءه حتى إذا كمل خلقه، و استحکم بدنه، و قوى أديمه على مباشرة الهواء، و بصره على ملاقات الضياء، هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج، و أعنفه حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها، و انقلب الطعم و اللون إلى ضرب آخر من

ص: ٣٧٢

الغذاء، و هو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ و حرّك شفثيه طلبا للرضاع، فهو يجد ثدى أمه كالإداوتين المعلقتين لحاجته، فلا يزال يغتذى باللبن ما دام رطب البدن، رقيق الأمعاء، لئين الأعضاء حتى إذا تحرّك و احتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ و يقوى بدنه، طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه، و يسهل له إساغته، فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك و كان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر، و عزّ الرجل الذي يخرج به من حدّ الصبا و شبه النساء، و إن كانت أنثى يبقى وجهها نقيّا من الشعر لتبقى لها البهجة و النضارة التي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل و بقاؤه.

اعتبر يا مفضل في ما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى مثله يمكن أن يكون بالإهمال؟ أ فرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم و هو في الرحم، ألم يكن سيذوى و يجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء، و لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه، ألم يكن سيبقى في الرحم كالموءودة في الأرض، و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته، ألم يكن سيموت جوعا أو يغتذى بغذاء لا يلائمه و لا يصلح عليه بدنه، و لو لم تطلع له الأسنان في وقتها، ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام و إساغته أو يقيمه على الرضاع، فلا يشتدّ بدنه و لا يصلح لعمل، ثم كان يشغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد، و لو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته، ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان و النساء، فلا ترى له جلاله و لا وقارا؟!<sup>١٤٧٤</sup> «ثم أخرجت من مرقك» من الرحم.

«إلى دار لم تشهدا» و هي هذا العالم.

ص: ٣٧٣

«و لم تعرف سبل منافعها» «و الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا»<sup>١٤٧٥</sup>.

قال الصادق عليه السلام: و لو كان المولود يولد فهما عاقلا لأنكر العالم عند ولادته، و لبقى حيرانا تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف، و ورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم و الطير، إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة، و يوما بعد يوم.

<sup>١٤٧٤</sup> (١) توحيد المفضل: ٤٨.

<sup>١٤٧٥</sup> (١) النحل: ٧٨.

و اعتبر ذلك بأن من سبى من بلد إلى بلد، و هو عاقل يكون كالأله الحيران، فلا يسرع فى تعلّم الكلام، و قبول الأدب كما يسرع الذى يسبى صغيرا غير عاقل. ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى فى المهدي، لأنه لا يستغنى عن هذا كله لرقّة بدنه، و رطوبته حين يولد. ثم كان لا يوجد له من الحلاوة و الوقع من القلوب ما يوجد للطفل، فصار يخرج إلى الدنيا غيبيا غافلا عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفة ناقصة، ثم لا يزال يتزايد فى المعرفة قليلا قليلا و شيئا بعد شيء و حالا بعد حال، حتى يألف الأشياء و يتمرن و يستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها و الحيرة فيها إلى التصرف و الاضطراب، إلى المعاش بعقله و حيلته، و إلى الاعتبار و الطاعة و السهو و الغفلة و المعصية<sup>١٤٧٤</sup>.

«فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى أمك و عرفك عند الحاجة موضع طلبتك و إرادتك» و لو لا هدايته تعالى و عرفانه لو كان عقلاء العالم مجمعين على أن يهدوه لعجزوا.

هذا، و فى (حيوان الجاحظ): أن طاعونا جارفا جاء فى البصرة على أهل

ص: ٣٧٤

دار فلم يشكّ أهل تلك المحلة أنه لم يبق فيها صغير و لا كبير، و قد كان فيها صبي يرتضع و يجبو، و لا يقوم على رجله، فعمد من بقى من المطعونين من أهل تلك المحلة إلى باب تلك الدار، فسدّوه فلما كان بعد ذلك بأشهر تحول فيها بعض ورثة القوم، ففتح الباب فلما أفضى إلى عرصة الدار إذا هو بصبي يلعب مع جراء كلبه قد كانت لأهل الدار فراعته ذلك، فلم يلبث أن أقبلت كلبه فلما رآها الصبي حبا إليها، فأمكنته من أطبائها، فمصّها فظنوا أن الصبي لما بقى فى الدار و صار منسياً و اشتدّ جوعه و رأى جراء الكلبة تستقى من أطبائها، حبا إليها، فعطفت عليه، فلما سقته مرّة أدامت ذلك له، و أدام هو الطلب، و الذى ألهم هذا المولود مصّ إبهامه ساعة يولد، و لم يعرف كيف الارتضاع، هو الذى هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلبة<sup>١٤٧٧</sup>.

٣٢

من الخطبة (١٥٨) و من خطبة له عليه السلام:

أمره قضاءً و حكمةً و رضاه أمانٌ و رحمةً - يقضى بعلمٍ و يعفو بحلمٍ اللهم لك الحمد على ما تأخذ و تعطى - و على ما تعافى و تبثلى - حمداً يكون أرضى الحمد لك - و أحبّ الحمد إليك و أفضل الحمد عندك - حمداً يملأ ما خلقت و يبلغ ما أردت - حمداً لا يحجب عنك و لا يقصر دونك - حمداً لا ينقطع عدده و لا يفنى مدده - فلسنا نعلم كنه عظميتك - إلا أنا نعلم أنك حى قيوم - لا تأخذك سنة و لا نوم - لم ينته إليك نظرٌ و لم يدركك بصر - أدركت الأبصار و أحصيت الأعمال - و أخذت بالنواصي و الأقدام - و ما الذى نرى من خلقك - و نعجب له من

ص: ٣٧٥

<sup>١٤٧٤</sup> (٢) توحيد المفضل: ٥١.

<sup>١٤٧٧</sup> (١) الحيوان للجاحظ ٢: ١٥٥ و النقل بتصرف فى اللفظ، و لم يتعرض الشارح لشرح قوله: «هيات إن من يعجز...».

قُدْرَتِكَ- وَ نَصْفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ- وَ مَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَ قَصَّرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ- وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ- وَ حَالَتْ سُتُورُ الْغَيْبِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ أَعْظَمُ «أمره قضاء» لا مرد له «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فَيَكُونُ»<sup>١٤٧٨</sup>.

«و حكمة» و لو لم يهتد إليها الأفهام، فقالت الملائكة في خلق آدم:

«أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»<sup>١٤٧٩</sup>، و كم من أمر خفيت حكمته أولاً و ظهرت أخيراً، «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»<sup>١٤٨٠</sup>.

«و رضاء» تعالى عن العبد.

«أمان» من عذابه.

«و رحمة» منه تعالى.

«يقضى» بين عباده.

«يعلم» فيقضى حقاً.

«و يعفو» عمّن يستحق العقوبة.

«بحلم» «و لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ»<sup>١٤٨١</sup>.

«اللهم لك الحمد على ما تأخذ و تعطى» لأنّ كلّاً منهما على حسب المصلحة، و في الخبر: قال موسى عليه السلام: يا ربّ رضيت بما قضيت، تميت

ص: ٣٧٦

الكبير، و تبقى الصغير. فقال تعالى: يا موسى! أما ترضاني لهم رازقا و كفيلا؟

قال: بلى يا ربّ، فنعم الوكيل أنت و نعم الكفيل<sup>١٤٨٢</sup>.

<sup>١٤٧٨</sup> (١) يس: ٨٢.

<sup>١٤٧٩</sup> (٢) البقرة: ٣٠.

<sup>١٤٨٠</sup> (٣) البقرة: ٣٣.

<sup>١٤٨١</sup> (٤) النحل: ٦١.

«و على ما تعافى و تبلى» لأن ابتلاءه من الحكمة، و فى الخبر: أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام ما خلقت خلقا أحبّ إلى من عبدى المؤمن، فإنما ابتليه لما هو خير له، و أعافيه لما هو خير له، و أزوى عنه ما هو شرّ له لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدى، فليصبر على بلائى، و ليشكر نعمائى، و ليرض بقضائى، أكتبه فى الصّدّيقين عندى<sup>١٤٨٣</sup>.

و إذا كان أمره تعالى عن حكمة و قضاء بعلم و عفوه عن حلم يجب حمده تعالى على كلّ فعل منه تعالى، كما قال عليه السلام، و لكن كثيرا من العامّة قالوا:

إنّ له تعالى أن يفعل كلّ ما شاء، لا من حيث الحكمة، بل من حيث قدرته كالسبع القوى.

قال الغزالي: إنّ السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه، بل لصفته و بطشه و هيئته، و لأنّه يفعل ما يفعل و لا يبالي، فإن قتلك لم يرقّ قلبه، و إن خلّاك لم يخلّك شفقة عليك، و إبقاء على روحك، بل أنت أخسّ عنده من أن يلتفت إليك، بل إهلاك ألف مثلك، و إهلاك نملة عنده على و تيرة واحدة، و إذ لا يقدر ذلك فى عالم سبعيته، و ما هو موصوف به من قدرته و سطوته «و لله المثل الأعلى»<sup>١٤٨٤</sup> و لكن من عرفه عرفه بالمشاهدة الباطنة التى هى أقوى و أوثق من المشاهدة الظاهرة، إنّه صادق فى قوله: «هؤلاء إلى الجنّة و لا أبالي، و هؤلاء إلى النار و لا أبالي...»<sup>١٤٨٥</sup> و ما أجهل قوما يصفون إلههم هكذا، تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً.

ص: ٣٧٧

«حمدا يكون أَرْضى الحمد لك ... حمدا لا ينقطع عدده، و لا يفنى مدده» و فى (دعاء تحميد الصحيفة): حمدا نعمّر به فى من حمده من خلقه، و نسبق به من سبق إلى رضاه و عفوه، حمدا يضىء لنا به ظلمات البرزخ، و يسهل علينا به سبيل المبعث، و يشرفّ به منازلنا عند مواقف الأشهداء يوم تجزى «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ»<sup>١٤٨٦</sup>، «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ»<sup>١٤٨٧</sup> حمدا يرتفع منا إلى أعلى عليين فى «كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ»<sup>١٤٨٨</sup> حمدا تقرّ به عيوننا إذا برقت الأبصار، و تبيضّ به وجوهنا إذا اسودّت الأبخار، حمدا نعتق به من أليم نار الله إلى كريم جوار الله، حمدا نزاحم به ملائكته المقربين، و نضامّ به أنبياء المرسلين، فى دار المقامة التى لا تزول، و محلّ كرامته التى لا تحول<sup>١٤٨٩</sup>.

<sup>١٤٨٢</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٣٧٤ ح ١٨.

<sup>١٤٨٣</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافي ٢: ٦١ ح ٧، و أبو على الطوسى فى أماليه ١: ٢٤٣.

<sup>١٤٨٤</sup> (٣) النحل: ٦٠.

<sup>١٤٨٥</sup> (٤) قاله الغزالي فى إحياء العلوم ٤: ١٣٩، و النقل بتصرف يسير

<sup>١٤٨٦</sup> (١) الجاثية: ٢٢.

<sup>١٤٨٧</sup> (٢) الدخان: ٤١.

<sup>١٤٨٨</sup> (٣) المطففين: ٢٠ - ٢١.

<sup>١٤٨٩</sup> (٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٥ الدعاء (١).

أيضا: و الحمد لله بكل ما حمده به أدنى ملائكته إليه، و أكرم خليقته عليه، و أرضى حامديه لديه، حمدا يفضل سائر الحمد، كفضل ربنا على جميع خلقه. ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا، و على جميع عبادہ الماضين و الباقين<sup>١٤٩٠</sup>.

«فلسنا نعلم كنه عظمتك» قال السجاد عليه السلام: لو اجتمع أهل السماء و الأرض على أن يصفوا الله بعظمته ما قدروا<sup>١٤٩١</sup>.

«إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ» كما وصف نفسه

ص: ٣٧٨

عزّ و جلّ في قوله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ»<sup>١٤٩٢</sup>.

و سئل الرضا عليه السلام عن أدنى المعرفة فقال: الإقرار بأنه لا إله غيره، و لا شبه له و لا نظير، و أنه قديم مثبت، موجود غير فقيد، و أنه ليس كمثل شئ<sup>١٤٩٣</sup>.

«لم ينته إليك نظر» من نبيّ أو ملك.

«و لم يدركك بصر» من جنّ أو إنس، و النظر أعمّ من أن يكون بالبصر.

«أدرت الأبصار» «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»<sup>١٤٩٤</sup>.

«و أحصيت الأعمار» هكذا في (المصرية)، و (الأعمال) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)<sup>١٤٩٥</sup>.

قال تعالى حكاية عن العباد يوم التناد: «و يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا»<sup>١٤٩٦</sup>.

«و أخذت بالنواصي و الأقدام» قال تعالى: «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>١٤٩٧</sup>.

و احتمال الخوئي<sup>١٤٩٨</sup> أن يكون كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله عزّ و جلّ:

<sup>١٤٩٠</sup> (٥) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٨ الدعاء (١).

<sup>١٤٩١</sup> (٦) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٠٢ ح ٤ و النقل بتصريف يسير.

<sup>١٤٩٢</sup> (١) البقرة: ٢٥٥.

<sup>١٤٩٣</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٨٦ ح ١، و الصدوق في التوحيد: ٢٨٣ ح ١، و العيون ١: ١٠٩ ح ٢٩.

<sup>١٤٩٤</sup> (٣) الأنعام: ١٠٣.

<sup>١٤٩٥</sup> (٤) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٤٧، و شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٧ «الأعمار» أيضا.

<sup>١٤٩٦</sup> (٥) الكهف: ٤٩.

<sup>١٤٩٧</sup> (٦) هود: ٥٦.

«يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ»<sup>١٤٩٩</sup>. و هو كما ترى.

ص: ٣٧٩

«و ما لذي نرى من خلقك ... و حالت ستور» هكذا في (المصرية)، و الصواب:

(سواتر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>١٥٠٠</sup>.

«الغيب بيننا و بينه أعظم» و في الخبر: أن في السماوات السبع لبحارا عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله تعالى، و الماء إلى ركبهم<sup>١٥٠١</sup>.

٣٣

من الكتاب (٣١) و اعلم يا بنى - أنه لو كان لربك شريك لآتتك رسله - و لرأيت آثار ملكه و سلطانه - و لعرفت أفعاله و صفاته - و لكنه إله واحد كما وصف نفسه - لا يضاده في ملكه أحد و لا يزول أبداً و لم يزل - أول قبل الأشياء بلا أولية - و آخر بعد الأشياء بلا نهائية - عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر - فإذا عرفت ذلك فافعل - كما ينبغي لمنلك أن يفعل في صغر خطره - و قلته مقدرته و كثرة عجزه - و عظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته - و الخشية من عقوبته - و الشفقة من سخطه فإنه لم يأمرك إلا بحسن - و لم ينهك إلا عن قبيح قوله عليه السلام: «و اعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك ... و لعرفت أفعاله و صفاته» برهان عقلى على وحدة الصانع فكل رسول جاء من رب واحد، فلو كان رب آخر موجودا لأرسل أيضا رسلا، و كل ما عرفنا من آثار الملك و السلطان لم نعرفها من غير إله واحد، فلو كان إله آخر لخلق سماوات أخرى، و أرضا أخرى، كما نرى لغير ملكنا ملوكا آخرين لهم ممالك، و كل ما عرفنا من أفعال الإله

ص: ٣٨٠

و صفاته لم نعرفهما من غير خالق واحد، فلو كان خالق آخر لعرفنا صفاته بأن صفاتي هكذا غير صفات ذاك الخالق، مثلا عرف عبد الملك أخلاقه بأنه ليس كعثمان، و لا كعواوية، و لا كيزيد، الثلاثة قبله من عشيرته.

و الاستدلال بالبرهان العقلى على توحيدة تعالى فى القرآن أيضا كثير، كقوله تعالى: «قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا»<sup>١٥٠٢</sup>، و كقوله تعالى: «أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ

<sup>١٤٩٨</sup> (٧) شرح الخوئى ٤: ٢٣٨.

<sup>١٤٩٩</sup> (٨) الرحمن: ٤١.

<sup>١٥٠٠</sup> (١) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٤٧، و شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٧ «ستور» أيضا.

<sup>١٥٠١</sup> (٢) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٢٨١ ح ٩.

<sup>١٥٠٢</sup> (١) الإسراء: ٤٢ - ٤٣.

كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ»<sup>١٥٠٣</sup>، و كقوله تعالى: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ»<sup>١٥٠٤</sup>، و كقوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا»<sup>١٥٠٥</sup>، و كقوله تعالى: «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أ إلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيً وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أ إلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أ إلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أ إلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»

ص: ٣٨١

١٥٠٦

«و لكنّه إله واحد» بعد ثبوت عدم شريك له.

«كما وصف نفسه» في قوله: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»<sup>١٥٠٧</sup>، و قد عرفت البرهان على عدم إمكان تعدده.

و لما قال الحباب بن المنذر يوم السقيفة لقريش، إن أبيتم فمنا أمير و منكم أمير. قال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد.<sup>١٥٠٨</sup>

و كان ابن عباس في وقعة الحرّة في الطائف فسأل عن أمير أهل المدينة، فقيل له: عبد الله بن مطيع على قريش، و عبد الله بن حنظلة على الأنصار. فقال: أميران! هلك القوم.<sup>١٥٠٩</sup>

و لما خرج عبد الملك لقتال مصعب أغلق عمرو بن سعيد الأشدق باب دمشق فرجع عبد الملك، و صالحه على كون عمرو خليفته، و أن له مع كلّ عامل عاملا، و أن يكون بيده بيت المال، ثم بعث إليه يوما أحبّ أن أخلو بك لأشاورك في أمور، فلما وقع عنده أمر بأخذه فأخذ و أمر أخاه أن يقتله، و خرج للصلاة فرجع و رأى أنّه لم يقتله، فشتّمه و أخذ الحربة بيده، و قال له:

<sup>١٥٠٣</sup> (٢) الأنبياء: ٢١-٢٢.

<sup>١٥٠٤</sup> (٣) المؤمنون: ٩١.

<sup>١٥٠٥</sup> (٤) فاطر: ٤٠.

<sup>١٥٠٦</sup> (١) النمل: ٦٠-٦٤.

<sup>١٥٠٧</sup> (٢) الاخلاص: ١.

<sup>١٥٠٨</sup> (٣) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٤٥٧ سنة (١١)، و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١: ٧، و الجوهري في السقيفة: ٦٢.

<sup>١٥٠٩</sup> (٤) نقله ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ١٢٩.

لو علمت أنك تبقى و يصلح لى ملكى لفديتك بدم الناظر، و لكن قلما اجتمع فحلان فى ذود إنا عدا أحدهما على الآخر، و رفع الحربة فقتله<sup>١٥١٠</sup>.

ص: ٣٨٢

و قال المنصور لقتيبة بن مسلم: ما تقول فى قتل أبى مسلم؟ قال: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا». قال: حسبك يا أبا أمية<sup>١٥١١</sup>.

«لا يضاذه فى ملكه أحد» كما يضاذ ملوك الدنيا كثيرا.

«و لا يزول أبدا و لم يزل» أى: أنه أبدى سرمدى.

«أول قبل الأشياء بلا أولية، و آخر بعد الأشياء بلا نهاية» «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>١٥١٢</sup>.

«عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر» قال الجواد عليه السلام: أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند و الهند، و البلدان التى لم تدخلها، و لم تدركها ببصرك، و أوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون<sup>١٥١٣</sup>.

«فإذا عرفت ذلك» أنه إله واحد لا يضاذه فى ملكه أحد، و أنه لا يزول و لم يزل، و أنه أول قبل الأشياء بلا أولية له، و آخر بعدها بلا نهاية له، و ربوبيته أجل من أن يحيط به بصر أو قلب.

«فافعل كما ينبغى لمثلك» مسكين تقتله الشارقة، و تؤلمه البقرة، و تنتنه العرقة، مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل.

«أن يفعله فى صغر خطره» أى: حسنة قيمته.

«و قللة مقدرته» فلم يقدر على عمل أمر صغير إذا لم يكن مقدرا.

«و كثرة عجزه» فى أموره، و لو كان ملكا.

ص: ٣٨٣

---

<sup>١٥١٠</sup> (٥) نقل القصة الطبرى فى التاريخ ٤: ٥٩٩ سنة (٦٩)، و المسعودى فى مروج الذهب ٣: ١٠٤، و ابن قتيبة فى الإمامة و السياسة ٢: ٢٦ بفرق يسير.

<sup>١٥١١</sup> (١) ذكر قصة قتل أبى مسلم جمع منهم الطبرى فى التاريخ ٦: ١٢٧ سنة (١٣٧) بتفصيل، لكن لم أجد فى كلامهم ذكر قتيبة بن مسلم. و الآية (٢٢) من سورة الأنبياء.

<sup>١٥١٢</sup> (٢) الحديد: ٣.

<sup>١٥١٣</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٩٩ ح ١١، و الصدوق فى التوحيد: ١١٣ ح ١٢، و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٤٤٢ عن أبى هاشم الجعفرى عن الجواد عليه السلام، و روى معناه عن عدة طرق أخرجه فى العنوان (١) من هذا الفصل.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

<sup>١٥١٤</sup> «و عظيم حاجته إلى ربّه» أنا فأنا، و في دعاء الثمالي: «لا الذي أحسن استغنى عن عونك و رحمتك، و لا الذي أساء و اجتراً عليك و لم يرضك خرج عن قدرتك»<sup>١٥١٥</sup>.

«في طلب طاعته» بتوفيقه.

«و الخشية» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و الرهبة) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٥١٦</sup>، أي: الخوف.

«من عقوبته» فلا تقوم لها السماوات و الأرض، فكيف مثل الإنسان الضعيف.

«و الشفقة» أي: الخوف.

«من سخطه» أي: غضبه. فغضبه إهلاك من غضب عليه.

«فإنه لم يأمرك إلا بحسن، و لم ينهك إلا عن قبيح» فيجب عقلا إطاعته في أوامره لكونها وفق صلاحه، و في زواجره لترتب المفساد عليها.

٣٤

من الحكمة (٢٥٠) و قال عليه السلام:

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَبَسَخَ الْعَزَائِمَ - وَ حَلَّ الْعُقُودِ أَقُولُ: قال ابن أبي الحديد: هذا فصل يتضمّن كلاما دقيقا يذكره المتكلمون في الخاطر الذي يخطر عن غير موجب لخطوره، فإنه لا يجوز أن

ص: ٣٨٤

يكون الإنسان أخطره بباله، و إلا لكان ترجيحها من غير مرجح لجانب الوجود على جابن العدم، فلا بدّ أن يكون المخطر له بالبال شيئا خارجا عن ذات الإنسان، و ذاك الشيء هو الشيء المسمّى بصانع العالم.

<sup>١٥١٤</sup> (١) أوردته التفزازاني في المطول: ١٢٦ أحوال المسند إليه، و الشاعر أبو الطيب المتنبي.

<sup>١٥١٥</sup> (٢) هذه من أوائل دعاء أبي حمزة رواه الطوسي عن أبي حمزة الثمالي عن السجاد عليه السلام في مصباح المتجهد: ٥٢٤.

<sup>١٥١٦</sup> (٣) في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨، و شرح ابن ميثم ٥: ٢٢ «الخشية أيضا».

ثم قال: ويقال: إنَّ عضد الدولة وقعت في يده قصّة وهو يتصفّح القصص فأمر بصلب صاحبها، ثمّ أتبع الخادم خادما آخر يقول له: قل للمطهّر - وكان وزيره - لا يصلبه، ولكن أخرجته من الحبس فاقطع يده اليمنى، ثمّ أتبعه خادما ثالثا فقال: بل تقول له يقطع أعصاب رجله، ثمّ أتبعه خادما آخر فقال له: ينقله إلى القلعة بسيراف في قيوده فيجعله هناك، فاختلف دواعيه في ساعة واحدة أربع مرّات<sup>١٥١٧</sup>.

قلت: و الظاهر أنّ الخبر الذي روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ما من آدميٍّ إلّا و قلبه بين إصبعين من أصابع الله»<sup>١٥١٨</sup> في معنى كلامه عليه السّلام:

«عرفت الله بفسخ العزائم و حلّ العقود» بأن يكون معناه أنّه تعالى يتصرّف في قلوب عبّيده كيف شاء بعزمها على أمر، و عقدها له فيفسخها و يحلّها، و بالعكس، كتصرّف من أخذ خاتما بين إصبعيه فيه، و يشهد له قوله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»<sup>١٥١٩</sup>، و الحديث القدسي: «لا تقضوا أوقاتكم بسبب الملوك فإن قلوبها بيدي أجعلها

ص: ٣٨٥

رحيما عليكم»<sup>١٥٢٠</sup>.

و أمّا قول المصنّف في (مجازاته النبويّة): إنّ معنى قلبه بين إصبعين من أصابع الله هو: أنّ الإصبع بمعنى النعمة، و الأثر الجميل كقول الراعي:

عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا

ضعيف العصا بادي العروق ترى له

أى: ما من آدميٍّ إلّا و قلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين: إحداهما ما من الله عليه من معرفة خالقه و رازقه، و الأخرى ما امتنّ عليه من تحسين خلقه و توسيع رزقه<sup>١٥٢١</sup>.

<sup>١٥١٧</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٠.

<sup>١٥١٨</sup> (٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ١: ٧٢ ح ١٩٩، و أحمد في مسنده ٤: ١٨٢، و الحاكم في المستدرک، و الطبراني في معجمه الكبير، و الدار قطنی في الصفات عنهم منتخب كنز العمال ١: ١١٤، و: ١١٦ عن النّوّاس بن سمعان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و روى أيضا عن طريق أنس بن مالك و عبد الله بن عمر و أم سلمة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و أخرجه الصدوق في علل الشرائع ٢: ٦٠٤ ح ٧٥ عن الباقر عليه السّلام، و شرحه الشريف الرضى في المجازات النبويّة: ٣٤٦، و الشريف المرتضى في أماليه ٢: ٢ المجلس (٢٢)، و تنزيه الأنبياء: ١٢٥، و ابن قتيبة في تأويل المختلف: ٢٠٨، و لفظ الكتاب للرضي.

<sup>١٥١٩</sup> (٣) الانفال: ٢٤.

<sup>١٥٢٠</sup> (١) أخرجه الصدوق في أماليه: ٢٩٩ ح ٩ المجلس (٥٨) و النقل بالمعنى.

<sup>١٥٢١</sup> (٢) المجازات النبويّة: ٣٤٦ ح ٢٦٨، و بين اللفظ المنقول و لفظ المجازات فرق كثير.

فكما ترى، فإن الموضوع فى النعمتين اللتين قالهما نفس الإنسان لا قلبه، فإن صحّ فى الأولى جعل القلب موضوعا بتكلف، ففى الثانية غير صحيح، مع أنّ الأولى غير صحيحة فى نفسها، فكم آدمى لم يرزق معرفة خالقه ورازقه، بل هم أكثر من العارفين برّبهم، مع أنّ الخبر تضمن أنّه ما من آدمى إلّا و هو كذا، و أيضا فرق بين قولهم: لفلان علىّ إصبع، و قولهم: أمرى بين إصبعيه، فالأول بمعنى: أنّ له عندى نعمة، و أمّا الثانى فبمعنى: أمرى بيده، و مثله الخبر. و كيف كان ففى (عيون ابن قتيبة): أتى رجل يزيد بن أبى مسلم برقعة يسأله أن يرفعها إلى الحجاج، فنظر فيها يزيد فقال: ليست هذه من الحوائج التى ترفع إلى الأمير. فقال الرجل: فأنى أسألك أن ترفعها فلعلها توافق قدرا فيقضئها و هو كاره. فأدخلها و أخبره بمقالته. فنظر فى الرقعة، و قال له: قل للرجل: إنّها وافقت قدرا، و قد قضئناها، و نحن له كارهون<sup>١٥٢٢</sup>.

و فى (أغانى أبى الفرج) قال أحمد بن خلّاد: حدّثنى أبى قال: كنت أكلّم

ص: ٣٨٦

بشار الشاعر و أردّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلّا ما عاينته أو عاينت مثله. و كان الكلام يطول بيننا، فقال لى يوما: ما أظنّ الأمر يا أبا خالد إلّا كما تقول، و أنّ الذى نحن فيه خذلان، و لذلك أقول:

طبعت على ما فى غير مخير  
 هوأى و لو خيرت كنت المهذبأ  
 أريد فلا أعطى و أعطى فلم أرد  
 وقصر علمى أن أنال المغيبأ  
 فأصرف عن قصدى و علمى مقصر  
 و أمسى و ما أعقت إلّا التعجبأ

١٥٢٣

٣٥

الحكمة (٣٥١) و قال عليه السلام:

عند تنأهى الشدة تكون الفرجة - و عند تضأيق حلق البلاء يكون الرخاء هو أحد الشواهد و الأدلة أيضا على وجود البارئ تعالى، فالفرج و الرخاء للشخص لئلا يهلك كدفع الآفات عن العالم لئلا يفنى دليل على وجود صانع حكيم رؤوف رحيم، وضع للإنسان شدة كما للعالم آفة حكمة، و يرفعهما بعد حين رافة و رحمة، و قد صنّف فى حكايات من فرج عنهم بعد غاية الشدة

<sup>١٥٢٢</sup> (٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٣٠ و النقل بتصرف يسير.

<sup>١٥٢٣</sup> (١) الأغانى ٣: ٢٢٧.

كتب، و منها كتاب لأبى الحسن المدائنى، و كتاب لحسين بن سعد الدهستاني، و كتاب لابن أبى الدنيا البغدادي، و كتاب لمحسن بن على التنوخي.

و فى (تاريخ بغداد) فى يعقوب بن داود السلمى الذى استوزره المهدي، ثم غضب عليه لإطلاقه علويا أمره بقتله فحبسه فى المطبق: قال يعقوب:

حبسنى المهديّ فى بئر و بنيت علىّ قبّة، فمكنت فيها خمس عشرة حجّة

ص: ٣٨٧

مضى صدر من خلافة الرشيد، و كان يدلى إلىّ فى كلّ يوم رغيف و كوز من ماء، و أوزن بأوقات الصلوات، فلما كان فى رأس ثلاث عشرة حجّة أتانى آت فى منامى، فقال:

حنا على يوسف ربّ فأخرجه من قعر جبّ و بيت حوله غمم

فحمدت الله و قلت: أتى الفرج. فمكنت حولا لا أرى شيئا، ثم أتانى ذلك الآت بعد حول، فقال:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراء فرج قريب  
فيأمن خائف و يفكّ عان و يأتى أهله النائى الغريب

فلما أصبحت نوديت، فظننت أنّى أوزن بالصلاة فدلىّ لى حبل أسود و قيل لى: اشدد به وسطك. ففعلت، فأخرجونى فلما قابلت الضوء غشى بصرى. فانطلقوا بى فأدخلونى على الرشيد... فقال لى الرشيد: و الله ما شفّع فيك أحد غير أنّى حملت الليلة صبيّة لى على عنقى، فذكرت حملك إياى على عنقك فرثيت لك<sup>١٥٢٤</sup>.

و فى (المعجم) أنشد لإبراهيم الصولى:

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقال

<sup>١٥٢٤</sup> (١) تاريخ بغداد ١٤: ٢٦٤ و النقل بتصرف.

و نكت بقلمه ثم قال:

ذرعا و عند الله منها المخرج

و لرب نازلة يضيق بها الفتى

فرجت و كنت أظنها لا تفرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها

١٥٢٥

ص: ٣٨٨

٣٤

من الخطبة (٨١) و من خطبة له عليه السلام عجيبة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ - مَانِحَ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلَ وَ كَاشِفِ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَ أَزَلَ - أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ - وَ أَوْمِنُ بِهِ أَوْلًا بِأَدْيَاءٍ وَ اسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا - وَ اسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا وَ اتَّوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا أَقُولُ: وَ رَوَى (أمالى الشيخ الطوسى - أمالى - ج ٢ ص ٢٩٦ المجلس (٢٠) الشيخ) مسندا عن ابن عباس: قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «الحمد لله الذى لا يحويه مكان، و لا يحده زمان، علا بطوله، و دنا بحوله، سابق كل غنيمه و فضل، و كاشف كل عظيمه و أزل، أحمده على جود كرمه، و سبوغ نعمه، و أستعينه على بلوغ رضاه، و الرضا بما قضاه، و أؤمن به إيمانا، و أتوكل عليه إيقانا، و أشهد أن لا إله إلا الله الذى رفع السماء فبناها، و سطح الأرض فطحها «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرَعَاهَا وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا»<sup>١٥٢٤</sup> لا يتوده خلق، و هو العلى العظيم...»<sup>١٥٢٧</sup>.

قول المصنّف: «و من خطبة له عجيبة» هكذا فى (المصرية)، و لكن فى (ابن أبى الحديد): «و من خطبة له عليه السلام و تسمى بالغراء و هى من الخطب العجيبة»<sup>١٥٢٨</sup> و فى (ابن ميثم): «و من خطبة له عليه السلام و هى من الخطب العجيبة و تسمى

<sup>١٥٢٥</sup> (٢) معجم الادباء للحموى ١: ١٨٤.

<sup>١٥٢٤</sup> (١) النازعات: ٣١ - ٣٢.

<sup>١٥٢٧</sup> (٢) أخرجه أبو جعفر الطوسى فى أماليه ٢: ٢٩٦ المجلس (٢٠).

<sup>١٥٢٨</sup> (٣) لفظ ابن أبى الحديد ٢: ٨٥ «و تسمى بالغراء و هى من الخطب العجيبة».

الغراء»<sup>١٥٢٩</sup>، و في (خطبة مصححة) تاريخها سنة (١٠٧٥): «و من خطبة له عليه السلام عجيبة تسمى الغراء»، و هذا الاختلاف عجيب، و لعل في النسخ

ص: ٣٨٩

تصحيفا، و كيف كان فمن اتفاق الثلاثة على فقرة (و تسمى الغراء) يعلم سقوطها من (المصرية)، إلا أن قول المصنف في آخر الخطبة: «و من الناس من يسمي هذه الخطبة الغراء، لا يناسب ثبوتها، و لعله نسي قوله في الأول، و كيف كان، فقال ابن أبي الحديد بعد ذكر نكات في أفاظ العنوان و معانيها:

«و هذه اللطائف و الدقائق من معجزاته عليه السلام»<sup>١٥٣٠</sup>.

«الحمد لله الذي علا بحوله» أي: بقوته، قال ابن ميثم: و قد أثنى عليه السلام على الله تعالى في هذا الفصل باعتبار أربع من نعوت جلاله، الأول: كونه عليا، و إذ ليس المراد به العلو المكاني لتقدسه عن الجسمية كما سبق، فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ كل موجود و مرجعه، فهو العلي المطلق الذي لا أعلى منه في وجود و كمال رتبة و شرف، كما سبق بيانه، و لما عرفت أن معنى الدنو إلى كل موجود صدر عن قدرته و قوته، لا جرم جعل للحوقه له مبدأ هو حوله<sup>١٥٣١</sup>.

«و دنا بطوله» أي: بمنه، قال ابن ميثم: لما عرفت أن معنى الدنو و القرب في حقه تعالى ليس مكانيا أيضا، كان اعتبارا تحدته عقولنا له تعالى من قرب إفاضة نعمه على قوابلها، و قربه من إحصار البصائر في صورة نعمة نعمة منها، و لذلك جعل طوله مبدأ لدنوه<sup>١٥٣٢</sup>.

«مانح» أي: معط.

«كل غنيمه» «و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة»<sup>١٥٣٣</sup>.

ص: ٣٩٠

«و فضل» «و يؤت كل ذي فضل فضله»<sup>١٥٣٤</sup>.

<sup>١٥٢٩</sup> (٤) لفظ ابن ميثم ٢: ٢٣٠ و هي من الخطب العجيبة.

<sup>١٥٣٠</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٦.

<sup>١٥٣١</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٢٣١.

<sup>١٥٣٢</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٣١.

<sup>١٥٣٣</sup> (٤) النساء: ٩٤.

<sup>١٥٣٤</sup> (١) هود: ٣.

«و كاشف كلِّ بليَّةٍ و أزل» أى: ضيق، قال ابن ميثم: (مانح) و (كاشف) إشارة إلى كلِّ نعمةٍ صدرت عنه تعالى على قابلها، فمبدؤه جوده و رحمته، سواء كانت وجودية كالصحة و المال و العقل و غيرها، أو عدمية كدفع البأساء و الضراء، و إليه الإشارة بقوله تعالى: «و ما بكم من نعمةٍ فمن الله ثمَّ إذا مسَّكم الضرُّ فالإيه تجترون ثمَّ إذا كشفَ الضرُّ عنكم»<sup>١٥٣٥</sup>، و قوله تعالى: «أمنُّ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه و يكشفُ السوءَ و يجعلُكم خلفاءَ الأرض»<sup>١٥٣٦</sup>.

قلت: و كلامه عليه السلام من الأوَّل إلى هنا فى ثنائيه عليه تعالى باعتبارات بيَّنها عليه السلام من حوله تعالى و طولها، و ما نحيتها و كاشفيته، نظير قوله تعالى:

«سبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى الَّذي خلقَ فسوَّى و الَّذي قدَّرَ فهدي و الَّذي أخرجَ المرعى فجعله غثاءً أخوَّى»<sup>١٥٣٧</sup>، فأمر - تعالى - بوجوب تسبيحه و الثناء عليه باعتبارات بيَّنها من خلقه فتسويته، و تقديره فهديته، و إخراجه المرعى.

«أحمده على عواطف» من إضافة الصفة.

«كرمه» مفرد بمعنى الجمع.

«و سوايغ» أى: كوامل.

«نعمه» «و أسبغ عليكم نعمه ظاهراً و باطناً»<sup>١٥٣٨</sup>.

قال ابن ميثم: قوله عليه السلام (أحمده) الى قوله (نعمه) تنبيه للسامعين على مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد، و هو كرمه، قال بعض الفضلاء: الكريم هو الذى

ص: ٣٩١

إذا قدر عفا، و إذا وعد وفا، و إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، و لا يبالي كم أعطى و لا لمن أعطى، و إن رفع إلى غيره حاجة لا يرضى، و إذا جفا عاتب و ما استقصى، و لا يضيع من لاذ به و التجأ، و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء. فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق، و ليس ذلك إلا الله تعالى، و الأجمع الأمتع فى رسم هذا الاعتبار يعود إلى فيضان الخير عنه من غير بخل و منع و تعويق على كلِّ من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله، و عواطف كرمه هى نعمه و آثاره الخيرية التى تعود على عباده مرة بعد أخرى، و نعمه السابعة التى لا قصور فيها عن قبول قابلها<sup>١٥٣٩</sup>.

<sup>١٥٣٥</sup> (٢) النحل: ٥٣ - ٥٤.

<sup>١٥٣٦</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٣١، و الآية (٦٢) من سورة النمل.

<sup>١٥٣٧</sup> (٤) الأعلى: ١ - ٥.

<sup>١٥٣٨</sup> (٥) لقمان: ٢٠.

<sup>١٥٣٩</sup> (١) شرح ابن ميثم ٢: ٢٣١.

«وَأُؤْمِنُ بِهِ أَوْلًا بِبَادِيَا» أَى: ظاهرا. أَوْلًا بِبَادِيَا حَالَانِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (بِهِ) كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ: قَرِيبَا هَادِيَا، وَ قَادِرَا قَاهِرَا، وَ كَافِيَا نَاصِرَا، وَ الْكُلَّ لِلتَّبَيُّوتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «قَائِمًا بِالْقِسْطِ»<sup>١٥٤٠</sup> بِمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ تَعَالَى لِكُونِهِ أَوْلًا وَ مَبْدَأًا لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَ لِكُونِهِ تَعَالَى ظَاهِرًا جَلِيًّا بِآثَارِهِ، وَ خَلَائِقُهُ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ.

وَ أَمَّا قَوْلُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: «أَوْلًا مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ<sup>١٥٤١</sup>» فَبِلَا مَعْنَى، فَأَى شَيْءٌ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (بَادِيَا) وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ جَعَلَهُ ظَرْفًا لِقَوْلِ (الصَّحَابِ): تَقُولُ: مَا رَأَيْتَهُ مَذَّعَامَ أَوَّلًا، وَ مَذَّعَامَ أَوَّلًا<sup>١٥٤٢</sup>. فَمَنْ رَفَعَ الْأَوَّلَ جَعَلَهُ صِفَةً لِعَامٍ كَأَنَّهُ قَالَ: أَوَّلٌ مِنْ عَامِنَا، وَ مِنْ نَصْبِهِ جَعَلَهُ كَالظَّرْفِ كَأَنَّهُ قَالَ: مَذَّعَامَ قَبْلَ عَامِنَا.

«وَأُسْتَهْدِيهِ قَرِيبَا هَادِيَا» وَ الْإِسْتِهْدَاءُ مِنَ الْبَعِيدِ وَ لَوْ كَانَ هَادِيَا أَوْ الْقَرِيبِ

ص: ٣٩٢

غَيْرِ الْهَادِي بِلَا ثَمَرٍ، وَ لَا يَجْمَعُهُمَا حَقِيقَةٌ غَيْرَهُ تَعَالَى فَيَجِبُ الْإِسْتِهْدَاءُ مِنْهُ.

«وَأُسْتَعِينَهُ قَادِرَا قَاهِرَا» هَكَذَا فِي (الْمَصْرِيَّةِ)، وَ الصَّوَابُ: (وَأُسْتَعِينَهُ قَاهِرَا قَادِرَا) كَمَا فِي (ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ وَ ابْنِ مَيْثَمٍ وَ الْخَوَّيِّ وَ الْخَطِيبِ)<sup>١٥٤٣</sup>.

قَالَ ابْنُ مَيْثَمٍ: اسْتَعَانَتْهُ طَلِبُ الْمَعُونَةِ مِنْهُ عَلَى مَا يَنْبَغِي مِنْ طَاعَتِهِ، وَ سَلُوكِ سَبِيلِهِ، وَ الْقَاهِرُ هُوَ الَّذِي لَا يَجْرِي فِي مَلِكِهِ بِخِلَافِ حُكْمِهِ، بَلْ كُلُّ مَوْجُودٍ مَسْخَرٌ تَحْتَ حُكْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ، وَ حَقِيرٌ فِي قَبْضَتِهِ، وَ الْقَادِرُ هُوَ الَّذِي إِذَا شَاءَ فَعَلَ وَ إِذَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْ، وَ إِنْ لَمْ يَلْزَمْ أَنَّهُ لَا يَشَاءُ فَلَا يَفْعَلُ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، وَ ظَاهِرٌ أَنَّهُ بِاعْتِبَارِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ مَبْدَأٌ لِلْإِسْتِعَانَةِ<sup>١٥٤٤</sup>.

«وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيَا نَاصِرَا» قَالَ ابْنُ مَيْثَمٍ: التَّوَكَّلُ - كَمَا عَلِمْتَ - يَعُودُ إِلَى اعْتِمَادِ الْإِنْسَانِ فِي مَا يَرْجُو أَوْ يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ، وَ الْكَافِيَا اعْتِبَارُ كُونِهِ مَعْطِيَا لِكُلِّ قَابِلٍ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَكْفِي اسْتِحْقَاقَهُ مِنْ مَنْفَعَةٍ، وَ دَفْعِ مَضْرَّةٍ، وَ النَّاصِرُ هُوَ اعْتِبَارُ إِعْطَائِهِ النَّصْرَ لِعِبَادِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِإِفَاضَةِ هِدَايَتِهِ وَ قُوَّتِهِ، وَ ظَاهِرٌ أَنَّهُ تَعَالَى بِاعْتِبَارِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ مَبْدَأٌ لِتَوَكُّلِ عِبَادِهِ عَلَيْهِ، وَ إِقْنَاءِ مَقَالِيدِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ<sup>١٥٤٥</sup>.

<sup>١٥٤٠</sup> (٢) آل عمران: ١٨.

<sup>١٥٤١</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٦.

<sup>١٥٤٢</sup> (٤) صحاح اللغة، الجوهري ٥: ١٨٣٨ مادة (أول).

<sup>١٥٤٣</sup> (١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٥، و شرح الخوئي ٢: ٢٤٠، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٣٠ «قادرًا قاهرًا» أيضًا.

<sup>١٥٤٤</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٢٣٢.

<sup>١٥٤٥</sup> (٣) المصدر نفسه.

قلت: و لذا قال نوح عليه السّلام لقومه: «يا قوم إنّ كان كبرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لَا تُنظِرُون»<sup>١٥٤٦</sup>.

و منله قال الحسين عليه السّلام يوم الطفّ لأهل الكوفة، كما رواه أبو مخنف<sup>١٥٤٧</sup>.

ص: ٣٩٣

٣٧

الحكمة (١٣) و قال عليه السّلام:

مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ أَقُول: هو أيضا إحدى آيات الله تعالى، فمن ضيَّعه الأقرب لو لم يقدر له الأبعد لهلك، و نرى أنّ كثيرا من المؤمنين الذين يتبرأ منهم أقاربهم، و يدعونهم يقدر الله لهم من يخدمهم من الأبعد، كما أنّ موسى عليه السّلام لما ألقته أمّه في اليمّ أخذه عدوّه و ربّاه<sup>١٥٤٨</sup>.

٣٨

الحكمة (٨٤) و قال عليه السّلام:

بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَ أَكْثَرَ وُلْدًا أَقُول: الأصل في العنوان أنّ الحصين بن المنذر كتب إليه عليه السّلام كما في العقد - الفريد - ج ٤ ص ٢٥٦، أنّ السيف أكثر في ربيعه، فوقّع عليه السّلام في جوابه: بقية السيف أنمي عددا<sup>١٥٤٩</sup>.

و في (بيان الجاحظ - البيان و التبيين - ج ٢ ص ٣٥٥ الجاحظ): قال على كرم الله وجهه: بقية السيف أنمي عددا و أكرم ولدا، و وجد الناس ذلك بالعيان الذي صار إليه ولده من نهك السيف، و كثرة الذرء و كرم النجل<sup>١٥٥٠</sup>.

و قال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو عثمان (يعني الجاحظ): لبيته عليه السّلام

ص: ٣٩٤

لَمَّا ذَكَرَ الْحَكْمَ ذَكَرَ الْعَلَّةَ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ وَجَدْنَا مُصَدِّقَ قَوْلِهِ أَوْلَادَهُ، وَ أَوْلَادَ الزَّيْبِيرِ، وَ بَنِي الْمَهَلَّبِ وَ أَمْثَالِهِمْ<sup>١٥٥١</sup>.

<sup>١٥٤٦</sup> (٤) يونس: ٧١.

<sup>١٥٤٧</sup> (٥) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٣٢٢ سنة (٦١) عن أبي مخنف، لكن ليس في كتاب مقتل الحسين المنسوب إلى أبي مخنف.

<sup>١٥٤٨</sup> (١) القصة مذكورة في قوله تعالى في سورة طه: ٣٩.

<sup>١٥٤٩</sup> (٢) العقد الفريد ٤: ٢٥٦.

<sup>١٥٥٠</sup> (٣) البيان و التبيين ٢: ٣٥٥.

قلت: أمّا العلّة فالعناية الإلهية بجيران من وقع عليه ظلم، فمضر حيث كانت فيهم السلطنة، و كانوا أعداء ربيعة فأكثرُوا من إفنائهم، ثمّ الذي وجدت في كتاب الجاحظ الاقتصار على ولده<sup>١٥٥٢</sup>، و أمّا جمعه معهم ولد الزبير و ولد المهلب - كما نقل - ففي غير محلّه، حيث إنّ الزبير إنّما قتل جمع من ولده أيّام نهوض عبد الملك فقط، فقتل مع عبد الله بن الزبير ابنه الزبير و عروة، و أخوه المنذر، و ابن أخيه عمرو بن عروة، و قتل مع مصعب أخيه ابنه عيسى، كما أنّ المهلب قتل جمع من ولده أيّام خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك.

و أمّا ولده عليه السّلام فكان القتل فيهم في كلّ زمان في مدّة سلطنة بنى أمية و سلطنة بنى العباس، سوى وقعة الطفّ التي أرادوا فيها استيصالهم حتّى قتلوا رضيعهم و أرادوا قتل عليهم، حتّى صنّف في مقاتلهم كتب كثيرة بالخصوص، و منها (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الاصبهاني الأمويّ، و مع ذلك ولده عليه السّلام أكثر من جميع طوائف قريش حتّى مع العباسيين، مع بنى هاشم، و قد كانوا كثروا أيّام سلطنتهم، و قد كان المأمون أمر بإحصائهم لما أراد جعل عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام وليّ عهده، فكانوا ثلاثة و ثلاثين ألفا صغيرا و كبيرا، فقال المأمون للنّاس أنّه نظر في ولد العباس و ولد عليّ عليه السّلام فلم يجد في وقته أحدا أفضل و لا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى عليه السّلام. نقل ذلك

ص: ٣٩٥

الطبرى و المسعودي<sup>١٥٥٣</sup>، بل المعروف من جميع قريش - منذ قرون و في كلّ قرن - كلّ صقع مشحون من ولده عليه السّلام، و ذلك من آيات الله الخاصّة فيه عليه السّلام.

قال محمّد بن محمّد بن النعمان في (إرشاده): و من آيات الله تعالى فيه عليه السّلام أنّه لم يمن أحد في ولده و ذريّته بمثل ما منى عليه السّلام في ذريّته، و ذلك أنّه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبيّ، و لا إمام، و لا ملك زمان، و لا برّ و لا فاجر كالخوف الذي شمل ذريّة أمير المؤمنين عليه السّلام، و لا لحق أحدا من القتل و الطرد عن الديار و الأوطان و الإخافة و الإرهاب ما لحق ذريّة أمير المؤمنين عليه السّلام و ولده، و لم يجر على طائفة من الناس من ضروب النّكال ما جرى عليهم من ذلك، فقتلوا بالفتك و الغيلة و الاحتيال، و بنى على كثير منهم و هم أحياء البنيان، و عذبوا بالجوع و العطش حتّى ذهب أنفُسهم على الهلاك، و أحوجهم ذلك إلى التمزّق في البلاد، و مفارقة الديار و الأهل و الأوطان، و كتمان نسبهم عن أكثر الناس، و بلغ بهم الخوف إلى الاستخفاء عن أحبائهم فضلا عن الأعداء، و بلغ هربهم من أوطانهم إلى أقصى الشرق و الغرب، و المواضيع النائية عن العماره، و زهد في معرفتهم أكثر الناس، و رغبوا عن تقريبيهم، و الاختلاط بهم مخافة على أنفسهم و ذرارهم

<sup>١٥٥١</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٧٩.

<sup>١٥٥٢</sup> (٢) قال الجاحظ في البيان و التبيين ٢: ٣٥٥: «قال المهلب: ليس أنمي من بقبه السيف، فوجد الناس تصديق قوله فيما نال أولاده من السيف و صار فيهم من النماء، و قال علي بن أبي طالب: بقبه السيف أنمي عددا و أكرم ولدا. و وجد الناس ذلك بالعيان الذي صار إليه من ولده من نهك السيف و كثرة الذرة و كرم النجل» فقال في: ٣٥٦: «و لم يظهر من عدد القتلى مثل الذي يظهر في آل أبي طالب و آل الزبير و آل المهلب».

<sup>١٥٥٣</sup> (١) الطبرى في التاريخ ٧: ١٣٢، سنة (٢٠٠)، و المسعودي في المروج ٣: ٤٤٠، و لفظ المسعودي «و أحصى في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة و ثلاثين ألفا ما بين ذكر و أنثى» و روى قول المأمون للناس في الرضا عليه السّلام الطبرى في التاريخ ٧:

١٣٩ سنة (٢٠١)، و المسعودي في المروج ٣: ٤٤١.

من جبايرة الزمان، و هذه كلّها أسباب تقتضى انقطاع نظامهم و اجتثاث أصولهم و قلّة عددهم، و هم مع ما وصفناه أكثر ذريّة من الأنبياء و الصالحين و الأولياء، بل أكثر من ذرارى كلّ أحد من الناس، قد طبقوا بكثرتهم البلاد، و غلبوا فى الكثرة على ذرارى أكثر العباد.

ص: ٣٩٦

هذا مع اختصاص مناكحهم فى أنفسهم دون البعداء، و حصرها فى ذوى أنسابهم دينيّة من الأقرباء، و فى ذلك خرق العادة على ما بيّناه، و هو دليل الآيّة الباهرة فى أمير المؤمنين عليه السّلام كما وصفناه و بيّناه، و هذا ما لا شبهة فيه<sup>١٥٥٤</sup>.

قلت: و كثرة أولاد أمير المؤمنين عليه السّلام مع قتلهم و حبسهم و طردهم فى كلّ زمان و مكان شاهدة لتصديق وعد الله تعالى نبيّه صلى الله عليه و آله الكوثر، كما أنّ انقراض جماهير قريش الشانئين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السّلام دليل لتصديق وعيد الله تعالى شانئه صلى الله عليه و آله لكونه أتر بالخصوص، مضافا الى وعيده تعالى الظالمين عموما بقطع دابرهم فى قوله تعالى: «فَقَطِّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>١٥٥٥</sup>. و ممّا يشهد لقوله عليه السّلام فى كون بقيّة السّيف أكثر عددا عناية منه تعالى ببقاء النوع الإنسانى فى غير الظالمين، فبعد الحربين العالميتين كانت النساء فى أوربا<sup>١٥٥٦</sup> - كما قالوا - لم يلدن غير البنين لفناء رجال كثيرين منهنّ.

٣٩

الحكمة (١٣٩) و قال عليه السّلام:

تَنْزِلُ الْمُعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ أَقُولُ: هو أيضا أحد الأدلّة على وجود الخالق الرّازق، و ذلك أمر مشاهد بالعيان، فالإنسان إذا كان وحده يكون رزقه بقدره نوعا، و إذا صار ذا زوجة

ص: ٣٩٧

يزداد فى رزقه بقدرها، و إذا صار ذا أولاد يزداد فى رزقه بقدرهم، بمعنى أنّه لا يمكن أن يرزق أقل، و إلّا فقد يرزق من وحده بقدر مؤنّة عدّة.

<sup>١٥٥٤</sup> (١) الإرشاد للمفيد: ١٦٤.

<sup>١٥٥٥</sup> (٢) الأتعام: ٤٥.

<sup>١٥٥٦</sup> (٣) لم يختص هذا الحرب بأوربا، بل قلّما يوجد بلد لم تسر إليه الفتنة فى العالم.

و المراد ما إذا تعرض للرزق أو لم يكن له حيلة، و إلا ففي الخبر: من جلس في بيته و دعا للرزق مع تمكنه يكون ممن لا يستجاب لهم<sup>١٥٥٧</sup>.

قال ابن أبي الحديد: كان على بعض الموسرين رسوم لجماعة من الفقراء يدفعها إليهم كل سنة فاستكثرها فأمر كاتبه بقطعها، فرأى في المنام كأن له أموالا كثيرة في داره تصعدا أقوام من الأرض إلى السماء و هو يجزع من ذلك، فيقول: يا رب رزقي، فقيل له: إنما رزقناك هذه لتصرفها في ما كنت تصرفها فيه، فإذا قطعت ذلك رفعناها منك، و جعلناها لغيرك. فلما أصبح أمر كاتبه بإعادة تلك الرسوم أجمع<sup>١٥٥٨</sup>.

قلت: و في (تاريخ بغداد): أن الواقدي كتب رقعة إلى المأمون يذكر فيها غلبة الدين و غمه بذلك. فوقع المأمون على ظهرها: فيك خلتان السخاء و الحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما ملكت، و أما الحياء فهو الذي منعك من اطلاعنا على ما أنت عليه، و قد أمرنا بكذا و كذا، فإن كنا أصبنا إرادتك في بسط يدك فإن خزائن الله مفتوحة، و أنت كنت حدثتني - و أنت على قضاء الرشيد - عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس أن النبي صلى الله عليه و آله قال للزبير: إن باب الرزق مفتوح بباب العرش ينزل الله على العباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن قلل قلل له، و من كثر كثر له. قال الواقدي: و كنت قد أنسيت هذا الحديث فكان

ص: ٣٩٨

تذكرته إتيي أحب إلي من جائزته - قال الراوي: بلغني أن الجائزة كانت مائة ألف درهم - فكان الحديث أحب إليه من مائة ألف<sup>١٥٥٩</sup>.

٤٠

الحكمة (١٤٤) و قال عليه السلام:

يُنزَلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ - وَ مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ «ينزل الصبر على قدر المصيبة» نزول الصبر على قدر المصيبة أيضا هو إحدى آياته تعالى و حكمه و ألطافه على عبده، كنزول المعونة عليهم على قدر مئونتهم.

<sup>١٥٥٧</sup> (١) هذا المعنى أخرجه الحميري في قرب الإسناد: ٣٨، و الكليني بخمس طرق في الكافي: ٢: ٥١١ ح ٢ و ٣، و ٥: ٦٥ ح ١، و ٥: ٧٧ ح ١، و الصدوق في الفقيه: ٢: ٣٩ ح ١٠ و بطريقتين في الخصال: ١٦٠ ح ٢٠٨، و: ٢٩٩ ح ٧١، و الطوسي في التهذيب: ٦: ٣٢٢ ح ٨ و أماليه: ٢: ٢٩٢ المجلس ١٩، و الكراچكي في كنز الفوائد: ٢٩١، و ابن إدريس في السرائر عنه الوسائل: ٤:

١١٦٠ ح ٤، و جمع آخر.

<sup>١٥٥٨</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد: ٤: ٣٠٩.

<sup>١٥٥٩</sup> (١) تاريخ بغداد: ٣: ١٩، و النقل بتصرف يسير.

و فى (توحيد المفضل)- بعد ذكر نعمة الحافظة، و أنه لولاها لا اختلّ حال الناس:- و أعظم من النعمة على الإنسان فى الحفظ النعمة فى النسيان، فإنه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، و لا انقضت له حسرة، و لا مات له حقد، و لا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، و لا رجاء غفلة من سلطان، و لا فترة من حاسد. أفلا ترى كيف جعل فى الإنسان الحفظ و النسيان و هما مختلفان متضادان، و جعل له فى كلّ منهما ضرب من المصلحة؟ و ما عسى أن يقول الذين قسّموا الأشياء بين خالقين متضادين فى هذه الأشياء المتضادة المتباينة، و قد تراها تجتمع على ما فيه الصّلاح و المنفعة<sup>١٥٦٠</sup>.

و روى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام أيضا: أن الميت إذا مات بعث الله تعالى ملكا إلى أوجع أهله، فمسح على قلبه، فأنساه لوعة الحزن، و لو لا ذلك

ص: ٣٩٩

لم تعمر الدنيا<sup>١٥٦١</sup>.

و عنه عليه السّلام أيضا: إن الله تبارك و تعالى تطوّل على عباده بثلاث: ألقى عليهم الرّيح بعد الرّوح، و لو لا ذلك ما دفن حميم حميما، و ألقى عليهم السّلوة، و لو لا ذلك لانقطع النّسل، و ألقى على هذه الحبة الدّابة، و لو لا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكتنون الذهب و النّفضة<sup>١٥٦٢</sup>.

«و من ضرب يده على فخذه عند مصيبتة حبط أجره» و فى (المصرية) بدل (أجره): (عمله) و هو تصحيف<sup>١٥٦٣</sup>، و كيف كان روى الفقرة (تحف العقول ابن شعبة- تحف العقول- ص ٢٢١) عنه عليه السّلام<sup>١٥٦٤</sup>، و لكن رواه (الكافى ٣ الكلينى- الكافى- ج ٣ ص ٢٢٤ ح ٤) عن الصادق عليه السّلام عن النّبي صلى الله عليه و آله<sup>١٥٦٥</sup>، و لا غرو فإنّ النّبيّ و الوصىّ- صلوات الله عليهما و على آلهما- كانا كنفس واحدة، و موجبيّته للحبط لكشفه عن عدم رضاء العبد بقضاء ربّه فلا بدّ أن يحبط أجره.

<sup>١٥٦٠</sup> (٢) توحيد المفضل: ٧٨.

<sup>١٥٦١</sup> (١) أخرجه الكلينى فى الكافى ٣: ٢٢٧ ح ١، و الصدوق فى الفقيه ١: ١١٢ ح ٢١.

<sup>١٥٦٢</sup> (٢) أخرجه الكلينى فى الكافى ٣: ٢٢٧ ح ٢، و الصدوق فى الفقيه ١: ١١٨ ح ٨، و علل الشرائع ١: ٢٩٩ ح ١، و الخصال ١:

١١٢ ح ٨٧، و أخرج معناه أيضا الصدوق فى علل الشرائع ١: ٢٩٩ ح ٢.

<sup>١٥٦٣</sup> (٣) لفظ شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣١٠، و شرح ابن ميثم ٥: ٣١٩ «أجره» أيضا.

<sup>١٥٦٤</sup> (٤) روى ابن شعبة فى تحف العقول: ٢٢١ هذا اللفظ: «و من ضرب يده على فخذه عند المصيبة حبط أجره، و الصنعة لا تكون صنعة إلّا عند ذى حسب أو دين، و الله ينزل الصبر على قدر المصيبة».

<sup>١٥٦٥</sup> (٥) فقرة «ينزل الصبر على قدر المصيبة» أخرجه الحميرى فى قرب الأسناد ١ الحميرى- قرب الأسناد- ص ٥٥: ٥٥، و ابن عدى فى الكامل ١ ابن عدى- الكامل-، و ابن بلال عنهما الجامع الصغير ٢ ابن بلال- الجامع الصغير- ج ١ ص ٧٨: ٧٨، و رواه الراوندى فى لب اللباب ١ الراوندى- لب اللباب-، و عنه المستدرک ٢- المستدرک- ج ١ ص ١٤٠ ح ٣٧: ١٤٠ ح ٣٧ عن النّبي صلى الله عليه و آله، و أخرجه ابن شعبة فى تحف العقول: ٢٢١ عن على عليه السّلام، و أخرجه الصدوق فى الفقيه ٣ الشيخ الصدوق- من لا يحضره الفقيه- ج ٤ ص ٢٩٨ ح ٨٠: ٢٩٨ ح ٨٠ عن الصادق عليه السّلام باختلاف يسير، و فقرة «من ضرب يده على فخذه عند مصيبة حبط أجره» أخرجه الكلينى فى الكافى ٣: ٢٢٤ ح ٤ عن النّبي صلى الله عليه و آله، و أخرجه ابن شعبة فى تحف العقول: ٢٢١

الحكمة (١٥) و (٤٥٩) و قال عليه السلام:

تَذَلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْأَفَةُ فِي التَّدْبِيرِ وَ قَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي مَا تَقَدَّمَ بِرَوَايَةٍ تَخَالَفُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ.

أقول: و حكاه الجهشيارى فى (وزرائه) بلفظ آخر فقال: دخل يحيى البرمكى على الرشيد لما ابتدأت حاله فى الفساد و هو خال فرجع فعرف خبره.

فقال لبعض الخدم: الحق يحيى و قل له: خنتنى فاتهمتنى، فأبلغه الرسول فقال له: قل للرشيد: إذا انقضت المدّة كان الحتف فى الحيلة. و الله ما انصرفت عن خلوتك إلّا تخفيها عنك. قال و هذا كلام لعلى بن أبى طالب كرم الله مثواه: «إذا انقضت المدّة كان الهلاك فى العدة» قال: و سرق هذا المعنى ابن الرومى فقال:

عجزت محالته عن الأصدار

غلط الطيب على غلطة مورد

غلط الطيب إصابة المقدار

و الناس يلحون الطيب و إنما

<sup>١٥٤٤</sup> و رواه (إرشاد الشيخ المفيد- الإرشاد- ص ١٥٩ المفيد) مع الأصل فيه، و أن أصل المعنى ليزدجرد آخر ملوك فارس، فقال: سأل أمير المؤمنين عليه السلام شاهزنان بنت كسرى حين أسرت: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قال: حفظت عنه أنه كان يقول: «إذا غلب الله على أمر ذلت المطابخ دونه، و إذا انقضت المدّة كان الحتف فى الحيلة».

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك! تذلل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف فى التدبير<sup>١٥٤٧</sup>.

عن على عليه السلام، و أخرجه الصدوق فى الفقيه ٤: ٢٩٨ ح ٨٠ و الخصال ٣ الشيخ الصدوق- الخصال- ص ١٩١ ح ٢٦٥: ١٩١ ح ٢٦٥ عن الصادق عليه السلام، و أخرجه الكليني فى الكافي ٣: ٢٢٥ ح ٩ عن الكاظم عليه السلام، و أخرجه صاحب فقه الرضا عنه البحار ٣- بحار الأنوار- ج ٨٢ ص ٧٩ ح ١٦: ٨٢: ٧٩ ح ١٦ عن الرضا عليه السلام، و ينحصر الجمع بين الفقرتين برواية الفقيه.

<sup>١٥٤٤</sup> (١) الوزراء للجهشيارى: ٢٢٧ و النقل بتصريف يسير.

<sup>١٥٤٧</sup> (٢) الإرشاد للمفيد: ١٥٩.

و مما يشهد للمعنى ما فى (عيون القتيبي): إنَّ أبا مسلم لما قدّم المدائن فى اليوم الذى قتل فيه جعل يضرب بالسَّوط معرفة بردونه و يقول بالفارسيَّة كلاما معناه: ما تغنى المعرفة إذا لم تقدر على دفع المحتوم. ثم قال: «جَارَةٌ ذيلها تدعو يا ويلها بدجلة أو حولها، كأننا بعد ساعة قد صرنا فى دجلة»<sup>١٥٦٨</sup>.

و ما فى (تاريخ الطبرى): قال أبو مسلم لنيك: إنى و الله ما رأيت طويلا أعقل منك، فما ترى فى إتيانى المنصور، فقد جاءت هذه الكتب، و قد قال القوم ما قالوا؟ قال: لا أرى أن تأتية، و أرى أن تأتى الرى فتقيم بها، فيصير ما بين خراسان و الرى لك، و هم جندك، ما يخالفك أحد- إلى أن نقل قول أبى مسلم- رأيت أن أوجّه أبا إسحاق إلى المنصور، فىأتينى برأيه فإنه ممن أثق به، فوجّهه، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحبّ، و قال له المنصور: اصرفه عن وجهه و لك ولاية خراسان، و أجازه فرجع أبو اسحاق إلى أبى مسلم، فقال له:

ما أنكرت شيئا رأيتهم معظمين لحقك- إلى أن قال- فقال له: نيك: قد أجمعت على الرجوع؟ قال: نعم، و تمثّل:

### ذهب القضاء بحيلة الأقسام

### ما للرجال مع القضاء محالة

<sup>١٥٦٩</sup> و يشهد له ما فى (المروج): ذكر المدائنى و العتبي و غيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام و الجزيرة و غيرهم مائة ألف فارس على مائة ألف قارح، فلما كان يوم الوقعة و أشرف عبد الله بن علىّ فى المسوِّدة، و فى أوائلهم البنود السّود يحملها الرجال على الجمال البخت، و قد جعلت أفتابها من خشب الصفصاف و الغرب، قال مروان لمن قرب منه: أما ترون رماحهم كأنهم النّخل غلظا، أما ترون إلى

ص: ٤٠٢

أعلامهم فوق هذه الإبل كأنها قطع من الغمام سود، فبينما هو كذلك إذ طار من أفرجة هنالك قطعة من الغرابيب سود فاجتمعت على أوّل رايات عبد الله بن علىّ و اتّصل سوادها بسواد تلك الرايات و البنود، و مروان ينظر فتطير من ذلك، فقال: أما ترون السّواد قد اتّصل بالسّواد، و كان الغرابيب كالسحب سوادا، ثمّ نظر إلى أصحابه المحاربين، و قد استشعروا الجزع و الفرع و الفشل فقال: إنها لعدّة و ما تنفع العدّة إذا انقضت المدّة<sup>١٥٧٠</sup>.

و ما فى (تاريخ الطبرى): كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبّر شيئا إلّا كان فيه الخلل و الفساد، كان يوم انهزم واقفا و الناس يقتتلون إذ أمر بالأموال فأخرجت فقال للناس: اصبروا و قاتلوا فهذه الأموال لكم، فجعل ناس يصيبون من ذلك المال،

<sup>١٥٦٨</sup> (١) رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١: ٢٦ و النقل بتصرف يسير.

<sup>١٥٦٩</sup> (٢) تاريخ الطبرى ٦: ١٣٢ سنة (١٣٧).

<sup>١٥٧٠</sup> (١) مروج الذهب ٣: ٢٥٠.

فأرسلوا إليه أن الناس قد مالوا على هذا المال و لا تأمنهم أن يذهبوا به، فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك، فاقتل من أخذ من ذلك المال و امنعهم، فمال عبد الله برأيته و أصحابه فقال الناس الهزيمة فانهزموا<sup>١٥٧١</sup>.

و في (أذكياء ابن الجوزي)- باب في من احتال فانعكس عليه مقصوده- و نقل أموراً، و منها: عن علي بن المحسن عن أبيه قال: حدثنا جماعة من أهل جند سابور- و فيهم كتاب و تجار و غير ذلك- أنه كان عندهم في سنة نيف و أربعين و ثلاثمائة شاب من كتاب النصارى و هو ابن أبي الطيب القلانسي، فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق، فأخذته الأكراد و عذبوه و طالبوه أن يشتري نفسه منهم، و كتب إلى أهله انفذوا إلي أربعة دراهم أفيون و اعلموا أنني أشربها فتلحقني سكتة، فلا تشك الأكراد أنني مت فيحملوني إليكم، فإذا

ص: ٤٠٣

حصلت عندكم فأدخلوني الحمام و اضربوني ليحمي بدني و سوكوني بالأيارج، فأني أفيق، و كان سمع أن من شرب أفيونا أسكت، فإذا أدخل الحمام و ضرب و سوك بالأيارج برأ، فلم يعلم مقداراً لشربه، فشرب أربعة دراهم، فلم يشك الأكراد في موته، فلقوه في شيء و أنفذوه إلى أهله، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام و ضربوه و سوكوه، فما تحرك و أقام في الحمام أياماً، و رآه أهل الطب فقالوا: قد تلف كم شرب؟ قالوا: أربعة دراهم. فقالوا: هذا الوشوى في جهنم ما عاش. إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أو وزن درهم أو حواليه. فأما هذا فقد مات. فلم يقبل أهله ذلك، فتركوه في الحمام حتى أراح و تغير فدفنوه، و انعكست الحيلة عليه.

و منها: روى أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج و كان يعذبه، و كان كل من مات في الحبس رفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه و تسليمه إلى أهله. فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم و أخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، و إن شئت أن تهرب معي فعلت و علي غناك أبداً. فأخذ السجان المال و رفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاتيه. فعاد إلى بلال، فقال: اعهد. قال: و ما الخبر؟ قال: إن الحجاج قال كيت و كيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني و علم أنني أردت الحيلة عليه، و لا بد أن أقتلك خنقا، فبكي بلال و سأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى، فأخذه السجان و خنقه و أخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتاً قال: سلمه إلى أهله، فأخذه، و قد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم و جعلت الحيلة عليه<sup>١٥٧٢</sup>.

ص: ٤٠٤

ثم معلوم بعد جمعنا بين العنوانين أن قول المصنف في الثاني «و قد مضى هذا المعنى» إشارة إلى ذكره في الأول باختلاف في بعض ألفاظه.

<sup>١٥٧١</sup> (٢) تاريخ الطبري ٦: ٩٠ سنة (١٣٢).

<sup>١٥٧٢</sup> (١) رواه ابن الجوزي في الأذكياء: ١١٠ و النقل بتصرف يسير.

الحكمة (٧) و قال عليه السلام:

اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَ يَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ - وَ يَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَ يَنْفَسُ فِي خُرْمٍ أَقُولُ: وَ كَذَا يَجِبُ أَنْ يَتَعَجَّبَ مِنْ مَحَالِّهَا، وَ مِنْ طَعُومِ فِيهَا:

أما الأول، ففي (توحيد المفضل): انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه، و شرف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصاييح فوق المنارة، لئتمكّن من مطالعة الأشياء، و لم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدين الرجلين فتعترضها الآفات و يصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يعللها و يؤثر فيها و ينقص منها، و لا في الأعضاء التي وسط البدن كالطن و الظهر فيعسر تقلبها و اطلاعها نحو الأشياء، فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس، و هو بمنزلة الصومعة لها، فجعل الحواسّ خمساً تلقى خمساً، لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان و لم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعة، و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب، و كذلك سائر الحواس<sup>١٥٧٣</sup>.

و أما الثاني فروى أبو نعيم في (حليته) عن عمرو بن جميع قال: دخلت

ص: ٤٠٥

على جعفر بن محمد أنا و ابن أبي ليلى و أبو حنيفة. فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟

قال: هذا رجل له بصر و نفاذ في أمر الدين. قال: لعله يقيس الدين برأيه.

قال: نعم. فقال جعفر لأبي حنيفة: ما اسمك؟ قال: نعمان. قال: يا نعمان! هل قست رأسك بعد؟ قال: كيف أقيس رأسي؟ قال: ما أراك تحسن شيئاً، هل علمت ما الملوحة في العينين، و المرارة في الأذنين، و الحرارة في المنخرين، و العذوبة في الشفتين؟ قال: لا. قال: ما أراك تحسن شيئاً، قال: فهل علمت كلمة أولها كفر و آخرها إيمان؟ فقال ابن أبي ليلى: يا بن رسول الله! أخبرنا بهذه الأشياء التي سألتها عنها.

فقال: أخبرني أبي عن جدّي أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: إنّ الله تعالى بمَنِّه و فضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان، و لو لا ذلك لذابتا، و إنّ الله تعالى بمَنِّه و فضله و رحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجّاباً من الدّواب، فإن دخلت الرأس دابةً و التمسّت إلى الدّماغ فإذا ذاقت المرارة التمسّت الخروج، و إنّ الله تعالى بمَنِّه و فضله و

رحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح، و لو لا ذلك لأتنت الدماغ، و إن الله تعالى بمنه و كرمه و رحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بها استطعام كل شيء<sup>١٥٧٤</sup>.

«عجبوا لهذا الانسان» قال ابن ميثم: نبه عليه السلام على لطف خلق الإنسان ببعض أسرار حكمة الله تعالى فيه و غايته من ذلك الاستدلال على حكمة صانعه و مبدعه، و ذكر أربعة من محال النظر و الاعتبار، و هي: آلة البصر

ص: ٤٠٦

و الكلام و السمع و التنفس، و خصها بالذكر لكونها مع ضعفها ضرورية في وجود الإنسان على شرفه و علو رتبته في المخلوقات، و لا يقوم إلّا بها ليكون ذلك محلّ التعجب و اعتبار لطف الصانع الحكيم<sup>١٥٧٥</sup>.

«ينظر بشحم» قال ابن ميثم: أراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الأطباء بالبيضة أو الرطوبة الجليدية، فإن العين مركبة من سبع طبقات و ثلاث رطوبات، كل منها يختص في عرفهم باسم<sup>١٥٧٦</sup>.

و قال ابن أبي الحديد: قيل: أما الإبصار فقد اختلف فيه، فقيل: إنه بخروج شعاع من العين يتصل بالمرئي، و قيل: إن القوة المبصرة التي في العين تلاقى بذاتها المرئيات فتبصرها، و قال قوم: بل يتكيف الهواء بالشعاع البصرى من غير خروج، فيصير الهواء باعتبار تكيفه بالشعاع به آلة للعين في الإدراك، و قال المحققون من الحكماء: إن الإدراك البصرى هو بانطباع أشباح المرئيات في الرطوبة الجليدية من العين عند توسط الهواء الشفاف المضيء كما تنطبع الصورة في المرآة<sup>١٥٧٧</sup>.

قلت: و يصدّق الأخير أخبارهم عليهم السلام، فورد أن الديصاني قال لهشام بن الحكم: أيقدر ربك - إذا كان قادرا - أن يدخل الدتيا كلها في البيضة، لا يكبر البيضة و لا يصغر الدتيا؟ فراجع هشام في ذلك الصادق عليه السلام، فقال عليه السلام له: كم حواسك؟ قال: خمس. قال: أيها أصغر؟ قال: الناظر. قال: و كم قدر الناظر؟ قال:

مثل العدسة أو أقل. فقال له: انظر أمامك و فوقك و أخبرني بما ترى. فقال: أرى سماء و أرضا و دورا و قصورا و جبالا و أنهارا. فقال عليه السلام: إن الذى قدر أن

ص: ٤٠٧

<sup>١٥٧٤</sup> (١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣: ١٩٦، و رواه ابن شهر آشوب في المناقب ٤: ٢٥٢، و الطبرسى في الاحتجاج ٢:

٣٥٨.

<sup>١٥٧٥</sup> (١) شرح ابن ميثم ٥: ٢٤٢.

<sup>١٥٧٦</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٤٣.

<sup>١٥٧٧</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٤٤.

يدخل الذى تراه العدس أو أقلّ قادر على أن يدخل الدنيا كلّها فى البيضة، لا يصغر الدنيا و لا يكبر البيضة<sup>١٥٧٨</sup>.

«و يتكلم بلحم» قال ابن ميثم: و عنى عليه السلام باللحم اللسان، فإنه لحم أبيض رخو تلتفّ به عروق صغار كثيرة فيها دم، و لذلك يتبين أحمر و تحته عروق و شريانات و أعصاب كثيرة، و تحته فوهتان يسيل منهما اللعاب ينتهيان إلى لحم غددي رخو موضوع فى أصله يسمى مولد اللعاب، و بهاتين الفوهتين يبقى للسان و ما حوله النّداوة الطبيعيّة<sup>١٥٧٩</sup>.

قلت: و فى (توحيد المفضل): أطل الفكر يا مفضل فى الصّوت و الكلام و تهية آتاه فى الإنسان، فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، و اللسان و الشفتان و الأسنان لصياغة الحروف و النّغم، ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السّين، و من سقطت شفته لم يصحّ الفاء، و من ثقل لسانه لم يفصح الرّاء، و أشبه شىء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة تشبه قصبه المزمار، و الرّئة تشبه الرّق الذى ينفخ فيه لتدخل الرّيح، و العضلات التى تقبض على الرّئة ليخرج الصوت كالأصابع التى تقبض على الرّق حتّى تجرى الرّيح فى المزمار، و الشفتان و الأسنان التى تصوغ الصوت حروفا و نغما كالأصابع التى تختلف فى فم المزمار، فتصوغ صفيره ألعابا، غير أنّه و إن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة و التعريف، فإنّ الزمار فى الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت- إلى أن قال- تأمل يا مفضل ما أنعم الله به على الإنسان من هذا المنطق الذى يعبر به عمّا فى ضميره و ما يخطر بقلبه و ينتجه فكره، و به

ص: ٤٠٨

يفهم عن غيره ما فى نفسه، و لو لا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التى لا تخبر عن نفسها بشىء، و لا تفهم عن مخبر شيئا<sup>١٥٨٠</sup>.

قلت: و لكون نعمة اللسان بتلك المثابة فى تمييز الإنسان من الحيوان، قال الرّحمن- جلّ و علا- فى مقام الامتنان: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»<sup>١٥٨١</sup>.

«و يسمع بعظم» قال ابن ميثم: و أراد بالعظم الذى يسمع به العظم المسّمى الحجرى، و هو عظم صلب فيه مجرى الأذن، كثير التعاريج و العطفات، يمرّ كذلك إلى أن يلقى العصبه النّابتة من الدّماغ، التى هى مجرى الروح الحامل للقوة السامعة...<sup>١٥٨٢</sup>.

قلت: و فى (توحيد المفضل): و كذلك من عدم السّمع يختلّ فى أمور كثيرة، فإنّه يفقد روح المخاطبة و المحاوره، و يعدم لذّة الأصوات و اللّحون المشجبة المطربة، و تعظم المثونة على النّاس فى محاورته حتّى يتبرّما به، و لا يسمع شيئا من أخبار النّاس و أحاديثهم حتّى يكون كالعائب و هو شاهد، و كالميت و هو حي<sup>١٥٨٣</sup>.

<sup>١٥٧٨</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٧٩ ح ٤، و الصدوق فى التوحيد: ١٢٢ ح ١، و حديث البيضة جاء بألفاظ أخرى عن عيسى و على و الرضا عليه السلام، مرّ تخريجه فى العنوان (٥) من هذا الفصل.

<sup>١٥٧٩</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٤٣.

<sup>١٥٨٠</sup> (١) توحيد المفضل: ٦٢، ٧٩.

<sup>١٥٨١</sup> (٢) الرّحمن: ٣-٤.

<sup>١٥٨٢</sup> (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢٤٣.

و فى أذكار السّجّدين «سجد وجهى للذى خلقه و شقّ سمعه و بصره»<sup>١٥٨٤</sup>.

«و يتنفس فى خرم» بالضمّ، و هو ثقب الأنف، قال ابن ميثم: و فى هذه و أمثالها من بدن الإنسان و سائر الحيوان عبرة لمن اعتبر، و كمال شهادة

ص: ٤٠٩

بوجود الصانع الحكيم لها، و من نظر فى تشريح بدن الإنسان حضرته شواهد من الحكم الإلهية يحار فيها لبّه و يدهش فيها عقله. و قرأ الصادق عليه السّلام قوله تعالى: «وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا»<sup>١٥٨٥</sup> ثمّ قال: كيف لا يكون ضعيفا و هو ينظر بشحم، و يسمع بعظم، و ينطق بلحم<sup>١٥٨٦</sup>.

٤٣

الحكمة (٣٠٢) و قال عليه السّلام:

مَا الْمُتَبَلَّى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ - بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ - مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ أَقُولُ: هو أيضا إحدى آياته تعالى، روى (الكافي) عن سيف بن ليث قال:

خلفت ابنا لى عليلا بمصر عند خروجى منها، و ابنا لى آخر أسنّ منه كان وصيى و قيّمى على عيالى، و فى ضياعى، فكتبت إلى أبى محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء لابنى العليل. فكتب عليه السّلام إلىّ: قد عوفى ابنك المعتلّ، و مات الكبير وصيىك و قيّمك، فاحمد الله و لا تجزع فيحبط أجرک، فورد علىّ الخبر أنّ ابنى قد عوفى من علته و مات الكبير يوم ورد جواب أبى محمّد عليه السّلام<sup>١٥٨٧</sup>.

و روى (العيون) عن محمّد بن داود قال: كنت أنا و أخى عند الرّضا عليه السّلام فأتاه من أخبره أنّه قد ربط ذقن محمد بن جعفر، فمضى أبو الحسن عليه السّلام و مضينا معه و إذا لحياه قد ربطا، و إذا إسحاق بن جعفر و ولده و جماعة آل

ص: ٤١٠

<sup>١٥٨٣</sup> (٤) توحيد المفضل: ٦٠.

<sup>١٥٨٤</sup> (٥) هذا الذكر أخرجه الكليني فى الكافي ٣: ٣٢١ ح ١، و الطوسى فى التهذيب ٢: ٧٩ ح ٦٣، و رواه القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ١: ١٦٤ عن الصادق عليه السّلام.

<sup>١٥٨٥</sup> (١) النساء: ٢٨.

<sup>١٥٨٦</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٤٣.

<sup>١٥٨٧</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٥١١ ح ١٨، و رواه ابن شهر آشوب فى المناقب ٤: ٤٣٣، و الإرزبلى فى كشف الغمّة ٣: ٢١٤ عن سيف بن الليث، و روى معناه الإرزبلى فى كشف الغمّة ٣: ٢١٢، و الراوندى فى الخرائج عنه بحار الأنوار ٥٠: ٢٦٩ ح ٣١، و: ٢٧٤ ح ٢٤٤ كلاهما عن على بن يزيد و حجاج بن يوسف العبدى.

أبى طالب يبكون، فجلس أبو الحسن عليه السّلام عند رأسه و نظر فى وجهه فتبسّم، فنقم من كان فى المجلس عليه، فقال بعضهم: إنّما تبسّم شامتا بعمّه. قال:

و خرج ليصلّى فى المسجد، فقلنا له: قد سمعنا فيك من هؤلاء ما نكره حين تبسّمت. فقال أبو الحسن عليه السّلام إنّما تعجبت من بكاء إسحاق و هو يموت- و الله- قبله و يبكيه محمّد. قال: فبرئ محمّد و مات إسحاق<sup>١٥٨٨</sup>.

و قال الشاعر:

بعد موت الطبيب و العوّد

كم مريض عاش من بعد يأس

و يحلّ القضاء بالصيّاد

قد يصاد القطا فينجو سليما

و قال أيضا:

يدافع عند الفرار الأجل

أ كان الجبان يرى أنّه

و يسلم منها الشجاع البطل

فقد يدرك الحادثات الجبان

٤٤

من الخطبة (١٩٧) بعد ذكر الصّلاة و الزكاة و أداء الأمانة: **إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَّا يَخْفَى عَلَيْهِ - مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ - لَطْفَ بِهِ خُبْرًا وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْمًا أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ - وَ جَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَ ضَمَائِرُكُمْ عِيُونُهُ وَ خَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى»** هكذا فى (المصرية)، و كلمة (و تعالى) زائدة لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة)<sup>١٥٨٩</sup>.

ص: ٤١١

<sup>١٥٨٨</sup> (١) أخرجه الصدوق فى العيون ٢: ٢٠٦ ح ٦، و أخرج فى معناه هو فى العيون ٢: ٢٠٦ ح ٧ برواية أخرى، و الطبرى فى دلائل الإمامة: ١٧١، و رواه ابن شهر

آشوب فى المناقب ٤: ٣٤٠، و نقله عن دلائل الامامة ابن طاوس فى فرج المهموم:

٢٣١.

<sup>١٥٨٩</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥٤٩، و فى شرح ابن ميثم ٣: ٤٦٢ «سبحانه و تعالى» أيضا.

«لا يخفى عليه ما العباد مقترفون» أى: مكتسبون للذنب «يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ»<sup>١٥٩٠</sup>.

«فى ليهم و نهارهم» «سواء منكم من أسر القول و من جهر به و من هو مستخف بالليل و سارب بالنهار»<sup>١٥٩١</sup>.

«لطف به خيرا» «يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير»<sup>١٥٩٢</sup>.

«و أحاط به علما» «و قد أحطنا بما لديهِ خيرا»<sup>١٥٩٣</sup>.

«أعضاؤكم شهوده» استشهد له بقوله تعالى: «و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ و هو خلقكم أول مرة و إليه ترجعون و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم و لكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون»<sup>١٥٩٤</sup>.

و بما فى (تفسير القمى) فى قوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون»<sup>١٥٩٥</sup> قال: إذا جمع الله تعالى الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه، فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئا، فتشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا رب ملائكتك يشهدون لك ثم

ص: ٤١٢

يخلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئا، و هو قوله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعا فيخلفون له كما يخلفون لكم»<sup>١٥٩٦</sup> فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم و تنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون<sup>١٥٩٧</sup>.

«و جوارحهم جنوده» فإذا كانت جوارح الناس شهوده يصح أن يقال: إنها أيضا جنوده «و لله جنود السماوات و الأرض»<sup>١٥٩٨</sup>.

<sup>١٥٩٠</sup> (١) الرعد: ٤٢.

<sup>١٥٩١</sup> (٢) الرعد: ١٠.

<sup>١٥٩٢</sup> (٣) لقمان: ١٦.

<sup>١٥٩٣</sup> (٤) الكهف: ٩١.

<sup>١٥٩٤</sup> (٥) فصلت: ١٩-٢٢.

<sup>١٥٩٥</sup> (٦) يس: ٦٥.

<sup>١٥٩٦</sup> (١) المجادلة: ١٨.

<sup>١٥٩٧</sup> (٢) تفسير على بن إبراهيم القمى ٢: ٢١٦.

<sup>١٥٩٨</sup> (٣) الفتح: ٤.

«و ضمائر كم عيون» أي: جواسيسه «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»<sup>١٥٩٩</sup>.

«و خلواتكم عيان» «أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»<sup>١٦٠٠</sup>.

٤٥

الحكمة (٢٧٣) و قال عليه السلام:

اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ - وَ إِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَ اشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ - وَ قَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ - أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ - وَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَ قِلَّةِ حِيلَتِهِ - وَ بَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ - وَ الْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ - أَغْظَمَ النَّاسَ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ - وَ التَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ - أَغْظَمَ النَّاسَ شُغْلًا فِي مَضْرَةٍ - وَ رَبُّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى - وَ رَبُّ مُبْتَلَى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبُلُوى - فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ

ص: ٤١٣

في سُكْرِكِ - وَ قَصْرٌ مِنْ عَجَلَتِكَ - وَ قِفٌ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ أَقُولُ: و رواه ابن شعبة الحراني في (تحف عقوله ابن شعبة الحراني - تحف العقول - ص ١٥٥)، و زاد بعد قوله: «ما سُمِّيَ له في الذكر الحكيم»: «إنه لن يزداد امرؤ نقيرا بحذقه، و لن ينتقص نقيرا بحمقه»، و بدّل قوله: «فزد أيها المستمع في سُكْرِكِ» بقوله: «فأفق أيها المستمتع من سُكْرِكِ»<sup>١٦٠١</sup>.

و رواه (الكافي الكليني - الكافي - ج ٥ ص ٨١ ح ٩) في باب الإجمال في الطلب مع زيادات و اختلافات يسيرة<sup>١٦٠٢</sup>، و كيف كان فهو أيضا من آياته تعالى، و إن الأمر ليس بيد الخلائق، و إنه لا يقع إلّا ما أراد الخالق.

«اعلموا علما يقينا» لا يختلجكم فيه شك.

«أن الله لم يجعل للعبد و إن عظمت حيلته» و تدابيره.

«و اشتدّت طلبته» و سعيه.

«و قويت مكيدته» و فطانتة.

<sup>١٥٩٩</sup> (٤) غافر: ١٩.

<sup>١٦٠٠</sup> (٥) هود: ٥.

<sup>١٦٠١</sup> (١) تحف العقول: ١٥٥، و لفظه: «ما كتب له في الذكر الحكيم أيها الناس أنه لن يزداد امرؤ نقيرا بحذقه و لن ينتقص نقيرا بحمقه».

<sup>١٦٠٢</sup> (٢) الكافي للكليني ٥: ٨١ ح ٩.

«أكثر» مفعول لقوله: «لم يجعل».

«مما سمى» و عين.

«له في الذكر الحكيم» وهو لفظ القرآن، قال تعالى: «ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ»<sup>١٦٠٣</sup>.

و الظاهر أنّ المراد به في كلامه عليه السّلام اللّوح المحفوظ الّذى فيه مقدرات الخلق، و كيف كان نرى ما قاله عليه السّلام بالمشاهدة و العيان، فكثير من الناس ممّن لهم فطانة زائدة يدبّرون تدبيرات لزيادة أرزاقهم و لا يتيسر لهم إلّا ما قدّر الله

ص: ٤١٤

تعالى لهم.

و روى (الكافي) عن الباقر عليه السّلام قال: قال النبي صلّى الله عليه و آله في حجّة الوداع: ألا إنّ الرّوح الأمين نفث في روعى أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها. فاتّقوا الله عزّ و جلّ و أجملوا في الطلب، و لا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا، و لم يقسمها حراما، فمن اتقى الله تعالى و صبر أتاه الله برزقه من حلّه، و من هتك حجاب السّتر و عجل فأخذه من غير حلّه، قصّ به من رزقه الحلال، و حوسب عليه يوم القيامة<sup>١٦٠٤</sup>.

و روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام: كم من متعب نفسه مقترّ عليه، و مقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير<sup>١٦٠٥</sup>.

و روى عن الثمالى قال: ذكر عند علىّ بن الحسين عليه السّلام غلاء السّعر.

فقال: و ما علىّ من غلاته، إن غلا فهو عليه، و إن رخص فهو عليه<sup>١٦٠٦</sup>.

و عن الصادق عليه السّلام: لو كان العبد في حجر لأتاه الله برزقه، فأجملوا في الطلب<sup>١٦٠٧</sup>.

<sup>١٦٠٣</sup> (٣) آل عمران: ٥٨.

<sup>١٦٠٤</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٨٠ ح ١، و بفرق يسير علاء بن رزين في أصله: ١٥٣، و عاصم بن حميد في أصله: ٢٣، و الاسكافي في التمهيد: ٥٢ ح ١٠٠، و الكليني بثلاث روايات في الكافي ٢: ٧٤ ح ٢، و ٥: ٨٠ ح ٣، و ٥: ٨٣ ح ١١، و الصدوق في أماليه: ٢٤١ ح ١ المجلس ٤٩، و المفيد في المقتعة: ٩٠، و الطوسى في التهذيب ٦: ٣٢١ ح ١، و رواه أبو القاسم الكوفى في الأخلاق عنه المستدرک ٢: ٤١٨، الباب ١٠ ح ١٣، و الديلمى في أعلام الدين عنه المستدرک ٢: ٤١٨ الباب ١٠ ح ١٠.

<sup>١٦٠٥</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٨١ ح ٦، و الاسكافي في التمهيد: ٥٣ ح ١٠١، و الصدوق في الفقيه ٤: ٢٧٦ ضمن وصيته عليه السّلام لابن الحنفية.

<sup>١٦٠٦</sup> (٣) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٨١ ح ٧، و الصدوق في الفقيه ٣: ١٧٠ ح ١٣، و التوحيد: ٣٨٨ ح ٣٤، و الطوسى في التهذيب ٦: ٣٢١ ح ٢.

<sup>١٦٠٧</sup> (٤) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٨١ ح ٤، و الاسكافي في التمهيد: ٥٣ ح ١٠٣.

ص: ٤١٥

«و لم يحل» تعالى.

«بين العبد في ضعفه» في بدنه.

«و قلّة حيلته» في أمره.

«و بين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم» من الرزق، بل الغالب كون رزقهم أكثر، قال الصادق عليه السلام: إن الله تعالى وسّع في أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء، و يعلموا أن الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل و لا حيلة<sup>١٦٠٨</sup>.

«و العارف لهذا» أي: العارف بأنّه لا ينال إلّا ما قدر له.

«العامل به» على طبق علمه.

«أعظم الناس راحة في منفعة» حيث إنه يعلم أن ما قدر له يأتيه بلا تعب، قال الصادق عليه السلام: إذا فتحت بابك، و بسطت بساطك، فقد قضيت ما عليك<sup>١٦٠٩</sup>.

«و التارك له الشاك فيه» بظنه أن الرزق بجده و جهده.

«أعظم الناس شغلا في مضرة» حيث إنه يكدر ليله و نهاره و يسلب راحته، و لا يحصل له إلّا ما قدر له.

«و ربّ منعم عليه مستدرج» أي: مأخوذ تدريجا، و الأصل فيه قوله تعالى:

«و الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>١٦١٠</sup>.

«بالنعمى» فكانت سبب غرته، فلو لم يكن منعما عليه كان له أولى، قال تعالى: «أَ يَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَ نَبِّئِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ»

ص: ٤١٦

<sup>١٦٠٨</sup> (١) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٨٢ ح ١٠، و الاسكافي في التمهيص: ٥٣ ح ١٠٢، و الصدوق في علل الشرائع ١: ٩٢ ح ١، و الطوسي في التهذيب ٦: ٣٢٢ ح ٥، و رواه الورام في تنبيه الخواطر ١: ١٤ عن الصادق عليه السلام.

<sup>١٦٠٩</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٧٩ ح ١، و الصدوق في الفقيه ٣: ١٠٠ ح ٤٢، و الطوسي في التهذيب ٦: ٣٢٣ ح ٧، و أخرج معناه أيضا الصدوق في الفقيه ٣: ١٠٠ ح ٤١، كلهم عن الصادق عليه السلام.

<sup>١٦١٠</sup> (٣) الأعراف: ١٨٢.

لا يَشْعُرُونَ<sup>١٦١٦</sup>.

«و ربّ مبتلى مصنوع له» من الله تعالى.

«بالبلوى» أى: بالابتلاء، روى (التوحيد) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال تعالى:

«إنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالفقر و لو أغنيته لأفسده ذلك»<sup>١٦١٢</sup>.

«فزد أيّها المستمع وقف عند منتهى رزقك» و لا تطمع فى الزيادة عليه سفاهة، و قد عرفت ما بدّل (التحف) الجملة<sup>١٦١٣</sup>.

و رواها (الكافى): «فأتق الله أيّها الساعى من سعيك، و قصر من عجلتك، و انتبه من سنة غفلتك، و تفكّر فى ما جاء عن الله تعالى على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله<sup>١٦١٤</sup>.

٤٤

الحكمة (٨٤) و من خطبة له عليه السلام:

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ - لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْغَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ - وَ الْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ «قد علم السرائر» وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ»<sup>١٦١٥</sup>، «أ لم يعلموا أنّ الله يعلم سرهم و نجواهم»<sup>١٦١٦</sup>.

ص: ٤١٧

«و خبر» بالفتح: أى علم.

«الضمائر» «فإنه يعلم السرّ و أخفى»<sup>١٦١٧</sup> «و هو معهم إذ يبيئون ما لا يرضى من القول»<sup>١٦١٨</sup>.

«له الإحاطة بكلّ شيء» «و لله ما فى السماوات و ما فى الأرض و كان الله بكلّ شيء محيطاً»<sup>١٦١٩</sup>.

<sup>١٦١١</sup> (١) المؤمنون: ٥٥-٥٦.

<sup>١٦١٢</sup> (٢) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٤٠٠ ح ١، و علل الشرائع ١: ١٢ ح ٧، و أخرج فى معناه الكلينى فى الكافى ٢: ٩٠ ح ٤.

<sup>١٦١٣</sup> (٣) مرّ فى بدء هذا العنوان من تحف العقول: ١٥٦.

<sup>١٦١٤</sup> (٤) الكافى للكلينى ٥: ٨٢ ح ٩، و فى بعض نسخ الكافى «فأفق أيّها الساعى».

<sup>١٦١٥</sup> (٥) محمد: ٢٦.

<sup>١٦١٦</sup> (٦) التوبة: ٧٨.

<sup>١٦١٧</sup> (١) طه: ٧.

<sup>١٦١٨</sup> (٢) النساء: ١٠٨.

«و الغلبة لكل شيء» «و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون»<sup>١٦٢٠</sup>.

أراد نمرد و فرعون منع تولد إبراهيم و موسى عليهما السلام، و أراد إخوة يوسف دفعه عما قدر له من الرفعة<sup>١٦٢١</sup>، فصاروا مغلوبين في قبال أمره تعالى.

«و القوة على كل شيء» «و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً»<sup>١٦٢٢</sup>.

ص: ٤١٨

٤٧

من الخطبة (٩٩) و من خطبة له عليه السلام أخرى:

الأوّل قبل كلّ أوّل و الآخر بعد كلّ آخر - بأوّلينّه و جبّ أن لا أوّل له - و بأخريّته و جبّ أن لا آخر له و أشهد أن لا إله إلاّ الله شهادةً - يوافق فيها السرُّ الأعلان - و القلبُ اللسان قول المصنّف: «و من خطبة له عليه السلام أخرى» هكذا في (المصرية)، و لا معنى لكلمة (أخرى)، فإنّ كلّ خطبة من الكتاب غير سابقتهما، و فيها نقص. ففي (ابن أبي الحديد)<sup>١٦٢٣</sup>: «و من خطبة له عليه السلام، و هي من الخطب التي تشتمل على ذكر الملاحم» و كذا (ابن ميثم)<sup>١٦٢٤</sup> بدون قوله: «و هي من الخطب التي» و مثل (ابن ميثم): (الخطبة)، لكن فيها «الملحمة» بدل (الملاحم).

قوله عليه السلام: «الأوّل قبل كلّ أوّل، و الآخر بعد كلّ آخر» روى (توحيد الصدوق) أن الصادق عليه السلام سئل عن قوله تعالى: «هُوَ الأوّلُ وَ الآخِرُ»، فقال: الأوّل لا عن أوّل كان قبله، و لا عن بدء سبقه، و الآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة

<sup>١٦١٩</sup> (٣) النساء: ١٢٦.

<sup>١٦٢٠</sup> (٤) يوسف: ٢١.

<sup>١٦٢١</sup> (٥) منع تولد إبراهيم لم يجيء في القرآن، لكن أخرجه على بن إبراهيم في تفسيره ١: ٢٠٧ و الكليني في الكافي ٨: ٣٦٦ ح ٥٥٨، و الصدوق في كمال الدين ١: ١٣٨ ح ٧، و رواه الراوندي في قصص الأنبياء عنه البحار ١٢: ٤٢ ح ٣١ مسندا عن الصادق عليه السلام، و أخرجه المسعودي في إثبات الوصية: ٢٩ مرسلا عن العالم عليه السلام، و رواه موقوفاً أو بلا اسناد الطبري في التاريخ ١: ١٦٣-١٦٥، و المسعودي في مروج الذهب ١: ٥٦، و الثعلبي في العرائس: ٧٣-٧٤، و الطبرسي في مجمع البيان ٤: ٣٢٥، و أما قصة منع تولد موسى عليه السلام فجاءت في القرآن، طه: ٣٨-٤٠، و القصص: ٤-٩، و أما قصة أخوة يوسف عليه السلام فجاءت مفصلة في القرآن في سورة يوسف.

<sup>١٦٢٢</sup> (٦) البقرة: ١٦٥.

<sup>١٦٢٣</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٢.

<sup>١٦٢٤</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٣: ٩.

المخلوقين، و لكن قديم أول آخر لم يزل و لا يزال، بلا بدء و لا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، و لا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء<sup>١٦٢٥</sup>.

«بأوليته و جب أن لا أول له» أى: بأوليته قبل جميع الأشياء و جب أن لا يكون له أول، فيكون شيء قبله.

ص: ٤١٩

«و بأخريته أن لا آخر له» هكذا فى (المصرية)، و الصواب ما فى (ابن أبى الحديد)<sup>١٦٢٦</sup>: (و بأخريته و جب أن لا آخر له).

و فى (توحيد الصدوق) أيضا عن ابن أبى يعفور: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ»، و قلت: أما الأول فقد عرفناه، و أما الآخر فبين لنا تفسيره. فقال: إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله الغير و الزوال أو ينتقل من لون إلى لون، و من هيئة إلى هيئة، و من صفة إلى صفة، و من زيادة إلى نقصان، و من نقصان إلى زيادة، إلا رب العالمين، فإنه لم يزل و لا يزال واحدا، هو الأول قبل كل شيء، و هو الآخر على ما لم يزل، لا تختلف عليه الصفات و الأسماء ما يختلف على غيره، مثل الإنسان الذى يكون ترابا و مرة لحمًا، و مرة دما، و مرة رفاتا و رميما، و كالتمر الذى يكون مرة بلحا، و مرة بسرا، و مرة رطبا، و مرة تمرا، فيتبدل عليه الأسماء و الصفات، و الله عز و جل بخلاف ذلك<sup>١٦٢٧</sup>.

«و أشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان» لا كشهادة اليهود «و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون»<sup>١٦٢٨</sup>.

«و القلب اللسان» لا كشهادة المنافقين «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله و الله يعلم إنك لرسوله و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون»<sup>١٦٢٩</sup>، «يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم»<sup>١٦٣٠</sup>.

ص: ٤٢٠

٤٨

من الخطبة (١٨١) فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ - فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ - وَ لَمْ يَتْرِكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا - وَ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ - فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ - وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ

<sup>١٦٢٥</sup> (٣) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٣١٣ ح ١، و معانى الأخبار: ١٢ ح ١، و الكليني فى الكافى ١: ١١٦ ح ٦ عن ميمون اللبان عن الصادق عليه السلام، و قد مرّ فى العنوان (٥، ١٩) من هذا الفصل.

<sup>١٦٢٦</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٩٢، و لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٩ نحو الطبعة المصرية.

<sup>١٦٢٧</sup> (٢) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٣١٤ ح ٢، و الكليني فى الكافى ١: ١١٥ ح ٥، و قد مرّ فى العنوان (١) من هذا الفصل.

<sup>١٦٢٨</sup> (٣) البقرة: ١٤.

<sup>١٦٢٩</sup> (٤) المنافقون: ١.

<sup>١٦٣٠</sup> (٥) الفتح: ١١.

لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بَشِيءٌ سَخِطُهُ - عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشِيءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي  
أَثَرِ بَيْنٍ - وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ - قَدْ كَفَّأَكُمْ مَثُونَةَ دُنْيَاكُمْ وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ - وَافْتَرَضَ مِنَ السَّنَنِتِكُمْ  
الذِّكْرَ وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى - وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ - فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِينِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ - وَتَقَلُّبِكُمْ فِي  
قَبْضَتِهِ - إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ - قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفْظَهُ كِرَامًا لَا يُسْقَطُونَ حَقًّا وَلَا يُنْبِتُونَ بَاطِلًا «فَعِظْمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ  
مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ» «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ  
يَبْدِكُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ  
الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>١٦٣١</sup>، «وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ»<sup>١٦٣٢</sup>، «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ  
سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»

ص: ٤٢١

«قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا»<sup>١٦٣٣</sup>، «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ  
جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»<sup>١٦٣٤</sup>، «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»<sup>١٦٣٥</sup>، «إِنْ  
يَسَاءَ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»<sup>١٦٣٦</sup>.

«فإنه لم يخف» من أخفى.

«عنكم شيئاً من دينه» فقد قال تعالى في كتابه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ  
دِينًا»<sup>١٦٣٧</sup>، والمراد الإكمال بالكتاب والعترة معا، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المتواتر عنه: إني تارك فيكم  
التقلين: كتاب الله وعترتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض<sup>١٦٣٨</sup>.

«و لم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلّا و جعل له» أي: لما رضيه أو كرهه.

<sup>١٦٣١</sup> (١) آل عمران: ٢٦-٢٧.

<sup>١٦٣٢</sup> (٢) البقرة: ١١٥.

<sup>١٦٣٣</sup> (١) الطلاق: ١٢.

<sup>١٦٣٤</sup> (٢) الكهف: ١٠٩.

<sup>١٦٣٥</sup> (٣) الزمر: ٦٧.

<sup>١٦٣٦</sup> (٤) إبراهيم: ١٩-٢٠.

<sup>١٦٣٧</sup> (٥) المائدة: ٣.

<sup>١٦٣٨</sup> (٦) اسناد هذا الحديث يزيد على المنات عن طريق أهل السنة والامامية والزيدية، أقتصر على ما أخرجه وصححه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ و ١٨٧٤ ح  
٢٦، ٣٧ بأربع طرق، والحاكم في مستدرک الصحيحين عنه إحياء الميت: ١١ ح ٦ عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وآله، وأخرجه صاحب صحيفة الرضا  
عليه السلام فيه: ٥٩ ح ٨٣، وصاحب مسند زيد بن علي فيه: ٤٠٤، والقاضي الصعدي في درر الأحاديث: ٥٢ عن الرضا عليه السلام، وزيد بن علي، والهادي إلى  
الحق عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وجمع بعض طرقه الصدوق في كمال الدين ١: ٢٣٤-٢٤١، والسيوطي في إحياء الميت: ١١-٤٨.

«علما» أى: علامة.

«باديا» أى: ظاهرا، أى من سنته.

ص: ٤٢٢

«و آية» بمعنى أو آية.

«محكمة» غير متشابهة من كتابه.

«تزجر عنه» أى: عن ذلك الشيء الذى كرهه.

«أو تدعو إليه» أى: إلى ذاك الشيء الذى رضىه، و قد قال النبى صلى الله عليه و آله فى حجة وداعه: «يا أيها الناس و الله ما من شيء يقربكم من الجنة و يباعدكم من النار إلا و قد أمرتكم به، و ما من شيء يقربكم من النار و يباعدكم من الجنة إلا و قد نهيتكم عنه»<sup>١٦٣٩</sup>.

«فرضاه فى ما بقى» من الزمان أو من الناس.

«واحد» فالناس عنده سواء.

«و سخطه فى ما بقى واحد» لكون حلاله و حرامه على حالهما إلى الأبد.

«و اعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم» من الأمم الماضية أو ممن كان فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله.

«و لن يسخط» أى: لن يغضب.

«عليكم بشيء رضىه ممن كان قبلكم» لكون حكم الجميع واحدا.

«و إنما تسيرون فى أثر بين» من الدين «قد تبين الرشد من الغي»<sup>١٦٤٠</sup>.

«و تتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم» قال ابن أبى الحديد: يعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) قد قالها الموحّدون من قبل هذه الملة لا تقليدا، بل بالنظر و الدليل، فقولوها أنتم كذلك<sup>١٦٤١</sup>.

<sup>١٦٣٩</sup> (١) هذا صدر خطبة الكليني رواها فى الكافي ٢: ٧٤ ح ٢، و عاصم بن حميد فى أصله: ٢٣، و رواه أبو القاسم الكوفي فى الأخلاق عنه المستدرک ٢: ٤١٩ ح

١٣، و الديلمى فى أعلام الدين عنه المستدرک ٢: ٤١٨ ح ١٠.

<sup>١٦٤٠</sup> (٢) البقرة: ٢٥٦.

قلت: لم أفهم كيفية دلالة (رجع القول) على ما قال، وإنما المستفاد من

ص: ٤٢٣

مورد آية «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا أَوْ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ»<sup>١٦٤٢</sup> كون رجوع القول تكراراً لمجاوبة بين فريقين، و لعل الرجوع هنا بمعنى النفع، كما قيل في قوله تعالى: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ»<sup>١٦٤٣</sup>.

«قد كفاكم مئونة دنياكم» «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ»<sup>١٦٤٤</sup>.

«وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ» «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ»<sup>١٦٤٥</sup>، «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»<sup>١٦٤٦</sup>.

«وافترض من أسنتكم الذكر» صادراً عن القلب «وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»<sup>١٦٤٧</sup>، «وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ»<sup>١٦٤٨</sup>.

«وَأوصاكم بالتقوى» «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»

ص: ٤٢٤

«وَأَيُّكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ»<sup>١٦٤٩</sup>.

«و جعلها منتهى رضاه» من عباده «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ»<sup>١٦٥٠</sup>.

<sup>١٦٤١</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢٣.

<sup>١٦٤٢</sup> (١) سبأ: ٣١-٣٣.

<sup>١٦٤٣</sup> (٢) الطارق: ١١.

<sup>١٦٤٤</sup> (٣) الذاريات: ٢٢-٢٣.

<sup>١٦٤٥</sup> (٤) لقمان: ١٢.

<sup>١٦٤٦</sup> (٥) إبراهيم: ٧.

<sup>١٦٤٧</sup> (٦) الجمعة: ١٠.

<sup>١٦٤٨</sup> (٧) الأعراف: ٢٠٥.

<sup>١٦٤٩</sup> (١) النساء: ١٣١.

<sup>١٦٥٠</sup> (٢) الحجرات: ١٣.

«و حاجته من خلقه» «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»<sup>١٦٥١</sup>.

«فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِينُهُ» «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»<sup>١٦٥٢</sup>، «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»<sup>١٦٥٣</sup>، «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى»<sup>١٦٥٤</sup>.

«و نواصيكم بيده» «ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»<sup>١٦٥٥</sup>.

«و تقلّبكم في قبضته» «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَ مَتَوَاكُمُ»<sup>١٦٥٦</sup>، «فَلَا يُغْرِكُ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ»<sup>١٦٥٧</sup>.

«إن أسررتهم علمه» «يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»<sup>١٦٥٨</sup>،

ص: ٤٢٥

«تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوْدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَ مَا أَعْلَنْتُمْ»<sup>١٦٥٩</sup>، «يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ»<sup>١٦٦٠</sup>.

«و إن أعلنتم كتبه» «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُّسْتَنْطَرٌ»<sup>١٦٦١</sup>، «و نكتب ما قدموا و آثارهم و كلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبينٍ»<sup>١٦٦٢</sup>، «ما يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»<sup>١٦٦٣</sup>.

«قد وكلّ بكم» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (بذلك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة)<sup>١٦٦٤</sup>.

<sup>١٦٥١</sup> (٣) البقرة: ١٨٣.

<sup>١٦٥٢</sup> (٤) الأنعام: ١٥٣.

<sup>١٦٥٣</sup> (٥) ق: ١٦.

<sup>١٦٥٤</sup> (٦) الأنعام: ٦٠.

<sup>١٦٥٥</sup> (٧) هود: ٥٦.

<sup>١٦٥٦</sup> (٨) محمد: ١٩.

<sup>١٦٥٧</sup> (٩) غافر: ٤.

<sup>١٦٥٨</sup> (١٠) الفرقان: ٦.

<sup>١٦٥٩</sup> (١) الممتحنة: ١.

<sup>١٦٦٠</sup> (٢) النمل: ٢٥.

<sup>١٦٦١</sup> (٣) القمر: ٥٣.

<sup>١٦٦٢</sup> (٤) يس: ١٢.

<sup>١٦٦٣</sup> (٥) ق: ١٨.

«حَفْظَةُ كِرَامَا» وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفْظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ»<sup>١٦٦٥</sup>.

«لا يسقطون حقًا ولا يشتون باطلا» لا ككتاب الأمراء والملوك يشتون الباطل على الناس و يسقطون الحق لهم.

قال تعالى: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»<sup>١٦٦٦</sup>، «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ»<sup>١٦٦٧</sup>، «وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَعِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»

ص: ٤٢٦

«وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»<sup>١٦٦٨</sup>.

٤٩

من الخطبة (١٩٣) وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا - عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ وَأَحْصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ - فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ - فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلَا أَعْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ - وَإِنَّهُ لِبِكَلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ - وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ - لَا يَنْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَلَا يَنْقُصُهُ الْحَبَاءُ - وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ - وَلَا يَلُوبِهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلَا يُلْهِمِهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ - وَلَا تَحْجِزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ - وَلَا تُولِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَلَا تُجْنِئُهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ - وَلَا تَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ - قَرُبَ فَنَاءٍ وَعَلَا فِدَانًا وَظَهَرَ فَبَطْنٍ - وَبَطْنٌ فَعَلَنَ وَدَانَ وَ لَمْ يُدَنَّ - لَمْ يَذَرَأْ الْخَلْقَ بِأَحْتِيَالٍ وَلَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ «و اعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا» «أ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»<sup>١٦٦٩</sup>.

«و لم يرسلكم هملا» كإبل بلا راع «أ يحسب الإنسان أن يترك سدى أ لم يك نطفة من منى يمى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أ ليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى»<sup>١٦٧٠</sup>.

«علم مبلغ نعمه عليكم وأحصى إحصانه إليكم» وإنما الخلق لا يعلمون

ص: ٤٢٧

<sup>١٦٦٤</sup> (٦) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢٢، و شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٨ «بكم» أيضا.

<sup>١٦٦٥</sup> (٧) الأنعام: ٦١.

<sup>١٦٦٦</sup> (٨) الانفطار: ١٠-١٢.

<sup>١٦٦٧</sup> (٩) ق: ١٧.

<sup>١٦٦٨</sup> (١) الكهف: ٤٩.

<sup>١٦٦٩</sup> (٢) المؤمنون: ١١٥.

<sup>١٦٧٠</sup> (٣) القيامة: ٣٦-٤٠.

مبلغ نعمه و لا يحصون مقدار إحسانه، قال تعالى: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا»<sup>١٦٧١</sup>.

«فاستفتحوه» فإنه القادر على فتح أبواب النعم عليكم.

«واستنجحوه» فهو القادر لإنجاح حوائجكم.

«واطلبوا إليه» مطالبكم كليها و جزئها، و في الخبر: أوحى إلى موسى:

اطلب مني جميع حوائجك حتى علف شاتك و ملح خميرك<sup>١٦٧٢</sup>.

«واستمنحوه» و روى (استمبحوه)<sup>١٦٧٣</sup> و كلّ منهما بمعنى اطلبوا العطاء منه تعالى: «وَسُئِلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بَكُلاً شَيْءٍ عَلِيمًا»<sup>١٦٧٤</sup>.

«فما قطعكم عنه حجاب» كالملوك و الأمراء.

«و لا أغلق عنكم دونه باب» كأهل الدنيا.

«و إنه ل بكلّ مكان» قال رجلان من علماء اليهود له عليه السّلام: أين ربّك؟

فقال عليه السّلام لهما- ضاربا لهما مثلا-: أقبل ملك من المشرق و ملك من المغرب، و ملك من السماء، و ملك من الأرض. فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب:

من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. و قال صاحب المغرب لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال من عند ربّي. و قال النّازل من السماء للنازل من الأرض: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي<sup>١٦٧٥</sup>.

«و في كلّ حين» أي: زمان، عطف على (لكلّ).

ص: ٤٢٨

«و أوان» أي: وقت، لأنّه خالق الأوقات و الأزمنة، كما أنّه خالق الأمكنة.

<sup>١٦٧١</sup> (١) إبراهيم: ٣٤.

<sup>١٦٧٢</sup> (٢) رواه ابن فهد في عدّة الداعي عنه الجواهر السنيّة: ٦١ و النقل بالمعنى.

<sup>١٦٧٣</sup> (٣) نقل هذه الرواية ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٣٩.

<sup>١٦٧٤</sup> (٤) النساء: ٣٢.

<sup>١٦٧٥</sup> (٥) أخرجه الصدوق ضمن حديث طويل في التوحيد: ١٨٠ ح ١٥ عن علي عليه السّلام.

«و مع كل إنس و جان» «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم يفتنهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم»<sup>١٦٧٦</sup>.

«لا ينلمه» أى: لا يورد عليه خلا، يقال: «فى الإناء ثلم» إذا انكسر من شفته شيء.

«العطاء» كما يثلم الخلق.

«و لا ينقصه» بالفتح، هنا متعد، و يأتى لازماً يقال: «نقص الشيء و نقصته».

«الحباء» أى: العطاء، و كيف يثلمه عطاء، و ينقصه حباء، و هو الذى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

«و لا يستنفده» أى: لا يجعل ما عنده فانياً، يقال: «نفد الشيء» إذا أفنى.

«سائل» «و لله خزائن السموات و الأرض»<sup>١٦٧٧</sup>.

«و لا يستقصيه» أى: لا يبلغ أقصاه.

«نائل» أى: عطاء كالنوال.

«و لا يلويه» أى: لا يميله.

«شخص عن شخص» آخر كالتناس.

«و لا يلهيه» آخر كالخلائق.

«و لا تحجزه» أى: لا تمنعه.

«هبة» لأحد.

ص: ٤٢٩

«عن سلب» عن آخر، «يهب لمن يشاء إناثاً و يهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً و إناثاً و يجعل من يشاء عقيماً»<sup>١٦٧٨</sup>.

<sup>١٦٧٦</sup> (١) المجادلة: ٧.

<sup>١٦٧٧</sup> (٢) المنافقون: ٧.

<sup>١٦٧٨</sup> (١) الشورى: ٤٩ - ٥٠.

«لا تولهه» أى: لا تغفله.

«رحمة» لأحد.

«عن عقاب» لآخر «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ»<sup>١٦٧٩</sup>.

فإن قيل: إن غيره تعالى قد يهب لواحد، و يسلب آخر، و يغضب على رجل، و يرحم آخر، و يعاقب شخصا، و يترحم على آخر. فأى امتياز له تعالى؟

قلت: غيره تعالى يفعل ما ذكر على التعاقب على حسب حال تعرض له من حصول رقة أو ثورة أو غيرهما، و هو تعالى يفعل جميع ذلك فى وقت واحد بدون حصول تأثر له.

«و لا تجننه» بالفتح و الضم، قال الجوهري: جنت الميِّت و أجننته، أى:

واريته<sup>١٦٨٠</sup>.

«البطن عن الظهر، و لا تقطعه الظهر عن البطن» قال ابن أبى الحديد:

الظهر و البطن مصدران، تقول: ظهر ظهورا، و بطن بطونا<sup>١٦٨١</sup>.

قلت: و يحتتمل أن يكونا جمع الظهر و البطن، و يكون المراد أن الخلاق إذا وردوا فى بطون الأشياء تكون ظهورها عنهم مستورة و بالعكس، و الخالق ليس كذلك، بل بطون الأشياء و ظهورها عنده سواء.

«قرب» «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا»

ص: ٤٣٠

«دعان»<sup>١٦٨٢</sup>.

«فناى» أى: بعد «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا»<sup>١٦٨٣</sup>.

<sup>١٦٧٩</sup> (٢) فصلت: ٤٣.

<sup>١٦٨٠</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٩٣ مادة (جنن).

<sup>١٦٨١</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥٣٩ و النقل بالمعنى.

<sup>١٦٨٢</sup> (١) البقرة: ١٨٦.

«و علا» «سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى»<sup>١٦٨٤</sup>.

«فدنا» أى: قرب «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»<sup>١٦٨٥</sup>.

«و ظهر فبطن» «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>١٦٨٦</sup>.

«و بطن فعلى» «قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلَا فِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>١٦٨٧</sup>.

و روى (توحيد الصدوق) عن أحمد بن محسن الميثمى، قال: كنت عند أبى منصور المتطَّيب، فقال: أخبرنى رجل من أصحابى، قال: كنت أنا و ابن أبى العوجاء، و عبد الله بن المقفَّع فى المسجد الحرام. فقال ابن المقفَّع: ترون هذا الخلق؟- و أوما بيده إلى موضع الطَّواف- ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية، إلَّا ذلك الشيخ الجالس- يعنى جعفر بن محمد عليه السَّلام- فأما الباقر فرعاع و بهائم. فقال له ابن أبى العوجاء: و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ

ص: ٤٣١

دون هؤلاء؟ قال: لأننى رأيت عنده ما لم أر عندهم. فقال ابن أبى العوجاء: لا بدَّ من اختبار ما قلت فيه منه. فقال له ابن المقفَّع: لا تفعل، فإنى أخاف أن يفسد عليك ما فى يدك. فقال: ليس ذا رأىك، و لكنك تخاف أن يضعف رأىك عندى فى إحلالك إيَّاه المحلَّ الذى وصفت. فقال له ابن المقفَّع: أمَّا إذا توهمت على هذا فقم إليه، و تحفظ ما استطعت من الزَّلَل، و لا تتن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقاب و سمه مالك أو عليك. قال: فقام ابن أبى العوجاء و بقيت أنا و ابن المقفَّع فرجع إلينا و قال: يا بن المقفَّع! ما هذا ببشر! و إن كان فى الدنيا روحانى يتجسَّد إذا شاء ظاهرا و يتروَّح إذا شاء باطنا فهو هذا. فقال له: و كيف ذاك؟

فقال: جلست إليه فلمَّا لم يبق عنده غيرى ابتدأنى، فقال: ان يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، و هو على ما يقولون- يعنى أهل الطَّواف- فقد سلموا و عطبتهم، و إن يكن أمر على ما تقولون و ليس كما تقولون فقد استويتم أنتم و هم.

فقلت له: يرحمك الله، و أىّ شىء تقول، و أىّ شىء يقولون؟ ما قولى و قولهم إلَّا واحد. قال: فكيف يكون قولك و قولهم واحدا، و هم يقولون: إنَّ لهم معادا و ثوابا و عقابا و يدينون بأنَّ للسَّماء إلها و أنَّها عمران، و أنتم تزعمون أنَّ السَّماء خراب ليس فيها أحد؟

<sup>١٦٨٣</sup> (٢) الأعراف: ١٤٣.

<sup>١٦٨٤</sup> (٣) الأعلى: ١-٤.

<sup>١٦٨٥</sup> (٤) ق: ١٦.

<sup>١٦٨٦</sup> (٥) الحديد إبراهيم: ٣.

<sup>١٦٨٧</sup> (٦): ١٠.

قال: فاعتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقهم و يدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان، و لم احتجب عنهم، و أرسل إليهم الرّسل، و لو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به؟

فقال لي: ويلك، و كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوءك و لم تكن، و كبرك بعد صغرك، و قوتك بعد ضعفك، و ضعفك بعد قوتك، و سقمك بعد صحتك، و صحتك بعد سقمك، و رضاك بعد غضبك، و غضبك بعد رضاك، و حزنك بعد فرحك، و فرحك بعد حزنك، و حبك بعد بغضك،

ص: ٤٣٢

و بغضك بعد حبك، و عزمك بعد إباطك، و إباءك بعد عزمك، و شهوتك بعد كراحتك، و كراحتك بعد شهوتك، و رغبتك بعد رهبتك، و رهبتك بعد رغبتك، و رجاك بعد يأسك، و يأسك بعد رجاك، و خاطرک بما لم يكن في وهمك، و عزوب ما أنت معتقده عن ذهنك ... و ما زال يعدّ على قدرته التي هي في نفسى التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر إلهه فيما بيني و بينه<sup>١٦٨٨</sup>.

«و دان» أى: جزى «فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>١٦٨٩</sup>.

«لم يدن» بلفظ المجهول، أى: و لم يجزه أحد، قال تعالى: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ»<sup>١٦٩٠</sup>.

«لم يذراً» الذرّاء: الخلق المتفرّق الكثير، كما فى قوله تعالى: «وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ»<sup>١٦٩١</sup>، «وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا مِنْ الْحَرْتِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا»<sup>١٦٩٢</sup>، «جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ»<sup>١٦٩٣</sup>.

«الخلق» أى: مخلوقاته.

«باحتيال» و حيلة «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>١٦٩٤</sup>.

«و لا استعان بهم» أى: بخلقه.

ص: ٤٣٣

<sup>١٦٨٨</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ١٢٥ ح ٤، و الكليني فى الكافى ١: ٧٤ ح ٢، و قد مرّ الحديث فى العنوان (٤) من هذا الفصل.

<sup>١٦٨٩</sup> (٢) الواقعة: ٨٦ - ٨٧.

<sup>١٦٩٠</sup> (٣) الأنبياء: ٢٣.

<sup>١٦٩١</sup> (٤) النحل: ١٣.

<sup>١٦٩٢</sup> (٥) الأنعام: ١٣٦.

<sup>١٦٩٣</sup> (٦) الشورى: ١١.

<sup>١٦٩٤</sup> (٧) يس: ٨٢.

«لكلال» أى: عىّ و مسّ تعب، قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ»<sup>١٦٩٥</sup>.

٥٠

من الخطبة (٨٩) وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا - وَ قَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ السَّعَةِ - فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ - مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا - وَ لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَ فَقِيرِهَا - ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقْتَبَلَهَا - وَ بِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا - وَ بَفُرْجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا - وَ خَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا وَ قَدَمَهَا وَ أَخْرَهَا - وَ وَصَلَ بِالْمُوتِ أَسْبَابَهَا - وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا - وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا «وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا» «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ»<sup>١٦٩٦</sup>.

«وَقَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ السَّعَةِ» «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»<sup>١٦٩٧</sup>.

«فعدل فيها» لأن تقديره تعالى و تقسيمه عزّ و جلّ على وفق الحكمة، و فى الخبر: من منعه تعالى منعه ما ليس له، و من أعطاه فإنما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضل بما أعطى و العادل فى ما منع، و لا يفعل إلّا ما كان حكمةً و صواباً، و من وجد فى نفسه حرجاً فى شىء ممّا قضى فقد كفر<sup>١٦٩٨</sup>.

ص: ٤٣٤

«ليبتلى» أى: يمتحن.

«من أراد بميسورها و معسورها» أى: يمتحن بعضا بالميسور، و بعضا بالمعسور، و روى التوحيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه و آله فى حديث قال: قال تعالى:

و إن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالفقر، و لو أغنيته لأفسده ذلك، و إن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالغناء، و لو أفقرته لأفسده ذلك<sup>١٦٩٩</sup>.

«و ليختبر» أى: يمتحن.

<sup>١٦٩٥</sup> (١) ق: ٣٨.

<sup>١٦٩٦</sup> (٢) العنكبوت: ٦٢.

<sup>١٦٩٧</sup> (٣) الزخرف: ٣٢.

<sup>١٦٩٨</sup> (٤) أخرجه الصدوق فى ذيل حديث فى معنى لفظ (الجواد) فى العيون ١: ١١٦ ح ٤١، و معانى الأخبار: ٢٥٦ ح ١، و الخصال:

٤٣ ح ٣٦.

<sup>١٦٩٩</sup> (١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٤٠٠ ح ١، و علل الشرائع ١: ١٢ ح ٧، و الكليني فى الكافي ٢: ٩٠ ح ٤، و قد مرّ فى العنوان (٤٥) من هذا الفصل.

«بذلك الشكر و الصبر من غنيها و فقيرها» هل يشكر غنيها، و هل يصبر فقيرها، و فى (الكافى) عن الكاظم عليه السلام يقول تعالى: إننى لم أغن الغنى لكرامةً به علىّ، و لم أفقر الفقير لهوان به علىّ، و ممّا ابتليت به الأغنياء بالفقراء، و لو لا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة<sup>١٧٠٠</sup>.

«ثمّ قرن بسعتها عقابيل» جمع عقبول، و هى قرح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض، و المراد هنا الشدائد.

«فاقتها» فقالوا: الفقر الموت الأحمر، و لا شىء أمر منه.

«و بسلامتها طوارق» و الأصل فى الطروق الإتيان ليلا، و هنا كناية عن البغته.

«آفاتها» فحكمته اقتضت جعل الدنيا كذلك لئلا يخلد الناس إليها و ينسوا إلههم.

«و بفرج» بالضمّ فالفتح، جمع فرجة.

ص: ٤٣٥

«أفراحها» و مسارها.

«غصص» الأصل فى الغصة اعتراض الطعام فى الحلق.

«أتراحها» جمع الترح ضدّ الفرح، و لم تر فى الدنيا فرحا لا يخلطه ترح، و الحكمة ما مرّ.

«و خلق الآجال فأطالها و قصرها و قدّمها و أخّرها» بدون أن يطلع عليها أحدا، و الجاهل و العالم فى ذلك سواء حتّى الأطباء، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَ لِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»<sup>١٧٠١</sup>.

«و وصل بالموت أسبابها» أى: أسباب الآجال، و المراد الأمراض و الآفات.

«و جعله» أى: الموت.

«خالجا» أى: جازبا.

«لأشطانها» أى: حبالها الطويلة.

<sup>١٧٠٠</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافى ٢: ٢٦٥ ح ٢٠، و الاسكافى فى التمهيد: ٤٧ ح ٦٩.

<sup>١٧٠١</sup> (١) غافر: ٦٧.

«و قاطعا لمرائ» جمع مريرة، حبل اشتد فتله.

«أقرانها» أي: حبالها، وإضافة مرائ إليه من إضافة الصفة، «و لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون»<sup>١٧٠٢</sup>.

٥١

من الخطبة (٨٩) فيها بعد ما مر:

عَالِمُ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ - وَ نَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ وَ خَوَاطِرِ رَجَمِ الطُّنُونِ - وَ عُقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ - وَ مَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ - وَ مَا ضَمِنْتُهُ

ص: ٤٣٦

أَكْنَانُ الْقُلُوبِ - وَ غَيَابَاتُ الْغُيُوبِ - وَ مَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِحَ الْأَسْمَاعِ - وَ مَصَافِيهُ الدَّرِّ وَ مَشَاتِي الْهَوَامِّ - وَ رَجْعَ الْحَنِينِ مِنْ الْمَوْلَهَاتِ وَ هَمْسِ الْأَقْدَامِ - وَ مُنْفَسِحِ التَّمْرَةِ مِنْ وَلائِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ - وَ مُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَ أَوْدِيَّتِهَا - وَ مُخْتَبِيَا الْبُعُوضِ بَيْنَ سُقُقِ الْأَشْجَارِ وَ الْحَيِّتِهَا - وَ مَغْرَزِ الْأَوْزَاقِ مِنَ الْأَفْتَانِ - وَ مَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ - وَ نَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَحِّمِهَا - وَ دُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتْرَاكِمِهَا - وَ مَا تَسْفَى الْأَعَاصِيرُ بِذِيُولِهَا وَ تَغْفُو الْأَمْطَارُ بِسُبُُولِهَا - وَ عَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُنْبَانِ الرِّمَالِ - وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْحَةِ بِذُرَا سَنَاخِيْبِ الْجِبَالِ - وَ تَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ - وَ مَا أَوْعَبْتُهُ الْأَصْدَافُ - وَ حَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ - وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ - وَ مَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ - وَ سُبْحَاتِ النُّورِ وَ آثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ - وَ حَسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ وَ رَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ - وَ تَحْرِيكِ كُلِّ شَفْءٍ وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسْمَةٍ - وَ مِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَ هِمَاهِمِ كُلِّ نَفْسِ هَامَةٍ - وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ - أَوْ قَرَارَةِ نُظْفَةٍ أَوْ نِقَاعَةِ دَمٍ وَ مِضْغَةٍ - أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَ سَلَالَةٍ - لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كَلْفَةٌ - وَ لَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ - وَ لَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَ تَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَ لَا فَتْرَةٌ - بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمَهُ وَ أَحْصَاهُمْ عَدَّهُ - وَ وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ وَ غَمَرَهُمْ فَضْلُهُ - مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ «عَالِمُ السَّرِّ» «يَعْلَمُ السَّرَّ وَ أَخْفَى»<sup>١٧٠٣</sup>.

«من ضمائر المضميرين» «وَ إِنْ رَبِّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا»

ص: ٤٣٧

«يُعْلِنُونَ»<sup>١٧٠٤</sup>.

<sup>١٧٠٢</sup> (٢) الأعراف: ٣٤.

<sup>١٧٠٣</sup> (١) طه: ٧.

<sup>١٧٠٤</sup> (١) النمل: ٧٤.

«و نجوى المتخافتين» «أ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يُكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>١٧٠٥</sup>.

«و خواطر رجم الظنون» ممّا لا حقيقة له، و لا وجود له إلّا فى الخيال، قال الجوهرى: الرّجم أن يتكلّم الرّجل بالظنّ.

قال تعالى: «رَجْمًا بِالْغَيْبِ»<sup>١٧٠٦</sup> يقال: صار فلان رجما لا يوقف على حقيقة أمره<sup>١٧٠٧</sup>.

«و عقد» بالضمّ فالفتح جمع عقدة.

«عزيمات اليقين» أى: قطع يطابق الواقع.

«و مسارق» جمع مسرق، يقال: هو يسارق النظر. إذا اهتبل غفلته.

«إيماض» من أو مضت المرأة إذا ساقى النظر.

«الجفون» من العيون، و الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»<sup>١٧٠٨</sup>.

«و ما ضمنته» أى: جعلته فى ضمنها.

«أكنان» جمع الكنّ، بمعنى السّترّة.

ص: ٤٣٨

«القلوب» «و رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ»<sup>١٧٠٩</sup>.

«و غيابات» جمع الغيبة، يقال: غيبة الجب. أى: قعره.

«الغيوب» جمع الغيب خلاف الشهود، و الأصل فى الغيب المظمّن من الأرض، قال لبيد فى بقرة أكل السّبع ولدها:

<sup>١٧٠٥</sup> (٢) المجادلة: ٧.

<sup>١٧٠٦</sup> (٣) الكهف: ٢٢.

<sup>١٧٠٧</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهرى ٥: ١٩٢٨ مادة (رجم).

<sup>١٧٠٨</sup> (٥) غافر: ١٩.

<sup>١٧٠٩</sup> (١) القصص: ٦٩.

١٧١٠ و الغيب ما غاب من العين يقال: شاة ذات غيب. إذا كانت ذات شحم، لتغيبه عن العين.

قال تعالى: «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»<sup>١٧١١</sup>.

«و ما أصغت» أى: استمعت.

«لاستراقه» من استرق السمع، أى: استمع مستخفياً كأنه يسرق الخبر.

«مصائخ الأسماع» و المصائخ جمع المصيخة، ما فيها قوة السماع، و الأسماع جمع السمع، أى: الآذان السَّمِعية، قال تعالى: «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ»<sup>١٧١٢</sup>.

«و مصائف الذرّ» الذرّ جمع ذرة أصغر النمل، و مصائفها مواضعها فى الصيف.

«و مشاتى الهوامّ» الهوامّ جمع الهامة، قال الجوهري: لا يقع اسم الهامة إلّا

ص: ٤٣٩

على المخوف من الأحناش. و مشاتيها مواضعها فى الشتاء<sup>١٧١٣</sup>.

«و رجع الحنين» قال الجوهري: حنين الناقة: صوتها فى نزاعها إلى ولدها<sup>١٧١٤</sup>.

«من المولهاة» جمع المولهة، أى: التى فرق بينها و بين ولدها فهى عليه و الهة.

«و همس الأقدام» أى: أخفى صوتها، قال تعالى: «فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً»<sup>١٧١٥</sup>.

<sup>١٧١٠</sup> (٢) أورده لسان العرب ١: ٦٥٥ مادة (غيب).

<sup>١٧١١</sup> (٣) البقرة: ٣٣.

<sup>١٧١٢</sup> (٤) الحجر: ١٦-١٨.

<sup>١٧١٣</sup> (١) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٦٢ مادة (همم).

<sup>١٧١٤</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢١٠٤ مادة (حنن).

«و منفسح الثمرة» أى: متسعتها.

«من ولائج» جمع الوليجة، أى: مداخل.

«غلف» بضمّتين: جمع غلاف.

«الأكام» جمع الكمّ، بالكسر وعاء الطّلع و غطاء النّور، قال:

بوائج فى أكمامها لم تفتّق

١٧١٤

و أما الكمّ بالضمّ فهو كمّ القميص، و ليس بمراد هنا.

«و منقمع» أى: مختفى.

«الوحوش» أى: حيوانات البرّ.

«من غيران» بالكسر جمع غار كالكهف فى الجبل.

«الجبال و أوديتها» جمع الوادى، و فى (المصباح): الوادى: كلّ منفرج بين

ص: ٤٤٠

جبال أو آكام يكون منفذا للسّيل<sup>١٧١٧</sup>.

<sup>١٧١٥</sup> (٣) طه: ١٠٨.

<sup>١٧١٤</sup> (٤) أوردته لسان العرب ١٢: ٥٢٦ مادة (كمم)، و نسبه إلى السّمّاخ و صدره:

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها

<sup>١٧١٧</sup> (١) المصباح المنير ٢: ٣٧٢ مادة (ودى).

«و مختبأ» أى: مختفى.

«البعوض» قال الجوهري: البعوض البق<sup>١٧١٨</sup>.

«بين سوق» بالضم، جمع ساق.

«الأشجار و ألحيثها» بفتح الهمزة، جمع اللحاء: قشر الشجر.

«و مغرز» من غرزت الشيء بالإبرة.

«الأوراق» جمع الورق، و المراد ورق الشجر.

«من الأفنان» جمع الفن: غصن الشجر.

«و محطّ» أى: محلّ نزول.

«الأمشاج» أى: نطفة الرجل و المرأة، جمع المشيج، مثل يتيم و أيتام، يقال: نطفة أمشاج. لماء الرجل يختلط بماء المرأة و دمها.

قال تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ»<sup>١٧١٩</sup>.

«من مسارب» جمع مسرب، أى: مجرى.

«الأصلاب» قال تعالى: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ»<sup>١٧٢٠</sup>.

«و ناشئة» قال الجوهري: النَّشَاءُ أول ما ينشأ من السحاب<sup>١٧٢١</sup>.

«الغيوم» جمع الغيم، يقال: غامت السماء، إذا أطبق بها السحاب.

«و متلاحمها» أى: متضاعفها.

«و درور» أى: سيلان.

---

<sup>١٧١٨</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١٠٦٦ مادة (بعض).

<sup>١٧١٩</sup> (٣) الإنسان: ٢.

<sup>١٧٢٠</sup> (٤) الطارق: ٧.

<sup>١٧٢١</sup> (٥) صحاح اللغة للجوهري ١: ٧٧ مادة (نشأ).

ص: ٤٤١

«قَطْر السَّحَابِ فِي مَتْرَاكِمَهَا» أى: مجتمعا، و ركوب بعضها بعضا.

«و ما تسفى» من سفت الرّيح التّراب إذا ذرته.

«الأعاصير» جمع الإعصار، و هو ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كأنه عمود، قال تعالى: «فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ»<sup>١٧٢٢</sup>.

و يقال: هو ريح تثير سحابا ذات رعد و برق.

«بذيولها» التى تلاقى الأرض.

«و تعفو» من عفت الرّيح المنزل: درسته.

«الأمطار بسيلولها» أى: السيول الحاصلة منها.

«و عوم» أى: سباحة.

«بنات الأرض» روى «بنات» بتقديم التّون<sup>١٧٢٣</sup>، فتكون إضافة العوم إليه مجازا، و بتقديم الباء فيكون المراد بها الحشرات و الهوامّ التى تكون فى تلال الرّمال، فتكون نسبة العوم إليها استعارة.

«فى كئبان الرمال» أى: تلالها، قال الجوهري: كلّ ما انصبّ فى شىء فقد انكثب فيه، و منه سمّى الكئيب من الرّمّل، لأنّه انصبّ فى مكان فاجتمع فيه، و الجمع: الكئبان<sup>١٧٢٤</sup>.

«و مستقرّ ذوات الأجنحة» أى: الطيور.

«بذرى» بالضمّ، جمع ذروة، أى: أعالي.

«شناخيب الجبال» أى: رؤوسها.

«و تغريد» من غرّد الطائر اذا صوّت و غنى.

ص: ٤٤٢

<sup>١٧٢٢</sup> (١) البقرة: ٢٤٤.

<sup>١٧٢٣</sup> (٢) نقل هذه الرواية ابن ميثم فى شرحه ٢: ٣٨٣.

<sup>١٧٢٤</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ١: ٢٠٩ مادة (كئب).

«ذوات المنطق» أى: طيور تتغنى، و ليس كلّ طير كذلك.

«فى دياجير» جمع ديجور، أى: ظلمة.

«الأوكار» جمع الوكر: عشّ الطائر.

«و ما أوعبته» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و ما أوعته) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطيب) <sup>١٧٢٥</sup>، و قالوا: و فى نسخة «و ما أودعته» <sup>١٧٢٦</sup>. و معنى (ما أوعته): جعلت له وعاء.

«الأصداف» جمع الصدف: غشاء الدرّة.

«و حضنت» من: حضن الطائر بيضه، إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، و كذلك المرأة إذا حضنت ولدها.

«عليه أمواج البحار» يفهم من كلامه عليه السّلام أنّ أمواج البحار تربى أشياء حيّة و غير حيّة.

«و ما غشيبته» أى: حوته.

«سدفة» أى: ظلمة.

«ليل» قال النّابغة:

و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

فإنك كالليل الذى هو مدركى

<sup>١٧٢٧</sup> «أو ذرّ» من ذرّت الشّمس، أى: طلعت.

«عليه شارق» أى: طالع، يقال: لا آتيك ما ذرّ شارق.

«نهار» و المراد بشارق النّهار: الشّمس.

<sup>١٧٢٥</sup> (١) كذا فى شرح الخوئى ٣: ١٣١، لكن فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٧، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٧ «ما أوعبته» أيضا.

<sup>١٧٢٦</sup> (٢) أمّا ابن أبى الحديد فأورد فى متن الخطبة فى ٢: ١٦٧ «أوعبته»، و عند شرح الفقرة فى: ١٦٧ «ما أودعته» و لم يصرّح إلى كونه فى نسخة أخرى، و الظاهر غلط النّاسخ، و أمّا ابن ميثم و الخوئى فلم نجد فى شرحيهما هذه الرواية أصلا.

<sup>١٧٢٧</sup> (٣) أوردته التفتازانى فى المطول: ٢٨٦ باب الإيجاز و الإطناب و المساواة.

«و ما اعتقت» أى: تعاقبت.

ص: ٤٤٣

«عليه أطباق» أى: طبقات.

«الدياجير» أى: الظلم.

«و سبحات النور» أى: أشعته.

«و أثر كل خطوة» أى: قدم.

«و حس» أى: صوت خفى.

«كل حركة» من كل متحرك.

«و رجع كل كلمة» أى: أثرها فى الهواء بالتموج.

«و تحريك كل شفة» بكلام جهر أو خفى.

«و مستقر كل نسمة» أى: كل نفس إنسانا أو غيره، قال تعالى: «و ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل فى كتاب مبين»<sup>١٧٢٨</sup>.

«و مثقال كل ذرة» «و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا فى كتاب مبين»<sup>١٧٢٩</sup>.

«و هماهم» جمع همهمة، ترديد الصوت فى الصدر.

«كل نفس هامة» بالتشديد، أى: قاصدة لشيء لا تدرى تفعله أم لا، قال الشاعر:

تركت على عثمان تبكى حالته

هممت و لم أفعل و كدت و ليتنى

<sup>١٧٢٨</sup> (١) هود: ٦.

<sup>١٧٢٩</sup> (٢) يونس: ٦١.

١٧٣٠ «و ما عليها من ثمر شجرة» هكذا فى النسخ<sup>١٧٣١</sup>، وقال ابن أبى الحديد: «و ما عليها» أى: ما على الأرض، فجاء بالضمير و لم يسبق ذكر صاحبه اعتمادا على

ص: ٤٤٤

فهم المخاطب، كما قال تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»<sup>١٧٣٢</sup>.

قلت: و الأظهر حصول سقط فى الكلام أو تقديم أو تأخير أو تحريف، و لا يبعد أن يكون الأصل (و ما ينعم من ثمر شجرة) من قوله تعالى: «انظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعمه»<sup>١٧٣٣</sup>، و إلا فمقتضى السياق أن يكون (قرارة نطفة) و ما بعده عطفًا على (ثمر شجرة) كقوله: «ساقط ورقة» و لا معنى له.

«أو ساقط ورقة» «و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة فى ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلا فى كتاب مبين»<sup>١٧٣٤</sup>.

«أو قرارة نطفة» «ثم جعلنا نطفة فى قرار مكين»<sup>١٧٣٥</sup>.

«أو نقاعة دم» الظاهر أن المراد بنقاعة دم: العلقة، بقرينة ذكر النطفة قبلها و المضغعة بعدها.

و قال الجوهري: دم نافع، أى: طرى، قال الشاعر قسام بن رومة:

و ما زال من قتلى رزاح بعالج      دم نافع أو جاسد غير ما صح

و قال أبو سعيد: يريد بالنافع الطرى، و بالجاسد القديم<sup>١٧٣٦</sup>.

«و مضغعة» أى: قطعة لحم، قال تعالى: «ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغعة»<sup>١٧٣٧</sup>.

<sup>١٧٣٠</sup> (٣) أورده الزمخشري فى الكشاف ٢: ٤٥٥.

<sup>١٧٣١</sup> (٤) نهج البلاغة ١: ١٨٠، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٧، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٨.

<sup>١٧٣٢</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٩، و الآية (٢٤) من سورة الرحمن.

<sup>١٧٣٣</sup> (٢) الأنعام: ٩٩.

<sup>١٧٣٤</sup> (٣) الأنعام: ٥٩.

<sup>١٧٣٥</sup> (٤) المؤمنون: ١٣.

<sup>١٧٣٦</sup> (٥) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١٢٩٢ مادة (نقع).

<sup>١٧٣٧</sup> (٦) المؤمنون: ١٤.

«أو ناشئة خلق» و المراد نطفة تصير منشأ مولود، و ليس كل نطفة كذلك.

ص: ٤٤٥

«و سلاله» أى: الخلاصة، قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ»<sup>١٧٣٨</sup>.

«لم يلحقه» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: (لم تلحقه) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطيبه)<sup>١٧٣٩</sup>.

«فى ذلك كلفه» أى: مشقّه، قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ»<sup>١٧٤٠</sup>.

«و لا اعترضته فى حفظ ما ابتدعه» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: (ما ابتدع) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>١٧٤١</sup>.

«من خلقه عارضة» تمنعه من الحفظ، قال تعالى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>١٧٤٢</sup>.

«و لا اعتورته» أى: لا اعترضته.

«فى تنفيذ الأمور» و إمضاءها.

«و تدبير المخلوقين» هكذا فى (المصريّة)، و الصواب: (و تدابير المخلوقين) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطيبه)<sup>١٧٤٣</sup>.

«ملالة و لا فترة» أى: ضعف، و كيف تلحقه كلفه أو تعترضه عارضة أو تعتوره فترة فى خلقه و أمره، و هو الذى إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون؟!

ص: ٤٤٦

«بل نفذ فيهم علمه» «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»<sup>١٧٤٤</sup>.

<sup>١٧٣٨</sup> (١) المؤمنون: ١٢.

<sup>١٧٣٩</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٧، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٨ «لم يلحقه» أيضا.

<sup>١٧٤٠</sup> (٣) ق: ٣٨.

<sup>١٧٤١</sup> (٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٧، لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٨ «ما ابتدعه» أيضا.

<sup>١٧٤٢</sup> (٥) البقرة: ٢٥٥.

<sup>١٧٤٣</sup> (٦) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٧، و شرح الخوئى ٣: ١٣١، لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٨ «تدبير» أيضا.

<sup>١٧٤٤</sup> (١) البقرة: ٢٥٥.

«و أحصاهم عدّه» «لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً»<sup>١٧٤٥</sup>.

«و وسعهم عدله» «و تمتّ كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته و هو السميع العليم»<sup>١٧٤٦</sup>.

«و غمرهم» من غمره الماء إذا علاه.

«فضله» «و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذو فضل على العالمين»<sup>١٧٤٧</sup>.

«مع تقصيرهم عن كنه» أى: حقيقة.

«ما هو أهله» «و ما قدروا الله حق قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يُشركون»<sup>١٧٤٨</sup>.

هذا، و قال ابن أبي الحديد بعد نقل هذا العنوان: لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله على بن إسماعيل بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

كلّا و لكن لعمري منه شيبان

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم

كما علا برسول الله عدنان

و كم أب قد علا بابن ذرى شرف

إذن كان يفتخر به على عدنان و قحطان بل كان يقرّ به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن، و يقول له: إنّه لم يعف ما شيّدت من معالم التوحيد، بل أخرج الله لك من ظهري ولدا ابتدع من علوم التوحيد فى جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت فى جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطا طاليس القائل بأنّه تعالى لا

ص: ٤٤٧

يعلم الجزئيات لخشع قلبه وقف شعره، و اضطرب فكره. ألا ترى ما عليه من الرواء و المهابة، و العظمة، و الفخامة، و المتانة و الجزالة، مع ما قد أشرب من الحلاوة و الطلاوة، و اللطف و السلاسة، و لا أرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نبعه من تلك الشجرة، و جدول من ذلك البحر، و جذوة من تلك النار، و كأنّه عليه السلام شرح قوله

<sup>١٧٤٥</sup> (٢) مريم: ٩٤.

<sup>١٧٤٦</sup> (٣) الأنعام: ١١٥.

<sup>١٧٤٧</sup> (٤) البقرة: ٢٥١.

<sup>١٧٤٨</sup> (٥) الزمر: ٦٧.

تعالى: «وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>١٧٤٩</sup>.

قلت: قد أجاد في ما أفاد، لكن عرفت ممّا نقلنا من الآيات في شرح الفقرات أنّ كلامه عليه السّلام تفسير لما قاله من الآية و لآيات أخرى.

٥٢

**الحكمة (٤٧٠)** و قال عليه السّلام- في نسخة- و سئل عن التّوحيد و العدل، فقال عليه السّلام:

التّوحيدُ أَلَا تَتَوَهَّمُهُ وَ الْعَدْلُ أَلَا تَنْتَهَمُهُ وَ أَقُولُ: و قال الصادق عليه السّلام: أَمَّا التّوحيدُ فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، و أَمَّا العدلُ فأن لا تنسب إلى خالقك ما لا ملك عليه<sup>١٧٥٠</sup>.

و في الخبر: أنّ أبا الصّلت الهرويّ قال للرّضا عليه السّلام: لأىّ علّة أغرق الله تعالى الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السّلام و فيهم الأطفال و من لا ذنب له؟ فقال: ما كان فيهم الأطفال لأنّ الله تعالى أعقم أصلاب قوم نوح عليه السّلام و أرحام نسائهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم فغرقوا و لا طفل فيهم، و ما كان الله تعالى ليهلك

ص: ٤٤٨

بعذابه من لا ذنب له، و أمّا الباقيون من قوم نوح عليه السّلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السّلام، و سائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين، و من غاب عن أمر فرضى به كان كمن شهدته و أتاه<sup>١٧٥١</sup>.

٥٣

من الخطبة (٢١٢) و من خطبة له عليه السّلام:

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدْلٌ وَ حَكَمٌ فَصَلَ أَقُولُ: قال ابن أبي الحديد ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- ج ٣ ص ٢٣: الضمير في (أنّه) يرجع إلى القضاء و القدر المذكور في صدر هذه الخطبة، و لم يذكره الرّضى رحمه الله<sup>١٧٥٢</sup>.

<sup>١٧٤٩</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٧، مرّ نقله و تحقيق ما نقل عن ارسطا طاليس في شرح خطبة الرضى، و الآية (٥٩) من سورة الأنعام.

<sup>١٧٥٠</sup> (٢) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٩٦ ح ١.

<sup>١٧٥١</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٩٢ ح ٢، و العيون ٢: ٧٤ ح ٢، و علل الشرائع ١: ٣٠ ح ١.

<sup>١٧٥٢</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣.

قلت: إن وجد، فالخطبة كما ذكر، وإلا فنقول: إن الضمير فيه يرجع إليه تعالى، ولو كان راجعا إلى القدر كما ذكر لكانت القاعدة أن يقول: «عدل عدل فيه، وحكم فصل فيه» ولا يحتاج إلى تكلف أنه نسب العدل إلى القضاء مجازا، وحينئذ ف (عدل) بمعنى: عادل، واستعماله كذلك كثير، كالخلق بمعنى المخلوق، و (حكم) بفتحيتين، بمعنى: الحاكم.

و في الخبر: أن يهوديا سأله عليه السلام عما ليس لله، و عما ليس عند الله، و عما لا يعلمه الله.

فقال على عليه السلام: أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: عزيز ابن الله. و الله لا يعلم له ولدا، و أما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعبيد، و أما ما ليس لله فليس لله شريك. أشهد ألا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله<sup>١٧٥٣</sup>.

ص: ٤٤٩

و ورد أن أبا حنيفة خرج من عند الصادق عليه السلام فاستقبله الكاظم عليه السلام و هو يومئذ غلام، فقال له: يا غلام! ممن المعصية؟ فقال: لا يخلو من ثلاث: إما أن يكون من الله تعالى - و ليست منه - فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه، و إما أن يكون من الله و من العبد - و ليس كذلك - فليس ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، و إما أن يكون من العبد - و هي منه - فإن عاقبه الله فبذنبه، و إن عفا عنه فبكرمه و جوده<sup>١٧٥٤</sup>.

هذا، و مما يدخل في موضوع كتابه، و لم ينقله مما هو راجع إلى التوحيد ما رواه الكليني عن البرقي و العطار مرفوعا، و الصدوق في اسنادين عن الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية فلما حشد الناس قام خطيبا، فقال:

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد، المتفرد الذي لا من شيء كان، و لا من شيء خلق ما كان، قدره بان بها من الأشياء، و بانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، و لا حد يضرب له فيه الأمثال، كل دون صفاته تحبير اللغات، و ضلّ هناك تصاريف الصفات، و حار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، و انقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، و حال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أذنيها طامحات العقول في لطيفات الأمور، فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم، و لا يناله غوص الفطن، و تعالى الذي ليس له وقت معدود، و لا أجل ممدود، و لا نعت محدود. سبحان الذي ليس له أول مبتدأ، و لا غاية منتهى، و لا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، و الواصفون لا

ص: ٤٥٠

<sup>١٧٥٣</sup> (٣) أخرجه صاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيه: ٨٤ ح ١٩٣، و الصدوق في التوحيد: ٣٧٧ ح ٢٣ و العيون ١: ١١٦ ح ٤٠، و ٢: ٤٥ ح ١٧٢ بطريقتين، و أبو علي الطوسي في أماليه ١: ٢٨٢ المجلس (١٠)، و أخرجه ضمن حديث طويل محمد بن علي بن إبراهيم في عجائب الأحكام: ١٠١ ح ١٧٠، و رواه الطبرسي في الاحتجاج ١: ٢٠٧.

<sup>١٧٥٤</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٩٦ ح ٢، و العيون ١: ١١٣ ح ٣٧، و أماليه: ٣٣٤ ح ٤ المجلس (٦٤)، و المرتضى في الفصول ١: ٤٣، و الكراچكي في كنز الفوائد: ١٧١، و ابن شعبة في تحف العقول: ٤١١، و رواه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٨٧.

يبلغون نعته، و حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إبانة لها من شبهه، و إبانة له من شبهها، لم يحلل فيها فيقال هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن، و لم يخل منها فيقال له أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، و أتقنها صنعه، و أحصاها حفظه، لم يعزب عنه خفيّات غيوب الهوى، و لا غوامض مكنون ظلم الدّجى، و لا ما فى السماوات العلى إلى الأرضين السفلى.

لكلّ شىء منها حافظ و رقيب، و كلّ شىء منها بشىء محيط، و المحيط بما أحاط منها، الواحد الأحد الصّمد، الذى لا يغيّره صروف الزّمان، و لا يتكأده صنع شىء كان، إنّما قال لما شاء كن فكان.

ابتدع ما خلق بلا مثال سبق، و لا تعب و لا نصب، و كلّ صانع شىء، فمن شىء صنع، و الله لا من شىء صنع ما خلق، و كلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم، و الله لم يجهل و لم يتعلّم، أحاط بالأشياء علما قبل كونها، فلم يزدد بكونها علما علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكويّنها، لم يكوّنها لتشديد سلطان، و لا خوف من زوال و نقصان، و لا استعانة على ضدّ مناو، و لا ندّ مكاش، و لا شريك مكابر، لكن خلائق مربوبون، و عباد داخرون.

فسبحان الذى لا يئوده خلق ما ابتداء، و لا تدبير ما برأ، و لا من عجز و لا من فترة بما خلق اكتفى، علم ما خلق، و خلق ما علم، لا بالتفكير فى علم حادث أصاب ما خلق، و لا شبهة دخلت عليه فى ما لم يخلق، لكن قضاء مبرم، و علم محكم، و أمر متقن، توحد بالربوبية، و خصّ نفسه بالوحدانية، و استخلص بالمجد و الثناء، و تفرّد بالتوحيد و المجد و الثناء، و توحد بالتحميد، و تمجّد بالتمجيد، و علا عن اتّخاذ الأبناء، و تطهّر و تقدّس عن ملامسة النساء، و عزّ و جلّ عن مجاورة الشركاء.

فليس له فى ما خلق ضدّ، و لا له فى ما ملك ندّ، و لم يشركه فى ملكه أحد.

ص: ٤٥١

الواحد الأحد الصمد، المبيد للأبد، و الوارث للأمد، الذى لم يزل و لا يزال وحدانيًا أزليًا قبل بدء الدهور، و بعد صرف الأمور، الذى لا يبيد و لا ينفد.

بذلك أصف ربّي، فلا إله إلّا الله من عظيم ما أعظمه، و من جليل ما أجّله، و من عزيز ما أعزّه، و تعالى الله عمّا يقول الظالمون علّوا كبيرا»<sup>١٧٥٥</sup>.

لكن مرّ بعض فقراتها فى العناوين المتقدّمة باتّفاق و اختلاف.

و ما روياه بأسنادهما عن محمّد البرقى، عن أحمد بن النضر و غيره، عن عمرو بن ثابت<sup>١٧٥٦</sup>، عن رجل سمّاه، عن أبى إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام خطبة بعد العصر فعجب النّاس من حسن صفتة، و ما ذكره من تعظيم الله تعالى. قال أبو إسحاق: فقلت للحارث:

<sup>١٧٥٥</sup> (١) أخرجهما الكليني فى الكافي ١: ١٣٤ ح ١، و الصدوق فى التوحيد: ٤١ ح ٣.

أو ما حفظتها؟ قال: كتبناها. فأملأها علينا من كتابه:

«الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضى عجائبه، لأنه كل يوم في شأن من إحداه بديع لم يكن، الذي لم يلد فيكون في العزّ مشاركا، ولم يولد فيكون موروثا هالكا، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحا ماثلا، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حاثلا. الذي ليست في أوليته نهاية، ولا لآخريته حدّ ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت ولم يتقدّمه زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولا يوصف بأين ولا بم ولا مكان. الذي بطن من خفيّات الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير. الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ، ولا ببعض، بل وصفته بفعاله، ودلت عليه بآياته. لا تستطيع عقول

ص: ٤٥٢

المتفكرين جحده، لأن من كانت السّموات والأرض فطرته، وما فيهنّ وما بينهنّ، وهو الصانع لهنّ، فلا مدفع لقدرته. الذي نأى من الخلق فلا شيء كمثلته، الذي خلق الخلق لعبادته، وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بيّنة هلك من هلك، وبمنه نجا من نجا، ولله الفضل مبدئا ومعيدا، ثم إن الله - وله الحمد - افتتح الحمد لنفسه، وختم أمر الدنيا ومحل الآخرة بالحمد لنفسه، فقال: «وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>١٧٥٧</sup>.

الحمد لله اللّابس الكبرياء بلا تجسّد، والمرتدى بالجلال بلا تمثيل، والمستوى على العرش بغير زوال، والمتعالى على الخلق بلا تباعد منهم ولا ملامسة منه لهم، ليس له حدّ ينتهى إلى حدّه، ولا له مثل فيعرف بمثله، ذلّ من تجبّر غيره، وصغر من تكبّر دونه، وتواضعت الأشياء لعظمته، وانقادت لسلطانه وعزّته، وكلت عن إدراكه طروف العيون، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق. الأوّل قبل كل شيء ولا قبل له، والآخر بعد كل شيء ولا بعد له.

الظاهر على كل شيء بالقهر له، والمشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها، لا تلمسه لا مسة ولا تحسه حاسّة. «هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ»<sup>١٧٥٨</sup> أتقن ما أراد من خلقه من الأشباح كلّها لا بمنال سبق إليه، ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه، ابتداء ما أراد ابتداءه، وأنشأ ما أراد إنشائه، على ما أراد من الثقلين الجنّ والإنس، ليعرفوا بذلك ربوبيّته، وتمكّن فيهم طاعته.

نحمده بجميع محامده كلّها على جميع نعمائه كلّها، ونستهديه لمراشد أمورنا، ونعوذ به من سيّئات أعمالنا، ونستغفره للذنوب التي سبقت منا...».

ص: ٤٥٣

<sup>١٧٥٦</sup> (٢) كذا في التوحيد، لكن في الكافي أحمد بن النضر، وغيره عمّن ذكره عن عمرو بن ثابت، والظاهر أن رواية أحمد عن عمرو بغير واسطة كما يشهد عليه النظر في الطبقات، وما أخرجه البرقي في المحاسن: ٥٨٣ ح ٧١، والكلينى في الكافي: ٦: ٣٨٥ ح ٢ عن أحمد بن النضر عن عمرو بن أبي المقدام (و أبو المقدام كنية ثابت أبيه)، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وهو يشرب في قدح من خرف.

<sup>١٧٥٧</sup> (١) الزمر: ٧٥.

<sup>١٧٥٨</sup> (٢) الزخرف: ٨٤.

و هي أيضا كسابقتها في اشتمال العناوين المتقدمة على بعض فقراتها.

و ما رواه الصدوق مسندا عن الرضا عليه السلام عن آباءه عليهم السلام: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة، فقال:

«الحمد لله الذي لا من شيء كان، و لا من شيء كَوْن ما قد كان، مستشهد بحدوث الأشياء عن أزلّيته، و بما وسمها به من العجز على قدرته، و بما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأيّيته، و لا له شبه مثال فيوصف بكيفيته، و لم يغب عن علمه شيء فيعلم بحيثيته، مباين لجميع ما أحدث في الصفات، و ممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، و خارج بالكبرياء و العظمة من جميع تصرف الحالات، محرّم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، و على عوامق ناقبات الفكر تكييفه، و على غوائص سابحات الفطر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، و لا تذرعه المقادير لجلاله، و لا تقطعه المتقايس لكبريائه. ممتنع عن الأوهام أن تكتنهنه، و عن الأفهام أن تستغرقه، و عن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، و نضبت عن الإشارة إليه بالاكتناء بحار العلوم، و رجعت بالصغر عن السموّ إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد، و دائم لا بأمد، و قائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادلّه الأجناس، و لا بشبح فتضارعه الأشباح، و لا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلّت العقول في أمواج تيّار إدراكه، و تحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزلّيته، و حصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، و غرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته. مقتدر بالآلاء، و ممتنع بالكبرياء و متملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، و لا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محلّ تخوم قرارها،

ص: ٤٥٤

و أذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهد أقطارها. مستشهد بكليّة الأجناس على ربوبيته، و بعجزها على قدرته، و بفظورها على قدمته، و بزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه إيّاها، و لا خروج من إحاطته بها، و لا احتجاب عن إحصائه لها، و لا امتناع من قدرته عليها. كفى بإتقان الصنع لها آية، و بمركب الطبع عليها دلالة، و بحدوث الفطر عليها قدمة، و بإحكام الصنعة لها عبرة. فلا إليه حدّ منسوب، و لا له مثل مضروب، و لا شيء عنه محجوب.

تعالى عن ضرب الأمثال و الصفات المخلوقة علواً كبيراً»<sup>١٧٥٩</sup>.

و ما رواه أيضا مسندا عن الباقر عليه السلام عن آباءه عليهم السلام، قال: أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها بعد موت النبيّ صلى الله عليه و آله بسبعة أيام، و ذلك حين فرغ من جمع القرآن، فقال:

«الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده، و حجب العقول أن تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه و الشكل، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته، و لم يتبعّض بتجزئة العدد في كماله. فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، و تمكّن منها لا على الممازجة،

<sup>١٧٥٩</sup> (١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٦٩ ح ٢٦، و العيون ١: ٩٩ ح ١٥.

و علمها لا بأداء لا يكون العلم إلّا بها، وليس بينه وبين معلومه علم غيره. إن قيل: كان فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل: لم يزل فعلى تأويل نفى العدم. فسبحانه و تعالى عن قول من عبد سواه، و اتخذ إليها غيره علوا كبيرا»<sup>١٧٦٠</sup>.

و رواه (الروضة) و (التحفة) واصفين له بالخطبة المعروفة بالوسيلة<sup>١٧٦١</sup>.

ص: ٤٥٥

و ما رواه (الروضة) بعنوان الخطبة الطالوتية مسندا عن ابن التيهان أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة، فقال:

«الحمد لله الذى لا إله إلّا هو، كان حيا بلا كيف، و لم يكن له كان، و لا كان لكانه كيف، و لا كان له أين، و لا كان فى شىء، و لا كان على شىء، و لا ابتدع لكانه مكانا، و لا قوى بعد ما كون شيئا، و لا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا، و لا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا، و لا يشبه شيئا و لا كان خلوا عن الملك قبل إنشائه، و لا يكون خلوا منه بعد ذهابه.

كان إليها حيا بلا حياة، و مالكا قبل أن ينشئ شيئا، و مالكا بعد إنشائه للكون، و ليس يكون لله كيف، و لا أين، و لا حد يعرف، و لا شىء يشبهه، و لا يهرم لطول بقائه، و لا يضعف لذعرة، و لا يخاف كما تخاف خليقته من شىء، و لكن سميع بغير سمع، و بصير بغير بصر، و قوى بغير قوة من خلقه، لا تدركه حدق الناظرين، و لا يحيط بسمعه السامعين. إذا أراد شيئا كان بلا مشورة، و لا مظاهره و لا مخابرة، و لا يسأل أحدا عن شىء من خلقه أراد»<sup>١٧٦٢</sup>.

و ما رواه أيضا مسندا عن الباقر عليه السلام، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«الحمد لله الخافض الراءع، الضارّ النافع، الجواد الواسع، الجليل ثناؤه، الصادق أسماؤه، المحيط بالغيوب، و ما يخطر على القلوب، الذى جعل الموت بين خلقه عدلا و أنعم بالحياة عليهم فضلا، فأحيا و أمات، و قدر الأقوات، أحكمها بعلمه تقديرا، و أتقنها بحكمته تدبيراً، إنه كان خبيراً بصيراً، هو الدائم بلا فناء، و الباقي إلى غير منتهى. يعلم ما فى الأرض و ما فى السماء، و ما»

ص: ٤٥٦

«بَيْنَهُمَا وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى»<sup>١٧٦٣</sup>.

و ما رواه مسندا عن الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمعة، فقال:

<sup>١٧٦٠</sup> (٢) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٧٩ ح ٢٧.

<sup>١٧٦١</sup> (٣) أخرجه الكليني فى الكافي ٨: ١٨ ح ٤، و ابن شعبة فى تحف العقول: ٩٢ باختلاف كثير.

<sup>١٧٦٢</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافي ٨: ٣١ ح ٥.

<sup>١٧٦٣</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافي ٨: ١٧٠ ح ١٩٣، و الآية (٦) من سورة طه.

«الحمد لله أهل الحمد، ووليّه ومنتهى الحمد و محلّه، البدء البديع، الأجلّ الأعظم، والأعزّ الأكرم، المتوحّد بالكبرياء، والمتفرّد بالآلاء، القاهر بعزّه، والمسأط بقهره، الممتنع بقوّته، المهيمن بقدرته، والمتعالى فوق كلّ شيء بجبروته، المحمود بامتنانه و بإحسانه، المتفضّل بعطائه، و جزيل فوائده، الموسّع برزقه، المسبغ بنعمه، نحمده على آلائه، و نظاهر نعمائه، حمدا يزن عظمه جلاله، و يملأ قدر آلائه و كبريائه»<sup>١٧٦٤</sup>.

و ما رواه المسعودى فى (إثباته) مرسلا من خطبته عليه السّلام فى انتقال نور النّبى صلّى الله عليه و آله:

«الحمد لله الذى توحدّ بصنع الأشياء، و فطر أجناس البرايا على غير مثال سبقه فى إنشائها، و لا إعانة معين على ابتداعها، بل ابتداعها بلطف قدرته، فامتثلت لمشيئته خاضعة مستحدثة لأمره. الواحد الأحد، الدائم بغير حدّ و لا أمد، و لا زوال و لا نفاذ، و كذلك لم يزل و لا يزال. لا تغيره الأزمنة، و لا تحيط به الأمكنة، و لا تبلغ مقامه الألسنة، و «لا تأخذه سنةٌ و لا نومٌ»<sup>١٧٦٥</sup>. لم تره العيون فتخبر عنه برؤيته، و لم تهجم عليه العقول فيتوهم كنه صفته، و لم تدر كيف هو إلّا بما أخبر عن نفسه. ليس لقضائه مردّ، و لا لقوله مكذّب.

ابتدع الأشياء بغير تفكير، و خلقها بلا ظهير و لا وزير، فطرها بقدرته، و صيّرها بمشيئته، و صاغ أشباحها، و برأ أرواحها، و استنبط أجناسها، خلقا

ص: ٤٥٧

مبروّا مذروّا فى أقطار السماوات و الأرضين، لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتى عليه، ليرى عباده آيات جلاله و آلائه. فسبحانه لا إله إلّا هو الواحد القهار - إلى أن قال - لقد لطف علمك، و جلّت قدرتك عن التفسير، إلّا بما دعوت إليه من الاقرار بربوبيّتك و أشهد أن الأعين لا تدركك، و الأوهام لا تلحقك، و العقول لا تصفك، و المكان لا يسعك، و كيف يسع المكان من خلقه و كان قبله، أم كيف تدركه الأوهام، و كيف تؤمر الأوهام، و لا نهاية له و لا غاية، و كيف يكون له نهاية و غاية، و هو الذى ابتدأ الغايات و النهايات، أم كيف تدركه العقول، و لم يجعل لها سبيلا إلى إدراكه، و كيف يكون لها سبيل إلى إدراكه، و قد لطف بربوبيّته عن المحاسنة و المجاسنة، و كيف لا يلفظ عنهما من لا ينتقل عن حال إلى حال، و قد جعل الانتقال نقصا و زوالا؟! فسبحانك ملأت كلّ شيء، و باينت كلّ شيء. فأنت الذى لا يفقدك شيء، و أنت الفعّال لما تشاء، تباركت يا من كلّ مدرك من خلقه، و كلّ محدود من صنعه. أنت الذى لا يستغنى عنك المكان و الزمان، و لا نعرفك إلّا بانفرادك بالوحدانيّة و القدرة»<sup>١٧٦٦</sup>.

و ما نقله البحرانى فى (الصحيفة العلويّة):

<sup>١٧٦٤</sup> (٢) أخرجه الكليني فى الكافي ٨: ١٧٣ ح ١٩٤.

<sup>١٧٦٥</sup> (٣) البقرة: ٢٥٥.

<sup>١٧٦٦</sup> (١) أخرجه المسعودى فى إثبات الوصية: ١٠٦.

«الحمد لله أول محمود، و آخر معبود، و أقرب موجود. البدء بلا معلوم لأزليته و لا آخر لأوليته، و الكائن قبل الكون بلا كيان، و الموجود في كل مكان بلا عيان، و القريب من كل نجوى بغير تدان. علنت عنده الغيوب، و ضلّت في عظمتها القلوب، فلا الأبصار تدرك عظمتها، و لا القلوب على احتجابه تنكر معرفته، يمثل في القلوب بغير مثال تحدّه الأوهام أو تدركه الأحلام.

ثم جعل من نفسه دليلا على تكبره عن الضدّ و الندّ، و الشكّل و المثل،

ص: ٤٥٨

فالوحدانية آية الربوبية، و الموت الآتى على خلقه مخبر عن خلقه و قدرته، ثم خلقهم من نطفة و لم يكونوا شيئا دليل على إعادتهم خلقا جديدا بعد فنائهم كما خلقهم أول مرة.

و الحمد لله ربّ العالمين، الذى لم يضره بالمعصية المتكبرون، و لم ينفعه بالطاعة المتعبدون، الحليم عن الجباية المدّعين، و المهمل الزاعمين له شركاء فى ملكوته، الدائم فى سلطانه بغير أمد، و الباقي فى ملكه بعد انقضاء الأبد، و الفرد الواحد الصمد، و المتكبر عن الصاحبة و الولد، رافع السماء بغير عمد، و مجرى السحاب بغير صدف، قاهر الخلق بغير عدد، لكن هو الله الواحد الفرد الأحد، الذى «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُوَلَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»<sup>١٧٦٧</sup>.

و الحمد لله الذى لم يخل من فضله المقيمون على معصيته، و لم يجازه لأصغر نعمه المجتهدون فى طاعته. الغنى الذى لا يضمن برزقه على جاحده، و لا ينقص عطاياه أرزاق خلقه، خالق الخلق و مفييه، و معيده و مدييه و معاقبه، عالم ما أكتته السرائر، و أخبته الضمائر، و اختلفت به الألسن، و أنسته الأزمن.

الحى الذى لا يموت، و القيوم الذى لا ينام، و الدائم الذى لا يزول، و العدل الذى لا يجوز، الصافح عن الكبائر بفضله، و المعذب من عذب بعده، لم يخف الفوت فحلم، و علم الفقر إليه فرحم، و قال فى محكم كتابه: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ»<sup>١٧٦٨</sup>. أحمدته حمدا أستزيده فى نعمته، و أستجير به من نقمته، و أتقرب إليه بالتصديق لنبيه المصطفى لوحيه، المتحيز لرسالته، المختصّ بشفاعته»<sup>١٧٦٩</sup>.

و فى الجميع فقرات مرتّ فى العناوين السابقة.

ص: ٤٥٩

الفصل الثانى فى خلق السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و العرش و الكرسيّ

<sup>١٧٦٧</sup> (١) الاخلاص: ٣-٤.

<sup>١٧٦٨</sup> (٢) فاطر: ٤٥.

<sup>١٧٦٩</sup> (٣) الصحيفة العلوية الأولى: ٣٢ الخطبة (٢).

ص: ٤٤١

مرّ في الفصل الأوّل قوله عليه السّلام: «و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، و أرساها على غير قرار، و أقامها بغير قوائم، و رفعها بغير دعائم، و حصّنها من الأود و الاعوجاج، و منعها من التّهافت و الانفراج. أرسى أوتادها، و ضرب أسدادها، و استفاض عيونها، و خدّ أوديتها، فلم يهن ما بناه، و لا ضعف ما قواه» مع شرحه<sup>١٧٧٠</sup>.

١

من الخطبة (١) بعد ما مرّ في سابقه:

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ - وَ شَقَّ الْأَرْجَاءَ وَ سَكَتِكَ الْهَوَاءَ - فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ - مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ - وَ الزَّرْعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ - وَ سَلَطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ - الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَيَقِي وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَقِيقٌ - ثُمَّ أَنْشَأَ

ص: ٤٤٢

سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَهَا - وَ أَدَامَ مَرَبَهَا وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا - وَ أْبَعَدَ مَنَشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ - وَ إِثَارَةَ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ - وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ - تَرْدُ أَوْلَهُ عَلَى آخِرِهِ وَ سَاجِبُهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ - وَ رَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامُهُ - فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِحٍ وَ جَوٍّ مُنْفَهَقٍ - فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ - جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا - وَ عَلِيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَ سَمَكًا مَرْفُوعًا - بَغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ التَّوَاقِبِ - وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَ قَمَرًا مُنِيرًا - فِي فَلَكَ دَائِرٍ وَ سَقْفٍ سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ أَقُولُ: مرّ في أوّل الفصل السابق الكلام في مستنده<sup>١٧٧١</sup>.

«ثم أنشأ سبحانه» قالوا: (ثم) هنا للتفصيل بعد الإجمال في سابقه.

«فتق» و الفتق ضدّ الرتق.

«الأجواء» جمع الجوّ، و فسّر الجوّ بشيئين ما بين السماء و الأرض، و الفضاء الواسع، لكن الصواب الثاني، حيث إنّ كلامه عليه السّلام في الجوّ قبل خلق الأرض و السماء، و قد قال أبو عمرو في قول طرفه:

خلالك الجوّ فيضي و اصفري

يا لك من قبرة بمعمر

<sup>١٧٧٠</sup> (١) مرّ في العنوان (٢٥) من الفصل الأوّل شرح الخطبة (١٨٤).

<sup>١٧٧١</sup> (١) مرّ في العنوان (١) من الفصل الأوّل في شرح الخطبة (١).

١٧٧٢ الجو: ما اتسع من الأودية.

«و شقّ» مصدر عطف على (فتق).

«الأرجاء» و الأرجاء جمع رجا، أى: الناحية، قال تعالى: «وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا»<sup>١٧٧٣</sup>.

ص: ٤٤٣

«و سكائك الهواء» فى (اللّسان): السّكّاك و السّكّاية: الهواء بين السماء و الأرض، و قيل: الّذى لا يلاقى أعنان السماء. و منه قولهم: لا أفعل ذلك و لو نزوت فى السّكّاك، أى: فى السماء. و فى حديث الصّبيّة المفقودة قالت: فحملنى على خافية من خوافيه، ثمّ دوّم بى فى السّكّاك<sup>١٧٧٤</sup>.

السّكّاك و السّكّاية: الجوّ، و هو ما بين السماء و الأرض، و منه حديث علىّ عليه السّلام: «شقّ الأرجاء و سكائك الهواء». السّكّاك: جمع السّكّاية، و هى السّكّاك، كذوّابة و ذوائب<sup>١٧٧٥</sup>. و قال أيضا: السّكّة الطريق المستوى، و به سمّيت سكك البريد. قال الشماخ:

حمامة من حمام ذات أطواق

حنّت على سكة السّارى فجاوبها

ثم قال: و قال الشماخ:

نضربهم إذا أخذوا السكائكا

١٧٧٤ هذا، و بدّل (مطالب السّؤل - مطالب السّؤل - ص ٢٨) قوله «و سكائك الهواء» بقوله «رتق الهواء»<sup>١٧٧٧</sup>. و كيف كان فقال ابن أبى الحديد: ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ الفضاء الّذى هو الفراغ الّذى يحصل فيه الأجسام خلقه الله تعالى، و لم يكن

<sup>١٧٧٢</sup> (٢) أوردته لسان العرب ٥: ٤٩ مادة (قبر) و الشاعر: طرفه و قيل كليب بن ربيعة.

<sup>١٧٧٣</sup> (٣) الحاقّة: ١٧.

<sup>١٧٧٤</sup> (١) نقله أيضا ابن الاثير فى النهاية ٢: ٣٨٥ مادة (سكك).

<sup>١٧٧٥</sup> (٢) لسان العرب ١٠: ٤٤١ مادة (سكك).

<sup>١٧٧٤</sup> (٣) المصدر نفسه.

<sup>١٧٧٧</sup> (٤) فى مطالب السّؤل: ٢٨ «رافق الهواء» و الظاهر أنّه تحريف.

من قبل، و هذا يقتضى كون الفضاء شيئاً، لأنّ المخلوق لا يكون عدماً محضاً، و ليس ذلك ببعيد، فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر، و جعلوه جسماً لطيفاً خارجاً عن مشابهة هذه الأجسام، و منهم من جعله مجرداً<sup>١٧٧٨</sup>.

قلت: و الصواب كونه جسماً لطيفاً يشهد له قول السجاد عليه السّلام فى تسبيح

ص: ٤٤٤

الصحيفة: «سبحانك تعلم وزن الفىء و الهواء»<sup>١٧٧٩</sup>. و يمكن أن يكون قوله عليه السّلام:

«و سكائنك الهواء» إشارة إلى ما اكتشفوه فى هذه العصور من أمواج الهواء التى تحمل الأصوات فى الراديات.

«فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره» أى: موجه، و فى (الصحاح): يقال قطع عرقاً تياراً، أى: سريع الجريّة، و قال عدى:

كالبحر يقذف بالتيار تياراً

١٧٨٠

«متراكماً» أى: متراكباً.

«زخاره» من زخر الوادى إذا امتدّ جدّاً و ارتفع.

«حملة على متن الريح العاصفة» أى: الشديدة.

«و الزرع» أى: المحركة للأشياء.

«القاصفة» أى: الكاسرة لها، يقال قصفت الريح السفينة، قال المجلسى:

و هذه الريح غير الهواء المذكور أولاً، كما سيأتى فى قول الصادق عليه السّلام للزّنديق: الريح على الهواء و الهواء تمسكه القدرة<sup>١٧٨١</sup>. فيمكن أن تكون مقدّمة فى الخلق عليه و متأخرة عنه أو مقارنة له<sup>١٧٨٢</sup>.

<sup>١٧٧٨</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٧.

<sup>١٧٧٩</sup> (١) ملحقات الصحيفة السجادية الكاملة: ٣١٩، الدعاء (١) و قد مرّ فى العنوان (٢١) من الفصل الأوّل.

<sup>١٧٨٠</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٠٣ مادة (تير).

«فأمرها بردّه و سلّطها على شدّه و قرنها إلى حدّه» قال المجلسي: أي: أمر الرّيح أن تحفظ الماء، و تردّه بالمنع عن الجرى الذي سبقت الإشارة إليه بقوله:

«فأجرى فيها ماء»، فكان قبل الردّ قد خلّى و طبعه- أي: عن الجرى الذي يقتضيه طبعه- و قواها على ضبطه كالشيء المشدود، و جعلها مقرونة إلى

ص: ٤٦٥

انتهائه محيطه به<sup>١٧٨٣</sup>.

قلت: مقتضى كلامه أنّ الله تعالى أجرى الماء أوّلا في الهواء المجردّ بجعل الهواء حاملا له، و أنّ الماء كان جاريا حينئذ على مقتضى طبعه من الحركة إلى السفلى، ثمّ حمله على ظهر الرّيح ففسرت جريه و عكسته، مع أنّ ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ جريه أوّلا في الهواء كان بتوسط حمله على ظهر الرّيح، فإنّ الظاهر أنّ قوله عليه السّلام: «حمله على متن الرّيح العاصفة...» حال من (ماء) في قوله: «فأجرى فيها ماء...» أي: أجرى الماء حاملا له على متن الرّيح، و لو كان المعنى كما ذكر لقال عليه السّلام: (ثم حمله).

«الهواء من تحتها فتيق» أي: منشقّ.

«و الماء من فوقها دفيق» قال الجوهري: دفقت الماء أدفقه دفقا، أي:

صببته، فهو ماء دافق، أي: مدفوق، كما قالوا: سرّ كاتم. أي: مكتوم، لأنّه من قولك: دفق الماء على ما لم يسمّ فاعله<sup>١٧٨٤</sup>.

قلت: بل الظاهر أنّ قولهم: ماء دافق، و مثله ماء دفيق، كما هنا بمعنى و تاب، قال تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ»<sup>١٧٨٥</sup>.

قال المجلسي في معنى قوله: «الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق» أي: الهواء الذي هو محلّ الرّيح مفتوق، أي: مفتوح منبسط من تحت الرّيح الحاملة للماء، و الماء دفيق من فوقها، أي: مصبوب مندفق، و الغرض أنّه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالرّيح الحاملة له، كما ضبط الرّيح بالهواء المنبسط، و هو موضع العجب<sup>١٧٨٦</sup>.

<sup>١٧٨١</sup> (٣) الظاهر أنّه أشار إلى ما جاء في البحار ٦٠: ١٥ ح ١٩ عن احتجاج الطبرسي، و هو في الاحتجاج ٢: ٣٥٠، لكن ليس بهذه الألفاظ، و روى قريبا منه البرسي في المشارق: ٤٣، و المجلسي في البحار ٥٧: ٢٠١ عن علي عليه السّلام.

<sup>١٧٨٢</sup> (٤) بحار الأنوار ٥٧: ١٨٣.

<sup>١٧٨٣</sup> (١) المصدر نفسه، و قال عقيب كلامه في حديث الصادق عليه السّلام: «و يمكن أن يكون المراد بها ما تحرك منه كما هو المشهور».

<sup>١٧٨٤</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٤٧٥ مادة (دفيق).

<sup>١٧٨٥</sup> (٣) الطارق: ٥-٦.

قلت: بل الظاهر أنّ الغرض أنّ مقتضى الطبيعة أن يكون الماء تحت، و الريح فوقه، و الهواء فوقها، و هو تعالى جعل الريح وسطاً و الماء فوقها و الهواء تحتها، و هو موضع العجب.

«ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها» اعتقم: من قولهم: رحم معقومة، أى:

مشدودة لا تلد.

«و آدم مربها» أى اقامتها فى محلها، من قولهم: مربّ الإبل لمكان لزمته.

قال المجلسى: الظاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها الله محلاً للماء، بل هى مخلوقة من الماء كما سيأتى فى الرواية<sup>١٧٨٧</sup>.

قلت: كون هذه الريح غير الأولى لا يحتاج فيه إلى الاستناد إلى الرواية الدالة على خلقها من الماء، بل نفس هذه الفقرة مع ظهورها فى عدم خلقها من ذلك الماء كالصريحة فى التّغاير للتعبير بقوله: «ثمّ أنشأ...».

و قال ابن أبى الحديد: استدللّ الراوندى لتغاير الريح الثانية مع الأولى بتعريف الأولى و تنكير الثانية، و ردّه بأنّه ليس مستفاداً من مجردهما، بل من كون إحداهما تحت الماء و الأخرى فوقه<sup>١٧٨٨</sup>.

قلت: و أىّ مانع من أن يجعل مقدارا من ريح واحدة تحت الماء، و مقدارا فوقه؟ فالصواب أن يستند إلى التّعبير بفقرة «ثمّ أنشأ».

«و أعصف» أى: أشدّ.

«مجرها» أى: جريانها.

«و أبعد منشأها» من منتهاها.

«فأمرها بتصفيق» قال الجوهرى: الصّقق: الضرب الذى يسمع

<sup>١٧٨٤</sup> (٤) بحار الأنوار ٥٧: ١٨٤.

<sup>١٧٨٧</sup> (١) المصدر نفسه.

<sup>١٧٨٨</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٩، و النقل بالمعنى.

«الماء الزخار» أى: الكثير.

«وإثارة» من: أثار الغبار.

«موج البحار» يجعله فوق و تحت.

«فمخضته» أى: حرّكته.

«مخض السقاء» أى: سقاء اللّبن لأخذ زبده.

«و عصفت به» أى: بالماء.

«عصفها بالفضاء» أى: حرّكت الماء مثل تحريكها للفضاء.

«تردّ أوله إلى» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (على) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطيئة)<sup>١٧٩٠</sup>.

«آخره و ساجيه» أى: ساكنه.

«إلى» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (على) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطيئة)<sup>١٧٩١</sup>.

«مائرته» أى: متحرّكه، قال الأعشى:

مور السّحابة لا ريث و لا عجل

كأنّ مشيبتها من بيت جارتها

<sup>١٧٩٢</sup> «حتّى عبّ عبايه» أى: ارتفع سيله و موجه، أو صوّت.

«و رمى بالزّبد» أى: زيد الماء.

«ركامه» أى: متراكمه.

---

<sup>١٧٨٩</sup> (١) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٥٠٧ مادة (صفق).

<sup>١٧٩٠</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٧، و شرح ابن ميثم ١: ١٣١ «الى آخره» أيضا.

<sup>١٧٩١</sup> (٣) فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٧، و شرح ابن ميثم ١: ١٣١ «الى مائرته» أيضا.

<sup>١٧٩٢</sup> (٤) أورده لسان العرب ٥: ١٨٦ مادة (مور).

«فرعه في هواء منفق» أى: منشق.

ص: ٤٦٨

«و جوّ منفق» أى: متسع.

«فسوّى منه سبع سماوات» و روى (الكافى) عن الباقر عليه السّلام قال: كان كلّ شيء ماء، و كان عرشه على الماء، فأمر الله تعالى الماء فاضطرم نارا، ثمّ أمر النار فخدمت، فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، و خلق الأرض من الرماد<sup>١٧٩٣</sup>.

و روى فى خبر آخر عنه عليه السّلام: و خلق الشىء الذى جميع الأشياء منه، و هو الماء الذى خلق الأشياء منه، فجعل نسب كلّ شىء إلى الماء، و لم يجعل للماء نسبا يضاف إليه، و خلق الرّيح من الماء، ثمّ سلّط الرّيح على الماء، فشقت الرّيح متن الماء حتّى صار من الماء زيد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضا بيضاء نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب و لا صعود و لا هبوط و لا شجرة، ثمّ طواها فوضعها فوق الماء، ثمّ خلق الله النّار من الماء فشقت النّار متن الماء حتّى نار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب<sup>١٧٩٤</sup>.

و روى (تفسير القمى) عن الصادق عليه السّلام فى خبر قال: كان عرشه على الماء، و الماء على الهواء، و الهواء لا يحدّ و لم يكن يومئذ خلق غيرهما، و الماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرّيح فضربت الماء حتّى صار موجا، ثمّ أزيد فصار زيدا واحدا، فجمعه فى موضع البيت، ثمّ جعله جبلا من زيد، ثمّ دحا الأرض من تحته، فقال: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا»<sup>١٧٩٥</sup> ثمّ مكث الرّب تبارك و تعالى ما شاء، فلمّا أراد أن يخلق

ص: ٤٦٩

السماء أمر الرياح، فضربت البحور حتّى أزيدت بها فخرج من ذلك الموج- و الزّيد من وسطه- دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء، و جعل فيها البروج و النجوم، و منازل الشمس و القمر، و أجراها فى الفلك، و كانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر، و كانت الأرض غبراء على لون الماء العذب، و كانتا مرتوقيتين ليس لهما أبواب<sup>١٧٩٦</sup>.

<sup>١٧٩٣</sup> (١) أخرجه الكليني فى الكافى فى صدر حديث فى موضعين ٨: ٩٥ ح ٦٨، و: ١٥٣ ح ١٤٢.

<sup>١٧٩٤</sup> (٢) أخرجه الكليني ضمن حديث فى الكافى ٨: ٩٤ ح ٦٧.

<sup>١٧٩٥</sup> (٣) آل عمران: ٩٦.

<sup>١٧٩٦</sup> (١) أخرجه على بن إبراهيم فى تفسيره ٢: ٦٩، و قريب منه ما أخرجه صاحب تفسير العسكرى فيه: ٦٩ عن النّبى صلّى الله عليه و آله، و أخرجه الفرات الكوفى فى تفسيره: ٦٦ عن على عليه السّلام، و أخرجه العياشى فى تفسيره ١: ١٨٦ ح ٩١، و الكليني بروايتين فى الكافى ٤: ١٨٩ ح ٧، و: ٨: ٩٤ ح ٦٧ عن الباقر عليه السّلام، و على بن إبراهيم فى تفسيره ١: ٣٢١ بلا عزو، و روى عن ابن عباس و ابن مسعود و ابن عمر و غيرهم موقفا.

«جعل سفلاهن موجا مكفوفاً» عن السقوط، و في خبر سؤال الرجل الشامي عن الباقر عليه السلام و سأله عن السماء الدنيا مم هي؟ قال: من موج مكفوف<sup>١٧٩٧</sup>.

«و علياهن سقفا محفوظا» هكذا في (النهج)، و لكن في (مطالب السؤل) نقله «و سقفا محفوظا» بدون كلمة (علياهن)<sup>١٧٩٨</sup>، و عليه يصير المعنى كون سفلاهن سقفا محفوظا ككونها موجا مكفوفاً، و كأنه أصح. فقال تعالى:

«وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَ هُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ»<sup>١٧٩٩</sup> فجعل السفلى سقفا محفوظا، و كذلك قوله عليه السلام: «و سمكا مرفوعا» لم يخصه الله تعالى

ص: ٤٧٠

بالعليا. فقال: «أ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها»<sup>١٨٠٠</sup>، و قال عز و جل: «و السقف المرفوع»<sup>١٨٠١</sup>، بل قوله في ما يأتي: «ثم زينها بزينة الكواكب» أيضا يشهد لزيادة كلمة (علياهن)، و عليه فلا يحتاج إلى ما تكلفه المجلسي في شرح الفقرة على نقل (النهج)، فقال: يخطر بالبال وجه آخر، و هو أن يكون المراد أنه تعالى جعل الجهة السفلى من كل من السماوات مواجئة متحركة واقعا، أو في النظر، و الجهة العليا منها سقفا محفوظا تستقر عليه الملائكة، و لا يمكن للشياطين خرقها<sup>١٨٠٢</sup>.

«بغير عمد يدعما» أي: يكون عمادا لها.

«و لا دسار» أي: مسمار.

«ينظمها» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (ينتظمها) كما في (ابن أبي الحديد و الخطيب)<sup>١٨٠٣</sup>.

«ثم زينها بزينة الكواكب» و لا ريب أن الضمير في (زينها) يرجع إلى السماء الدنيا لقوله تعالى: «إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب»<sup>١٨٠٤</sup>، و قوله عز و جل: «و لقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح»<sup>١٨٠٥</sup>.

---

<sup>١٧٩٧</sup> (٢) أخرجه ضمن أسئلة رجل من الشام لعلي عليه السلام الصدوق في علل الشرائع ٢: ٥٩٣ ح ٤٤، و العيون: ١: ١٨٨ ح ١، و أخرجه معناه ابن أبي حاتم و أبو الشيخ و ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله و ابن أبي حاتم عن أبي الجلد موقوفا، و ابن راهويه في مسنده و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الطبراني في معجمه الأوسط، و أبو الشيخ عن الربيع بن أنس موقوفا عنهم الدر المنثور ١: ٤٤، و قد جاء ذكر (الموج المكفوف) في أخبار أخرى لم يسع المقام لذكرها.

<sup>١٧٩٨</sup> (٣) مطالب السؤل: ٢٨.

<sup>١٧٩٩</sup> (٤) الأنبياء: ٣٢.

<sup>١٨٠٠</sup> (١) النازعات: ٢٧ - ٢٨.

<sup>١٨٠١</sup> (٢) الطور: ٥.

<sup>١٨٠٢</sup> (٣) بحار الأنوار ٥٧: ١٨٦.

<sup>١٨٠٣</sup> (٤) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧، و شرح ابن ميثم ١: ١٣١ «ينظمها» أيضا.

«و ضياء النواقب» و الأصل فى الثقب: ثقب الدرّ، و المراد ثقبها بضوئها، قال تعالى: «و ما أدراك ما الطّارقُ النّجمُ النّاقِبُ»<sup>١٨٠٦</sup>.

ص: ٤٧١

و عن الصادق عليه السّلام: النّجم الناقب: زحل، و مطلععه فى السماء السابعة، و أنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء فى السّماء الدّنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النّجم النّاقب<sup>١٨٠٧</sup>.

«و أجرى فيها سراجا مستطيرا» قال تعالى: «و جعلنا سراجاً وهاجاً»<sup>١٨٠٨</sup>، و قال عزّ و جلّ: «و الشّمسُ تجرى لمستقرّ لها ذلكَ تقديرُ العزیز العليم»<sup>١٨٠٩</sup>.

و قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر الآن فى تتقلّ الشّمس فى البروج الاثنى عشر لإقامة دور السنّة، و ما فى ذلك من التّدبير ... انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون، فإنّها لو كانت تبرزغ فى موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منفعتها إلى كثير من الجهات، لأنّ الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع أوّل النّهار من المشرق، فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثمّ لا تزال تدور و تغشى جهةً بعد جهة حتّى تنتهى إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها فى أوّل النّهار، فلا يبقى موضع من المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة منها و الإرب التّى قدّرت له<sup>١٨١٠</sup>.

«و قمرا منيرا» «و جعل القمرَ فيهنّ نوراً»<sup>١٨١١</sup>.

«فى فلک دائر و سقف سائر و رقيم» أى: منتقش.

«مائر» أى: متحرّك، و الظاهر أنّ (دائر) خبر للكلمة (كلّ) محذوفة لا صفة ل (فلک)، و فى (فلک) متعلّق به، و مثله (سائر) و (مائر)، فيكون المعنى: كلّ من الكواكب و الشمس و القمر دائر فى فلک، و سائر فى سقف، و مائر فى رقيم.

ص: ٤٧٢

فيكون مساوقا لقوله تعالى - بعد ذكر الشمس و القمر - «النّهار و كلّ فى»<sup>١٨١٢</sup>.

<sup>١٨٠٤</sup> (٥) الصافات: ٦.

<sup>١٨٠٥</sup> (٦) الملك الطارق: ٥.

<sup>١٨٠٦</sup> (٧): ٢-٣.

<sup>١٨٠٧</sup> (١) هذا مقتبس من حديث طويل أخرجه الصدوق فى الخصال ٢: ٤٨٩ ح ٦٨.

<sup>١٨٠٨</sup> (٢) النبا: ١٣.

<sup>١٨٠٩</sup> (٣) يس: ٣٨.

<sup>١٨١٠</sup> (٤) توحيد المفضل: ١٣٠.

<sup>١٨١١</sup> (٥) نوح: ١٦.

و قال الصادق عليه السلام- بعد ذكر مقدار من حكمه تعالى في الشمس و القمر و النجوم-: مع ما في ترددها في كبد السماء مقبله و مدبرة و مشرقه و مغربه من العبر، فإنها تسير أسرع السير و أحته، أ رأيت لو كانت الشمس و القمر و النجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه، ألم تكن تستخطف الأبصار بوهجها و شعاعها، كالذي يحدث أحيانا من البروق إذا توالى و اضطرت في الجو؟! و كذلك لو أن أناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حيننا، لحارت أبصارهم حتى يخرؤا لوجوههم. فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار، و تنكأ فيها بأسرع السرعة، لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها<sup>١٨١٣</sup>.

٢

من الخطبة (٨٩) (منها في صفة السماء):

وَ نَظَمَ بِلَا تَعْلِيْقِ رَهَوَاتِ فُرْجِيهَا- وَ لَاحِمَ صُدُوعِ أَنْفِرَاجِهَا وَ وَشَجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَرْوَاجِهَا- وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ- وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونََةَ مِعْرَاجِهَا- وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا- وَ فَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا- وَ أَقَامَ رِصْدًا مِنَ الشُّهُبِ التَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا- وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ- وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ- وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا- وَ قَمَرَهَا آيَةً

ص: ٤٧٣

مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا- فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا- وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا- لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا- وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ بِمَقَادِيرِهِمَا- ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَّهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا- مِنْ حَقِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا- وَ رَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِشَوَاقِبِ شُهُبِهَا- وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا- وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا «و نظم بلا تعليق رهوات فرجها» قال ابن أبي الحديد في شرح الفقرة:

يقول عليه السلام: كانت السماء أول ما خلقت غير منتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع و بعضها أخفض، فنظمها سبحانه، فجعلها بسيطا واحدا، نظما اقتضته القدرة الإلهية من غير تعليق، أي: لا كما ينظم الإنسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد بالتعليق و الخياطة. و تبعه الخوئي في ذلك<sup>١٨١٤</sup>.

قلت: فيه أولا: إنه هل كان بناؤه تعالى للسماء كبناء الناس لشيء أولا غير منظم لعدم فهمهم الخلل، ثم ينظموه بعد الوقوف على خلله تعالى عن ذلك؟

<sup>١٨١٢</sup> (١) يس: ٤٠.

<sup>١٨١٣</sup> (٢) توحيد المفضل: ١٣٥.

<sup>١٨١٤</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٧، و شرح الخوئي ٣: ٩٥.

و ثانيا: إنَّ المعنى الذى قال يستلزم استعمال (الرهوات) فى معنيين، قال (الصحاح): الرَّهْوُ والرَّهْوَةُ: المكان المرتفع والمنخفض أيضا، و يجتمع فيه الماء<sup>١٨١٥</sup>. و هو من الأضداد، و استعمال المشترك فى معنيين غير جائز، و الأظهر أنَّ رهوات فى كلامه عليه السَّلام بمعنى المنفتحات، كقوله تعالى: «وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا»<sup>١٨١٦</sup>. و المراد نظمها أوَّلا، و يشهد له إضافتها إلى فرجها.

ص: ٤٧٤

«و لاحم صدوع انفراجها» أى: جعلها ملصقة ابتداء.

«و وشج» أى: خلط، و الأصل فيه الاشتباك، و لهذا يطلق الوشيجة على عرق الشجر، و على ليف يفتل لشدَّ الحمل، لأنَّهما يشتبكان.

«بينها و بين أزواجها» أى: قرائنها، كقوله تعالى: «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ»<sup>١٨١٧</sup>.

و قال ابن ميثم: المراد بأزواجها نفوسها التى هى الملائكة المساوية<sup>١٨١٨</sup>.

و ردّه المجلسىّ بنقل المرتضى: الإجماع من المسلمين على أنَّ الأفلاك لا شعور لها و لا إرادة. و قال: يمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكِّلون بها، أو القاطنون فيها، أو أشباهها من الكواكب و الأفلاك الجزئية، أو أشباحها فى الجسمية و الإمكان من الأرضيات<sup>١٨١٩</sup>. و هو كما ترى، لا سيَّما الأوَّل و الأخير من وجوهه. فلا معنى للتوشيح بين السماوات و الملائكة، و بينها و بين الأرضيات.

«و ذلَّ للهابطين» أى: للملائكة الهابطين.

«بأمره» من السماء.

«و الصاعدين بأعمال خلقه» من الأرض.

«حزونة» أى: خشونة.

«معراجها» أى: العروج إليها.

<sup>١٨١٥</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣٦٥ مادة ( رهو).

<sup>١٨١٦</sup> (٣) الدخان: ٢٤.

<sup>١٨١٧</sup> (١) الصافات: ٢٢.

<sup>١٨١٨</sup> (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٦.

<sup>١٨١٩</sup> (٣) بحار الأنوار ٥٧: ١٢٨، و أمَّا ما نقله عن المرتضى فعن ملحقات الدرر و الغرر له، لكن لم يصرح المجلسى بكونه من الملحقات، و نقل ابن طاوس فى فرج

المهموم: ٤١ قول المرتضى و نقده بتفصيل.

«ناداها» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و ناداها) كما فى (ابن أبى

ص: ٤٧٥

الحديد و ابن ميثم و الخطيئة) ١٨٢٠.

«بعد إذ هى دخان» الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انْتَبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِجْمًا فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» ١٨٢١، و النداء فى كلامه عليه السلام، كالقول فى الآية، حالى لا مقالى.

«فالتحمت عرى» جمع عروء، عروء الكوز و غيره.

«أشراجها» جمع الشرج، قال الفيروز آبادى: الشرج محرّكة العرى و منفسح الوادى و مجرة السماء، و فرج المرأة، و انشقاق القوس ١٨٢٢.

قلت: و الظاهر أنّ الأصل فى معناه الانشقاق فهو يجمع معانى ذكرها، و لكن ذكر (النهاية) له معنيين آخرين فقال: و فى حديث الصوم: فأمرنا النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالفطر فأصبح الناس شرجين، يعنى نصفين: نصف صيام، و نصف مفاطر. و فى حديث مازن: فلا رأيهم رأيى، و لا شرحهم شرحى.

يقال: ليس هو من شرحه، أى: من طبقته و شكله، و منه حديث علقمة: و كان نسوة يأتينها مشارجات لها. أى: أتراب و أقران ١٨٢٣.

قلت: و يمكن إرجاعهما إليه أيضا، و كيف كان فقال ابن أبى الحديد:

أشراجها: جمع شرح، و هو عرى العيبة، و أشرجت العيبة، أى: أقفلت أشراجها، و تسمى مجرة السماء شرجا تشبيها بشرج العيبة ١٨٢٤.

قلت: لم يقل أحد أنّ الشرج عرى العيبة، بل مطلق العرى، و منشأ و هم

ص: ٤٧٦

١٨٢٠ (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٦، لكن لا توجد (الواو) فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٥.

١٨٢١ (٢) فصلت: ١١-١٢.

١٨٢٢ (٣) القاموس المحيط ١: ١٩٥ مادة (شرح).

١٨٢٣ (٤) النهاية لابن الأثير ٢: ٤٥٦ مادة (شرح).

١٨٢٤ (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٧.

ابن أبي الحديد أنّ الجوهرى قال: شرح العيبة عراها<sup>١٨٢٥</sup>. ففسّر شرح العيبة بعري العيبة، لا مطلق الشرح. ثمّ على تفسيره ما ذا يجعله معنى الكلام، فيصير معناه: فالتحمت عرى عرى عيبتها، وهو بلا معنى، كما أنّ ما ذكره من أنّ مجرّة السماء سمّيت شرحا تشبيها بشرح العيبة، لم يذكره أحد، و أىّ شباهة بينهما حتّى تشبّه به.

«و فتق بعد الارتناق صوامت أبوابها» قال تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»<sup>١٨٢٦</sup> لكن الأخبار فسّرت الآية بأنّ السماء كانت رتقا لا تمطر، و الأرض رتقا لا تنبت. ففتقتنا بالأمطار و النبات<sup>١٨٢٧</sup>.

و أمّا قوله عليه السّلام: «صوامت أبوابها» فقال ابن أبي الحديد: هو و قوله بعد:

«على نقابها» صريح فى أنّ للسّماء أبوابا، و هو مطابق لقوله تعالى: «لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»<sup>١٨٢٨</sup>، و القرآن و كلام هذا المعظم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك<sup>١٨٢٩</sup>.

و قال المجلسى: و فتق صوامت الأبواب، إمّا كناية عن إيجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقا لا باب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها، و هذه الأبواب هى التى منها عروج الملائكة و هبوطها و صعود أعمال

ص: ٤٧٧

العباد و أدعيتهم و أرواحهم، كما قال تعالى: «لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»<sup>١٨٣٠</sup> و التى تنزل منها الأمطار كما أشار إليه تعالى بقوله: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ»<sup>١٨٣١</sup>.

قلت: لقائل أن يقول: إنّ الآية الأولى كناية عن عدم المبالاة بهم، فبعدها:

«وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ»<sup>١٨٣٢</sup> و الآية المتقدمة كما عرفت، و بالجملة، كلامه عليه السّلام كالقرآن لا صراحة فيه فى ما ادّعى.

<sup>١٨٢٥</sup> (١) صحاح اللغة للجوهري ١: ٣٢٤ مادة (شرح).

<sup>١٨٢٦</sup> (٢) الأنبياء: ٣٠.

<sup>١٨٢٧</sup> (٣) هذا التفسير نقله الكليني فى الكافي ٨: ٩٤ ح ٦٧، و الإرزبلى فى كشف الغمّة ٢: ٣٣٨، و الطبرسى فى الاحتجاج ٢:

٣٢٦ عن الباقر عليه السّلام، و على بن إبراهيم فى تفسيره ٢: ٦٩ عن الصادق عليه السّلام، و نقله الفريابى، و عبد بن حميد فى مسنده، و الحاكم فى المستدرک، و البيهقى فى الأسماء و الصفات، و ابن المنذر و أبو نعيم فى حلية الأولياء، و بروايتين ابن أبى حاتم عنهم الدر المنثور ٤: ٢١٧، و صاحب تنوير المقباس فيه ٣: ٢٥٩ عن ابن عباس، و نقله الطوسى فى التبيان ٧: ٢١٥ عن الباقر و الصادق عليهما السّلام و عكرمة و ابن زيد.

<sup>١٨٢٨</sup> (٤) الأعراف: ٤٠.

<sup>١٨٢٩</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٧ و النقل بالمعنى.

<sup>١٨٣٠</sup> (١) الأعراف: ٤٠.

<sup>١٨٣١</sup> (٢) بحار الأنوار ٧: ١٢٩، و الآية (١١) من سورة القمر.

«و أقام رسدا من الشهب التواقب على نقابها» نقاب، جمع نقب: الطريق بين الموضعين. قال تعالى: «وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا وَ أْنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا»<sup>١٨٣٣</sup>، لكن ظاهر كلامه عليه السلام أن الإرصاد كان من الأول، و ظاهر الآية حكاية عن الجن أنه كان أخيرا، و المراد بعد مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و جمع بينهما بكونه أولا خفيفا و شدد أخيرا.

«و أمسكها من أن تمور» أى: تضطرب، قال تعالى: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا»<sup>١٨٣٤</sup> و المراد فى القيامة.

«فى خراق» جمع خرق، أى: متسعات.

«الهواء بأيده» أى: بقوة، قال تعالى: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ»<sup>١٨٣٥</sup>، «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتْا إِنَّ أُمْسِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ»

ص: ٤٧٨

«بَعْدِهِ»<sup>١٨٣٦</sup>.

«و أمرها أن تقف مستسلمة لأمره» «وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا»<sup>١٨٣٧</sup>.

«و جعل شمسها آية مبصرة لنهارها، و قمرها آية محووة من ليها» «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ عَلِمَ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَنْ بَصُرَ فَضَلَّ مِنْ رَبِّكُمْ»<sup>١٨٣٨</sup>.

قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكر يا مفضل فى طلوع الشمس و غروبها لإقامة دولتى النهار و الليل، فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون فى معاشهم، و يتصرفون فى أمورهم، و الدنيا مظلمة عليهم، و لم يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم لذة النور و روحه، و الإرب فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب فى ذكره، و الزيادة فى شرحه.

بل تأمل المنفعة فى غروبها، فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء و الراحة لسكون أبدانهم، و جموم حواسهم، و انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام، و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته فى أبدانهم، فإن كثيرا من الناس لو لا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم

<sup>١٨٣٢</sup> (٣) الأعراف: ٤٠.

<sup>١٨٣٣</sup> (٤) الجن: ٨ - ٩.

<sup>١٨٣٤</sup> (٥) الطور: ٩.

<sup>١٨٣٥</sup> (٦) الذاريات: ٤٧.

<sup>١٨٣٦</sup> (١) فاطر: ٤١.

<sup>١٨٣٧</sup> (٢) فصلت: ١٢.

<sup>١٨٣٨</sup> (٣) الإسراء: ١٢.

هدوء و لا قرار حرصا على الكسب و الجمع و الادخار، ثم كانت الأرض تستحمى بدوام الشمس بضيائها، و يحمى كل ما عليها من حيوان و نبات، فقدّرها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتا و تغرب وقتا، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدهوا و يقروا، فصار

ص: ٤٧٩

النور و الظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه.

ثم فكّر بعد هذا فى ارتفاع الشمس و انحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة، و ما فى ذلك من التدبير و المصلحة، ففى الشتاء تعود الحرارة فى الشجر و النبات، فيتولدّ فيهما موادّ الثمار، و يستكف الهواء فينشأ منه السحاب و المطر، و تشدّ أبدان الحيوان و تقوى، و فى الربيع تتحرّك و تظهر الموادّ المتولّدة فى الشتاء، فيطلع النبات و تتورّ الأشجار، و يهيج الحيوان للسّقاء، و فى الصيف يحتدم الهواء فتضج الثمار، و تتحلل فضول الأبدان، و يجفّ وجه الأرض، فتتهيأ للبناء و الأعمال، و فى الخريف يصفو الهواء، و ترتفع الأمراض، و تصحّ الأبدان، و يمتدّ الليل، فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله و طيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصّيت لذكرها لطلال الكلام.

فكّر الآن فى تنقل الشمس فى البروج الاثنى عشر لإقامة دور السنة، و ما فى ذلك من التدبير، فهو الدور الذى تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة، الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف، و تستوفىها على التمام، و فى هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات و الثمار، و تنتهى إلى غاياتها، ثم تعود فيستأنف النّشوء و النمو، ألا ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل؟ فبالسنة و أخواتها يكال الزّمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت و عصر من غابر الأيام، و بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات الموقّنة للديون، و الإجازات و المعاملات، و غير ذلك من أمورهم، و بمسير الشمس تكمل السنة، و يقوم حساب الزّمان على الصّحة - إلى أن قال: - و لو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم، بل كيف

ص: ٤٨٠

كان يكون لهم مع ذلك بقاء، أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجلييلة التى لم يكن عنهم فيه حيلة، فصارت تجرى على مجاريها لا تقتل، و لا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم و ما فيه بقاءه - إلى أن قال: - فكّر فى إنارته (أى القمر) فى ظلمة الليل و الإرب فى ذلك، فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح فى أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم فى بعض الأعمال فى النهار، و لشدة الحرّ و إفراطه، فيعمل فى ضوء القمر أعمالا شتّى كحرت الأرض، و ضرب اللبن، و قطع الخشب، و ما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك و أنسا للسائرين، و جعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض، و نقص مع ذلك عن نور الشمس و ضيائها لكيلا ينبسط الناس فى العمل انبساطهم بالنهار، و يمتنعوا من

الهدوء و الفرار فيهلكهم ذلك، و في تصرف القمر خاصة في مهله و محاقه و زيادته و نقصانه و كسوفه من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر به المعبرون<sup>١٨٣٩</sup>.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخطاب إلى الشمس عند طلوعها: «أيتها الشمس البديعة التصوير، المعجزة التقدير، التي جعلت سراجا للأبصار، و نفعاً لسكان الأمصار، شروقك حياة، و غروبك وفاة، إن طلعت بأمر عزيز، و إن رجعت إلى مستقر حريز، أسأل الذي زين بك السماء، و ألبسك الضياء، و صدع لك أركان المطالع، و حجبك بالشعاع اللامع، فلا يشرف بك شيء إلا امتحق، و لا يواجهك بشر إلا احترق، أن يهب لنا بك من الصحة و دفع العلة،

ص: ٤٨١

و ردّ العزبة، و كشف الكربة...»<sup>١٨٤٠</sup>.

و عن السجّاد عليه السلام في الخطاب إلى القمر عند مستهلّه: أيها الخلق المطيع، الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير، المتصرف في فلك التدبير، آمنت بمن نور بك الظلم، و أوضح بك البهم، و جعلك آية من آيات ملكه، و علامة من علامات سلطانه، و امتنك بالزيادة و النقصان، و الطلوع و الأفول، و الإنارة و الكسوف، في كل ذلك أنت له مطيع، و إلى إرادته سريع. سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك، و ألطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث، فأسأل الله ربّي و ربك، و خالقي و خالقك، و مقدري و مقدرك، و مصوري و مصورك أن يصلّي على محمّد و آله، و أن يجعلك هلال بركة لا تمحقها الأيام، و طهارة لا تدنسها الآثام، هلال أمن من الآفات و سلامة من السيئات، هلال سعد لا نحس فيه، و يمن لا نكد معه، و يسر لا يمازجه عسر، و خير لا يشوبه شرّ، هلال أمن و إيمان و نعمة و إحسان و سلامة و إسلام.

اللهم صلّ على محمّد و آله، و اجعلنا من أرضي من طلع عليه، و أزكى من نظر إليه، و أسعد من تعبد لك فيه، و وفّقنا فيه للتوبة، و أعصنا فيه من الحوبة، و احفظنا من مباشرة معصيتك، و أوزعنا فيه شكر نعمتك، و ألبسنا فيه جنن العافية، و أتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنّة، إنك المنان الحميد...»<sup>١٨٤١</sup>.

«فأجراهما» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و أجراهما) كما في (ابن

ص: ٤٨٢

أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٨٤٢</sup>.

<sup>١٨٣٩</sup> (١) توحيد المفضل: ١٢٨.

<sup>١٨٤٠</sup> (١) رواه المحدث النوري في الصحيفة العلوية الثانية: ٢٠٠ عن ظهر نسخة عتيقة من كتاب لبّ اللباب، و أشار إليه ابن طائوس في جمال الأسبوع: ٢٣٠.

<sup>١٨٤١</sup> (٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٩ الدعاء ٤٣، و رواه بفرق يسير القاضي القضاة في دستور المعالم: ١٣٠، و أبو علي الطوسي في أماليه ٢: ١٠٩ المجلس ١٧ عن علي عليه السلام.

<sup>١٨٤٢</sup> (١) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٧، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٥ «فأجراهما» أيضا.

«في مناقل» جمع منقل، اسم مكان.

«مجرهما» مجرى مصدر ميمي.

«و قدّر سيرهما» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (مسيرهما) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١٨٤٣.

«في مدارج درجهما» أى: حركتهما، قال تعالى في الأول: «وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» ١٨٤٤ و في الثاني: «وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنْزِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» ١٨٤٥.

و روى الصولى عن ابن عباس في منازل القمر أنها ثمانية و عشرون، ينزل القمر كل ليلة منزلا منها، و هى: الشّرطان، و البطين، و الثّريا، و الدّبران، و الهقعة، و الهنعة، و الذراع، و النّثرة، و الطرف، و الجبهة، و الزّبرة، و الصرفة، و العواء، و السماك، و الغفر، و الزبانا، و الإكليل، و القلب، و الشّولة، و النّعائم، و البلدة، و سعد الذّابح، و سعد بلع، و سعد السّعود، و سعد الأخبية، و الفرغ المقدّم و الفرغ المؤخّر، و بطن الحوت ١٨٤٤.

و فى (الصّحاح): و النّعائم منزل من منازل القمر، و هى ثمانية أنجم

ص: ٤٨٣

كانها سرير معوج، أربعة صادرة و أربعة واردة ١٨٤٧.

«ليميّز بين الليل و النّهار» اختلف فى أن أيّهما أسبق، فروى الطبرى عن ابن عباس تقدّم الليل و عن آخرين العكس ١٨٤٨.

و روى ابن طاوس فى (نجومه) عن كتاب (واحدة بن جمهور القمى) أن من مسائل ذى الرّاستين للرّضا عليه السّلام: أن النّاس تذكروا بين يدى المأمون فى خلق الليل و النّهار، فقال بعض: خلق الله النّهار قبل الليل، و قال بعض: خلق الله الليل قبل النّهار، فرجعوا بالسؤال إلى أبى الحسن الرّضا عليه السّلام فقال عليه السّلام: إن الله عزّ و جلّ خلق النّهار قبل الليل، و خلق الضياء قبل الظلمة، فإن شئتم أوجدتكم ذلك من النجوم، و إن شئتم من القرآن. فقال ذو الرّاستين: أوجدنا من الجهتين جميعا. فقال عليه السّلام: أمّا من النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان، و لا يكون ذلك إلّا و الشمس فى شرفها فى نصف النّهار،

١٨٤٣ (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٧، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٤٥ «يسرها» أيضا.

١٨٤٤ (٣) يس: ٣٨.

١٨٤٥ (٤) يس: ٣٩.

١٨٤٦ (٥) لم أجدّه فى أدب الكاتب. و أخرجه الخطيب فى كتاب النجوم عنه الدرّ المنثور ٥: ٢٦٤ عن ابن عباس، و قال الآلوسى فى روح المعانى ٢٣: ١٧ - ١٩:

روى هذا عن ابن عباس و غيره ثم شرحه شرحا بسيطا، و يستفاد منه: إن الشّرطان على زنة عدنان، و البطين على سهيل، و الدبران على سرطان، و الهقعة و الهنعة على ضربة، و الزبرة على عمدة، و الزبانا على سكارى.

١٨٤٧ (١) صحاح اللّغة للجوهري ٥: ٢٠٤٤ مادة (نعم).

١٨٤٨ (٢) تاريخ الطبرى ١: ٤١ - ٤٢.

وَأَمَّا مِنَ الْقُرْآنِ فَاسْتَمِعْ قَوْلَهُ تَعَالَى فِيهِ: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»<sup>١٨٤٩</sup>. ورواه عن دلائل النعماني أيضا<sup>١٨٥٠</sup>.

«و ليعلم عدد السنين» السنين الشمسية، و السنين القمرية.

«و الحساب بمقاديرهما» الأصل فيه قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»<sup>١٨٥١</sup>،

ص: ٤٨٤

«فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ وَ كُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ نَفْصِيلًا»<sup>١٨٥٢</sup>، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ»<sup>١٨٥٣</sup>.

و مرّ قول الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر الآن في تتقلّ الشمس في البروج الاثنى عشر لإقامة دور السنّة- إلى أن قال- و استدلّ بالقمر، ففيه دلالة جليّة تستعملها العامّة في معرفة الشهور، و لا يقوم عليه حساب السنّة، لأنّ دوره لا يستوفى الأزمنة الأربعة و نشو الثمار و تصرّمها، و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس و سنيها، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مرّة بالشتاء و مرّة بالصيف<sup>١٨٥٤</sup>.

«ثمّ علّق في جوهها فلکها» الظاهر أنّ معناه أنّه تعالى علّق في جوّ السماء فلک الشّهب و الشمس و القمر، قال تعالى: «وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»<sup>١٨٥٥</sup>.

«و ناط» أي: علّق و ألصق.

«بها زينتها من خفيات دراريها» أي: كواكبها الصغار التي كالدرّ.

«و مصابيح» من إضافة الصّفة.

<sup>١٨٤٩</sup> (٣) يس: ٤٠.

<sup>١٨٥٠</sup> (٤) نقله عن كتاب ابن جمهور في فرج المهموم: ٩٦، و عن كتاب النعماني فيه: ٩٥، و نقله معناه أيضا الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٤٢٥ عن العياشي عن الرضا عليه السلام يونس.

<sup>١٨٥١</sup> (٥): ٥.

<sup>١٨٥٢</sup> (١) الإسراء: ١٢.

<sup>١٨٥٣</sup> (٢) البقرة: ١٨٩.

<sup>١٨٥٤</sup> (٣) توحيد المفضل: ١٣٠.

<sup>١٨٥٥</sup> (٤) يس: ٤٠.

«كواكبها» أى: كواكب كالسراج.

«و رمى مسترقى» على وزن مفتعلى، لأنه من سرق.

«السَّمْع» أى: شياطين مسترقين للسَّمْع.

«بنواقب شهبها» «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ»

ص: ٤٨٥

شهابٌ مُبِينٌ<sup>١٨٥٦</sup>.

«و أجزاها على إذلال تسخيرها» «و سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ»<sup>١٨٥٧</sup>، «و النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ ... «لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ»<sup>١٨٥٨</sup>.

«من ثبات ثابته و مسير سائرها» كلّ منهما لحكمة، قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة و تحتجب في بعضها، كمثل الثريا و الجوزاء و الشعريين و سهيل، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس و يهتدون بها لبعض أمورهم، كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور و الجوزاء إذا طلعت، و احتجابها إذا احتجبت، فصار ظهور كلّ واحد منها و احتجابه في وقت غير وقت الآخر، لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منهما على حدته، و ما جعلت الثريا و أشباهها تظهر حيناً و تحتجب حيناً إلّا لضرب من المصلحة، و كذلك جعلت نبات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدى بها الناس في البرّ و البحر للطرق المجهولة، و كذلك أنّها لا تغيب و لا تتوارى، فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا، و صار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب و المصلحة.

و فيها مآرب أخرى علامات و دلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة و الغراس، و السفر في البرّ و البحر، و أشياء ممّا يحدث في الأزمنة

ص: ٤٨٦

من الأمطار و الرياح، و الحرّ و البرد، و بها يهتدى السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة و اللجج الهائلة<sup>١٨٥٩</sup>.

<sup>١٨٥٦</sup> (١) الحجر: ١٦-١٨.

<sup>١٨٥٧</sup> (٢) إبراهيم: ٣٣.

<sup>١٨٥٨</sup> (٣) النحل: ١٢-١٣.

و قال عليه السّلام- و نقله الخوئي أيضا:- فكّر يا مفضّل في النجوم و اختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك، و لا تسير إلا مجتمعة، و بعضها مطلقة تنتقل في البروج، و تفترق في مسيرها، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين:

أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب، و الآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق، كالنّملة التي تدور على الرّحى، فالرّحى تدور ذات اليمين، و النّملة تدور ذات الشمال، و النّملة في ذلك تتحرّك حركتين مختلفتين، إحداها بنفسها فتتوجّه أمامها، و الأخرى مستكرهة مع الرّحى تجذبها إلى خلفها. فاسأل الزّاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد، و لا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها منتقلة، فإنّ الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير، و ليس بإهمال كما يزعم المعطلّة.

فإن قال قائل: و لم صار بعض النجوم راتبا، و بعضها منتقلا؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدّلالات التي يستدلّ بها من تنقل المنتقلة، و مسيرها في كلّ برج من البروج، كما يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقل الشمس و النجوم في منازلها، و لو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف، و لا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتقلها في البروج الرّاتبة، كما يستدلّ على سير السائر في الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها و لو كان تنقلها بحال واحدة لا ختلط نظامها و بطلت المآرب

ص: ٤٨٧

فيها، و لساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال<sup>١٨٦٠</sup>.

«و هبوطها و صعودها» روى أنّ الصادق عليه السّلام سئل عن الحرّ و البرد ممّا يكونان، فقال عليه السّلام: إنّ المريخ كوكب حارّ، و زحل كوكب بارد، فإذا بدأ المريخ في الارتفاع انحطّ زحل، و ذلك في الرّبيع، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المريخ درجة حتّى ينتهي المريخ في الهبوط، و ينتهي زحل في الارتفاع فيجلو زحل، و ذلك في أوّل الشتاء، و آخر الخريف، فلذلك يشدّ البرد.

و كلّما ارتفع هذا هبط هذا، و كلّما هبط هذا ارتفع هذا. فإذا كان في الصيف يوم بارد، فالفعل في ذلك للقمر، و إذا كان في الشتاء يوم حار، فالفعل في ذلك للشمس<sup>١٨٦١</sup>.

«و نحوسها و صعودها» قالت أهل النجوم: زحل النّحس الأكبر، و مريخ النّحس الأصغر، و المشتري السّعد الأكبر، و زهرة السّعد الأصغر، و عطارد مع السّعد سعد و مع النّحس نحس، و النيران الشمس و القمر سعدان من التّثليث و التسديس، و نحسان من المقابلة و التّربيع، و المقارنة و الرّأس سعد، و الذنب و الكبد نحسان<sup>١٨٦٢</sup>.

<sup>١٨٥٩</sup> (١) توحيد المفضل: ١٣٤.

<sup>١٨٦٠</sup> (١) توحيد المفضل: ١٣٢، و شرح الخوئي ٣: ١٠٢.

<sup>١٨٦١</sup> (٢) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٣٠٦ ح ٤٧٤، و النقل بتصريف في اللفظ.

و قال الجوهري: سعد النجوم عشرة: أربعة منها فى برج الجدى، و الذلّو ينزلها القمر، و هى: سعد الذابح، و سعد بلع، و سعد الأخبية، و سعد السّعود، و هو كوكب منفرد نير، و أمّا السّنة التى ليست من المنازل: فسعد ناشرة، و سعد الملك، و سعد البهام، و سعد الهمام، و سعد البارع، و سعد مطر،

ص: ٤٨٨

و كلّ سعد من هذه السّنة كوكبان، بين كلّ كوكبين فى رأى العين قدر ذراع، و هى متناسقة، و أمّا سعد الأخبية فتلاثة أنجم كأنّها أثافيّ، و رابع تحت واحد منهم، و سعد بلع من منازل القمر كوكبان متقاربان زعموا أنّه طلع لما قال تعالى للأرض: «أبلعي ماءك»<sup>١٨٤٣</sup> يعنى سمى بلع لذلك<sup>١٨٤٤</sup>.

و فى (كنايات الجرجاني): و العرب تكنى عن الحشرات بجنود سعد، و يريدون سعد الأخبية، لأنّه إذا طلع انتشرت الهوام و خرج منها ما كان مختبئا، و يقال لذلك سمى سعد الأخبية، قال الشاعر:

مؤذنة جنوده بحرّه

قد جاء سعد مؤذنا بشرّه

<sup>١٨٤٥</sup> هذا، و من أمثالهم: أسعد أم سعيد<sup>١٨٤٦</sup>. و الأصل فيه أنّ سEDA و سعيدا ابنا ضبّة خرجا، فرجع سعد و فقد سعيد، فصار سعيد ممّا يتشأم به.

و منها، قولهم: بكلّ واد بنو سعد<sup>١٨٤٧</sup>. و الأصل فيه أنّ الأضببط بن قريع السعدى من سعد بن زيد مناة بن تميم رأى جفوة من قومه، فتحول فى قبائل أخرى، فرأى أيضا منهم الجفوة، فرجع، و قال: بكلّ واد بنو سعد.

هذا، و فى (وزراء هلال بن محسن الصّابى) قال أبو العباس بن الفرات:

إنّ منجمّا أخبره أنّه لم ينزل زحل فى برج السّنبلّة إلّا حدثت حادثه، و قد جرت العادة بذلك على مضى الأوقات، و من ذلك أنّه نزل هذا البرج سنة ثمان

<sup>١٨٤٢</sup> (٣) كذا نقل ابن ميثم فى شرحه ٢: ٣٥١.

<sup>١٨٤٣</sup> (١) اشارة الى قوله تعالى: «أَبْلَعِ يَا أَرْضُ الْبَلْعَاءِ» E\هود: ٢٤.

<sup>١٨٤٤</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٤٨٥ مادة (سعد).

<sup>١٨٤٥</sup> (٣) نقله عن الكنايات للجرجاني ابن أبى الحديد فى شرحه ٤: ٥١٥، و النقل بتصرف فى اللفظ.

<sup>١٨٤٦</sup> (٤) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ٣٢٩، و الزمخشري فى المستقصى ١: ١٦٨، قال الميدانى: يضرب فى العناية بذى الرحم، و فى الاستخيار أيضا عن الأمرين الخير و الشرّ أيهما وقع، و قال الزمخشري: يضرب فى النجاح و الخيبة و الخير و الشر.

<sup>١٨٤٧</sup> (٥) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ١٠٥.

للهجرة، فكان في تلك السنة فتح خيبر ومكة، و نزل في سنة (٣٨) فكانت حرب صفين بين علي عليه السلام و معاوية، و نزل في سنة (٤٨) فكان فيها حرب المختار و عبد الملك و قضية عبد الله بن الزبير، و نزل فيه سنة (٩٨) فمات سليمان بن عبد الملك، و انتقل الأمر إلى عمر بن عبد العزيز، و نزل في سنة (١٢٨) فظهر أبو مسلم و جرت قضية مروان بن محمد، و نزل في سنة (١٥٨) فمات المنصور، و نزل في سنة (١٨٨) فأوقع الرشيد بالبرامكة، و نزل في سنة (٢١٨) فتوفي المأمون، و نزل في سنة (٢٤٨) فتوفي المنتصر و قتل المتوكل، و نزل في سنة (٢٧٨) فتوفي الموفق، و حدث من الأمور ما حدث<sup>١٨٤٨</sup>.

هذا و يقال: أسعده الله فهو مسعود، و لا يقال: مسعد على خلاف أصله.

٣

من الخطبة (٨٩) أيضا و منها في صفة الأرض و دحوها على الماء:

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرٍ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحَلَةٍ - وَ لُجَجِ بَحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا - وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَادِفَاتٍ أَثْبَاجِهَا - وَ تَرُغُو زَيْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا - فَخُضِعَ جَمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمَلِهَا - وَ سَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِنْتُهُ بِكُلِّكَلِهَا - وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِيًا إِذْ تَمَعَكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا - فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا - وَ فِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُنْقَادًا

ص: ٤٩٠

أَسِيرًا - وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ - وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَاوِهِ وَ اعْتِنَائِهِ وَ شُمُوحِ أَنْفِهِ وَ سُمُوءِ غُلُوثِهِ - وَ كَعَمْتُهُ عَلَى كِظَّةِ جَرِيَّتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ - وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانِ وَ نَبَاتِهِ - فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا - وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشَّمَخِ الْبُدْخِ عَلَى أَكْنَافِهَا - فَجَرَّ يَنْابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَائِينِ أَنْوْفِهَا - وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بَيْدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا - وَ عَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا - وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشَّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا - فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا - وَ تَغَلُّغِهَا مُتَسْرِبَةً فِي جَوَابَاتِ خِيَاشِيمِهَا - وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقِ سُهُولِ الْأَرْضِينَ وَ جَرَائِمِهَا - وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنِهَا وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا - وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا - ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرْزُ الْأَرْضِ - الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا - وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا - حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْبِي مَوَاتِهَا - وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتِهَا - أَلْفَ عَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لَمْعِهِ وَ تَبَايُنِ قَرَعِهِ - حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ وَ التَّمَعَ بَرَقَهُ فِي كِفْفِهِ - وَ لَمْ يَنْمِ وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ وَ مِتْرَاكِمِ سَحَابِهِ - أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا قَدْ أَسَفَّ هَيْدُبُهُ - تَمْرِيهِ الْجُنُوبِ دَرَرَ أَهَاضِيْبِهِ وَ دَفَعَ شَابِيْبِهِ - فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَائِيْهَا - وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعَبءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا - أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ - وَ مِنْ زُغْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَهْجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا - وَ تَزْدْهِ

<sup>١٨٤٨</sup> (١) كذا في الوزراء للصابي: ٢٤٨، أما اتفاق الطبري و المسعودي فإن فتح خيبر كان في سنة (٧) و فتح مكة سنة (٨) و حرب صفين سنة (٣٤) و حرب المختار سنة (٤٤) و حرب عبد الملك و ابن الزبير سنة (٧٢) و موت سليمان سنة (٩٩) و موقعة الزاب بين أصحاب أبي مسلم و مروان سنة (١٣٢) و موت المنصور سنة (١٥٨) و إيقاع الرشيد بالبرامكة سنة (١٨٧) و موت المأمون سنة (٢١٨) و موت المنتصر سنة (٢٤٨) و قتل المتوكل سنة (٢٤٧) و موت الموفق سنة (٢٧٨) ثم ان الحوادث المذكورة ليس أكثرها مهم، ففي التاريخ حوادث كثيرة أعظم منها، و هذه الأقوال من خرافات المنجمين.

بِمَا أَلْبَسْتَهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا - وَ حَلِيَّةٍ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا - وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ وَ رِزْقًا لِلْأَنْعَامِ - وَ خَرَقَ  
الْفُجَاجَ فِي آفَاقِهَا - وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا أَقُولُ: رواه أئمة غريب اللغة كما يفهم من تفسير (النهاية ابن  
الأثير - النهاية - ج ١ ص ٣٤ مادة (أذى)) لبعض

ص: ٤٩١

فقراتها، كقوله عليه السلام: تلتطم أواذى أمواجها<sup>١٨٦٩</sup>، و غيره كما يأتي.

«كبس» أى: أھجم.

«الأرض على مور» أى: مضطرب، من إضافة الصفة.

«أمواج مستفحلة» قيل: أى: هايجة هيجان الفحول، و قيل: أى: صائلة.

«و ليج» جمع لجة، قال الجوهري: لجة الماء بالضم؛ معظمه<sup>١٨٧٠</sup>.

«بحار زاخرة» أى: الممتدة المرتفعة.

«تلتطم أواذى» جمع آذى، أى: شدايد، و تفسير الجوهري، و الفيروز آبادي للآذى بالموج غلط<sup>١٨٧١</sup>، و إنما يأتي صفة الموج  
كما فسره (النهاية)<sup>١٨٧٢</sup>، و إضافته من باب إضافة الصفة.

«أمواجها» أى: أمواج تلك البحار.

«و تصطفق» من صفقت العود فاصطفق إذا حرّكت أوتاره، قال:

دم الزقّ عنا و اصطفاق المزاهر

و يوم كظلّ الرّمح قصرّ طوله

<sup>١٨٧٣</sup> «متقاذفات» أى: قذف هذا بذاك، و قذف ذاك بهذا.

<sup>١٨٦٩</sup> (١) النهاية لابن الأثير ١: ٣٤ مادة (أذى).

<sup>١٨٧٠</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٣٣٨ مادة (ليج).

<sup>١٨٧١</sup> (٣) صحا اللغة للجوهري ٦: ٢٢٦٦ مادة (أذى).

<sup>١٨٧٢</sup> (٤) النهاية لابن الأثير ١: ٣٤ مادة (أذى).

«أباجها» جمع ثبج، أى: أوساطها، ففى (الأساس): التقم لهما مثل أتباج القطا، و هى أوساطها، قال ذو الرمة:

### بجرع كأتباج القطا المتتابع

و يمكن أن يكون استعارة من الثبج، بمعنى ما بين الكاهل إلى الظهر، كقول الراعى:

ص: ٤٩٢

أبان لراكبها المخصر

إذا الرمل قدّم أتباجه

<sup>١٨٧٤</sup> و الأول أظهر، و فى خبر أمّ حرام: قوم يركبون ثبج هذا البحر<sup>١٨٧٥</sup>، أى:

وسطه و معظمه.

«و ترغو» من رغا البعير إذا صوّت.

«زيدا» تمييز.

«كالفحول» أى: كالإبل الفحول.

«عند هباجها» أى: هبجانها للسفاد.

«فخضع» استعارة لسكونه.

«جماح» استعارة أيضا، من جمح الفرس براكبه إذا غلبه.

---

<sup>١٨٧٣</sup> (٥) أورده لسان العرب ١٠: ٢٠٥ مادة (صفق) و الشاعر ابن الطرية.

<sup>١٨٧٤</sup> (١) أساس البلاغة: ٤٣ مادة (ثبج).

<sup>١٨٧٥</sup> (٢) هذا اللفظ أخرجه مسلم فى صحيحه ٣: ١٥١٨ ح ١٩١٢، و الترمذى فى سننه ٤: ١٧٨ ح ١٦٤٥، و النسائى فى سننه ٦: ٤٠، و مالك فى الموطأ: ٤٧٩، و

روى حديث أمّ حرام بألفاظ أخرى أيضا.

«الماء المتلاطم» من البحار الزّاهرة.

«لثقل حملها» بالأرض.

«و سكن هيج» أى: هيجان.

«ارتمائه» أى: تراميه.

«إذ وطئته بكلكلها» أى صدرها، و المراد كلّها، فالوطى بالكل لا يمكن إلّا بالكلّ.

«و ذلّ مستخديا» أى: مسترخيا و منقادا.

«إذ تمعكت عليه» أى: تمرّغت، و تدلّكت عليه.

«بكواهلها» الكاهل مقدّم ظهر البعير الذى يكون عليه المحمل، و هو أيضا كناية عن الكلّ، فالتمعك بالكواهل يستلزمه.

ص: ٤٩٣

«فأصبح بعد اصطخاب» من اصطخاب الطير، أى: اختلاط أصواتها.

«أمواجه ساجيا» أى: ساكنا لينا.

«مقهورا، و فى حكمة» بفتحتين: ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه.

«الذّلّ منقادا أسيرا» كفرس ملجم لصاحبه، و من صار أسيرا لك.

«و سكنت الأرض مدحوة» أى: مبسوفة.

«فى لجة تياره» أى: موجه.

«و ردّت من نخوة بأوه» أى: كبره.

«و اعتلائه» أى: تعاليه.

«و شموخ» أى: ارتفاع.

«أنفه و سمو» أى: علو.

«غلوئه» أى: غلوّه، و تجاوزه عن حدّه.

«و كعمته» أى: شدّت فاه.

«على كظّه» أى: امتلاء.

«جربته» أى: جريانه.

«فهمد» أى: سكن.

«بعد نزقاته» من نزق الفرس، أى: نزا.

«و لبد» أى: أقام و لصق.

«بعد زيفان» أى: تبختر، قال ابن أبى الحديد: و يروى (زيفان) أى: شدّه<sup>١٨٧٦</sup>.

«و ثباته» الوثبات جمع الوثبة.

«فلما سكن هياج» هكذا فى (المصريّة) و الصواب: (هيج) كما فى (ابن أبى

ص: ٤٩٤

الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>١٨٧٧</sup>.

«الماء من تحت أكنافها» أى: جوانبها.

«و حمل شواهد» أى: مرتفعات.

«الجبال» و الأصل الجبال الشواهد.

«الشمخ» هكذا فى (المصريّة)، و الكلمه زائده لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه)<sup>١٨٧٨</sup>.

«البدخ» أى: العوالى.

---

<sup>١٨٧٦</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٤.

<sup>١٨٧٧</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٤، لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٥ «هياج» أيضا.

<sup>١٨٧٨</sup> (٢) يوجد فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٤، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٥ لفظ «الشمخ».

«على أكتافها، فجرّ» جواب (لما).

«ينابيع العيون» يفهم من إضافته عليه السّلام الينابيع إلى العيون كون الينبوع غير العين، وأنّ الينبوع أصل العين، و محل خروج الماء، و العين مأوّه المجتمع، لا كما توهم من اتّحادهما.

«من عرّابن أنوفها» قال الجوهري: عرّابن الأنف تحت مجتمع الحاجبين، و هو أوّل الأنف حيث يكون فيه الشّمم<sup>١٨٧٩</sup>.

«و فرّقها» أى: فرّق الينابيع.

«فى سهوب» أى: واسعات.

«بيدها» البيد جمع البيداء، أى: الأرض البرّ.

«و أخاديدها» أخاديد جمع أخدود، أى: شقّ فى الأرض مستطيل.

«و عدّل حركاتها» ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ للأرض حركات متعدّدة.

و فى (الهيئة و الإسلام): و حكماء عصرنا يذكرون لكراً الأرض خمس

ص: ٤٩٥

حركات مختلفة و هى المشهورة، و حكى (فيلكس ورنه) عنهم القول بإحدى عشرة حركة، و قد انتخبت من كتبهم حركات ثمانية:

الأولى: الحركة المحورية على منطقة الاستواء، و هى فى حيّزها و موضعها، و لذلك تسمى بالحركة الوضعية و الاستوائية، و يتمّ دورها فى (٢٣) ساعة و (٥٨) دقيقة و (٤٩) ثانية، و يحصل منها الليل و النهار، و تتولد من تركّب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية الحركة اليومية كما تقدّم، فيتمّ الدور فى (٢٤) ساعة.

الثانية: الحركة السنوية حول مركز الشمس على منطقة البروج فى دائرة بيضيّة، و يتمّ دورها فى (٣٦٥) يوماً و (٦) ساعات و (٨) دقائق و (٣٨) ثانية، و بها تحصل الأشهر الفرسية و الرومية و النجومية و نحوها، و تتولّد الحركة الميليّة من هذه الحركة بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج (٢٣) درجة و نصف تقريباً، و هذه الحركة محور الأرض عن سطح دائرة البروج (٢٣) درجة و نصف تقريباً، و هذه الحركة غير مستقلّة، و بها نرى للشّمس فى كلّ سنة كراً من الشّمال إلى نقطة الجنوب، ثمّ رجوعها منها إلى نقطة الشمال، و لو عدّت هذه الحركة و الحركة اليومية مستقلّتين بلغت الحركات عشرة.

<sup>١٨٧٩</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢١٦٣ مادة (عرن).

الثالثة: الحركة الإقبالية: أى إقبال دائرة البروج إلى دائرة الاستواء فى كل (٦٧٠) عاما درجة واحدة، وهذه الحركة محصورة فى زاوية ثلاث درجات، و لا تكمل دورة مستديرة. فلا ترتقب زمانا تنطبق فيه إحدى الدائرتين على الأخرى كما كان القدماء يتوقعون ذلك، و به فسّر بعضهم قيامة الدنيا.

الرابعة: حركة تقطى الأوج و الحضيض حول المحيط من دائرة البروج فى كل (٢٠٩٣١) سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشتري و الزهرة

ص: ٤٩٦

مع الأرض، و بذلك تتغير أزمئة الفصول. ففى سنة (٦٤٨) كانت نقطة الحضيض على نقطة الانقلاب الصيفى. فكانت أيام الصيف مساوية لأيام الربيع، و بهذه الحركة تقرب الأرض من الشمس فى نقطة الحضيض ثلاثمائة ألف فرسخ بالنسبة إلى أوجها، فتزداد قوة جاذبية الشمس فى الأرض قدر الخمس مما كان لها قبلئذ.

و من آثار اشتداد هذه القوة سرعة تحرك الأرض فى فلکها كل يوم إحدى و ستين دقيقة، مع أنّها تتحرك فى أوجها كل يوم سبعا و خمسين دقيقة من فلکها.

و من آثارها أيضا ارتفاع الساتلات المستنبطة على وجه الأرض كمياء البحار المحيطة و تراكمها نحو أقرب نقاط الأرض إلى الشمس، على هذا فنحن الآن نرى الميآه متراكمة فى النواحي الجنوبية من عرض أربعين درجة، بحيث توجد ثمة بقاع تلمع بصفاح متسعة كالأقطار الشمالية، لكن الأمر ينعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة، حيث تنتقل نقطة الحضيض الى شمالنا، فتسجى الميآه نحو الشمال طالبة أقرب النقاط إلى الشمس، فتحسر الأقطار الجنوبية قناع الغمر عن أوجها و تبدى محاسنها و ما أودع الله فيها لنوع البشر، و يصبح فيها العمران و العلم و التمدن الأواخر، و تدعونا نحوها مبشرات، و يمسى فى شمالنا الغرق و الخراب و العطالة و تزجرنا بالخروج منذرات، فتعرف الامم عند ذلك أثمان المراكب البحرية و الهوائية، و يومئذ ينجو المخفون.

الخامسة: حركة تقديم الاعتدلين الربيعى و الخريفى، و بها ترى الثوابت متحركة على موازاة دائرة البروج فى (٢٦٠٠٠) سنة شمسية مرة، و كان القدماء يظنون أن الثوابت بأسرها مركوزة فى ثخن فلک يدور دورة فى تلك المدة.

ص: ٤٩٧

السادسة: الحركة الرقصية أو الارتعاش القمرى، و هى التى تعرض على محورى الأرض، فتتميل بذلك إلى دائرة البروج فى كل (٢٩) سنة مرة، اكتشفها الفلكى (بر ادله) سنة (١٨٤٤ م) و منشؤها تأثير الجاذبيتين من الشمس و القمر فى أرضنا مع تسطحها القطبى و تفرطحها الاستوائى، و ينتقل محور الأرض بهذه الحركة فى دورة عقدتى القمر بمقدار (١٨) درجة و كسر) إلى الجنوب و الشمال.

السابعة: الارتعاش الشمسى، قال فى (الحدائق): النجوم ما معناه أن الأرض يرتعش محورها- أى يرتعش محورها من طرف قطبها- بجاذبية الشمس، و تتم فى سنة شمسية و غايتها دقيقة من الفلك.

الثامنة: الحركة التبعية، و هي سير الأرض كباقي السيارات بتبعية الشمس في الفضاء المهول حول مركز مجهول، و الأرجح أن الحركات أكثر مما وصلوا إليه ...<sup>١٨٨٠</sup>.

نقلناه بطوله لاشتماله على وجود حركات للأرض، و إن كانت تفاصيل ما قاله غير معلومة، و نكله إلى أهل فنّه.

«بالرأسيات» أى: الثابتات، صفة (الجبال) مقدّرة.

«من جلاميدها» أى: صخورها العظيمة.

«و ذوات» أى: بصاحبات.

«الشناخيب» أى: الرؤوس، قال الجوهري: الشنخوب و الشنخوب واحد شناخيب الجبل، و هي رؤوسه<sup>١٨٨١</sup>.

«الشّم» أى: الطوال.

ص: ٤٩٨

«من صياخيدها» أى: شدادها.

«فسكنت من الميدان» أى: من الاضطراب و الحركة غير المعتدلة.

«لرسوب» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (برسوب) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٨٨٢</sup> من رسب الشىء فى الماء، أى: سفل فيه.

«الجبال فى قطع» بالكسر فالفتح: جمع قطعة، و قال ابن أبى الحديد:

و يروى بالكسر فالسكون، أى: طنفسة الرّجل، و هو استعاره، كأنه جعل الأرض ناقةً و جعل لها قطعاً<sup>١٨٨٣</sup>.

قلت: إنّما كان يناسب ما قاله لو كان عليه السلام قال: (بركوب الجبال) لا (برسوب الجبال)، فالصواب الأوّل، مع أنّ قرينتها (جويات) أيضا جمع.

«أديهما» هكذا فى النسخ<sup>١٨٨٤</sup>، و الظاهر كونه مصحّف (أياديهما) أى:

<sup>١٨٨٠</sup> (١) الهيئة و الاسلام ١: ٨٣، و النقل بتصريف يسير.

<sup>١٨٨١</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٥٢ مادة (شنخوب).

<sup>١٨٨٢</sup> (١) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٤، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٥ «لرسوب» أيضا.

<sup>١٨٨٣</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٦، و النقل بالمعنى.

متونها، و أمّا (أديمها) فهو ما ظهر منها، و لا مناسبة له، مع أنّ قرينته (خياشيمها) أيضا جمع.

«و تغلغلها» قال الجوهري: الغلغلة سرعة السير، و تغلغل الماء في الشجر إذا تخللها<sup>١٨٨٥</sup>.

و الظاهر أنّ المراد هنا الثاني، بأن يكون المعنى تخلّلت الجبال في الأرض تخلّل الماء في الشجر.

«متسرّبة» أى بلا مانع للجبال من التخلل، قال الجوهري: السارب الذهاب على وجهه في الأرض. و قولهم: اذهب فلا أنده سربك، أى: لا أردّ إليك، تذهب حيث شاءت. و كانوا يقولون في الجاهليّة للمرأة: اذهبي فلا أنده

ص: ٤٩٩

سربك، فتطلق<sup>١٨٨٦</sup>.

«في جوبات» الجوبات جمع الجوبة، أى: الحفرة المستديرة الواسعة.

«خياشيمها» أى أنوفها.

«و ركوبها» أى: ركوب الجبال.

«أعناق سهول الأرضين» أى: مسطحاتها.

«و جراثيمها» و هى ضدّ سهولها، و فى (النهاية): الجراثيم: أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعّة من تراب أو طين<sup>١٨٨٧</sup>.

«و فسّح» أى: وسّع.

«بين الجوِّ و بينها» أى: و بين الأرض.

«و أعدّ الهواء متنسّما» أى: سبب تنفّس.

«لساكنها» من البشر و غيره.

<sup>١٨٨٤</sup> (٣) كذا فى نهج البلاغة ١: ١٧٤، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٤، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٥.

<sup>١٨٨٥</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٧٨٣ مادة غلغل(١).

<sup>١٨٨٦</sup> (١) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٤٦ مادة (سرب).

<sup>١٨٨٧</sup> (٢) النهاية لابن الأثير ١: ٢٩٤ مادة (جرثم).

قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: أتبهك يا مفضّل على الرّيح و ما فيها، أ لست ترى ركودها إذا ركدت، كيف يحدث الكرب الّذى يكاد أن يأتي على النفوس، و يمرض الأصحّاء، و ينهك المرضى، و يفسد الثّمار، و يعفن البقول، و يعقب الوباء في الأبدان، و الآفة في الغلات؟ ففي هذا بيان أن هبوب الرّيح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق. و أتبتك عن الهواء بخلة أخرى، فإنّ الصّوت أثر يؤثّر اصطكاك الأجسام في الهواء، و الهواء يؤدّيه إلى المسامع، و الناس يتكلّمون في حوائجهم، و معاملاتهم، طول نهارهم و بعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه، فكان يكرههم و يفدحهم، و كانوا يحتاجون في تجديده و الاستبدال به إلى أكثر

ص: ٥٠٠

مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأنّ ما يلفظ من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاسا خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثم يمحي فيعود جديدا نقيّاً، و يحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع. و حسبك بهذا النّسيم المسمّى هواء عبّرة و ما فيه من المصالح، فإنّه حياة هذه الأبدان، و الممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدّي البعد البعيد، و هو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع.

أ لا ترى كيف تأتيك الرّائحة من حيث تهبّ الرّيح؟ فكذلك الصوت، و هو القابل لهذا الحرّ و البرد اللّذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، و منه هذه الرّيح الهابّة، فالريّح تروّح عن الأجسام و تزجى السّحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر و تفضّه حتّى يستخفّ فيتنفّس، و تلقح الشّجر، و تسير السفن، و ترخي الأطعمة، و تبرّد الماء، و تشبّ النار، و تجفّف الأشياء النّديّة. و بالجملة إنّما تحيي كلّما في الأرض، فلو لا الرّيح لذوى الثّبات و لمات الحيوان، و حمت الأشياء و فسدت<sup>١٨٨٨</sup>.

«و أخرج إليها أهلها على تمام مراقفها» و كمال مصالحتها.

قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: يا مفضّل! أوّل العبر و الدّلالة على البارئ جلّ قدسه تهيئة هذا العالم، و تأليف أجزائه و نظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك، و خبرته بعقلك و جدته كالبيت المبنى المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسّماء مرفوعة كالسّقف، و الأرض ممدودة كالبساط، و النجوم مضيئة كالمصابيح، و الجواهر مخزونة كالذخائر، و كلّ شيء فيها لشأنه معدّ.

ص: ٥٠١

و الإنسان كالمملّك ذلك البيت، و المخولّ جميع ما فيه، و ضروب التّبات مهياً لمآربه، و صنوف الحيوان مصروفةً فى مصالحه و منافعه، ففى هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير و حكمة، و نظام و ملاءمة، و أنّ الخالق له واحد، و هو الذى ألفه و نظمه بعضاً إلى بعض<sup>١٨٨٩</sup>.

«تمّ لم يدع» أى: لم يترك.

«جرز» بتقديم الرّاء على الزاى، أرض انقطع عنها النبات، و فيه لغات:

بضمّتين، و فتحتين، و ضمّ فسكون، و فتح فسكون.

«الأرض التى تقصر مياه العيون عن روايبها» أى: عواليها.

«و لا تجد جداول» قال الجوهري: الجدول: النهر الصغير<sup>١٨٩٠</sup>.

«الأنهار» و المراد الكبيرة.

«ذريعة» أى: وسيلة.

«إلى بلوغها» أى بلوغ تلك الروابى كرؤوس الجبال و الآكام، أو بلوغ تلك الأرض الجرز كأراض ليست فيها أنهار و لا عيون.

«حتّى أنشأ لها ناشئةً سحاب تحيى مواتها، و تستخرج نباتها» بالأمطار النازلة من السحاب، قال الصادق للمفضّل: تأمل نزول المطر على الأرض، و التدبير فى ذلك فإنّه جعل ينحدر عليها من علوّ ليغشى ما غلظ و ارتفع منها فيرويه، و لو كان إنّما يأتىها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها، و يقلّ ما يزرع فى الأرض، ألا ترى أنّ الذى يزرع سيحاً أقلّ من ذلك؟! فالأمطار هى التى تطبق الأرض، و ربما تزرع هذه البرارى الواسعة، و سفوح الجبال و ذراها، فتغلّ الغلّة الكثيرة، و بها يسقط عن الناس فى كثير

ص: ٥٠٢

من البلدان مئونةً سياق الماء من موضع إلى موضع، و ما يجرى فى ذلك بينهم من التّشاجر و التّظالم، حتى يستأثر بالماء ذو العزّة و القوّة، و يحرمه الضعفاء. ثمّ إنّّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ ليغور فى قعر الأرض فيرويه، و لو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها، ثمّ كان يحطم الزّرع القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولاً رقيقاً، فينبت الحبّ المزروع، و يحيى الأرض و الزّرع القائم، و فى نزوله أيضاً مصالح أخرى، فإنّه يلين

<sup>١٨٨٩</sup> (١) توحيد المفضل: ٤٧.

<sup>١٨٩٠</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٦٥٤ مادة (جدل).

الأبدان، و يجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، و يغسل ما يسقط على الشجر و الزرع من الداء المسمّى باليرقان، إلى أشباه هذا من المنافع<sup>١٨٩١</sup>.

«لّف غمامها» أى: سحابها.

«بعد افتراق لمعه» بالضمّ فالفتح: جمع لمعة بالضمّ فالسكون، أى:

قطعاته، سمّيت القطعة من الغمام لمعة للمعانها، كما سمّيت القطعة من النبات إذا يبست لمعة للمعانها، و كما سمّيت قطعة من الجسد لم يصبها الماء فى الوضوء و الغسل لمعة للمعانها.

«و تباين» أى: انفصال.

«قزعه» بالضم فالفتح أيضا، جمع قزعة بالضمّ فالسكون، أى: قطعه الرقيقة التى تعدو سريعا. و الأصل فى القزعة السرعة فى العدو.

«حتى إذا تمخّضت» الأصل فى المخاض قرب الولادة، قال:

أنى و لكلّ حاملّة تمام

تمخّضت المنون له بيوم

<sup>١٨٩٢</sup> «لجّة» قالوا: لجّة الماء معظمه.

ص: ٥٠٣

«المزن» أى: السحابة البيضاء.

«فيه» الضمير فيه راجع إلى الغمام كما فى (لمعه) و (قزعه)، و قال ابن أبى الحديد: الهاء فى (فيه) يرجع إلى المزن<sup>١٨٩٣</sup>، و هو كما ترى.

«و التمع برقه فى كفه» بالكسر فالفتح: جمع كفّة بالفتح، أى: فى أطرافه، و سمّى الطرف كفّه لأنّ الشىء إذ انتهى إلى الطرف كفّ عن الزيادة، كما أنّ الرزق الكفاف يكفّ صاحبه عن الناس.

<sup>١٨٩١</sup> (١) توحيد المفضل: ١٤٩.

<sup>١٨٩٢</sup> (٢) أوردته أساس البلاغة: ٤٢٢ مادة (مخض)، و لسان العرب ٧: ٢٣٠ مادة (مخض).

<sup>١٨٩٣</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٦.

«و لم ينم وميضه» قال الجوهري: و مض البرق و ميضا لمع لمعا خفيفا، و لم يعترض في نواحي الغيم، فإن اعترض فهو الخفو، فإن استطال في وسط السماء و شقّ الغيم من غير أن يعترض يمينا و شمالا فهو العقيقه<sup>١٨٩٤</sup>.

«في كنهور» قال الجوهري: و الكنهور: العظيم من السحاب<sup>١٨٩٥</sup>. و جعله (القاموس) خماسيا كسفرجل<sup>١٨٩٦</sup>.

«ربابه» قال الجوهري: رباب سحاب أبيض واحدته ربابه<sup>١٨٩٧</sup>. و مراده أنه اسم جنس كتمر و تمرة. و توهم ابن أبي الحديد<sup>١٨٩٨</sup> أن مراده كونه جمعا.

و قال الجوهري أيضا: و يقال: إن رباب السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب قد يكون أبيض و قد يكون أسود<sup>١٨٩٩</sup>.

«و متراكم سحابه» الذي بعضه فوق بعض.

ص: ٥٠٤

«أرسله سحًا» أي: صابًا.

«متداركا» أي: ملحقا آخره بأوله.

«قد أسفّ» أي: دنا من الأرض، قال عبيد في سحاب قرب من الأرض كثيرا:

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه  
يكاد يدفعه من قام بالراح

<sup>١٩٠٠</sup> «هيدبه» قال الجوهري: هيدب السحاب: ما تهدّب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط<sup>١٩٠١</sup>.

«تمريه» قال الجوهري: الرّيح تمرى السحاب و تمرّيه، أي: تستدرّه<sup>١٩٠٢</sup>.

---

<sup>١٨٩٤</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١١١٣ مادة (و مض).

<sup>١٨٩٥</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨١١ مادة (كه).

<sup>١٨٩٦</sup> (٤) القاموس المحيط ٢: ١٢٩ مادة (كنهور).

<sup>١٨٩٧</sup> (٥) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٣٣ مادة (رب).

<sup>١٨٩٨</sup> (٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥٦.

<sup>١٨٩٩</sup> (٧) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٣٣ مادة (رب).

<sup>١٩٠٠</sup> (١) أوردته لسان العرب ٩: ١٥٤ مادة (سفف)، و قال: إنه لأوس بن حجر أو عبيد بن الأبرص.

<sup>١٩٠١</sup> (٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٢٣٧ مادة (هدب).

«الجنوب درر» أى: صبّ.

«أهاضبيبه» أى: مطراته، و المراد مطرة بعد مطرة.

«و دفع شآبيبه» جمع شؤبوب، أى: دفعة بعد دفعة، قال الشاعر:

سقاهنّ شؤبوب من الغيث باكر

كأنّ ثناياها بنات سحابة

و بنات سحابة: البرد.

«فلما ألفت السحاب برك» قال الجوهري: البرك الصدر<sup>١٩٠٣</sup>.

«بوانيها» قال الجزري: البوانى فى الأصل أضلاع الصدر. و قيل: الأكتاف و القوائم، الواحدة بانية، و من حقّ هذه الكلمة أن تجيء فى باب الباء و النون و الياء، و إنّما ذكرناها هاهنا حملا على ظاهرها، فإنّها لم ترد حيث وردت إلّا مجموعة، و منه حديث علىّ عليه السّلام: ألفت السماء برك بوانيها<sup>١٩٠٤</sup>.

ص: ٥٠٥

و ممّا نقلنا يظهر لك ما فى قول ابن أبى الحديد أنّ بوانيها تننية بوان، على فعال بكسر الفاء، و هو عمود الخيمة و الجمع بون بالضم. قال الشّاعر:

ألقى بوانى زوره للبرك

أصبر من ذى ضاغط عركرك

قال: و من روى بوانيها (أى بلفظ الجمع) أراد لواصقها من قولك: قوس بانية. إذا التصقت بالوتر، و الرواية الأولى أصحّ ...

<sup>١٩٠٢</sup> (٣) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٤٩١ مادة (مرى).

<sup>١٩٠٣</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٥٧٤ مادة (برك).

<sup>١٩٠٤</sup> (٥) النهاية ابن الأثير - النهاية - ج ١ ص ١٦٤ مادة (بون) لابن الأثير ١: ١٦٤ مادة (بون).

و مع أنّه ليس للسحاب عمودان حتّى يكون ما قاله صحيحاً، و الشعر الذى استشهد به دالّ على ضدّ مراده، و (البوانى) فيه أيضا جمع (بانية)، و مراد الشاعر ب (ذى ضاغط عركرك) الجمل القوى، فالمعنى أنّه أصبر من جمل قوى ألقى بوانى زوره، أى: اضلاع صدره للمبرك.

«و بعاع» فى (النهاية): البعاع شدة المطر، و منهم من يرويهما بالثاء المثلثة، من: ثعّ يثعّ، إذا تقيّاً، أى: قذفها فى البطحاء، و منه حديث على عليه السّلام: ألقّت السحاب بعاع ما استقلّت به من الحمل<sup>١٩٠٥</sup>.

«ما استقلّت به» أى: ارتفعت به.

«من العبء» أى: الحمل، قال الشاعر:

الجانى بغير يد و لا شكر

الحامل العبء الثقيل عن

<sup>١٩٠٦</sup> «المحمول عليها» أى: على السحاب.

«أخرج» جواب لَمّا، و فاعله هو تعالى.

«به» أى: بعبئها.

«من هوامد الأرض» أى: أراض لا نبات فيها.

«النبات» و الأصل فيه قوله عليه السّلام من «فلما ألقّت» إلى «النبات» قوله تعالى:

ص: ٥٠٦

«وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا تَقَالًا سُنَّاهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»<sup>١٩٠٧</sup>.

«و من زعر الجبال» من إضافة الصفة، أى: جبال قليلة النبات.

<sup>١٩٠٥</sup> (١) النهاية لابن الأثير ١: ١٤٠ مادة (بعع).

<sup>١٩٠٦</sup> (٢) أوردته لسان العرب ١: ١١٧ مادة (عبا) و الشاعر: زهير.

<sup>١٩٠٧</sup> (١) الأعراف: ٥٧.

«الأعشاب» أى: أخرج منها الأعشاب، و الأعشاب جمع العشب: الكالأ الرطب.

«فهى تبهج بزينة رياضها» كمرأة تبهج بزينة حليها و ألبستها المتلوّنة.

«و تزدهى» أى: تتكبر.

«بما ألبسته من ريط» قيل: ريطه: كلّ ثوب رقيق لّين.

«أزاهيرها» أزاهير جمع زهرة، بالفتح، و زهرة النبت نوره.

«و حلية» عطف على (ما) فى قوله (بما) لا على قوله (ريط) كما هو المتبادر فى بادى النظر، كما لا يخفى على من تدبّر.

«ما سمطت» قال الجوهري: السّمت: الخيط ما دام فيه الخرز، و إلّا فهو سلك، قال طرفه:

مظاهر سمطى لؤلؤ و زبرجد

١٩٠٨ «به من ناضر» أى: رونق.

«أنوارها» أنوار جمع نور بالفتح، أى: أزهارها، قال تعالى: «و تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ»<sup>١٩٠٩</sup>.

ص: ٥٠٧

قال ابن عمران المخزومي: أتيت مع أبى واليا كان على المدينة من قریش، و عنده أعرابى يقال له ابن مطير، و اذا مطر جود، فقال له الوالى: صفه.

فقال: دعنى أشرف و أنظر. فأشرف و نظر، ثم قال:

فإذا تحلب فاضت الأطباء

كنرت لكثرة و دقه أطباؤه

قبل التبّع ديمة و طفاء

وله رباب هيدب لرفيفه

١٩٠٨ (٢) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١١٣٤ مادة (سمط).

١٩٠٩ (٣) الحج: ٥.

و كأنّ بارقه حريق تلتقى  
و كأنّ ريقه ولما يحتفل  
مستضحك بلوامع مستعبر  
فله بلا حزن ولا بمسرّة  
حيران متّبع صباه يقوده  
تقلت كلاه فبهّرت أصلابه  
غدق تبعج بالأباطح مزقت  
غرّ محجّلة دوالج ضمّنت  
سحم فهنّ إذا عبسن فواحم  
لو كان من لجج السواحل ماؤه  
ريح عليه و عرفج و إلاء  
و دق السماء عجاّبة طخياء  
بمدامع لم تمرها الأقذاء  
ضحك يؤلّف بينه و بكاء  
و جنوبه كنف له ورهاء  
و تبعّجت عن مائه الأحشاء  
تلك السيول و مالها أشلاء  
حمل اللّقاح و كلّها عذراء  
سود و هنّ إذا ضحكن و ضاء  
لم يبق في لجج السواحل ماء

<sup>١٩١٠</sup> «و جعل ذلك بلاغا للأنام و رزقا للأنعام» قال تعالى: «وَ فَاكِهَةً وَ أَبًا مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ»<sup>١٩١١</sup>.

«و خرق العجاج» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (الفجاج) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>١٩١٢</sup>. و الفجاج جمع الفج: الطريق الواسع

ص: ٥٠٨

بين الجبلين.

«في آفاقها» أى أطرافها، قال تعالى: «وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»<sup>١٩١٣</sup>.

<sup>١٩١٠</sup> (١) نقله ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤: ٤٨.

<sup>١٩١١</sup> (٢) عبس: ٣١-٣٢.

<sup>١٩١٢</sup> (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥٤، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٦ «العجاج» أيضا.

<sup>١٩١٣</sup> (١) الأنبياء: ٣١.

و قال الصادق عليه السلام: فلو لا امتداد هذه الأرض كيف كانت تتسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت أخشابهم و أحطابهم، و العقاقير العظيمة، و المعادن الجسيم غناؤها<sup>١٩١٤</sup>.

«و أقام المنار» للناس بنجوم السماء، قال تعالى: «وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»<sup>١٩١٥</sup>.

«للسالكين على جواد» بالتشديد، جمع الجادة.

«طرقها» أى: طرق الأرض.

٤

الخطبة (٢٠٩) و من خطبة له عليه السلام:

وَكَانَ مِنْ اقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ - وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ - أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ - الْمُتَرَكِمِ الْمُتَقَاصِفِ بَيْسًا جَامِدًا - ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا - فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِنَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ - وَقَامَتْ عَلَى حِدِّهِ وَ أَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَنِّجِرُ - وَ الْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ - قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ - وَ وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ - وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نَشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادَهَا - فَأَرْسَلَهَا فِي مَرَاسِيهَا - وَ أَلْزَمَهَا

ص: ٥٠٩

قَرَارَتَهَا - فَصَنَّتْ رُءُوسَهَا فِي الْهَوَاءِ - وَ رَسَتْ أُصُولَهَا فِي الْمَاءِ - فَانْهَدَ جِبَالُهَا عَنْ سُهُولِهَا - وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا - فَاشْهَقَ قَلَالِهَا وَ أَطَالَ أَنْشَارَهَا - وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا وَ أَرَزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا - فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا - فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا - وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا - فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مَهَادًا - وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا - فَوْقَ بَحْرِ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي وَ قَائِمٍ لَا يَسْرِي - تُكْرِكُهُ الرِّيَّاحُ الْعَوَاصِفُ - وَ تَمْخُضُهُ الْعَمَامُ الذَّوَارِفُ - «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى»<sup>١٩١٦</sup> أقول: رواها أيضا أئمة غريب اللغة كما يفهم من تفسير (النهاية ابن الأثير - النهاية - ج ١ ص ٢١٢ مادة (تعجر)) لبعض فقراتها<sup>١٩١٧</sup>.

«و كان من اقتدار جبروته» إضافة الاقتدار الى جبروته تعالى مع أن الأصل إضافته إليه تعالى، كما فى نسبة الإكرام إلى مثنوى يوسف عليه السلام فى قوله تعالى: «أَكْرَمِي مَثْوَاهُ»<sup>١٩١٨</sup> مع أن الأصل النسبة إليه عليه السلام للدلالة على المبالغة.

<sup>١٩١٤</sup> (٢) توحيد المفضل: ١٤٢.

<sup>١٩١٥</sup> (٣) النحل: ١٦.

<sup>١٩١٦</sup> (١) النازعات: ٢٦.

<sup>١٩١٧</sup> (٢) النهاية لابن الأثير ١: ٢١٢ مادة (تعجر).

<sup>١٩١٨</sup> (٣) يوسف: ٢١.

«و بديع» عطف على (اقتدار) و البديع: ما لا مثال له قبله.

«لطائف صنعته» و كيف لا، و قد خلق الأرض و السماوات السبع من ماء كما خلق كل شيء من ماء؟! «أن جعل من ماء البحر الزاخر» أى: المرتفع الممتدّ.

ص: ٥١٠

«المتراكم» أى: الذى بعضه فوق بعض.

«المتقاصف» أى: المتدافع.

«بيسا جامدا» قال ابن أبى الحديد: البيس بالتحريك: المكان يكون رطبا، ثم يبيس، و منه قوله تعالى: «فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً»<sup>١٩١٩</sup>.

و البيس بالسكون: اليابس خلقه: «حطب يبيس»، هكذا يقوله أهل اللّغة. و فيه كلام لأنّ الحطب ليس يابساً خلقه، بل كان رطبا من قبل، فالأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلّا فى المكان<sup>١٩٢٠</sup>.

قلت: فى ما قاله أولاً: إنّ البيس بالتحريك ليس مختصاً بالمكان، فيأتى وصف المرأة و الشاء أيضاً، قال الرّاجز:

إلى عجوز شنة الوجه يبيس

<sup>١٩٢١</sup> فقوله: «فالأصوب» خلاف الصواب.

و ثانياً: إنّ التفصيل الذى ذكره لم يقله جميع أهل اللّغة كما هو مفهوم كلامه، و إنّما قاله الجوهري<sup>١٩٢٢</sup>، و أمّا الفيروز آبادى فعكس، فقال: يابس و يبيس، و يبيس و يبيس: كان رطبا فجفّ، كاتّيس، و ما أصله البيوسة و لم يعهد رطبا فيبيس بالتحريك. و أمّا طريق موسى فى البحر، فإنّه لم يعهد قطّ طريقاً لا رطبا و لا يابساً، إنّما أظهره الله لهم حينئذ مخلوقاً على ذلك. و تسكّن الباء أيضاً ذهاباً إلى أنّه و إن لم يكن طريقاً فإنّه موضع كان فيه ماء فيبيس<sup>١٩٢٣</sup>.

<sup>١٩١٩</sup> (١) طه: ٧٧.

<sup>١٩٢٠</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٨.

<sup>١٩٢١</sup> (٣) أورده لسان العرب ٦: ٢٦١ مادة (بيس).

<sup>١٩٢٢</sup> (٤) صحاح اللّغة للجوهري ٢: ٩٩٠ مادة (بيس).

<sup>١٩٢٣</sup> (٥) القاموس المحيط ٢: ٢٦١ مادة (بيس).

و ثالثاً: إن مناقشته بعدم كون الحطب يابساً خلقه في غير محلّه، يقال:

ص: ٥١١

حطب يبس. قال ثعلب: كأنه خلقه<sup>١٩٢٤</sup>، قال علقمة:

تخشخش أبدان الحديد عليهم  
كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

١٩٢٥ و رابعاً: إن الآيه «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً» لا كما نقله<sup>١٩٢٤</sup>.

«ثم فطر» أى: خلق اختراعاً.

و عن ابن عباس: كنت لا أدري ما «عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»<sup>١٩٢٧</sup> حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر. فقال: أحدهما: أنا فطرتها. يقول: أنا ابتدأت حفرها<sup>١٩٢٨</sup>.

«منه أطباقاً» أى: سماوات أطباقاً، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً»<sup>١٩٢٩</sup>، «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً»<sup>١٩٣٠</sup>.

«ففتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها» «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»<sup>١٩٣١</sup>.

«فاستمسكت بأمره» «وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا»<sup>١٩٣٢</sup>.

«و قامت على حده» الضمير راجع إليه تعالى، أى: قامت السماوات على تحديده تعالى لها.

<sup>١٩٢٤</sup> (١) قول ثعلب و البيت نقلهما لسان العرب ٦: ٢٦١ مادة (يبس).

<sup>١٩٢٥</sup> (٢) قول ثعلب و البيت نقلهما لسان العرب ٦: ٢٦١ مادة (يبس).

<sup>١٩٢٤</sup> (٣) لم يظهر لى فرق بين ما نقل الشارح و ما نقل ابن أبى الحديد و لا رسم المصحف.

<sup>١٩٢٧</sup> (٤) يوسف: ١٠١.

<sup>١٩٢٨</sup> (٥) مرّ تخريج الحديث فى العنوان (١) من الفصل الأول.

<sup>١٩٢٩</sup> (٦) نوح: ١٥.

<sup>١٩٣٠</sup> (٧) الملك: ٣.

<sup>١٩٣١</sup> (٨) الأنبياء: ٣٠.

<sup>١٩٣٢</sup> (٩) فصلت: ١٢.

«وَأرسي أرضاً» هكذا في (المصرية) و ليست الجملة في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و الخطيب<sup>١٩٣٣</sup> رأساً، فيعلم عدم وجودها في النهج، و إن كان المعنى بدونها مختلفاً، لأنّه يصير الضمير في قوله بعد «يحملها الأخضر» راجعاً إلى السماوات السبع، و ليس كذلك، و لذا تكلف الخوئي في أنّ الضمير في (يحملها) راجع إلى (الأرض) المستفاد من اليبس<sup>١٩٣٤</sup>، و هو كما ترى.

فالظاهر أنّ (المصرية) نقلت الجملة من نسخة خلطت حاشية بالمتن.

«يحملها الأخضر» فسّر ابن أبي الحديد الأخضر بالبحر، و يسمّى أيضاً خضارة معرفة غير مصروف<sup>١٩٣٥</sup>.

قلت: لم يقل أحد بإطلاق الأخضر مجرداً على البحر، بل مع الوصف بالمتعجر، لأنّه بمعنى السائل. نعم، خضارة مجردة تطلق عليه. ثمّ سوق كلامه أنّ الأخضر غير منصرف، و ليس كذلك، بل خضارة غير منصرف.

قال الجوهري: خضارة بالضمّ: البحر، معرفة لا تجرى، تقول: هذا خضارة طامياً<sup>١٩٣٦</sup>. و لو كان عبر: و خضارة معرفة غير مصروف، لسلم.

«المتعجر» قال الفيروز آبادي: المتعجر: السائل من ماء أو دمع، و بفتح الجيم وسط البحر، و ليس في البحر ماء يشبهه<sup>١٩٣٧</sup>.

و قال الجزري في حديث عليّ عليه السّلام «يحملها الأخضر المتعجر»: هو أكثر موضع في البحر ماء، و الميم و النون زائدتان، و منه حديث ابن عباس:

فإذا علمى بالقرآن في علم عليّ عليه السّلام كالقرارة في المتعجر<sup>١٩٣٨</sup>. القرارة: الغدير الصغير<sup>١٩٣٩</sup>.

قال ابن أبي الحديد: تصغير المتعجر: مثير و مثيرج<sup>١٩٤٠</sup>.

<sup>١٩٣٣</sup> (١) كذا في شرح الخوئي ٧: ٣٢٧، و توجد الجملة في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨، و شرح ابن ميثم: ٤: ٢٤.

<sup>١٩٣٤</sup> (٢) شرح الخوئي ٧: ٣٢٨.

<sup>١٩٣٥</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩.

<sup>١٩٣٦</sup> (٤) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٤٧ مادة (خضر).

<sup>١٩٣٧</sup> (٥) القاموس المحيط ١: ٣٨٢ مادة (تعجر).

<sup>١٩٣٨</sup> (١) أخرجه الحكيم الترمذي في شرح الفتح المبين عنه ينايب المودة: ٧٠ بفرق يسير، و روى معناه المفيد و أبو علي الطوسي و النقاش و الحموي و الإريلي، و قد مرّ تخريجه في شرحه خطبة الرضى.

<sup>١٩٣٩</sup> (٢) النهاية لابن الأثير ١: ٢١٢ مادة (تعجر).

قلت: أخذه من (الصاح) لكنّه غلط منه، لأنّ المشعّج رباعيّ مزيد فيه، أصله شعج، لا ثلاثيّ مزيد فيه أصله شعج.

قال في (القاموس): قول الجوهرى و الصغانىّ تصغير المشعّج: مشعج و مشعيج<sup>١٩٤١</sup> غلط، و الصواب: شعج، كما تقول في محرّجهم: حريجم<sup>١٩٤٢</sup>.

«و القمقام» يأتى لمعان أحدها البحر، و هو المراد هنا.

«المسخّر» من الله تعالى.

«قد ذلّ لأمره» و المراد أمره التكوينيّ.

«و أذعن» أى: خضع.

«لهيبته، و وقف الجارى منه» بعد حمله للأرض.

«لخشيتته» الطبيعىّة.

«و جبل» أى: خلق.

«جلا ميدها» أى: صخورها الشديدة.

«و نشوز» أى: ارتفاع.

ص: ٥١٤

«متونها» أى: ما صلب منها.

«و أطواها» أى: جبالها.

«فأرسلها فى مراسيها» أى: فى مواقفها<sup>١٩٤٣</sup>.

«و رست» أى: ثبتت، و فى نسخة (و رسبت)<sup>١٩٤٤</sup>، من رصب فى الماء، إذا هبط فيه.

<sup>١٩٤٠</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠.

<sup>١٩٤١</sup> (٤) كذا ذكر الجوهرى تصغيره فى صحاح اللغة ٢: ٦٠٥ مادة (شعج)، لكن لم يذكر الصغانىّ فى التكملة ٢: ٤٣٦ مادة (شعج) تصغيراً له.

<sup>١٩٤٢</sup> (٥) القاموس المحيط ١: ٣٨٢ مادة (شعج).

<sup>١٩٤٣</sup> (١) لم يتعرّض الشارح لشرح الفقرتين: «و ألزمها قرارتها، فمضت رؤوسها فى الهواء».

«أصولها» أى: عروقتها.

«فى الماء» لكون الأرض على الماء.

«فأنهد» أى: أنهض.

«جبالها عن سهولها» سهل الأرض خلاف حزنها.

«وأساخ» أى: أغاص، من: ساخت قدمه فى الأرض، إذا غاصت فيها.

«قواعدها» و أساسها.

«فى متون أقطارها» أى: جوانبها.

«و مواضع أنصابها» أى: فى مواضع نصبت فيها.

«فأشهى» أى: أعلى.

«قلالها» قلال جمع قلّة، أعلى الجبل.

«و أطال» أى: جعل طويلاً.

«أنشازها» أى: ارتفاعاتها.

«و جعلها للأرض عمادا» أى: عموداً.

«و أرزها» أى: أثبتها، من أرزت الشجرة: ثبتت.

ص: ٥١٥

«ففيها أوتادا» قال تعالى: «وَالْجِبَالُ أَوْتَاداً»<sup>١٩٤٥</sup>.

«فسكنت على حركتها» أى: مع حركتها، فإن (على) فى مثل الموضع بمعنى (مع)، كقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»<sup>١٩٤٦</sup>، و قوله تعالى: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً»<sup>١٩٤٧</sup>، و كقول الشاعر:

<sup>١٩٤٤</sup> (٢) لم نجد أحداً من الشراح نقل هذه الرواية.

<sup>١٩٤٥</sup> (١) النبأ: ٧.

و إني على ليلي لزار و إني

على ذاك في ما بيننا مستديمها

١٩٤٨ و قوله:

على جوده ما جاد بالمال حاتم

١٩٤٩ «من أن تميد» أي: تضطرب.

«بأهلها» كوقت يحصل الزلزال.

«أو تسبخ» أي: تغوص.

«بحملها» كبناء لم يستحکم أساسه.

«أو تزول عن مواضعها» التي عينها الله تعالى لها، قال في (الهيئة و الاسلام): يظهر من قوله عليه السلام: «أو تزول عن مواضعها» تحرك الأرض في مدار مخصوص، فإن الأرض عند المتأخرين لها مواضع لا تحصى، لكنها جميعا في مدار معين بإزاء البروج الاثني عشر، فبتم على هذا تفسير قوله عليه السلام: «على حركتها» بحركة الأرض السنوية، و أن الجبال و عروقها هي

ص: ٥١٦

١٩٤٦ (٢) إبراهيم: ٣٩.

١٩٤٧ (٣) الإنسان: ٨.

١٩٤٨ (٤) أورده السيوطي في شواهد المغنى ١: ٦١، و الشاعر إما قيس بن الملوح أو غيره.

١٩٤٩ (٥) أورده لسان العرب ١٢: ١١٥ مادة (حتم) و الشاعر الفرزدق، و صدره:

على حالة لو أن في القوم حاتما

الحافظة لهيئة أجزاء الأرض المانعة من تفرقتها و اضطرابها و زوالها عن مواضعها المخصوصة في فلكها المخصوص، و أمّا على القول بالسكون - كما عليه المتقدّمون - فلا يتمّ هذا الكلام الكامل، إذا الجسم لا يكون ذا مواضع إلّا بتحرّكه الانتقالي، و الساكن لا يكون إلّا ذا موضع واحد.

ثمّ استدلّ صاحب الكتاب لحركة الأرض بآيات:

منها: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا»<sup>١٩٥٠</sup>. قال: و المهدي يتحرّك سريعاً بلا ميلان.

و منها: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا»<sup>١٩٥١</sup>. قال: فإنّ الذلّول إبل تمتاز بنعومة الحركة و سرعة السير.

و منها: «و تَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ»<sup>١٩٥٢</sup>. قال: فلو كان المراد القيامة كما قالوا لما كان لقوله:

«صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» مناسبة.

و منها: «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»<sup>١٩٥٣</sup>. قال: بناء على أنّ المراد بالدّحو:

الدّفع و الدرّجة - كما يفهم من اللّغة و من موارد استعماله - دون البسط، كما هو المشهور. ثمّ تعرّض للاستدلال على مدّعاه بكون المراد من الدّحو في الآية الدّفع و الدرّجة دون البسط الذي قال غيره<sup>١٩٥٤</sup>.

قلت: الظاهر أنّ المشهور فسّروه باللازم، فإنّ درّجة الملفوف تستلزم بسطه، و ممّا يمكن أن يستدلّ به على ما قال، و إن لم يتفطن له قول الحميري

ص: ٥١٧

في تشبيهه رمى أمير المؤمنين عليه السّلام للصّخرة العظيمة التي كانت على عين في طريق صفين بكرة رماها قوى:

عبل الذّراع دحا بها في ملعب

فكأنّها كرة بكفّ حزوّر

<sup>١٩٥٠</sup> (١) طه: ٥٣.

<sup>١٩٥١</sup> (٢) الملك: ١٥.

<sup>١٩٥٢</sup> (٣) النمل: ٨٨.

<sup>١٩٥٣</sup> (٤) النازعات: ٣٠.

<sup>١٩٥٤</sup> (٥) الهيئة و الاسلام ١: ٨٢، و النقل بتصريف يسير.

١٩٥٥ كما أنه فاتته الاستدلال بكلامه عليه السلام في الخطبة (٧٠) «اللهم داحي المدحوات»<sup>١٩٥٦</sup>. فإنه مثل قوله تعالى: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»<sup>١٩٥٧</sup>. و استدلل بخبر (الاحتجاج) عن الصادق عليه السلام: أن الأشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه، و هي سبعة أفلak، و تحرك الأرض و من عليها<sup>١٩٥٨</sup>. و استدلل بآيات و أخبار آخر ليس لها وضوح دلالة، كقوله تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْتِ يَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتْنا أُنْتِنا طائِعِينَ»<sup>١٩٥٩</sup>، فقال في معناه: «أُنْتِنا» أى: انتقلا و تحركا من حيزكما، «طَوْعاً» \* لنظام هذه الشمس، أو «كَرْهاً» \* عنها و طوعا لنظام آخر، و أتباعا لجاذبية عالم آخر، «قَالَتْنا» \* بلسان الحال: «أُنْتِنا طائِعِينَ» لهذا النظام، خاضعين لنواميس هذه الجاذبية التي سنّها الله تعالى في هذا العالم<sup>١٩٦٠</sup>. و هو كما ترى.

«فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها» «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتْا إِنَّ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>١٩٦١</sup>.

«و أجمدها بعد رطوبة أكنافها» أى: جوانبها.

ص: ٥١٨

«فجعلها لخلقها مهادا» «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً»<sup>١٩٦٢</sup>.

«و بسطها لهم فراشا» «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَ السَّمَاءَ بِنَاءً»<sup>١٩٦٣</sup>.

«فوق بحر لجى» بالضم، أى: بحر مشتمل على اللجآت.

«راكد» أى: ساكن.

«لا يجرى» كما يجرى اليم.

«و قائم» فى مكانه.

<sup>١٩٥٥</sup> (١) هذا بيت من القصيدة البائية نقله المفيد فى الإرشاد: ١٧٨ و غيره.

<sup>١٩٥٦</sup> (٢) نهج البلاغة ١: ١٢٠.

<sup>١٩٥٧</sup> (٣) النازعات: ٣٠.

<sup>١٩٥٨</sup> (٤) رواه الطبرسى فى الاحتجاج ٢: ٣٣٨ ضمن حديث طويل.

<sup>١٩٥٩</sup> (٥) فصلت: ١١.

<sup>١٩٦٠</sup> (٦) الهيئة و الاسلام ١: ٧١، ٧٤.

<sup>١٩٦١</sup> (٧) فاطر: ٤١.

<sup>١٩٦٢</sup> (١) النبأ: ٦.

<sup>١٩٦٣</sup> (٢) البقرة: ٢٢.

«لا يسرى» إلى موضع آخر.

«تكرره» أى تردده.

«الرياح العواصف» أى: الشدائد.

«و تمخضه» من مخضت اللين، إذا حرّكت سقاه لأخذ زبده.

«الغمام» أى: السحاب.

«الذوارف» من ذرفت عينه إذا سال منها الدمع، شبه عليه السلام صبّ الغمام للقطر بنساء يسكين دموعهنّ، قال ابن أبي الحديد ليس قوله عليه السلام: «و تمخضه الغمام الذوارف» صريحا في أنّ السحب تنزل في البحر فتغترف منه، كما قد يعتقد في المشهور العامّي، نحو قول الشاعر:

فضل عليه لأنّه من مائه

كالبحر يطره السحاب و ما لها

بل يجوز أن تكون الغمام الذوارف تمخضه و تحرّكه بما ترسل عليه من الأمطار السائلة منها<sup>١٩٦٤</sup>.

قلت: أصل كلامه عليه السلام في وصف البحر الذي يحمل الأرض، لقوله عليه السلام

ص: ٥١٩

أولاً: «يحملها الأخضر المتعرج» و قوله أخيراً: «فوق بحر لَجِيّ»، لا البحر الظاهر في الأرض، و حينئذ فالظاهر وقوع تصحيف هنا أيضا، كما مرّ عند قوله: «و يحملها الأخضر المتعرج»، و أنّ الأصل «و لا تكرّره الرياح العواصف، و لا تمخضه الغمام الذوارف» عطفًا على قوله عليه السلام: «لا يسرى»، بمعنى أنّه بحر غير هذه البحار البارزة، و لو لا ما قلنا لكان تنافرا أيضا بين الجملتين، و بين قوله عليه السلام: «راكد لا يجرى، و قائم لا يسرى».

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» اقتباس من القرآن آية (٢٦) من:

و النازعات.

٥

<sup>١٩٦٤</sup> (٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩.

الخطبة (١٦٩) و من خطبة له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَ الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ- الَّذِي جَعَلْتَهُ مَعِيضًا لِلَّيْلِ وَ النَّهَارِ- وَ مَجْرَى لِّلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ مُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ- وَ جَعَلْتَ سَكَّانَهُ سَبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ- لَا يَسْأُمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ- وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ- وَ مَدْرَجًا لِلهَوَامِّ وَ الْأَنْعَامِ- وَ مَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَ مِمَّا لَا يُرَى- وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَادًا- وَ لِلخَلْقِ اعْتِمَادًا- إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا- فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ وَ سَدَّدْنَا لِلْحَقِّ- وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ- وَ جَنَّبْنَا الْفِتْنَةَ- أَيْنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَارِ- وَ الْغَائِرِ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ- الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَ الْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ أَقُولُ: رواه ابن طاوس في (مهجه ٢ سيد بن طاوس- مهج الدعوات- ص ١٠٢) عن كتاب دعاء الحسين بن سعيد

ص: ٥٢٠

الأهوازي ١ الحسين بن سعيد الأهوازي- كتاب دعاء الحسين بن سعيد الأهوازي- باسناده عن يعقوب بن شعيب عن الصادق عليه السلام قال: كان من دعاء أمير المؤمنين يوم صفين: «اللهم رب هذا السقف المرفوع ... فجئنا الكبر و سدنا للرشد ... و اعصم بقية أصحابي من الفتنة»<sup>١٩٦٥</sup>.

و رواه الطبري في (تاريخه الطبري- تاريخ الطبري- ج ٤ ص ١٠ سنة (٣٧)) عن زيد بن وهب، و زاد بعد قوله عليه السلام:

«و مما لا يرى» قوله: «من خلقك العظيم و ربّ الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس، و ربّ السحاب المسخر بين السماء و الأرض، و ربّ البحر المسجور المحيط بالعالم»<sup>١٩٦٦</sup>.

و رواه نصر بن مزاحم في (صفينه نصر بن مزاحم- وقعة صفين- ص ٢٣٢)١٩٦٧.

«اللهم ربّ السقف المرفوع» هو لفظ القرآن في التعبير عن السماء، قال تعالى: «و السقف المرفوع»<sup>١٩٦٨</sup>.

«و الجوّ المكفوف» المراد بالجوّ المكفوف السماء كالسقف المرفوع، و مرّ قوله عليه السلام في العنوان الأوّل من الفصل: «جعل سفلاهنّ موجا مكفوفاً».

و في (صفين نصر): «اللهم ربّ هذا السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته ...»<sup>١٩٦٩</sup>.

قال الشهرستاني في (الهيئة): يعني عليه السلام بالجوّ المكفوف الممنوع من الهطلان مع سيلان مادّته الأثيرية<sup>١٩٧٠</sup>.

<sup>١٩٦٥</sup> (١) مهج الدعوات: ١٠٢.

<sup>١٩٦٦</sup> (٢) تاريخ الطبري ٤: ١٠ سنة (٣٧).

<sup>١٩٦٧</sup> (٣) وقعة صفين: ٢٣٢.

<sup>١٩٦٨</sup> (٤) الطور: ٥.

<sup>١٩٦٩</sup> (٥) وقعة صفين: ٢٣٢، و لفظه «المكفوف» في بعض النسخ.

«الذى جعلته مغيضا لليل والنهار» قال ابن أبي الحديد: وجه المشاركة أن

ص: ٥٢١

المغيض أو الغيضة يتولد منهما الشجر، وكذلك الليل والنهار يتولدان من جريان الفلك، كنبت الشجر من المغيضة و الأجمة<sup>١٩٧١</sup>.

قلت: المغيض يستعمل في الخفاء لا الظهور، قال تعالى: «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ»<sup>١٩٧٢</sup>، ويقال: غاض الكرام و فاض اللثام، و ابن أبي الحديد عكس.

و قال الشهرستاني: المغيض: موضع يمصّ الماء و يبلعه. فكأنه عليه السلام استعار لفظ الليل والنهار لمعنى النور و الظلام، و شبه انعدام ضوء النهار لمعنى النور و الظلام، و شبه انعدام ضوء النهار فى الجو ليلا، و كذا انمحاء ظلام الليل فيه نهارا بمصّ الجو و ابتلاعه للظلام و الضياء، و يظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخرون بآلة (سبكتر سكوب) و غيرها أن الجو أو الهواء يشرب و يمصّ من النور ما يقتضيه طبعه، و يمجّ الباقي إلينا، و قد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم، لكن باب مدينة العلم - أعنى عليا عليه السلام - قد علمه النبى صلى الله عليه و آله حسب الآثار الصحيحة ألف باب، يفتح له من كل باب ألف باب، و ربما كان هذا و أشباهه من فروع هذه الأبواب التى يستكشف الحكيم منها ألف باب. و أيم الله سبحانه إن المتأمل فى كلمات على عليه السلام بعد اطلاعه على فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة، و يصدق عندئذ من قال: «إن كلام على عليه السلام دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين»<sup>١٩٧٣</sup>.

«و مجرى للشمس و القمر» قال تعالى: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ»<sup>١٩٧٤</sup>.

ص: ٥٢٢

«و مختلفا للنجوم السيارة» فى طلوعها و غروبها، قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر يا مفضل فى النجوم و اختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك، و لا تسير إلا مجتمعة، و بعضها مطلقة تنتقل فى البروج، و تفترق فى مسيرها،

<sup>١٩٧٠</sup> (٦) الهيئة و الاسلام ١: ٥١.

<sup>١٩٧١</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٢.

<sup>١٩٧٢</sup> (٢) الرعد: ٨.

<sup>١٩٧٣</sup> (٣) الهيئة و الاسلام ١: ٥١، و النقل بتصريف يسير.

<sup>١٩٧٤</sup> (٤) يس: ٣٨ - ٣٩.

فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق، كالتملة التي تدور على الرّحى<sup>١٩٧٥</sup>.

هذا، و في (أصل زيد الترسى)- و زيد مختلف فيه- عن الصادق عليه السّلام في خبر: و ربّ هود بن أسية عافنى من كلّ عقرب و حيّة. قلت: و ما هود بن أسية؟

قال: كوكبة في السماء خفية تحت الوسطى من الثلاث، الكواكب التي في بنات النّعش المتفرقات، ذلك أمان ممّا قلت<sup>١٩٧٦</sup>.

«و جعلت سكّانه سبطا» أى: طائفة.

«من ملائكتك» كما أن الأرض مسكن بنى آدم.

«لا يسأمون» أى: لا يملّون.

«من عبادتك» و إن أداموا، لا مثل البشر.

«و ربّ هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام» «و قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»<sup>١٩٧٧</sup>، «أَمْنٌ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً»<sup>١٩٧٨</sup>، «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَاراً وَ السَّمَاءَ بِنَاءً»<sup>١٩٧٩</sup>.

ص: ٥٢٣

«و مدرجا» أى: مسلكا.

«للهوام» أى: الحشرات، يقال خلّ درج الضبّ، أى: طريقة لئلا يسلك بين قدميك، فتنتفخ. و فسرت الهامة- في حديث الاستعادة «من كلّ سامة و هامة»<sup>١٩٨٠</sup> - بحشرة ذات سمّ لا تقتل كالعقرب، في قبال السامة حشرة ذات سمّ تقتل. و المراد هنا المطلق، لجعلها في مقابل الأنعام.

«و الأنعام» أى: مطلق الحيوان، لا خصوص المال الرّاعية، حيث جعل مقابلا للهوام.

<sup>١٩٧٥</sup> (١) توحيد المفضل: ١٣٢.

<sup>١٩٧٦</sup> (٢) أصل زيد الترسى: ٥٧، و النقل بتقطيع.

<sup>١٩٧٧</sup> (٣) البقرة: ٣٦.

<sup>١٩٧٨</sup> (٤) النمل: ٦١.

<sup>١٩٧٩</sup> (٥) غافر: ٦٤.

<sup>١٩٨٠</sup> (١) أخرجه أبو يعلى و البزار في مسندهما عنهما المطالب العالیه ٢: ٣٤٨ ح ٢٤٤٣ بلفظ، و الصدوق في معانى الأخبار:

١٧٣ ح ١ بلفظ آخر، و ذكر الهامة في أحاديث الاستعادة كثير.

«و ما لا يحصى» من خلقك.

«مما يرى و مما لا يرى» و ما لا يرى قسمان، قسم منها لغيوبته عنّا مثل ما فى العلويّات، و قسم منها لصغر جسمها حتّى لا ترى بالعين، و فى القسم الثانى اخترعت أدوات ترى بها.

«و ربّ الجبال الرّواسى» أى: الثوابت.

«التي جعلتها للأرض أوتادا» لئلا تضطرب.

«و للخلق» الإنسان و أقسام الحيوان.

«اعتمادا» حتى يمكنهم السّكنى فيها.

«إن أظهرتنا على عدوّنا» فييده مفتاح الظفر و الهزيمة.

«فجنّبنا البغى» كما هو شأن أكثر الفاتحين.

«و سدّدنا» أى: وقّنا.

«للحقّ» و ترك الباطل.

«و إن أظهرتهم علينا» «توتى المُلْك من تشاء و تنزع المُلْك»

ص: ٥٢٤

«مِمَّنْ تَشَاء»<sup>١٩٨١</sup>.

«فارزقنا الشهادة» فى الحرب دون الأسر بيد العدو.

«و جنّبنا الفتنة» أى: الامتحان الذى يوجب الضلال.

«أين المانع للذمار» أى: ما يلزمك حفظه ممّا وراءك و يتعلّق بك.

«و الغائر» أى: الغيور.

«عند نزول الحقائق» أى: نزول أمور يحقّ على الرجل أن يحميها، و يدفع عنها كعرضه و حرمه، قالوا: كان ربيعة بن مكدم - من بنى فراس بن غنم - حامى الظعن بعد موته، و ذلك أنّه عرض له فارسان من بنى سليم و معه طعائن من أهله يحميهنّ وحده، فطاعنهما فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه فى الأرض و اعتمد عليه، و هو ثابت فى سرجه لم يزل، فسارت الطعائن حتّى بلغن بيوت الحيّ، و بنو سليم قائمون بإزائه لا يقدمون عليه، و يظنّونه حيّا، حتّى قال قائل منهم: إننى لا أراه إلّا ميتا، و لو كان حيّا لتحرّك، فرموا فرسه بسهم، فوثب من تحته، فوقع و هو ميت، و فاتتهم الطعائن<sup>١٩٨٢</sup>.

«من أهل الحفاظ» بالكسر، أى: الذين يحافظون على ما يجب عليهم رعايته.

«العار وراءكم» إن أجمتم عن عدوكم بالفرار، بعث عبيد الله بن زياد إلى أبى بلال الخارجى، و قد كان خرج إلى آسك موضع بين أرجان و رامهرمز، و هو فى أربعين و معبد بن أسلم الكلابى فى ألفين، فانهزم و ما رده شىء حتّى ورد البصرة، فكان الناس يصيحون به: يا معبدا وراك أبو بلال حتّى شكاهم

ص: ٥٢٥

إلى ابن زياد<sup>١٩٨٣</sup>.

و لمّا انهزم خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة بعد قتل جعفر و صاحبيه زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة، و دنا من دخول المدينة جعل الناس يحثون على الجيش التراب، و يقولون: يا فرار، و كان فيهم سلمة بن هشام بن المغيرة، فكان لا يحضر الصلاة مع النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقالت أم سلمة لا مرأته: لم لا يحضر؟

قالت: ما يستطيع، كلّمّا خرج صاح النّاس أ فررتم فى سبيل الله؟ فقعد فى البيت و ما يخرج<sup>١٩٨٤</sup>. و من المضحك أن إخواننا سمّوا خالدًا سيف الله بتلك الهزيمة<sup>١٩٨٥</sup>.

«و الجنة أمامكم» إن أقدمتم عليه حتّى ترزقوا الشهادة، و روى (الكافى) عن النبى صلّى الله عليه و آله قال: للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه، فإذا هو مفتوح و هم متقلّدون بسببهم، و الجمع فى الموقف، و الملائكة ترحبّ بهم<sup>١٩٨٦</sup>.

٤

<sup>١٩٨٢</sup> (٢) نقله ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ١١٣، و روى قريبا منه المسعودى فى مروج الذهب ٢: ٣٢٨.

<sup>١٩٨٣</sup> (١) نقل القصة بطولها ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ٤٤٨.

<sup>١٩٨٤</sup> (٢) نقله ابن هشام فى السيرة ٤: ١٧، و الطبرى فى التاريخ ٢: ٣٢٣ سنة (٨).

<sup>١٩٨٥</sup> (٣) المدعى أن النبى صلّى الله عليه و آله قال فى شأنه: «سيف من سيوف الله» نقله عن أكثر من ثلاثين طريقا المتقى فى منتخب كنز العمال ٤: ٩٤، ٩٥، و ٥: ١٧٤ - ١٧٦.

<sup>١٩٨٦</sup> (٤) أخرجه فى صدر حديث الكلينى فى الكافى ٥: ٢ ح ٢، و الصدوق فى ثواب الأعمال: ٢٢٥ ح ٢ و أماليه: ٤٦٢ ح ٨ المجلس (٨٥)، و الطوسى فى التهذيب ٦: ١٣٣ ح ٨.

من الخطبة (١٥٨) فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ- لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَ كَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ- وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ- وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْزِ الْمَاءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا- وَ عَقْلُهُ مَبْهُورًا وَ سَمْعُهُ وَالْهَاءُ وَ فِكْرُهُ حَائِرًا «فمن فرغ قلبه» عن الشواغل.

ص: ٥٢٦

«و أعمل فكره» بإطالته.

«ليعلم كيف أقمت عرشك» روى (توحيد الصدوق) بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة، فقولته: «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»<sup>١٩٨٧</sup> يقول: الملك العظيم، و قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»<sup>١٩٨٨</sup> يقول: على الملك احتوى، و هذا ملك الكيفوية في الأشياء. ثم العرش في الوصل متفرد من الكرسي، لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، و هما جميعا غيبان، و هما في الغيب مقرونان، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدء، و منه الأشياء كلها.

و العرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف و الكون، و القدر و الحد، و الأين و المشيئة، و صفة الإرادة، و علم الألفاظ و الحركات و التترك، و علم العود و البدء.

فهما في العلم بابان مقرونان، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي، و علمه أغيب من علم الكرسي، فمن ذلك قال: «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»<sup>١٩٨٩</sup>، أي:

صفته أعظم من صفة الكرسي<sup>١٩٩٠</sup>.

و روى (روضة الفتال) مرسلًا أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البرّ و البحر، و هذا تأويل قوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ»<sup>١٩٩١</sup>، و إن بين القائمة من قوائم العرش و القائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير ألف عام، و العرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا

ص: ٥٢٧

يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، و الأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة.

<sup>١٩٨٧</sup> (١) التوبة: ١٢٩، و النمل: ٢٦.

<sup>١٩٨٨</sup> (٢) طه: ٥.

<sup>١٩٨٩</sup> (٣) التوبة: ١٢٩، و النمل: ٢٦.

<sup>١٩٩٠</sup> (٤) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٢١ ح ١.

<sup>١٩٩١</sup> (٥) الحجر: ٢١.

وإن لله تعالى ملكا يقال له حزقائيل، له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطر: هل فوق العرش شيء؟

فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أخرى، فكان له ستة و ثلاثون ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، ثم أوحى الله إليه: أيها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام، لم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة، وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام ولم ينل أيضا، فأوحى الله إليه: أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك و قوتك لم تبلغ إلى ساق العرش. فقال الملك سبحان ربّي الأعلى. فأنزل الله عزّ وجلّ: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»<sup>١٩٩٢</sup>. فقال النبي صلى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم<sup>١٩٩٣</sup>.

«خلقك» «وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»<sup>١٩٩٤</sup>، «جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>١٩٩٥</sup>.

«و كيف علقت في الهواء سماواتك» «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»<sup>١٩٩٦</sup>، «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»<sup>١٩٩٧</sup>.

ص: ٥٢٨

«و كيف مددت على مور الماء» أي: اضطرابه و ذهابه و مجيئه.

«أرضك» فاستقرت.

«رجع طرفه» أي: عينه و بصره، قال تعالى: «لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ»<sup>١٩٩٨</sup>.

«حسيرا» أي: كليلا و منقطعا، و الأصل فيه قوله تعالى: «يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ»<sup>١٩٩٩</sup>.

«و عقله مبهورا» أي: مغلوبا.

«و سمعه والها» أي: متحيرا.

<sup>١٩٩٢</sup> (١) الأعلى: ١.

<sup>١٩٩٣</sup> (٢) رواه الفتال في روضة الواعظين ١: ٤٧، و ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله «اجعلوها في سجودكم» قد جاء في الأخبار كثيرا.

<sup>١٩٩٤</sup> (٣) المؤمنون: ٧٩.

<sup>١٩٩٥</sup> (٤) الشورى: ١١.

<sup>١٩٩٦</sup> (٥) الرعد: ٢.

<sup>١٩٩٧</sup> (٦) لقمان: ١٠.

<sup>١٩٩٨</sup> (١) إبراهيم الملك: ٤٣.

<sup>١٩٩٩</sup> (٢): ٤.

«و فكره حائرا» غير واصل إلى مقصد.

ص: ٥٢٩

الفصل الثالث في خلق الملائكة

ص: ٥٣١

١

من الخطبة (١) ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا - فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ - مِنْهُنَّ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَضِبُونَ - وَ صَافُونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ - لَا يَعْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ وَ لَا سَهُوُ الْعُقُولِ - وَ لَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ - وَ مِنْهُنَّ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَ النَّسِنَةُ إِلَى رُسُلِهِ - وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ - وَ مِنْهُنَّ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ - وَ مِنْهُنَّ النَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ - وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ - وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ - وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ - نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ - مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ - وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ - لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ - وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ - وَ لَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالتَّنَاطُرِ

ص: ٥٣٢

قول المصنف: «في خلق الملائكة».

أقول: كنه الملائكة غير معلوم لنا، و حيث إننا لا نعرف أنفسنا بالكنه، قال تعالى: «وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»<sup>٢٠٠٠</sup>. فالملائكة الذين ليسوا من جنسنا، و غير مرتبين لنا أولى بعدم العرفان.

و مرّ في الفصل الأوّل<sup>٢٠٠١</sup> قوله عليه السّلام في مقام بيان عدم إمكان الإحاطة بذاته تعالى: «بل إن كنت صادقاً أيها المتكلّف لوصف ربك فصف جبرائيل و ميكائيل و جنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحين». و مرّ ثمة أيضاً<sup>٢٠٠٢</sup> قوله عليه السّلام في ذاك المقام في ملك الموت: «هل تحسّ به إذا دخل منزلاً، أم هل تراه إذا توفّي أحداً؟ بل كيف يتوفّي الجنين في بطن أمّه؟ أ يلج عليه من بعض جوارحها، أم الرّوح أجابته بإذن ربّها، أم هو ساكن معه في أحشائها؟

كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟».

ثمّ اختلف في لفظ (الملك)، هل هو مفرد فقط أو مشترك بينه و بين الجمع؟ و في مادّته هل هو فعل، أو مفل، أو معل؟

<sup>٢٠٠٠</sup> (١) الإسراء: ٨٥.

<sup>٢٠٠١</sup> (٢) مرّ في الفصل الأوّل أواخر العنوان ٢٩.

<sup>٢٠٠٢</sup> (٣) مرّ في الفصل الأوّل العنوان ٣٠.

أما الأول، فقال الفيروز آبادي: إنَّ الملك واحد الملائكة و الملائك ٢٠٠٣.

وقال الجوهري: الملك من الملائكة واحد و جمع ٢٠٠٤.

قلت: و هو الصواب، يشهد لمجيئه مفردا قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ»

ص: ٥٣٣

«كَرِيمٌ» ٢٠٠٥، و لمجيئه جمعا قوله عزَّ و جلَّ: «وَجَاءَ رُبُكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» ٢٠٠٦.

لا يقال: إنَّه هنا اسم جنس لأنَّنا نقول: لا يقال: جاء الرَّجُلُ صَفًّا صَفًّا. بل (الرجال).

و أمَّا الثاني فذهب إلى الأول ابن كيسان، و إلى الثاني أبو عبيدة، و إلى الثالث الكسائي ٢٠٠٧، و لذا ذكره (القاموس) في: (ألك) و (لأك) و (ملك) ٢٠٠٨. و استند أبو عبيدة في كونه من (لأك) - و تركت همزته لكثرة الاستعمال فقليل: (ملك) فلمَّا جمع ردَّت، فقالوا: ملائك و ملائكة - إلى قول الشاعر: و هو إمَّا عبد القيس الجاهلي في بعض الملوک، أو أبو و جزءة الإسلامي في ابن الزبير:

تنزل من جوِّ السماء يصبوب

فلمست لإنسي و لكن لملاک

٢٠٠٩ قلت: أيّ دلالة في البيت على كون (ملاک) من (لأک)، و من أين أنّ (ملاک) ليس بأصل على (فعلل) أسقطت همزته تخفيفا، كما أسقطت من (أرى) ماضيا و مستقبلا أفعالا و فعلا، و ردَّت في جمعه كما هي القاعدة، و ليس (الملاک) منحصرًا استعماله بذاك البيت، بل ورد في بيت آخر نقله (اللسان):

أبشروا بالعذاب و التَّنكيل

أيها القاتلون ظلما حسينا

٢٠٠٣ (٤) القاموس المحيط ٣: ٣٢١ مادة (ملك).

٢٠٠٤ (٥) صحاح اللغة ٤: ١٦١١ مادة (ملك).

٢٠٠٥ (١) يوسف: ٣١.

٢٠٠٦ (٢) الفجر: ٢٢.

٢٠٠٧ (٣) مجمع البيان للطبرسي ١: ٧٣، و لسان العرب لابن منظور ١: ٤٩٦ مادة (ملك).

٢٠٠٨ (٤) القاموس المحيط ٣: ٢٩٣، ٣١٧، ٣٢١ مادة (ألك و لأک و ملك).

٢٠٠٩ (٥) نقله عنه لسان العرب ١٠: ٤٩٦ مادة (ملك).

كلّ أهل السماء يدعو عليكم

من نبيّ و ملائكة و رسول

<sup>٢٠١٠</sup> و يشهد لكون (ملك) فعل قوله تعالى: «فَلْيَتَوَقَّأَكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي»

ص: ٥٣٤

«وَكُلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»<sup>٢٠١١</sup>. فلا ريب أنّه بمعنى المالكيّة، و أمّا ما نقل (اللّسان) عن (محكم ابن سيده) أنّ رويشدا سمّي ملك الموت مالكا، فقال:

فإنّا لم نلايم بعد أهلا

فأبلغ مالكا أنا خطبنا

و قال:

نسائي لسهمي مالك غرضان

غدا مالك يبغي نسائي كأنما

و قال:

فمالك موت بالفراق دهاني

فيا ربّ فاترك لي جهنّة أعصرا

و قال: قال ابن سيده: ظنّ ملك الموت من (ملك)، فصاغ مالكا من ذلك فهو غلط منه، و مثل غلط رويشدا كثير في شعر الأعراب الجفأة<sup>٢٠١٢</sup>، فهو كما ترى، فالأعراب كان في اعتقاداتهم أوهام لا في فهمهم اللغات.

<sup>٢٠١٠</sup> (٦) لسان العرب ١٠: ٣٩٣ مادة (ألك).

<sup>٢٠١١</sup> (١) السجدة: ١١.

<sup>٢٠١٢</sup> (٢) لسان العرب ١٠: ٤٨٢ مادة (لأك). و النقل بالمعنى.

و أمّا من جعله من (ألك) فظنّ ترادف الملك و الرّسول و الألوک و المألکة الرّسالة، فاستندوا إلى أبيات وردت فيها الألك و المألک و المألکة و المالک، كقول زيد بن حارثة:

الكنى إلى قومی و إن كنت نائيا  
فإني قطين البيت عند المشاعر

و قول عمرو بن شأس:

الكنى إلى قومی السّلام و رحمة الإله  
فما كانوا ضعافا و لا عزلا

و يروى:

الكنى إلى قومی السّلام رسالة  
بآية ما كانوا ضعافا و لا عزلا

و قول ابن أبي ربيعة:

الكنى إليها بالسّلام فإنّه  
ينكر إمامي بها و يشهر

ص: ٥٣٥

و كقول الشاعر:

أبلغ أبا دختنوس مألکة  
عن الذي قد يقال م الكذب

أى: من الكذب. و كقوله:

و قول عدى بن زيد:

أبلغ النعمان عني مألكا

أنه قد طال حبسى و انتظار

٢٠١٣ مع أنه وهم، فالملائكة لا يحصى عددهم غير الله تعالى، و إنما كان جبرائيل رسوله تعالى إلى أنبيائه، و قال عليه السلام هنا: «و منهم أمناء على وحيه و السنة إلى رسله».

«ثم فتق» أى: شقّ.

«ما بين السماوات العلى» و مرّ في الفصل السابق ٢٠١٤ قوله عليه السلام: «و فتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها»، و قوله عليه السلام ٢٠١٥: «فتقتها سبع سماوات بعد ارتفاقها».

«فملاهن أطوارا» مختلفة.

«من ملائكته» فى (تفسير القمى): قال الصادق عليه السلام: ما من شىء ممّا خلق الله أكثر من الملائكة، و أنّه ليهبط كلّ يوم أو فى كلّ ليلة سبعون ألف ملك، فيأتون البيت الحرام فيطوفون به، ثمّ يأتون النبى صلى الله عليه و آله ثمّ يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثمّ يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده. فإذا كان عند السّحر، وضع لهم معراج إلى السماء ثمّ لا يعودون أبداً ٢٠١٦، و ما فى السماء

ص: ٥٣٦

موضع قدم إلّا و فيها ملك يسبحه و يقُدّسه ٢٠١٧.

٢٠١٣ (١) لسان العرب ١٠: ٣٩٢-٣٩٣ مادة (ألك).

٢٠١٤ (٢) مرّ فى الفصل الثانى العنوان ٢.

٢٠١٥ (٣) مرّ فى الفصل الثانى العنوان ٤.

٢٠١٦ (٤) تفسير القمى ٢: ٢٠٦، و أمالى الطوسى ١: ٢١٨ المجلس ٨.

٢٠١٧ (١) تفسير القمى ٢: ٢٥٥.

«منهم سجود لا يركعون» سجود هنا جمع ساجد، لا مصدر سجد.

«و ركوع» ركوع أيضا هنا جمع ركع.

«لا ينتصبون» أى: لا يقومون من الركوع، و فى (تفسير القمى) قال الصادق عليه السلام: «إنَّ لله ملائكة رُكَّعا إلى يوم القيامة، و إنَّ لله ملائكة سجدا إلى يوم القيامة»<sup>٢٠١٨</sup>.

«و صاقون» أقدامهم فى القيام بين يديه تعالى.

«لا يتزايلون» عن مواضعهم.

«و مسبحون» أى: منزهون له تعالى.

«لا يسأمون» أى: لا يملّون من تسبيحه، قال تعالى - كما فى التفسير - حكاية عن جبرئيل عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه و آله: «و ما مِنَّا إلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ»<sup>٢٠١٩</sup>، و قبله و إن كان «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا»<sup>٢٠٢٠</sup>، إلَّا أَنَّ المراد بالجنة هنا الملائكة، حيث زعموا أنّهم بناته، تعالى عن ذلك، و قال تعالى: «فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ»<sup>٢٠٢١</sup>، و قال: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»<sup>٢٠٢٢</sup>.

«لا يغشاهم نوم العين» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (العيون) كما فى

ص: ٥٣٧

(ابن أبى الحديد و الخطيب)<sup>٢٠٢٣</sup>، و أمّا ما رواه (الإكمال) عن داود بن فرقد عن بعض أصحابنا عن الصادق عليه السلام: ما من حىّ إلّا و هو ينام ما خلا الله وحده عزّ و جلّ، و الملائكة ينامون.

فقلت: يقول الله تعالى: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»، فقال:

أنفاسهم تسبيح<sup>٢٠٢٤</sup>، فالذال على نومهم مرسل، و التعليل الذى فيه عليل، فإنّه تعالى فى مقام بيان إظهار عظمته بخلقه من لا يفتقر عن عبادته فرقا بينه و بين البشر، و لو احتسب النفس تسبيحا لأمكن ذلك فى البشر أيضا.

<sup>٢٠١٨</sup> (٢) تفسير القمى ٢: ٢٠٦، و أخرج معناه ابن جرير و أبو نعيم فى حلية الأولياء عنهما الدرّ المنثور ١: ٤٦.

<sup>٢٠١٩</sup> (٣) الصافات: ١٦٤ - ١٦٥.

<sup>٢٠٢٠</sup> (٤) الصافات: ١٥٨.

<sup>٢٠٢١</sup> (٥) فصلت: ٣٨.

<sup>٢٠٢٢</sup> (٦) الأنبياء: ٢٠.

<sup>٢٠٢٣</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٩، لكن فى شرح ابن ميثم ١: ١٣٢ «العين» أيضا.

وَأَمَّا مَا فِي عِلْلِ ابْنِ هَاشِمٍ: «سئل الصادق عليه السَّلام عن الملائكة: يأكلون و يشربون و ينكحون؟ فقال: لا، إنَّهم يعيشون بنسيم العرش. فقيل له: فما العلة في نومهم؟ فقال: فرقا بينهم و بين الله تعالى، لأنَّ الذي لا تأخذه سنة و لا نوم هو الله تعالى»<sup>٢٠٢٥</sup> فمرسل أيضا، و مخالف للآيات المتقدِّمة. إلَّا أنَّ الراونديَّ كأنه جمع بين الخيرين و بين قوله عليه السَّلام هنا، فقال: قوله عليه السَّلام: «لا يغشاهم» يقتضى أنَّ لهم نوما قليلا لا يغفلهم، فأما الباري سبحانه و تعالى فإنَّه لا تأخذه سنة و لا نوم أصلا<sup>٢٠٢٦</sup>.

«و لا سهو العقول» هكذا في النسخ<sup>٢٠٢٧</sup>، و لا يبعد أن يكون (العقول) مصحَّف (الغفلات) لعدم مناسبة لإضافة السَّهْو إلى العقول، يشهد للاستظهار ما في دعاء الصحيفة في الملائكة: «و لا يقطعهم عن تعظيمك سهو

ص: ٥٣٨

الغفلات»<sup>٢٠٢٨</sup>، اللهمَّ إلَّا أن يقال: إنَّ عقول البشر لما كانت ناقصة و يقع منها الخطأ نفى ذلك عن الملائكة، لكنَّ الانصاف أنَّ العقل لا يسهو، و إذا عجز عن فهم شيء لا يحكم، لا أنَّه يحكم خطأ، كيف يحكم خطأ و هو الرُّسول الباطن، و لولاه لم يغن الرُّسول الظاهر؟! قال الباقر عليه السَّلام: لما خلق الله العقل قال له: أقبل. فأقبل، ثمَّ قال له: أدبر.

فأدبر، فقال: و عزَّتى و جلالى ما خلقت خلقا أحسن منك، إيَّاك أمر، و إيَّاك أنهى، و إيَّاك أئيب، و إيَّاك أعاقب<sup>٢٠٢٩</sup>.

و بالجملة للبشر سهو الغفلات، قالوا: قال قتادة يوما: ما نسيت شيئا قط. ثمَّ قال لغلامه: ناولنى نعلى. فقال له: نعلك في رجلك.

و فى (ميزان الذهبى) قال الكلبي محمد بن السائب: ما حفظت شيئا نسيت، و حضر (عقيب الكلام) الحجام فأوما إلى لحيته، و فقبض قبضة فأراد أن يقول: خذ من ها هنا. فقال: خذ من ها هنا. فأخذها من وراء القبضة<sup>٢٠٣٠</sup>.

«و لا فترة الأبدان» أى: انكسارها.

<sup>٢٠٢٤</sup> (٢) كمال الدين للصدوق: ٦٦٦، و يسمى هذا الكتاب (كمال الدين) أيضا.

<sup>٢٠٢٥</sup> (٣) أخرجه محمد بن على بن إبراهيم فى العلل عنه البحار ٥٩: ١٩٣ ح ٥٤. و هذا الكتاب من الكتب المفقودة.

<sup>٢٠٢٦</sup> (٤) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ٣٠.

<sup>٢٠٢٧</sup> (٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٩، و شرح ابن ميثم ١: ١٣٢، و نهج البلاغة ١: ١٩.

<sup>٢٠٢٨</sup> (١) الصحيفة السجادية: ٣٥، الدعاء ٣.

<sup>٢٠٢٩</sup> (٢) أخرجه الكليني بطريقتين فى الكافي ١: ١٠، ح ١، و: ٢٦، ح ٢٦، و البرقى بخمس طرق فى المحاسن: ١٩٢، ح ٤-٨، و الصدوق فى أماليه: ٣٤٠، ح ٥، المجلس ٦٥، و صاحب مسند زيد بن على: ٤٠٩، و جمع آخر و روايات أخرى مرّ تخريجه فى العنوان ٢٣ من الفصل الأول.

<sup>٢٠٣٠</sup> (٣) ميزان الاعتدال ٣: ٥٥٦.

«و لا غفلة النسيان» فإنَّ كلَّ ذلك مختصّ بالبشر، قال الصدوق في (اعتقاداته): الملائكة روحانيون معصومون، لا يعصون الله ما أمرهم، و يفعلون ما يؤمرون، لا يأكلون و لا يشربون، و لا يألمون و لا يسقمون، و لا يشيبون و لا يهرمون، طعامهم و شرابهم التسبيح و التقديس، و عيشهم من نسيم العرش، و تلذّذهم بأنواع العلوم. خلقهم الله بقدرته أنواراً

ص: ٥٣٩

و أرواحا كما شاء و أراد<sup>٢٠٣١</sup>.

ثمَّ إنَّه عليه السّلام جعل الساجدين و الراكعين و الصّافين و المسيّحين طورا واحدا، لأنَّه يجمعهم العبادة المستغرقة لأوقاتهم، و أمّا سلبه النوم و السّهو و الفترة و الغفلة عن هؤلاء، مع أنّ الظاهر شمولها لجميع الأصناف، فلعله لكون هؤلاء مظنة هذه الأمور بأن يقطع عبادتهم النوم أو الفترة أو السّامة، أو يحصل لهم السّهو و الغفلة فيها، و عنها.

و يمكن أن يكون حصل في الكلام تقديم و تأخير، و أنّ قوله عليه السّلام: «لا يغشاهم ... و لا غفلة النسيان» كان بعد قوله: «أطوارا من ملائكته».

«و منهم أمناء على وحيه» قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ»<sup>٢٠٣٢</sup>.

قال الصدوق: اعتقادنا في كيفية نزول الوحي أنّ بين عيني إسرافيل لوحا، إذا أراد الله أن يتكلّم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل، فنظر فيه فيقرأ ما فيه، فيلقيه إلى ميكائيل، و يلقيه ميكائيل إلى جبرئيل، فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء<sup>٢٠٣٣</sup>.

«و ألسنة إلى رسله» قال تعالى: «و لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى»<sup>٢٠٣٤</sup>، و قال: «قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ»<sup>٢٠٣٥</sup>، و قال: «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ»

ص: ٥٤٠

«بُصِّلَى فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى»<sup>٢٠٣٦</sup>.

<sup>٢٠٣١</sup> (١) الاعتقادات للصدوق: ٣٤.

<sup>٢٠٣٢</sup> (٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٤.

<sup>٢٠٣٣</sup> (٣) الاعتقادات للصدوق: ٣٠.

<sup>٢٠٣٤</sup> (٤) هود: ٦٩.

<sup>٢٠٣٥</sup> (٥) هود: ٨١.

<sup>٢٠٣٦</sup> (١) آل عمران: ٣٩.

«و مختلفون بقضائه و أمره» قال تعالى: «و لو أنزلنا ملكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ»<sup>٢٠٣٧</sup>، «فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْراً»<sup>٢٠٣٨</sup>، «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا»<sup>٢٠٣٩</sup>، «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ»<sup>٢٠٤٠</sup>.

«و منهم الحفظة لعباده» قال تعالى: «و هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ»<sup>٢٠٤١</sup>.

و فى الخبر: أن مع كل إنسان ملكين يحفظانه من أن يقع من سطح أو يتردى فى بئر، فإذا جاء أجله خلياها<sup>٢٠٤٢</sup>.

و فى (اعتقادات الصدوق): أن كل صنف من الملائكة يحفظ نوعا مما خلق<sup>٢٠٤٣</sup>.

هذا إذا أريد بقوله عليه السّلام: «الحفظة لعباده» الحفظة لأنفسهم، و يمكن أن يراد به الأعم منها و من الحفظة لأعمالهم، فقد قال تعالى: «وَ إِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»<sup>٢٠٤٤</sup>.

ص: ٥٤١

و فى خبر: سئل الصادق عليه السّلام: ما علّة الملائكة الموكّلين بعباده يكتبون عليهم و لهم، و الله عالم السرّ و ما هو أخفى؟ قال عليه السّلام: استعبدهم بذلك، و جعلهم شهودا على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة، و عن معصيته أشدّ انقباضا، و كم عبد يهّم بمعصيته، فذكر مكانهم فارعوى و كفّ فيقول: ربّى يرانى، و حفظتى علىّ بذلك تشهد. و إنّ الله برأفته و لطفه أيضا و كلّهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشيطان و هوامّ الأرض و آفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله تعالى<sup>٢٠٤٥</sup>.

«و السّدنة» بفتح السين و الدّال، أى: الخزنة.

<sup>٢٠٣٧</sup> (٢) الأنعام: ٨.

<sup>٢٠٣٨</sup> (٣) الذاريات: ٤.

<sup>٢٠٣٩</sup> (٤) الأحزاب: ٩.

<sup>٢٠٤٠</sup> (٥) آل عمران: ١٢٤ - ١٢٥.

<sup>٢٠٤١</sup> (٦) الأنعام: ٦١.

<sup>٢٠٤٢</sup> (٧) التوحيد للصدوق: ٣٦٨ ح ٥، و تفسير العياشى ٢: ٢٠٥ ح ١٦، و تفسير القمى ١: ٣٦٠ و النقل بالمعنى.

<sup>٢٠٤٣</sup> (٨) الاعتقادات للصدوق: ٣٥.

<sup>٢٠٤٤</sup> (٩) الانفطار: ١٠ - ١٢.

<sup>٢٠٤٥</sup> (١) الاحتجاج للطبرسى: ٣٤٨.

«لأبواب جنانه» و الظاهر سقوط كلمة (و نيرانه) بعد (جنانه) من الرواة، ليكون موافقا لقوله تعالى: «و سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها و فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين»<sup>٢٠٤٦</sup>، و قوله تعالى: «و سيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى و لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين»<sup>٢٠٤٧</sup>.

«و منهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم» و في نسخة من (ابن أبي الحديد): «في الأرض السفلى أقدامهم»<sup>٢٠٤٨</sup>، و هو الأصح.

«و المارقة» أي: المتجاوزة.

«من السماء العليا أعناقهم، و الخارجة من الأفطار» أي: أقطار

ص: ٥٤٢

السموات و الأرض.

«أركانهم» أي: جوانبهم و جوارحهم، روى الصدوق في (توحيده) عن زيد ابن وهب قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله تعالى، فقام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: إن لله تعالى ملائكة لو أن ملكا منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه و كثرة أجنحته، و منهم من لو كلفت الجن و الإنس أن يصفوه ما يصفوه لبعث ما بين مفاصله و حسن تركيب صورته، و كيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكببيه و شحمته أذنيه، و منهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، و منهم من السماوات إلى حجزته، و منهم من قدمه على غير قرار، في جو الهواء الأسفل، و الأرضون إلى ركبتيه، و منهم من لو التقى في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، و منهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجزت دهر الداهرين<sup>٢٠٤٩</sup>.

و في (تفسير القمي) عن الصادق عليه السلام: إن لله ملكا بعد ما بين شحمته أذنيه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير<sup>٢٠٥٠</sup>.

و قال عليه السلام في خبر المعراج: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ثم صعدنا إلى السماء السابعة - إلى أن قال - و ملكا من ملائكة الله خلقه كما أراد، رجلاه في تخوم الأرضين السابعة، ثم أقبل مصعدا حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة، و

<sup>٢٠٤٦</sup> (٢) الزمر: ٧٣.

<sup>٢٠٤٧</sup> (٣) الزمر: ٧١.

<sup>٢٠٤٨</sup> (٤) في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠ «الأرضين» أيضا.

<sup>٢٠٤٩</sup> (١) التوحيد للصدوق: ٢٧٧ ح ٣.

<sup>٢٠٥٠</sup> (٢) تفسير القمي ٢: ٢٠٦، و الكافي للكليبي ٨: ٢٧٢، ح ٤٠٥، و التوحيد للصدوق: ٢٨١ ح ٨.

انتهى فيها مصعدا حتى استقرَّ قرنه إلى قرب العرش، وهو يقول: سبحان ربي ... و له جناحان في منكبیه إذا نشرهما جاوزا المشرق و المغرب<sup>٢٠٥١</sup>.

«و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم» حتى تحتل حملها، في (اعتقادات

ص: ٥٤٣

الصدوق): حملة العرش ثمانية من الملائكة، لكل واحد منهم ثمانية أعين، كل عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة بنى آدم يسترزق الله تعالى لولد آدم، و واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها، و واحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسمك، و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله تعالى للطيور، فهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية<sup>٢٠٥٢</sup>.

و لكن قال شيخنا المفيد: الأحاديث التي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد، و روايات أفراد لا يجوز القطع بها، و لا العمل عليها، و الوجه الوقوف عندها، و القطع على أن الأصل في العرش هو الملك، و العرش المحمول جزء من الملك تعبد الله، بحمله الملائكة<sup>٢٠٥٣</sup>.

«ناكسة» أي: خافضة.

«دونه» تعالى.

«أبصارهم» في دعاء الصحيفة في الملائكة: «الخشع الأبصار، فلا يرومون النظر إليك، النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم في ما لديك»<sup>٢٠٥٤</sup>.

و قال ابن أبي الحديد: الضمير في (دونه) راجع إلى العرش<sup>٢٠٥٥</sup>.

قلت: قال ذلك لعدم إمكان النظر من أحد حتى الملائكة إليه تعالى، لكن الظاهر رجوع الضمير إليه تعالى، و كون الكلام استعارة، مثل قوله تعالى:

«وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»<sup>٢٠٥٦</sup>.

<sup>٢٠٥١</sup> (٣) تفسير القمي ٢: ١٠، و التوحيد للصدوق: ٢٧٩ ح ٤.

<sup>٢٠٥٢</sup> (١) الاعتقادات للصدوق: ١١، و مرّ تخريج أحاديثه في العنوان ٢٩ من الفصل الأول.

<sup>٢٠٥٣</sup> (٢) تصحيح الاعتقاد للمفيد: ٣١.

<sup>٢٠٥٤</sup> (٣) الصحيفة السجادية: ٣٥، الدعاء ٣.

<sup>٢٠٥٥</sup> (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠.

ص: ٥٤٤

«متلفعون» أى: مشتملون، قال الشاعر:

لم تتلفع بفضل مئزرها

٢٠٥٧ «تحتة بأجنتهم» فلا يفارقون مراكزهم.

«مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة و أستار القدرة» هكذا فى النَّسخ<sup>٢٠٥٨</sup>، و لا يبعد أن يكون وقع فى الكلام تحريف، و أن الأصل «مضروبة بينه وبينهم حجب العزة و أستار القدرة» كما لا يخفى.

و عن الصادق عليه السَّلام: الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي، و الكرسيّ جزء من سبعين جزءا من نور العرش، و العرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب، و الحجاب جزء من سبعين جزءا من نور السَّتر...<sup>٢٠٥٩</sup> و روى القمى عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله قال: قال جبرئيل: إنّ بين الله و بين خلقه سبعين ألف حجاب، و أقرب الخلق إلى الله أنا و إسرافيل و بيننا و بينه أربعة حجب. و فى الخبر العامى عن جبرئيل، قال: لله دون العرش سبعون حجابا، لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجهه<sup>٢٠٦٠</sup>.

«لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير، و لا يجرون عليه صفات المصنوعين، و لا يحدّونه بالأماكن، و لا يشيرون إليه بالنظائر» لكمال معرفتهم به تعالى، و انكشاف الحقائق عليهم، لا ككثير من البشر الخاطبين.

فى (ملل الشهرستاني): و أمّا المشبّهة الحشوية، فذكر الأشعري عن محمّد بن عيسى أنّه حكى عن نصر، و كهمش و أحمد الهجيمى أنّهم أجازوا على ربّهم الملامسة و المصافحة، و أنّ المخلصين من المسلمين يعاينونه فى

ص: ٥٤٥

الدّنيا و الآخرة إذا بلغوا من الرياضة و الاجتهاد إلى حدّ الاخلاص و الاتحاد المحض. حكى الكعبى عن بعضهم يزورونه و يزورهم، و حكى عن داود الخوارزمىّ قال: اعفونى عن الفرج و اللّحية و اسألونى عمّا وراء ذلك. و قال: إنّ معبودهم جسم و

<sup>٢٠٥٦</sup> (٥) القيامة: ٢٢-٢٣.

<sup>٢٠٥٧</sup> (١) لسان العرب ٨: ٣٢١ مادة (لفع) و البيت لجرير، و ذيله: دعد و لم تغذ دعد بالعب.

<sup>٢٠٥٨</sup> (٢) كذا فى نهج البلاغة ١: ٢٠، و شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٠، و شرح ابن ميثم ١: ١٣٢.

<sup>٢٠٥٩</sup> (٣) التوحيد للصدوق: ١٠٨، ح ٣.

<sup>٢٠٦٠</sup> (٤) تفسير القمى ٢: ١٠ ضمن حديث طويل، و فى بعض نسخه: «تسعون ألف حجاب».

لحم و دم، و له جوارح و أعضاء من يد و رجل و رأس و لسان و عيين و أذنين. قال: و حكى أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك، و أن له و فرء سوداء، و له شعر ققط ... و زادوا في الأخبار أكاذيب نسبوها إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و أكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباخ، حتى قالوا: اشتكت عيناه فعداته الملائكة، و بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، و أن العرش ليئط من تحته كأطيط الرجل الجديد، و أنه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع. و روى المشبهة أن النبي صلى الله عليه و آله قال: لقيني ربى فصافحني و كافحني، و وضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله<sup>٢٠٦١</sup>.

إلى آخر ما نقل عنهم من الترهات. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٢

من الخطبة (٨٩) منها في صفة الملائكة: ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته - و عمارة الصفيح الأعلى من ملكوته - خلقاً بديعاً من ملائكته - و ملأ بهم فروج فجاجها و حشا بهم فتوق أجوائها - و بين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين - منهم في حظائر القدس - و سترات الحجب و سرادفات المجد - و وراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع - سبحات نور تدع الأبصار عن بلوغها - فتقف خاسئة على حذودها -.

ص: ٥٤٦

أنشأهم على صور مختلفات و أقدار متفاوتات - «أولى أجنحة» تسبح جلال عزته - لا يتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته - و لا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به - «بل عباداً مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون»<sup>٢٠٦٢</sup> - جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه - و حملهم إلى المرسلين و دائع أمره و نهييه - و عصمهم من ريب الشبهات - فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته - و أمدهم بفوائد المعونة - و أشعر قلوبهم تواضع إحيات السكينة - و فتح لهم أبواباً دللاً إلى تماجيده - و نصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيديه - لم تتقلهم مؤصرات الأنام - و لم ترتحلهم عقب الليالي و الأيام - و لم ترم الشكوك بنازعها عزيمة إيمانهم - و لم تعترك الظنون على معاقد يقينهم - و لا قدحت قاذحة الإحن فيما بينهم - و لا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم - و ما سكن من عظمتيه و هيبة جلالته في أثناء صدورهم - و لم تطمع فيهم الوسوس فتتزعج بربيها على فكرهم - منهم من هو في خلق الغمام الدلح - و في عظم الجبال الشمخ و في فترة الظلام الأيهم - و منهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى - فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء - و تحتها ريح هفافة - تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية - قد استفرغتهم أشغال عبادته - و وصلت حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته - و قطعهم الإيقان به إلى الوله إليه - و لم تجاوز رعباتهم ما عنده إلى ما عنده غيره - قد ذاقوا حلاوة معرفته - و شربوا بالكأس الروية من محبته - و تمكنت من سويداء قلوبهم و شبيجة

<sup>٢٠٦١</sup> (١) الملل و النحل : ١ - ٩٦.

<sup>٢٠٦٢</sup> (١) الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

خَيْفَتِهِ - فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ - وَ لَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ - وَ لَأِ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رَبِّقَ خُشُوعِهِمْ - وَ لَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْتَبُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ - وَ لَأِ تَرَكْتُ لَهُمْ اسْتِكَانَةَ الْأَجْلَالِ - نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ - وَ لَمْ تَجْرُ الْفُتْرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ - وَ لَمْ تَعْضُ رَعَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ - وَ لَمْ تَجْفَ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ الْأَسْنَنِهِمْ - وَ لَأِ مَلَكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ - وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ - وَ لَمْ يُشْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابُهُمْ - وَ لَأِ تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جَدِّهِمْ بِلَادَةَ الْغَفَلَاتِ - وَ لَأِ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ - قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ - وَ يَمَمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بَرَعْبَتِهِمْ - لَأِ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ - وَ لَأِ يَرْجِعُ بِهِمُ الْإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ - إِلَّا إِلَى مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ - لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيُنُوا فِي جَدِّهِمْ - وَ لَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ - فَيُؤَثِّرُوا وَشِيكَ السَّعَى عَلَى اجْتِهَادِهِمْ - وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ - وَ لَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنْسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِّهِمْ - وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ - وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَ لَأِ تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ - وَ لَأِ شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرَّيْبِ - وَ لَأِ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمَمِ - فَهَمُّ أُسْرَاءِ إِيْمَانٍ لَمْ يُفَكِّهُمْ مِنْ رَبِّقَتِهِ زَنْعٌ وَ لَأِ عُدُولٌ - وَ لَأِ وَئِي وَ لَأِ فُتُورٌ - وَ لَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابِ إِلَّا وَ عَلَيْهِ مَلِكٌ سَاجِدٌ - أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا - وَ تَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عَظْمًا أَقُولُ: رَوَاهُ أُمَّةٌ غَرِيبٌ اللَّعْنَةُ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ نَقْلِ بَعْضِ فَقَرَاتِهِ

في (النهاية) ٢٠٦٣ .

«تم خلق الله»

«سبحانه لإسكان سماواته» كإسكان أرضه.

«و عماره» مصدر عمريت الخراب.

«الصفيح» أى: الجانب.

«الأعلى» أى: السماء، و قال الجزرى: الصفيح من أسماء السماء، و منه حديث على عليه السلام «و عماره الصفيح الأعلى من ملكوته» ٢٠٦٤ .

«من ملكوته» فى (الصاح): الملكوت من الملك كالرهوت من الرهبة، يقال له: ملكوت العراق، و ملكوة العراق أيضا مثال الترقوة، و هو الملك و العز ٢٠٦٥ .

٢٠٦٣ (١) النهاية لابن الأثير ٣: ٣٥ مادة (صفح).

٢٠٦٤ (٢) النهاية لابن الأثير ٣: ٣٥ مادة (صفح).

«خلقاً بديعاً من ملائكته ملأ بهم فروج» أى: شقوق.

«فجاجها» أى: طرفها الواسعة.

«و حشا بهم» أى: جعلهم فى حشو.

«فتنوق» أى: شقوق.

«أجوائها» أى: متسعها، فى خبر ابن أبى العوجاء مع الصادق عليه السلام أنه عليه السلام قال له فى مقام إقناعه: لو كان الأمر كما تقولون لم يضرّ بالمتدينين، وإن كان كما يقولون فأنتم هالكون. فقال له ابن أبى العوجاء: ما قولى و قولهم إلّا واحداً. فقال عليه السلام له: كيف يكون كذلك و هم يقولون: إن لهم معادا و ثوابا و عقابا، و يدينون بأنّ فى السماء إلهاً و أنّها عمران، و أنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد<sup>٢٠٦٦</sup>؟

ص: ٥٤٩

«و بين فجوات» أى: ساحات.

«تلك الفروج» أى: الشقوق المتقدمة فى قوله عليه السلام: «فروج فجاجها».

«زجل» بفتحيتين، أى: صوت.

«المسبّحين منهم فى حظائر القدس» و الأصل فى الحظر المنع، و سمّيت السماوات التى هى محالّ الملائكة حظائر القدس، لأنّ الشياطين - و هم أهل الرجس - ممنوعون منها.

«و سترات الحجب و سرادقات المجد» يمكن أن يكون (السترات) و (السرادقات) استعارة كما فى قول رؤبة:

سرادق المجد عليك ممدود

يا حكم بن المنذر بن الجارود

<sup>٢٠٦٥</sup> (٣) صحاح اللغة ٤: ١٦١٠ مادة (ملك).

<sup>٢٠٦٦</sup> (٤) الكافى للكلىنى ١: ٧٤ ح ٢، و التوحيد للصدوق: ١٢٥ ح ٤ ضمن حديث طويل و النقل بالمعنى.

<sup>٢٠٦٧</sup> و يمكن أن تكونا حقيقة، ففي خير زيد بن وهب عنه عليه السّلام: الحجب سبعة، غلظ كلّ حجاب مسيرة خمسمائة عام ... ثمّ سرادقات الجلال، و هي سبعون سرادقا، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك، بين كلّ سرادق و سرادق مسيرة خمسمائة عام <sup>٢٠٦٨</sup>.

«و وراء ذلك الرّجيج» الأصل في الرّجيج الحركة الشديدة، كقوله تعالى:

«إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا» <sup>٢٠٦٩</sup>. و لازم الحركة الشديدة تولد صوت، كقوله عليه السّلام في ذى النديّة: «و أمّا شيطان الرّدهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه و رجّة صدره» <sup>٢٠٧٠</sup>. ثمّ الإشارة إلى الرّجيج في قوله: «ذلك الرّجيج» مع عدم لفظه إنّما هو لتقدّمه بمعناه في قوله: «زجل المسّبحين منهم».

«الذى تستكّ منه الأسماع» أى: تذهب منه السامعة، قال عبيد بن الأبرص:

ص: ٥٥٠

دعا معاشر فاستكّت مسامعهم <sup>٢٠٧١</sup> و الأصل في السكّ اصطلام الأذن و قطعها، و فى الخبر مرّ صلى الله عليه و آله بجدى أسك <sup>٢٠٧٢</sup>.

«سبحات نور» أى: تجلّياته و لمعاته.

«تردع» أى: تكفّ.

«الأبصار عن بلوغها» و المراد استكاك أسمع البشر، و ردع أبصارهم لو فرض بلوغهم إلى ذلك المحلّ، و يمكن أن يقرأ (الرّجيج) بالرفع مبتدأ لقوله:

(وراء)، و يكون (سبحات) مصحّف (و سبحات) عظفا على (الرّجيج)، و حينئذ فالمراد: استكاك أسمع الملائكة و ردع أبصارهم، و يشهد له ما فى (النهاية) أنّ فى الخبر: قال جبرئيل: لله دون العرش سبعون حجابا لو دوننا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربّنا <sup>٢٠٧٣</sup>.

<sup>٢٠٦٧</sup> (١) لسان العرب ١٠: ١٥٨ مادة (سردق).

<sup>٢٠٦٨</sup> (٢) التوحيد ٢٧٧ ح ٣، و الخصال للصدوق: ٤٠٠ ح ١٠٩، باب السبعة.

<sup>٢٠٦٩</sup> (٣) الواقعة: ٤.

<sup>٢٠٧٠</sup> (٤) رواه الشريف الرضى ضمن الخطبة القاصعة فى نهج البلاغة ٢: ١٥٦، الخطبة ١٩٠.

<sup>٢٠٧١</sup> (١) لسان العرب ١٠: ٤٤٠ مادة (سكك). و ذيله: يا لهف نفسى لو يدعو بنى أسد.

<sup>٢٠٧٢</sup> (٢) صحيح مسلم ٤: ٢٢٧٢ ح ٢، و مسند أحمد ٣: ٣٦٥، و الكافى للكلىنى ٢: ١٢٩ ح ٩، و الزهد الأهوازى: ٤٩ عن جابر.

<sup>٢٠٧٣</sup> (٣) رواه الكيذرى فى شرحه ٢: ٥٢٦، و أبو الشيخ و ابن مردويه عنهما الدرّ المنثور ١: ٩٣.

«فتقف» أى: الأبصار.

«خاسئة» أى: كليلة.

«على حدودها» و لا تتجاوز.

«أنشأهم على صور مختلفات، و أقدار متفاوتات» مرّ في سابقه ٢٠٧٤ قوله عليه السّلام:

«و منهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم، و المارقة من السماء العليا أعناقهم، و الخارجة من الأقطار أركانهم، و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم.

و مرّت ثمة أخبار فى ذلك.

ص: ٥٥١

«أولى أجنحة» قال تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مِّننَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ٢٠٧٥.

«تسبيح جلال عزّته» قال تعالى: «فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ» ٢٠٧٦. و إسناد التسبيح إلى جلال عزّته للمبالغة، كقوله تعالى: «أَكْرَمِي مَثْوَاهُ» ٢٠٧٧. و أمّا (تسبيح) بلفظ الإفراد فالظاهر كونه صفة (أجنحة) فإن لم يكن (تسبيح) مصحّف (يسبحون) يدلّ الكلام على تسبيح أجنحة الملائكة له تعالى أيضا، و ورد تسبيح أجنحتهم، و باقى أعضائهم له تعالى.

ففى خبر عن جميل عن الصادق عليه السّلام: إنّ فى السّماوات السّبع لبحارا عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله تعالى، و الماء إلى ركبهم، ليس فيهم ملك إلّا و له ألف و أربعائة جناح، فى كلّ جناح أربعة وجوه، فى كلّ وجه أربعة ألسن، ليس فيها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلّا و هو يسبح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه ٢٠٧٨.

و فى خبر عن ابن عبّاس عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله: إنّ لله تعالى ملائكة ليس شىء من أطباق أجسادهم إلّا و هو يسبح الله تعالى و يحمده من ناحية بأصوات مختلفة ٢٠٧٩.

٢٠٧٤ (٤) مرّ فى هذا الفصل العنوان ١.

٢٠٧٥ (١) فاطر: ١.

٢٠٧٦ (٢) فصلت: ٣٨.

٢٠٧٧ (٣) يوسف: ٢١.

٢٠٧٨ (٤) التوحيد للصدوق: ٢٨١ ح ٩.

«لا يتحلون» أى: لا يدعون لأنفسهم.

«ما ظهر فى الخلق من صنعته» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (من)

ص: ٥٥٢

صنعه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة)<sup>٢٠٨٠</sup>، «و يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ»<sup>٢٠٨١</sup>.

«و لا يدعون أنهم يخلقون شيئاً مما انفرد به» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (شيئاً معه مما انفرد به) كما فى الثلاثة<sup>٢٠٨٢</sup>، قال تعالى حكاية عنهم:

«وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَ مَا خَلْفَنَا وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا»<sup>٢٠٨٣</sup>.

«بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِ يَعْمَلُونَ» اقتباس من الآية فى سورة الأنبياء و قبلها «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ»<sup>٢٠٨٤</sup>، و بعدها «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَ هُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ»<sup>٢٠٨٥</sup>.

«جعلهم فى ما هنالك أهل الأمانة على وحيه» فلا يمكن خيانتهم فيه «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»<sup>٢٠٨٦</sup>.

«و حملهم» بلفظ المصدر عطفا على (وحيه).

«إلى المرسلين ودائع أمره و نهيته» لا كما يقول الغلاة من أن الله تعالى أرسل جبرئيل إلى علىّ عليه السلام فذهب إلى محمد صلى الله عليه و آله.

ص: ٥٥٣

«و عصمهم» أى: حفظهم.

<sup>٢٠٧٩</sup> (٥) التوحيد للصدوق: ٢٨٠ ح ٦.

<sup>٢٠٨٠</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٨، و لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٥١ «صنعه» أيضا.

<sup>٢٠٨١</sup> (٢) سبأ: ٤٠ - ٤١.

<sup>٢٠٨٢</sup> (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٨، و لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٥١ «شيئاً مما» أيضا.

<sup>٢٠٨٣</sup> (٤) مريم: ٦٤.

<sup>٢٠٨٤</sup> (٥) الأنبياء: ٢٦.

<sup>٢٠٨٥</sup> (٦) الأنبياء: ٢٨.

<sup>٢٠٨٦</sup> (٧) الشعراء: ١٩٣.

«من ريب» أى: شك.

«الشبهات» أى: ريب يعرض من الشبهات، قال شيخنا المفيد: إن الملائكة معصومون ممّا يوجب لهم العقاب بالنار، و على هذا القول جمهور الإمامية، و سائر المعتزلة، و أكثر المرجئة، و جماعة من أصحاب الحديث، و قد أنكر قوم من الإمامية أن يكون الملائكة مكلفين، و زعموا أنّهم إلى الأعمال مضطرون، و وافقهم على ذلك جماعة من أصحاب الحديث<sup>٢٠٨٧</sup>.

قلت: فيكون حال الملائكة عند أولئك حال الشمس و القمر و النجوم فى طلوعها و غروبها حيث سخّرت على ذلك، و يردهم قوله تعالى: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»<sup>٢٠٨٨</sup>، و قوله تعالى: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»<sup>٢٠٨٩</sup>، و قوله تعالى: «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»<sup>٢٠٩٠</sup> الآية المذكورة فى كلامه عليه السلام، و يردهم قوله عليه السلام فى العنوان: «لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه ...

فتفتتح برينها على فكرهم»، و قوله عليه السلام: «قد استفرغتهم ... فى قلوبهم عظما».

و أى شىء يقولون فى قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ...»<sup>٢٠٩١</sup>، و أى شىء يقولون فى قوله تعالى: «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا»

ص: ٥٥٤

«لَا دَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِيَّائِى»<sup>٢٠٩٢</sup> \*.

«فما منهم زائغ» أى: مائل.

«عن سبيل مرضاته» تعالى.

«و أمدهم بفوائد المعونة» هكذا فى النسخ<sup>٢٠٩٣</sup>، و الصواب: (بعوائد المعونة)، أى: أمدهم بالإعانة بدءا و عودا، و أمّا (فوائد) بالفاء فلا معنى له هنا.

<sup>٢٠٨٧</sup> (١) أوائل المقالات للمفيد: ٨٢.

<sup>٢٠٨٨</sup> (٢) التحريم: ٦.

<sup>٢٠٨٩</sup> (٣) النحل: ٥٠.

<sup>٢٠٩٠</sup> (٤) الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

<sup>٢٠٩١</sup> (٥) البقرة: ٣٠ - ٣٣.

<sup>٢٠٩٢</sup> (١) البقرة: ٣٤.

<sup>٢٠٩٣</sup> (٢) كذا فى نهج البلاغة ١: ١٦٩، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٨، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٥١.

قال الخوئي: قال الفيومي: معونة مفعلة، و جعله بعضهم فعولة من الماعون<sup>٢٠٩٤</sup>.

قلت: إن ما قاله خلط، فلا خلاف في أن (المعونة) من (العون)، و إنما الخلاف في (الماعون)، هل هو من المعن أو العون.

«و أشعر قلوبهم» أي: جعل كالشعار لها.

«تواضع إخبارات» مصدر أخبت، أي: خشع.

«السكينة» أي: السكون و الطمأنينة و الوقار، قال تعالى: «و يُسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»<sup>٢٠٩٥</sup>.

و في حديث المعراج: إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط، و لا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها، و لا خفضوها إلى ما تحتها خوفا من الله و خشوعا<sup>٢٠٩٦</sup>.

«و فتح لهم أبوابا ذللا» أي: بلا صعوبة.

«إلى تماجيده» أي: تسايحه جمع التمجيد، قال تعالى: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ»

ص: ٥٥٥

«و النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»<sup>٢٠٩٧</sup>.

«و نصب لهم منارا واضحة» مرّ في خطبة الكتاب<sup>٢٠٩٨</sup> كون (منار) جمعا، و لذا وصف بالواضحة.

«على أعلام» متعلّق بقوله: و نصب، و الأعلام الجبال، و هو أحسن استعارة، كما في قول الخنساء في أخيها صخر:

كأنّه علم في رأسه نار

و إن صخرًا لتأتّم الهداء به

<sup>٢٠٩٩</sup> «توحيد» فلا يمكن أن يتطرق إليهم شك.

---

<sup>٢٠٩٤</sup> (٣) قاله الخوئي في شرحه ٣: ١٠٤، و الفيومي في المصباح المنير ٢: ١٠٤ مادة (عون). و النقل بالمعنى.

<sup>٢٠٩٥</sup> (٤) الرعد: ١٣.

<sup>٢٠٩٦</sup> (٥) تفسير القمي ٢: ٧.

<sup>٢٠٩٧</sup> (١) الأنبياء: ٢٠.

<sup>٢٠٩٨</sup> (٢) مرّ في شرح خطبة الرضى رحمه الله.

«لم تتقلهم» بالتشديد: أى: لم تجعلهم ثقلاء الحمل.

«موصرات» أى: مضيقات.

«الآثام» ككثير من الناس، قال تعالى: «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَاتَّقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيُسْئَلَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ»<sup>٢١٠٠</sup>.

«و لم ترتحلهم» هكذا فى النسخ<sup>٢١٠١</sup>، و الظاهر كونه تصحيف (و لم ترتحلهم).

«عقب» أى: تعاقب.

«الليالى و الأيام» الحاصلتين من طلوع الشمس و غروبها، أى: لم يحملهم تعاقب الليالى و الأيام على الرحلة كالتناس، قال الشاعر:

حتى إذا و اراك أفق فارجعى

أفناه قيل لله للشمس ارجعى

و ليس المعنى أن تعاقبهما لم يجعلهم راحلة له، كما فى خبر: إن ابني

ص: ٥٥٦

ارتحلنى<sup>٢١٠٢</sup> ... فلا معنى له هنا.

«و لم ترم» من الرمى.

«الشكوك بنوازعها» من: نزع فى القوس، أى: مدّها، و نسخة (بنوازعها) من (نزع الشيطان)، كما حكاه الخوئى<sup>٢١٠٣</sup> بلا مناسبة مع (لم ترم) من الرمى.

<sup>٢٠٩٩</sup> (٣) المطول: ٢٩٣، باب الايجاز.

<sup>٢١٠٠</sup> (٤) العنكبوت: ١٣.

<sup>٢١٠١</sup> (٥) كذا فى نهج البلاغة ١: ١٦٩، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٨، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٥٢.

<sup>٢١٠٢</sup> (١) الأصل أنه صلى الله عليه و آله سجد فركبه الحسن عليه السلام فأبطأ فى سجوده، فلما فرغ سئل عنه فقال: «إن ابني ارتحلنى فكرهت أن أعجله» أخرجه النسائى فى سننه ٢: ٢٢٩، و أحمد فى مسنده ٣: ٤٩٣، و ٦: ٤٦٧، و ابن عساکر بثلاث طرق فى ترجمة الحسن عليه السلام: ٩١ ح ١٥٤-١٥٦، و بطريقين فى ترجمة الحسين عليه السلام: ١٠٥ ح ١٤٢ و ١٤٣، و أبو يعلى فى مسنده عنه المطالب العالیه ٤: ٧٢ ح ٣٩٩٨، و الطبرى فى منتخب الذيل: ٦٣، و البغوى و الطبرانى و سعيد بن منصور عنهم منتخب كنز العمال ٥: ١٠٢.

نعم، إن قرئ (و لم ترم) بكسر الراء من (رام) أى: قصد يكون له ربط، لكنّه خلاف الظاهر حيث إنّ بعده (و لم تعترك).  
«عزيمة أيمانهم» أى: أيمانهم الثابت الذى لا يتزائل، بمعنى: أنّ الشكوك و إن كانت ذات روام نوازع لم تستطع أن تجعل  
إيمانهم هدفا لها.

«و لم تعترك» أى: و لم تقاتل، و الأصل فى العرك الدلك، و فى القتال يدللك كلّ من القرنين الآخر.

«الظنون على معاهد يقينهم» فتسلط على حلّه من قلوبهم، و المراد أنّ الملائكة لم يحصل لهم ظنون مخالفة ليقيناتهم فى  
المعارف الالهية كما قد يتفق للبشر، و ذكر الظنون بعد الشكوك كالاعتراك بعد الرمي فى غاية الحسن.

«و لا قدحت قاذحة» و القاذحة: الدودة التى تقع فى الأشجار و الأسنان، قال جميل:

ص: ٥٥٧

رمى الله فى عيني بثينة بالقذى  
و فى الغرّ من أنيابها بالقوادح

٢١٠٤ «الإحن» جمع الإحنة، أى: الحقد و الضغن. قال الشاعر:

إذا كان فى صدر ابن عمك إحنة  
فلا تستشرها سوف يبدو دفينها

٢١٠٥ «فى ما بينهم» ككثير من الناس.

«و لا سلبتهم الحيرة» أى: التحير و عدم الاهتداء.

«ما لاقى» أى: لصق، يقال: ما لاقى المرأة بقلب زوجها، أى: ما لصقت.

«من معرفته» أى: المعرفة له تعالى.

٢١٠٣ (٢) شرح الخوئى ٣: ١٠٤.

٢١٠٤ (١) لسان العرب ٢: ٥٥٥ مادة (قدح).

٢١٠٥ (٢) لسان العرب ١٣: ٩٠ مادة (إحن)، و الشاعر: الاقيبيل القينى.

«بضائرهم» متعلق بقوله: لاق.

«و ما سكن» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و سكن) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة)<sup>٢١٠٦</sup> عطفًا على لاق.

«من عظمته و هيبة جلالته فى أثناء» جمع تى.

«صدورهم» لا كبعض الناس الذين يسلب عنهم أيمانهم، كما حكى تعالى عن بعضهم: «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ»<sup>٢١٠٧</sup>.

«و لم تطمع فيهم الوسوس فتتزعج» قال ابن أبى الحديد: تتزعج من الاقتراع بالسهم بأن يتناوب كل من الوسوس عليها، و يروى (فتتزعج) بالفاء أى:

تعلو<sup>٢١٠٨</sup>.

قلت: معنى الافتعال من (قرع) بالقاف الاختيار، و ايقاد النار و ضرب

ص: ٥٥٨

القرعة، و من (فرع) بالفاء الافتضاض من (افتزع البكر) و لم يتعد أحدهما بعلى، و الظاهر كون الكلمة تحريف (فتفرغ) من قوله تعالى: «رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا»<sup>٢١٠٩</sup>.

«بربيها» من (الريبة)، و قرئ (برينها)<sup>٢١١٠</sup> من «رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»<sup>٢١١١</sup>، و الأول أقرب إلى الوسوس.

«على فكرهم» فيكون المعنى: لو كانت الوسوس تطمع فيهم، يمكن أن تفرغ ارتياباتها على فكرهم كالبشر، لكنهم ليسوا كذلك.

«منهم» الظاهر وقوع تقديم و تأخير، و أن قوله هذا إلى «من الحدود المتناهية» كان بعد قوله المتقدم: «و أقدار متفاوتات»، و قوله: «قد استفرغتهم» بعد «المتناهية» إلى آخر العنوان كان بعد قوله: «على فكرهم» ليكون كلامه عليه السلام فى وصف خلقتهم فى موضع، و فى وصف عبادتهم و طاعتهم فى موضع، و لا يكون الكلام مختلاً مختلاً.

<sup>٢١٠٦</sup> (٣) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٩، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٥٢ «و ما سكن» أيضا.

<sup>٢١٠٧</sup> (٤) الأعراف: ١٧٥.

<sup>٢١٠٨</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥١.

<sup>٢١٠٩</sup> (١) الأعراف: ١٢٦.

<sup>٢١١٠</sup> (٢) هذه رواية ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ١٤٩، و ابن ميثم فى شرحه ٢: ٣٥٢، و نهج البلاغة ١: ١٧٠، و الشارح نفسه فى متن الخطبة.

<sup>٢١١١</sup> (٣) المطففين: ١٤.

«من هو في خلق الغمام» أي: السحاب، أي: خلقه كخلق الغمام.

«الدّٰلِح» جمع الدّٰلِح أي: الماشى بحمل ثقيل، يقال: دلح الرّجل و دلح البعير إذا مشيا بحملهما غير منبسطى الخطو لثقله عليهما. ثمّ وصف (الغمام) و هو مفرد (بالدّٰلِح) و هو جمع من باب قولهم: بلد أخصاب و بلد سباسب و رمح اقصاد و برمة أعشار و ثوب أسمال و ثوب أخلاق من وصف المفرد بالجمع لإرادة الأجزاء منه.

هذا، و قلنا إنّ قوله عليه السّلام: «في خلق الغمام الدّٰلِح» معناه أنّ خلقته كخلقته،

ص: ٥٥٩

لقوله بعد: «و منهم من خرقت أقدامهم»، و لأنّ (النهاية) نقله «و منهم كالسحاب الدّٰلِح»<sup>٢١١٢</sup>. و يمكن أن يراد به أنّ منهم من عمله صنع السّحاب الدّٰلِح، و كذلك القول في قوله عليه السّلام بعد: «و في عظم الجبال الشّمخ، و في قتره الظّلام الأيهم» على ما يأتي<sup>٢١١٣</sup>.

و يشهد للحمل هنا ما في دعاء الصحيفة- في الصلاة على حملة العرش و كلّ ملك مقرّب-: «و خزّان المطر و زواجر السّحاب، و الّذى بصوت زجره يسمع زجل الرعود، و إذا سبحت به خفيفة السحاب التمتع صواعق البروق، و مشيى التلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل»<sup>٢١١٤</sup>. و عليه، فالكلام في موضعه بدون تقديم و تأخير «و منهم من خرقت أقدامهم ... من الحدود المتناهية» و إن أمكن أيضا ربطه بتكلف أكثر.

«و في عظم الجبال الشّمخ» أي: الرّقيقة، ظاهره أن يكون خلقه في عظم الجبال، و يمكن أن يراد به أنّهم مقيمون في تلك الجبال موكلون بها، و في دعاء الصحيفة المتقدّم «و القوام على خزائن الرياح و الموكلين بالجبال فلا تزول»<sup>٢١١٥</sup>.

«و في قتره» أي: غبرة.

«الظّلام الأيهم» و الأصل في (يهم) ما لا علاج له، و لذا قيل للفلاة التي لا يهتدى فيها: يهما، و للبرّ الذي لا يهتدى فيه: أيهم، و المراد ظلام لا يهتدى فيه من شدّته. و (الأيهم) في (المصرية) غلط، ففي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم

ص: ٥٦٠

و الخطية)<sup>٢١١٦</sup> بالمشناة، و الكلام فيه كسابقه.

<sup>٢١١٢</sup> (١) النهاية لابن الأثير ٢: ١٢٩ مادة (دلح).

<sup>٢١١٣</sup> (٢) يأتي في تكملة هذا العنوان.

<sup>٢١١٤</sup> (٣) الصحيفة السجادية: ٣٦ الدعاء ٣.

<sup>٢١١٥</sup> (٤) المصدر نفسه.

و فى الخبر: أنّ ذا القرنين لما انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل فى الظلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع ... فقال له ذو القرنين: من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكلّ بهذا الجبل، و ليس من جبل خلقه الله تعالى إلّا و له عرق متصل بهذا الجبل...<sup>٢١١٧</sup> «و منهم من خرقت أقدامهم» قال فى سابقه: «منهم من هو» حملا على لفظ (من) و هنا قال: «أقدامهم» حملا على معناها.

«تخوم» أى: منتهى.

«الأرض السفلى» من الأرضين السبع.

«فهى» أى: فأقدامهم.

«كرايات بيض قد نفذت» أى: جاوزت.

«فى مخارق الهواء» التى لا تمنع الأشياء من النفوذ فيها.

«و تحتها» أى: تحت تلك الأقدام.

«ريح هفافة» أى: سريعة المرور فى هبوبها، كما ذكره الجزرىّ فى معنى السكينة<sup>٢١١٨</sup>.

«تحبسها» أى: تحبس الريح أقدامهم.

«على حيث انتهت» تلك الأقدام.

«من الحدود المتناهية» فى الأرض و الهواء، و يمكن ربطه من قوله:

ص: ٥٦١

«و منهم» إلى هنا، بأنّ عملهم حفظ الأرض من التلاشى، لكن لا يناسب قوله بعد.

«قد استفرغتهم أشغال» بالفتح، جمع (شغل).

«عبادته» و لو كان (إشغال) بالكسر لكان تأنيث الفعل لكسب التأنيث من (عبادته).

<sup>٢١١٤</sup> (١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٩، و لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٥٢ «الأبهم» أيضا.

<sup>٢١١٧</sup> (٢) الفقيه للصدوق ١: ٣٤٢ ح ٦، و علل الشرائع: ٥٥٤ ح ٢، و أماليه: ٣٧٥ ح ٢، المجلس ٧١، و تفسير العياشى ٢: ٣٥٠ ح ٨٢ و التهذيب للطوسى ٣: ٢٩٠

ح ١.

<sup>٢١١٨</sup> (٣) النهاية لابن الأثير ٢: ٣٨٦ مادة (سكن): «و منه حديث على عليه السلام و بناء الكعبة فأرسل الله إليه السكينة و هى ريح خجوج أى سريعة الممر».

«و وصلت» هكذا فى (المصريّة و ابن أبى الحديد)<sup>٢١١٩</sup>، و لكن فى (ابن ميثم و الخطيئة)<sup>٢١٢٠</sup>: «و وصلت».

«حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته» قال شيخنا المقيد فى (مقالاته): إنّ الملائكة مكلفون و موعودون<sup>٢١٢١</sup>. قال تعالى: «وَمَنْ يُقَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَىٰ إِلَهِمْ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ»<sup>٢١٢٢</sup>.

«و قطعهم الإيقان به» عن كلّ شىء.

«إلى الوله إليه» تعالى، و فى مناجاة شعبان عنهم عليهم السّلام: «إلهى و ألهمنى ولها بذكرك إلى ذكرك و همّنى إلى روح نجاح أسمائك و محلّ قدسك»<sup>٢١٢٣</sup>.

«و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره» و فى ذاك الدّعاء: «إلهى و ألهمنى بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفا، و عن سواك منحرفا، و منك خائفا مراقبا»<sup>٢١٢٤</sup>.

ص: ٥٤٢

«قد ذاقوا حلاوة معرفته و شربوا بالكأس» قال ابن الاعرابى: لا تسمّى الكأس كأسا إلّا و فيها الشّراب<sup>٢١٢٥</sup>.

«الروية» أى: الرافعة للعطش و تأنيث (الروية) لكون (الكأس) مؤنّثا.

«من محبّته» و فى المناجاة الخامسة عشرة: «ما أطيب طعم حبّك، و ما أعذب شرب قربك»<sup>٢١٢٦</sup>.

«و تمكّنت من سويداء» أى: حبّة.

«قلوبهم وشيعة» أى: اشتباك عروق.

«خيفته، فحنوا» أى: عوجوا.

«بطول» و الباء فيه للسببية.

<sup>٢١١٩</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٩.

<sup>٢١٢٠</sup> (٢) فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٥٢ «وصلت» أيضا.

<sup>٢١٢١</sup> (٣) أوائل المقالات: ٨٢.

<sup>٢١٢٢</sup> (٤) الأنبياء: ٢٩.

<sup>٢١٢٣</sup> (٥) بحار الأنوار للمجلسى ٩٤: ٩٩ عن الكتاب العتيق العروى، لكن لفظه «و أتحنفى بنور عزّك»، و أما لفظ «و ألهمنى» فللقمى فى مفاتيح الجنان: ٣٧٤.

<sup>٢١٢٤</sup> (٦) المصدر نفسه.

<sup>٢١٢٥</sup> (١) نقله عن لسان العرب ٦: ١٨٩ مادة (كأس).

<sup>٢١٢٦</sup> (٢) بحار الأنوار للمجلسى ٩٤: ١٥١، و ملحقات الصحيفة السجادية: ٣٦٣ عن السجاد عليه السّلام.

«الطاعة» أى: العبادة.

«اعتدال ظهورهم» و المراد ركوعهم.

«و لم ينفد» أى: لم يفن.

«طول الرغبة إليه مادّة تضرّهم» فهم متضرّعون إليه دائماً.

«و لا أطلق عنهم عظيم الزلّفة» أى: التقربّ لديه تعالى.

«ريق» بالكسر فالفتح: جمع ربقة حبل فيه عدّة عرى يشدّ به البهائم.

«خشوعهم» فهم أبدا فى حبالته.

«و لم يتولّهم الإعجاب» بأعمالهم.

«فيستكتروا ما سلف منهم» و أمّا ما روى فى (عقاب الأعمال) عن ابن خالد الصيقل عن الباقر عليه السّلام: «إنّ الله عزّ و جلّ فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة، فخلق سبع سماوات و سبع أرضين و أشياء، فلما رأى الأشياء قد انقادت له

ص: ٥٦٣

قال: من منلى؟ فأرسل الله عزّ و جلّ نويرة من نار؟ قلت: و ما نويرة من نار؟

قال: نار بمثل أنملة. قال: فاستقبلها بجميع ما خلق فتحلّلت لذلك حتّى وصلت إليه لما أن دخله العجب»<sup>٢١٢٧</sup> فهو خير واحد.

«و لا تركت لهم استكانة» أى: مسكنة و فعلها استكان، ففى (القاموس) فى سكن و استكان: خضع و ذلّ، افتعل من المسكنة أشبعت حركة عينه<sup>٢١٢٨</sup>. لكنّه قال فى (كان) أيضا: و الاستكانة و الخضوع<sup>٢١٢٩</sup>.

قلت: الظاهر كون قوله الثانى وهما، فإذا كانت (الاستكانة) من (الكون) يكون بمعنى طلب الكون، أى: الوجود و الرفعة، و هو ضدّ المراد، و إنّما الصواب قوله الأوّل، و لمّا أشبع (استكن) و صار استكان، صار المصدر- و هو استكان كاجتماع- استكانة، و

<sup>٢١٢٧</sup> (١) عقاب الأعمال للصدوق: ٢٩٩ ح ١، و المحاسن للبرقى: ١٢٣ ح ١٣٩.

<sup>٢١٢٨</sup> (٢) القاموس المحيط ٤: ٢٣٥ مادة (سكن).

<sup>٢١٢٩</sup> (٣) القاموس المحيط ٤: ٢٦٤ مادة (كون).

الأصل فى قوله الثانى (الصباح)، فإنه اقتصر على ذكره فى الكون<sup>٢١٣٠</sup>، و جعله أبو علىّ الفارسى، كما فى (اللّسان) استفعالا من الكين، الذى هو لحم باطن الفرج، قال: لأنّ الخاضع الذليل خفى، فشبهه بذلك لأنّه أخفى ما يكون من الإنسان<sup>٢١٣١</sup>.

قلت: لا يبعد أن يكون استفعالا من الكين، لكن ما قاله الفارسى فى تشبيهه بلحم باطن الفرج فى الخفاء خفى، و الأظهر أن يقال: إنّه من قولهم:

«بات فلان بكينة سوء» بالكسر، أى: بحالة سوء. قال أبو سعيد: يقال: أكانه الله يكيّنه إكانه. أى: أخضعه حتّى استكان و أدخل عليه من الذلّ ما أكانه، و أنشد:

لعمرك ما يشفى جراح تكيّنه      و لكن شفائى أن تقيم حلالته

٢١٣٢

ص: ٥٦٤

و بالجملة كونه استفعالا من الكون، كما قاله (الصباح) و تبعه (القاموس) فى (الكون) غير صحيح، و من الكين و المسكنة صحيح، و الأوّل أظهر لفظا، و الثانى معنى.

«الإجلال» لله تعالى.

«نصيبا» لهم.

«فى تعظيم حسناتهم» فيعدّونها حقيرة.

«و لم تجر الفترات» الفترة: الانكسار و الضعف.

«فيهم على طول دؤوبهم» أى: سعيهم و جدّهم فى عبادته.

«و لم تغض» من «غاض الماء» أى: قلّ و نضب.

<sup>٢١٣٠</sup> (٤) صحاح اللغة ٦: ٢١٩٠ مادة (كون).

<sup>٢١٣١</sup> (٥) لسان العرب ١٣: ٢١٨ مادة (سكن).

<sup>٢١٣٢</sup> (٦) لسان العرب ١٣: ٣٧١ مادة (كين).

«رغباتهم» إليه تعالى.

«فيخالفوا عن رجاء ربهم» إلى رجاء غيره.

«و لم تجفّ» أي: لم تيبس.

«لطول المناجاة» مع خالقهم.

«أسلات ألسنتهم» أي: مستدقاتها.

«و لا ملكتهم الأشغال» الشخصية.

«فتنقطع بهمس» أي: الصوت الخفى.

«الجوار» بالهمزة، أي: التضرع.

«إليه» تعالى.

«أصواتهم» فاعل تنقطع.

«و لم تختلف في مقاوم» جمع مقام.

«الطاعة» أي: العبادة.

«مناكبهم» بأن يبدلوا منكباً بمنكب للاستراحة، و يحتمل أن يكون

ص: ٥٦٥

(تختلف) مصحف (تتخلف) فيكون الكلام استعارة عن عدم إعراضهم عن طاعته.

«و لم يثنوا» أي: لم يرفعوا، من قوله تعالى: «ثاني عطفه»<sup>٢١٣٣</sup>، أي: رافع جنبه.

«إلى راحة التقصير في أمره رقابهم» مفعول لم يثنوا.

«و لا تعدو» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)<sup>٢١٣٤</sup>، و لكن فى (ابن ميثم و الخطيبه)<sup>٢١٣٥</sup>: «لا تعدو» بدون عاطف: أى لا تتجاوز و لا تتعدى.

«على عزيمة جدّهم» فى عبادته.

«بلاد الغلات» فيقصرّون فى طاعته.

«و لا تنتضل فى همهم خدائع الشهوات» قال ابن أبى الحديد: استعارة من النضال، و هو المراماة بالسّهام<sup>٢١٣٦</sup>.

قلت: تناضل من النضال لا (تنتضل)، و إنّما (تنتضل) ك (ينضل) بمعنى الرّمى، مع أنّه لا تصحّ المراماة هاهنا، كما لا يخفى.

«فى همهم خدائع الشهوات» ككثير من البشر.

هذا، و فى الخبر عن الصادق عليه السّلام: إنّ طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم فى اللذات و الشهوات - أعنى لكم: الحلال ليس الحرام - قال فأنفّ الله للمؤمنين من ولد آدم من تعبير الملائكة لهم، قال: فألقى الله فى همم أولئك الملائكة اللذات و الشهوات كيلا يعيبوا المؤمنين. قال: فلما أحسّوا ذلك من همهم عجّوا إلى الله من ذلك، فقالوا: ربّنا عفوك عفوك ردّنا إلى ما خلقتنا له و أجبرتنا

ص: ٥٦٦

عليه، فإنّنا نخاف أن نصير فى أمر مريج. قال: فنزع الله ذلك من همهم<sup>٢١٣٧</sup>.

و ليس هذا الخبر مخالفا لعصمتهم، فمضمونه نظير كلامهم فى خلقه آدم عليه السّلام.

«قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقنتهم» قال الخوئى: يعنى بيوم فاقنتهم:

يوم قبض أرواحهم<sup>٢١٣٨</sup>.

قلت: بل يعنى به: جميع أيّامهم، فإنّهم كغيرهم فى جميعها محتاجون إليه تعالى.

«و يممّوه» أى: قصدوه تعالى.

<sup>٢١٣٤</sup> (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٤٩.

<sup>٢١٣٥</sup> (٣) فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٥٣ توجد (الواو) أيضا.

<sup>٢١٣٦</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥١.

<sup>٢١٣٧</sup> (١) تفسير العياشى ٢: ٢١١ ح ٤٢.

<sup>٢١٣٨</sup> (٢) شرح الخوئى ٣: ١١١.

«عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم» متعلق بقوله: «و يَمّموه».

«لا يقطعون أمد» أى: مسافة.

«غاية» أى: نهاية.

«عبادته» لأنه تعالى أهل لأن يعبد فوق تلك المرتبة.

«و لا يرجع بهم الاستهتار» أى: الحرص و الولع.

«بلزوم طاعته» أى: اللصوق بها.

«إلّا إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعة من رجائه و مخافته» (غير) صفة لمواد و من لبيانها.

«لم تنقطع أسباب الشفقة» أى: الخوف.

«منهم فينوا» أى: يضعفوا من: و نى ينى، قالوا: و الإناء أيضا منه بقلب الواو همزة.

«فى جدّهم» فى العبادة.

ص: ٥٦٧

«و لم تأسرهم الأطماع» فى المادّيات.

«فيؤثروا» أى: يختاروا.

«وشبك السعى» أى: سرعته إلى ما طمعوا فيه.

«على اجتهادهم» فى طاعته تعالى.

«و لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم» فى الأزمنة المتطاولة.

«و لو استعظموا ذلك» أى: ما مضى من أعمالهم.

«لنسخ» أى: أزال.

«الرجاء منهم» فى عظم أعمالهم.

«شفقات» جمع شفقة، و فى (الأساس): لى عليه شفقة و شفق (يعنى به) رحمة ورقة و خوف من حلول المكروه به مع نصح<sup>٢١٣٩</sup>.

«وجلهم»: أى خوفهم.

قال الشاعر:

لعمرك ما أدرى و إنى لأوجل  
على أينا تغدو المنية أول

<sup>٢١٤٠</sup> «و لم يختلفوا فى ربهم» كالبشر، فلم يصفه أحد منهم بما لا يليق بجنابه.

«باستحواذ» أى: غلبة.

«الشيطان عليهم» ككثير من البشر.

«و لم يفرقهم سوء التقاطع» كتقاطع عن عداوة، و إنما تقاطعهم تقاطع حسن بأن يذهب كل إلى ما وظف له.

«و لا تولاهم» أى: لا صار وليهم.

«غل» بالكسر: الغش و الحقد.

ص: ٥٦٨

«التحاسد» حسد هذا ذاك، و ذاك هذا.

«و لا شعبتهم» أى: فرقتهم.

«مصارف» أى: مغيرات.

«الريب» أى: الحوادث.

«و لا اقتسمتهم» أى: لم تجعلهم قسما قسما.

<sup>٢١٣٩</sup> (١) أساس البلاغة: ٢٣٨ مادة (شفق).

<sup>٢١٤٠</sup> (٢) لسان العرب ١١: ٧٢٢ مادة (وجل) و الشاعر: معن بن أوس المزنى.

«أخفاف» جمع خيف، والأصل فيه الاختلاف، قالوا: سَمِيَ مسجد الخيف خيفا، لاختلافه بانحداره عن غلظ الجبل، وارتفاعه عن مسيل الماء<sup>٢١٤١</sup>.

«الهمم» كالبشر همّ بعضهم فى الطعام و الشراب، و همّ بعضهم فى الألبسة، و همّ بعضهم فى الأبنية، و همّ بعضهم فى النساء.

«فهم أسراء إيمان» به تعالى.

«لم يفكّهم من ربقتهم» أى: ربقه الأسر المفهوم من (أسراء).

«زيع» أى: ميل عن الحقّ.

«و لا عدول» عنه.

«و لا ونى» أى: ضعف.

«و لا فتور» أى: انكسار.

«و ليس فى أطباق» أى: طبقات.

«السماء» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (السموات)، كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)<sup>٢١٤٢</sup>.

«موضع إهاب» أى: جلد غير مدبوغ.

«إلّا و عليه ملك ساجد أو ساع» أى: عامل.

ص: ٥٦٩

«حافد» أى: سريع، روى القمى أنّ الصادق عليه السّلام سئل عن الملائكة، أهم أكثر أم بنو آدم؟ فقال: و الذى نفسى بيده لعدد ملائكة الله فى السماوات أكثر من عدد التّراب فى الأرض، و ما فى السماء موضع قدم إلّا و فيها ملك يسبحه و يقده<sup>٢١٤٣</sup>.

«يزدادون على طول الطّاعة برّبهم علما» بِالْهَمِّ.

«و تزداد عزّة ربّهم فى قلوبهم عظما» حيث تزداد معرفتهم.

<sup>٢١٤١</sup> (١) معجم البلدان للحموى ٢: ٤١٢.

<sup>٢١٤٢</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٥٠، و شرح ابن ميثم ٢: ٣٥٣ «السماء» أيضا.

<sup>٢١٤٣</sup> (١) تفسير القمى ٢: ٢٥٥.

من الخطبة (١٠٧) من ملائكة أسكنتهم سماواتك - و رفعتهم عن أرضك - هم أعلم خلقك بك - وأخوفهم لك وأقربهم منك - لم يسكنوا الأصلاب - ولم يضمّنوا الأرحام - ولم يخلقوا من ماء مهين - ولم يشعبهم ربّ المنون - وإنهم على مكانهم منك - ومنزلتهم عندك واستجماع أهوائهم فيك - وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن أمرك - لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك - لاحتقروا أعمالهم ولزروا على أنفسهم - ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حقّ عبادتك - ولم يطيعوك حقّ طاعتك أقول: ورواه القمّي القمّي - تفسير القمّي - ج ٢ ص ٢٠٧ هكذا: «و ملائكة خلقتهم، وأسكنتهم سماواتك، فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية. هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك إليك، وأعملهم بطاعتك. لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان. لم يسكنوا الأصلاب، ولم تتضمنهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاء، فأسكنتهم سماواتك، وأكرمتهم بجوارك، واثمنتهم على وحيك، وجنبتهم الآفات، ووقيتهم البليات، وطهرتهم

ص: ٥٧٠

من الذنوب، و لو لا قوتك لم يقووا، و لو لا تثبيتك لم يثبتوا، و لو لا رحمتك لم يطيعوا، و لو لا أنت لم يكونوا. أما إنهم على مكانتهم منك، و طواعيتهم إياك، و منزلتهم عندك، و قلة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا ما خفى عنهم منك، لاحتقروا أعمالهم، و لأزروا على أنفسهم»<sup>٢١٤٤</sup>.

«من ملائكة أسكنتهم سماواتك، و رفعتهم عن أرضك» كلامه عليه السلام هذا دالّ على أن الأصل في مسكن الملائكة السماوات، و أنهم إنّما ينزلون إلى الأرض، و يمكن أن يراد قسم خاص منهم، حيث قال: من ملائكة، و لعله ذكر قبله قسم خاص لم ينقله المصنّف.

«هم أعلم خلقك بك، و أخوفهم لك» حيث يشاهدون ملكوت السماوات، و أنه ليس حاكم فيهم غيره تعالى، فيكونون أعلم به تعالى من البشر، و لما كانوا أعلم كانوا أخوف «إنّما يخشى الله من عباده العلماء»<sup>٢١٤٥</sup>.

«و أقربهم منك» حيث لا يعصونه أبدا.

«لم يسكنوا الأصلاب» أصلاب آباء.

«و لم يضمّنوا الأرحام» أرحام أمهات.

«و لم يخلقوا من ماء مهين» و هو المنى، كبنى آدم، قال تعالى: «و بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين»<sup>٢١٤٦</sup>. و مهين فعيل من «مهن» أي: ضعف.

<sup>٢١٤٤</sup> (١) تفسير القمّي ٢: ٢٠٧.

<sup>٢١٤٥</sup> (٢) فاطر: ٢٨.

«و لم يشعبهم» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (لم يتشعبهم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب<sup>٢١٤٧</sup>)، أى: لم يفرّقهم.

ص: ٥٧١

«ريب» أى: صرف.

«المنون» قال الفراء: تكون المنون واحدة و جمعها<sup>٢١٤٨</sup>، و الأصل فى المنون الضعف، و يقال لكلّ من الدّهر و المنية: المنون لأنّهما يضعفان و يقطعان المدد و ينقصان العدد، قال الأعشى:

أ أن رأّت رجلاً أعشى أضربّه ريب المنون و دهر مبتل خبل

<sup>٢١٤٩</sup> و قال آخر:

كأن لم يغن يوماً فى رخاء إذا ما المرء منته المنون

<sup>٢١٥٠</sup> (فريب المنون) فى الأوّل بمعنى حوادث الدّهر، و (منته المنون) فى الثانى بمعنى قطعته المنية، و مراده عليه السّلام أنّهم ليسوا كالبشر الذين يتشعبهم حوادث الدّهر، و اخترام المنايا.

و ممّن تشعبهم ريب المنون حتّى ضرب بهم المثل ولد سباً، فقالوا تشبيها بهم: تفرّقوا أيادى سباً.

و قالوا: نزل حسّان بن عمرو الحميرىّ جبلاً باليمن يقال له: شعب. ثمّ تشعب ولده، فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم: شعبيون - و منهم الشعبى المعروف - و من صار منهم إلى الشام يقال لهم: الشعبانيون، و من صار منهم إلى اليمن يقال لهم: آل ذى شعبين، و من صار منهم بالمغرب و مصر يقال لهم: الأشعوب<sup>٢١٥١</sup>.

<sup>٢١٤٦</sup> (٣) السجدة: ٧ - ٨.

<sup>٢١٤٧</sup> (٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٢٩، لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٥٧ «يشعبهم» أيضاً.

<sup>٢١٤٨</sup> (١) لسان العرب ١٣: ٤١٦ مادة (منن).

<sup>٢١٤٩</sup> (٢) لسان العرب ١٣: ٤١٦ مادة (منن).

<sup>٢١٥٠</sup> (٣) اساس البلاغة: ٤٣٨ مادة (منن).

«وإنهم على مكانهم منك» بالقرب المعنوى.

«و منزلتهم عندك» بالدرجة الرفيعة.

ص: ٥٧٢

«و اجتماع أهوائهم فيك» و فى عبادتك و طاعتك، و ليسوا كالبشر الذين زين لهم «حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْتِ»<sup>٢١٥٢</sup>.

«و كثرة طاعتهم لك» حتى لم يكن لهم شغل غير عبادته.

«و قلة غفلتهم عن أمرك» «لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»<sup>٢١٥٣</sup>.

«لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك» و كيف لا يخفى عليهم، و هو الذى لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماته و لو جىء بمثله مددا.

«لحقرُوا أعمالهم» فى جنب عظمته.

«و لزروا»: أى عتبوا و عابوا، قال:

سقيا و رعيا لذاك العاتب الزارى

نبتت نعماً على الهجران زارية

<sup>٢١٥٤</sup> و أيضاً:

على ذاك فى ما بيننا مستديهما

و إنى على ليلى لزار و إنى

<sup>٢١٥١</sup> (٤) معجم البلدان للحموى ٣: ٣٤٧.

<sup>٢١٥٢</sup> (١) آل عمران: ١٤.

<sup>٢١٥٣</sup> (٢) الأنبياء: ٢٧.

<sup>٢١٥٤</sup> (٣) أساس البلاغة: ١٩١ مادة (زرى).

٢١٥٥ «على أنفسهم» في تقصيرهم في حقك.

«و لعرفوا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك، و لم يطيعوك حقَّ طاعتك» كما لم يعرفوه حقَّ معرفته، و كذلك الأنبياء و الأوصياء كانوا معترفين بذلك.

ص: ٥٧٣

الفصل الرابع في خلق آدم عليه السلام

ص: ٥٧٥

١

من الخطبة (١) صفة خلق آدم عليه السلام: ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا - وَ عَذْبِهَا وَ سَبَبِهَا - تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ - وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ - فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَعْضَاءٍ وَ وُضُولٍ وَ أَعْضَاءٍ - وَ فُضُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ - وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَّصَتْ لَوْقَتِ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ مَعْلُومٍ - ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ - فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أذْهَانٍ يُجِيلُهَا - وَ فِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا - وَ أَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ - وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ - مَعْجُونًا بَطِينَةً الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةَ - وَ الْأَشْبَاهِ الْمُتَوَلِّفَةَ وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةَ - وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةَ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ - وَ الْبَلَّةِ وَ الْجُمُودِ - وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَ دِيَعَتَهُ لَدَيْهِمْ - وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ

ص: ٥٧٦

في الإذعان بالسُّجُودِ لَهُ - وَ الْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ - فَقَالَ سُبْحَانَهُ «اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ»<sup>٢١٥٦</sup> - اغْتَرَّتْهُ الْحَمِيَّةُ - وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ - وَ تَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ وَ اسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ - فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ - وَ اسْتَمْتَمًا لِلْبَلِيَّةِ وَ إِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ - فَقَالَ «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»<sup>٢١٥٧</sup> ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ؟ آدَمَ؟ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَتَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَدَّرَهُ؟ إِبْلِيسَ؟ وَ عَدَاوَتَهُ - فَأَغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بَدَارِ الْمُقَامِ - وَ مُرَافَقَةً الْأَبْرَارِ - فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ - وَ اسْتَبَدَلَ بِالْجَدَلِ وَجَلًا وَ بِالْاِغْتِرَارِ نَدَمًا - ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ - وَ لَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ - وَ أَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَ تَنَاسَلَ الذَّرِّيَّةِ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «صِفَةُ خَلْقِ آدَمَ» هَكَذَا فِي (المصرية)، و لكن في (ابن ميثم): «منها في خلق

<sup>٢١٥٥</sup> (٤) لسان العرب ١٤: ٣٥٦ مادة زرى().

<sup>٢١٥٦</sup> (١) البقرة: ٣٤.

<sup>٢١٥٧</sup> (٢) الحجر: ٣٧ - ٣٨.

آدم<sup>٢١٥٨</sup>» و في (ابن أبي الحديد): «منها في صفة آدم<sup>٢١٥٩</sup>، و كيف كان، ففي (إثبات المسعودي): روى أن آدم سَمِيَ آدمَ لأنه خلق من أديم الأرض<sup>٢١٦٠</sup>.

و آدم يأتي اسما و وصفا، و الاسمى جمعه (أوادم)، و الوصفى يأتي

ص: ٥٧٧

وصفان للإنسان و البعير، و كلٌّ منهما بمعنى، و له جمع يقال: رجل آدم، أي:

أسمر، و جمعه: إدمان، و يقال: بعير آدم، أي: شديد البياض، و يقال: هو البعير الأبيض، الأسود المقلتين، و جمعه آدم بضميتين.

قال الشاعر:

من الأدم دبرت صفحتاه و غاربه

فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل

<sup>٢١٦١</sup> و أصل آدم: أدم بهمزتين.

و قوله عليه السّلام: «ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض» أي: خشنها.

«و سهلها» أي: ما ليس فيه خشونة.

«و عذبا» أي: ما ليس فيه ملوحة.

«و سبخها» أي: الأرض التي تعلوها الملوحة، و لا تنبت الزّرع.

«تربة» الواحدة من ترب لغة في تراب.

<sup>٢١٥٨</sup> (٣) شرح ابن ميثم ١: ١٧٠.

<sup>٢١٥٩</sup> (٤) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١ «منها في صفة خلق آدم» أيضا.

<sup>٢١٦٠</sup> (٥) إثبات الوصية للمسعودي: ١٠٠، و مروج الذهب ١: ٤٠، و هذا الوجه في التسمية مروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ عَنِ عَلِيٍّ وَ الْبَاقِرِ وَ الصَّادِقِ عَلَيْهِمُ

السّلام و عن ابن عباس و سعيد بن جبیر، و جمع بعض طرقه السيوطي في الدرّ المنثور ١: ٤٩، و المجلسي في بحار الأنوار ١١: ١٠٠-١١٣.

<sup>٢١٦١</sup> (١) لسان العرب ١٢: ١٢ مادة (أدم) و الشاعر: الأخطل.

«سَنَهَا» أى أنتنها من قوله تعالى: «مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ»<sup>٢١٦٢</sup>، قال المسعودى فى (إثباته): خلق الله آدم من عذب الأرض و مالحتها، و مرّها و ...<sup>٢١٦٣</sup>.

و قال ابن أبى الحديد: سَنَهَا، أى مَلَسَهَا من قولهم: مرمر مسنون<sup>٢١٦٤</sup>.

و قال الخوئى - تبعاً للمجلسى -: سَنَهَا من سنت الماء على الأرض:

صبيته<sup>٢١٦٥</sup>.

قلت: و هما كما ترى، فلا معنى لتمليس التربة بالماء، كما لا معنى لصبّ التربة بالماء.

ص: ٥٧٨

«بالماء حتّى خلصت» فى سننها.

«و لاطها» من لطت الحوض بالطين، أى: ملطته به، و طيّنته، و قال الخوئى:

من لاط الشىء بالشىء لوطاً: لصق<sup>٢١٦٦</sup>.

قلت: ذاك لازم، و هذا متعّد.

«بالبلّة» أى: الرطوبة.

«حتّى لزبت» أى: لزقت، و لصقت، قال تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ»<sup>٢١٦٧</sup>.

«فجبل منها صورة» قال ابن أبى الحديد: قال الراوندى: أى خلق خلقاً عظيماً. و اعترض عليه بأنّ جبل بمعنى خلق سواء كان عظيماً أو غير عظيم<sup>٢١٦٨</sup>.

قلت: إنّ جبل و ذراً و أنشأ كلّها بمعنى: خلق إلّا أنّ لكلّ منها خصوصية لا يصحّ لها استعمال أحدها فى موضع الآخر.

<sup>٢١٦٢</sup> (٢) الحجر: ٢٦.

<sup>٢١٦٣</sup> (٣) إثبات الوصية للمسعودى: ١٠ ضمن حديث طويل.

<sup>٢١٦٤</sup> (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٢.

<sup>٢١٦٥</sup> (٥) شرح نهج البلاغة للخوئى ١: ١٤٨، و بحار الأنوار للمجلسى ١١: ١٢٣.

<sup>٢١٦٦</sup> (١) شرح الخوئى ١: ١٤٨.

<sup>٢١٦٧</sup> (٢) الصفات: ١١.

<sup>٢١٦٨</sup> (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٦.

فإن ذرأ معناه: خلق متكثر منتشر، قال تعالى: «يَذُرُّكُمْ فِيهِ»<sup>٢١٦٩</sup>.

و (أنشأ) معناه خلق حادث جديد، قال تعالى: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ»<sup>٢١٧٠</sup>.

و جبل معناه: خلق غليظ، قال الجوهري: يقال للرجل إذا كان غليظاً: إنه لذو جبلة، و امرأة مجبال، أى: غليظة الخلق، و شىء جبل بكسر الباء، أى: غليظ جاف<sup>٢١٧١</sup>. و يقال: أجبل الشاعر، إذا صعب عليه القول، فكأنه بلغ المكان الغليظ.

ص: ٥٧٩

و أجبل الحافر، إذا بلغ المكان الصلب. و قال الزمخشري: ناقة جبلة السنام تامته، رجل جبل الوجه، و جبل الرأس: غليظهما، و سيف جبل و مجبال: لم يرقق، قال:

صافى الحديد لا ناب و لا جبل

<sup>٢١٧٢</sup> و سألتناهم فأجبلوا: إذا لم ينولوا، قال الكميت:

لهاميم سادوا و لم يجبلوا

فبان و أبقى لنا من بنيه

<sup>٢١٧٣</sup> «ذات أحناء» جمع حنو بالكسر، أى: الجوانب و النواحي، قال لبيد:

بأنك إن قدّمت رجلك عاثر

فقلت ازدجر أحناء طيرك و اعلمن

<sup>٢١٧٤</sup> و قال الكميت:

<sup>٢١٦٩</sup> (٤) الشورى: ١١.

<sup>٢١٧٠</sup> (٥) النجم: ٣٢.

<sup>٢١٧١</sup> (٦) صحاح اللغة ٤: ١٦٥١ مادة (جبل).

<sup>٢١٧٢</sup> (١) أساس البلاغة للزمخشري: ٥١ مادة (جبل).

<sup>٢١٧٣</sup> (٢) المصدر نفسه.

<sup>٢١٧٥</sup> «و وصول» قال ابن أبى الحديد: قال الراوندى: الوصول جمع وصل، و هو العضو، و كلّ شىء اتّصل بشىء فما بينهما وصلة. ثمّ اعترض عليه بأنّه ما وجد فى لغة أنّ الوصل العضو، و قال: و قوله «و كلّ شىء ...» لا معنى لذكره بعد ذلك التفسير <sup>٢١٧٦</sup>.

قلت: قال الجزرىّ فى (نهايته) - و كلامه مأخوذ من أئمّة اللّغة كأبى عبید و أبى عبیده و نحوهما - فى صفة النبىّ صلّى الله عليه و آله: كان فعم الأوصال. أى: ممتلىّ الأعضاء. الواحد: وصل <sup>٢١٧٧</sup>. فتراه صرّح بأنّ الوصل العضو، أى: المراد منه

ص: ٥٨٠

العضو. و قوله: لا معنى لقوله «و كلّ شىء ...» بلا معنى، فكلامه الأوّل معنى الوصل، و الأخير معنى الوصلة، و ما قاله لفظ (الصاح) فقال: و كلّ شىء اتّصل بشىء فما بينهما وصلة، و الجمع: وصل <sup>٢١٧٨</sup>.

«و أعضاء» كاليدین و الرّجلین.

«و فصول» كالمنكب و العضد و المرفق و الذراع و الكفّ و الأصابع و الأنامل فى الیدین و الفخذ و الرّكبة و الساق و القدم و الأصابع و الأنامل فى الرّجلین.

«أجمدها» أى: أبقاها حتّى صارت جامدة.

«حتّى استمسكت» من التّلاشى.

«و أصلدها» من قولهم: حجر صلد، أى: صلب أملس.

«حتّى صلصلت» من قولهم: تصلصل الحلى، إذا صوّت، و الأصل فى كلامه عليه السّلام: قوله تعالى: «مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ» <sup>٢١٧٩</sup>.

<sup>٢١٧٤</sup> (٣) لسان العرب ١٤: ٢٠٦ و ٢٠٤ مادة (حنا).

<sup>٢١٧٥</sup> (٤) المصدر نفسه.

<sup>٢١٧٦</sup> (٥) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٦.

<sup>٢١٧٧</sup> (٦) النهاية لابن الأثير ٥: ١٩٤ مادة (وصل).

<sup>٢١٧٨</sup> (١) صحاح اللّغة ٥: ١٨٤٢ مادة (وصل).

قال أبو عبيدة: الصلصال الطين الحرّ خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جفّ، فإذا طبخ في النار فهو الفخار<sup>٢١٨٠</sup>.

و في خير: ثمّ جعلها صلصالا كالفخار أربعين سنة<sup>٢١٨١</sup>.

«لوقت معدود» عيّنه (تفسير القمّي) أربعين سنة<sup>٢١٨٢</sup>، و (مروج

ص: ٥٨١

المسعودي) مائة و عشرين سنة<sup>٢١٨٣</sup>.

«و أمد معلوم» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (و أجل معلوم) كما في (ابن أبي الحديد و الخطيب)<sup>٢١٨٤</sup>.

«ثمّ نفخ فيها من روحه» نسب تعالى الرّوح إلى نفسه دلالة على شرف الإنسان، قال تعالى للملائكة: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»<sup>٢١٨٥</sup>، و قال تعالى: «وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»<sup>٢١٨٦</sup>.

«فمثلت» تلك التربة.

«إنسانا ذا أذهان يجيئها» في خير أبي بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: لأى علة خلق الله تعالى آدم من غير أب و أم، و خلق عيسى من غير أب، و خلق سائر الناس من الآباء و الأمّهات؟ فقال: ليعلم الناس تمام قدرته و كمالها<sup>٢١٨٧</sup>.

«و فكّر يتصرّف بها» في الأشياء، فلا يعمل عملا إلّا بعد فكر.

«و جوارح يخدمها» أى: يجعلها خادمة له في حوائجه.

«و أدوات» أى: آلات للسّمع و البصر.

<sup>٢١٧٩</sup> (٢) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

<sup>٢١٨٠</sup> (٣) نقله عنه الجوهرى في صحاح اللغة ٥: ١٧٤٥ مادة (صلصل).

<sup>٢١٨١</sup> (٤) هذا اللفظ رواه المجلسى في بحار الأنوار ١١: ١٢١، عن سعد السعود لابن طاوس عن نسخة من صحف إدريس عليه السّلام لكن لم توجد هذه الفقرة إلّا

في سعد السعود المطبوع: ٣٣، و نقل هذا المعنى المسعودى في مروج الذهب ١: ٤٠.

<sup>٢١٨٢</sup> (٥) تفسير القمى ١: ٤١.

<sup>٢١٨٣</sup> (١) مروج الذهب للمسعودى ١: ٤١، ثم قال: «و قيل أربعون سنة».

<sup>٢١٨٤</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١، و كذا فى شرح ابن ميثم ١: ١٦٩ «و أمد معلوم» أيضا.

<sup>٢١٨٥</sup> (٣) الحجر: ٢٩.

<sup>٢١٨٦</sup> (٤) الاسراء: ٨٥.

<sup>٢١٨٧</sup> (٥) علل الشرائع للصدوق: ١٥ ح ١.

«يقلّبها» كيف شاء.

«و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل» و هى العقل، روى (العيون) أنّ ابن السكّيت قال للرضا عليه السّلام بعد سؤاله عن وجه اختلاف معجزات موسى و عيسى و نبينا عليهم السّلام: فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السّلام: العقل يعرف به

ص: ٥٨٢

الصّادق على الله فيصدّقه، و الكاذب على الله فيكذّبه. فقال ابن السكّيت: هذا و الله الجواب<sup>٢١٨٨</sup>.

«و الأذواق» فيعرف بها الحلو و المرّ و الحامض، و غيرها.

«و المشام» فيعرف بها الرّيح الطّيبة من الخبيثة.

«و الألوان» فيعرف بها الأبيض و الأسود و الأحمر و الأخضر و الأصفر.

«و الأجناس» بالخشونة و اللّينة، و كأنه سقط من الكلام (و الأصوات) فيبعد أن يذكر عليه السّلام الذائقة و الشّامة و الباصرة و اللّامسة، و لا يذكر السّامعة مع كونها أهمّ من الشّامة.

«معجوناً» الظاهر كونه حالا من (إنسانا) و يحتمل كونه صفة بعد صفة.

«بطينة الألوان المختلفة» روى أنّ عبد الله بن سلام سأل النبي صلّى الله عليه و آله أنّ آدم خلق من الطين كلّه أو من طين واحد؟ قال: بل من الطين كلّه، و لو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضا، و كانوا على صورة واحدة. قال:

فلهم فى الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض، و فيه أخضر، و فيه أشقر، و فيه أغبر، و فيه أحمر، و فيه أزرق، و فيه عذب، و فيه ملح، و فيه خشن، و فيه لين، و فيه أصهب، فلذلك صار الناس فيهم لين، و فيهم خشن، و فيهم أبيض، و فيهم أصفر، و أحمر، و أصهب، و أسود على ألوان التراب<sup>٢١٨٩</sup>.

و يقال للروم: بنو الاصفى، و للعرب: أسود، و للعجم: أحمر. فعن ابن الاعرابى: معنى قولهم: آتانى كلّ أسود منهم و أحمر: آتانى جميع الناس عربهم و عجمهم<sup>٢١٩٠</sup>.

ص: ٥٨٣

<sup>٢١٨٨</sup> (١) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٧٨ ح ١٢، و علل الشرائع: ١٢١ ح ٦، و الكافى للكلىنى ١: ٢٤ ح ٢٠ فى ذيل حديث.

<sup>٢١٨٩</sup> (٢) علل الشرائع للصدوق: ٤٧٠ ح ٣٣ ضمن حديث طويل، و السائل يزيد بن سلام، كما فى الأصل، و لعبد الله بن سلام حديث آخر.

<sup>٢١٩٠</sup> (٣) لم أجدّه عن ابن الاعرابى لكن نقله ابن منظور فى لسان العرب ٤: ٢٠٩ مادة (حمر) عن أبى عمرو بن العلاء.

«و الأشباه المؤتلفة، و الأضداد المتعادية» عن الرضا عليه السلام الطبائع أربعة، فمنهنّ البلغم و هو خصم جدل، و منهنّ الدّم و هو عبد زنجي و ربما قتل العبد سيّده، و منهنّ الريح و هو ملك يداري، و منهنّ المرّة، و هيهات هيهات هي الأرض ارتجّت ارتجّت بما عليها<sup>٢١٩١</sup>.

«و الأخلاط المتباينة من الحرّ و البرد و البلّة» أي: الرطوبة.

«و الجمود» و زاد (ابن أبي الحديد و الخطيب)<sup>٢١٩٢</sup>: «و المساءة و السرور».

قال النّظام: الدليل على الصانع أنّا رأينا أشياء متضادة من شأنها التنافي و التّباين و النفاسد مجموعة، و هي الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة المجتمعّة في كلّ حيوان، و في أكثر سائر الأجسام، فعلمنا أنّ جامعها قسرها على الاجتماع، و لو لا ذلك لتباينت و تفاسدت، و لو جاز أنّ تجتمع المتضادات المتنافرات، و تتقاوم من غير جامع جمعها لجاز أن يجتمع الماء و النّار و يتقاوما من ذاتهما، بغير جامع مدبّر مقيم يقيهما، و هذا محال<sup>٢١٩٣</sup>.

هذا، و قال المبرّد: دخلت على الجاحظ في آخر أيّامه و هو عليل، فقلت له:

كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج و لو نشر بالمناشير لما أحس به، و نصف الآخر منقرس لو طار الذّباب بقربه لآلمه<sup>٢١٩٤</sup>.

و قال الجاحظ لمتطبّب يشكو إليه علته: قد اصطلحت الأضداد على جسدي إن أكلت باردا أخذ برجلي، و إن أكلت حارّا أخذ برأسي<sup>٢١٩٥</sup>.

«و استأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم و عهد» بالتّصّب عطف

ص: ٥٨٤

على (وديعته).

«وصيته إليهم» أشار عليه السلام في قوله: «و استأدى الله...» إلى قوله تعالى:

<sup>٢١٩١</sup> (١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٦٦ ح ٨ عن الكاظم، و ٢: ٧٨ ح ١١، و علل الشرائع: ١٠٦ ح ٢، عن الرضا عليه السلام.

<sup>٢١٩٢</sup> (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٢.

<sup>٢١٩٣</sup> (٣) نقله عن النّظام الكراچكي في كنز الفوائد: ٨٦.

<sup>٢١٩٤</sup> (٤) نقله عن المبرّد ابن الأنباري في نزهة الألباء: ١٣٤، و المرتضى في أماليه ١: ١٤٢ المجلس ١٣.

<sup>٢١٩٥</sup> (٥) أمالي المرتضى ١: ١٤٢ المجلس ١٣.

«وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلٰصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِىْ فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِيْنَ»<sup>٢١٩٦</sup>.

«فى الإذعان» أى: الاتقياد.

«بالسجود له» أى: لذاك الإنسان.

«و الخنوع» أى: التذلل.

«لتكرمه» أى: إكرامه.

«فقال سبحانه» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (فقال تعالى) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطبة)<sup>٢١٩٧</sup>.

«اسجدوا لآدم»\* وردت هذه الجملة فى (البقرة، و الأعراف، و بنى إسرائيل، و الكهف، و طه)<sup>٢١٩٨</sup>.

«فَسَجِدُوا لِآلِ إِبْلِيسَ»\* وردت هذه الجملة فى غير الأولى.

«اعتزته الحمية، و غلبت عليه الشقوة، و تعزز بخلقة النار، و استهون خلق الصلصال» هكذا فى (المصرية) بدون زيادة، و أفراد الضمير فى (اعتزته) و ما عطف عليه، و الصواب: (و قبيله اعترتهم الحمية، و غلبت عليهم الشقوة، و تعززوا بخلقة النار، و استهونوا خلق الصلصال) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة) و (الراوندى)<sup>٢١٩٩</sup>.

ص: ٥٨٥

و اختلف فى إبليس هل كان من الجنّ أو من الملائكة؟ فأكثر متكلمي العامة على الأول، و اختاره المفيد قائلاً: إن الأخبار به متواترة عنهم عليهم السلام، و إنّه مذهب الإمامية<sup>٢٢٠٠</sup>.

و ذهب أكثر فقهاء العامة إلى الثانى، و اختاره الشيخ فى (تبيانه) قائلاً:

و هو المروى عن الصادق عليه السلام<sup>٢٢٠١</sup>.

<sup>٢١٩٦</sup> (١) الحجر: ٢٨ - ٢٩.

<sup>٢١٩٧</sup> (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٢، و كذا فى شرح ابن ميثم ١: ١٦٩ «فقال سبحانه» أيضا.

<sup>٢١٩٨</sup> (٣) البقرة: ٣٤، و الأعراف: ١١، و الإسراء: ٦١، و الكهف: ٥٠، و طه: ١١٦.

<sup>٢١٩٩</sup> (٤) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٢، و شرح ابن ميثم ١: ١٦٩ أيضا كالمصرية، و أمّا ما نقله الشارح عن الراوندى فمفهوم من بحث لغوى له حول كلمة (قبيل) نقله ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ٣٦.

<sup>٢٢٠٠</sup> (١) قاله المفيد فى أوائل المقالات للمفيد: ١٤٩.

قلت: و الصواب أن يقال: إنه كان من الجن لقوله تعالى: «كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ»<sup>٢٢٠٢</sup>، إلا أنه كان في عداد الملائكة كما يكون في البشر رجل من قبيلة معدودا من قبيلة أخرى، فقالوا: كان الزبير - وهو من أسد قريش - قبل أن ينشأ ابنه عبد الله في عداد بني هاشم<sup>٢٢٠٣</sup>.

و يدل على كونه في عداد الملائكة قوله تعالى: «فَسَجِدُوا لِلَّهِ إِبْلِيسَ»<sup>٢٢٠٤</sup> في السور المتقدمة، وقوله تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ»<sup>٢٢٠٥</sup> في سورة الحجر، و سورة (ص) وقوله عليه السلام هنا:

وقوله في القاصعة: «ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا»<sup>٢٢٠٦</sup>.

ص: ٥٨٦

قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي - في سجود الملائكة لآدم -: لما علمنا أن تقديم المفضل على الفاضل قبيح، علمنا أن آدم كان أفضل من الملائكة في ذلك الوقت و فيما بعده. و اعترض عليه بأن لقائل أن يقول: أليس قد سجد يعقوب ليوسف عليهما السلام أفيد ذلك على أن يوسف أفضل من يعقوب؟<sup>٢٢٠٧</sup> قلت: قال هذا الكلام قبله شيخه الجبائي<sup>٢٢٠٨</sup>، و لكن لو لم يكن دالاً على أفضلية آدم على الملائكة لما قال إبليس في جواب قوله تعالى: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ»<sup>٢٢٠٩</sup>: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»<sup>٢٢١٠</sup>، و كذا في جواب قوله تعالى: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ»<sup>٢٢١١</sup> «لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ»<sup>٢٢١٢</sup>.

<sup>٢٢٠١</sup> (٢) التبيان للطوسي ١: ١٥٠.

<sup>٢٢٠٢</sup> (٣) الكهف: ٥٠.

<sup>٢٢٠٣</sup> (٤) انظر حديث علي عليه السلام: «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشوم عبد الله» رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٤٨٠ الحكمة ٤٨٠ عن نهج البلاغة، و لم يوجد في سائر نسخ النهج، و أخرجه أيضاً الجوهرى في السقيفة:

٦٠، و عاصم بن حميد في أصله: ٢٣، و الصدوق في الخصال: ١٥٧ ح ١٩٩ باب الثلاثة، و المفيد في الجمل: ٢٠٨، و ابن قتيبة في الامامة و السياسة ١: ١٠.

<sup>٢٢٠٤</sup> (٥) الكهف: ٥٠.

<sup>٢٢٠٥</sup> (٦) الحجر: ٣٠ - ٣١.

<sup>٢٢٠٦</sup> (٧) نهج البلاغة ٢: ١٣٩ الخطبة ١٩٠.

<sup>٢٢٠٧</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧.

<sup>٢٢٠٨</sup> (٢) نقله عن الجبائي و غيره الطوسي في التبيان ١: ١٥٠، و هو مشهور عن كثير من المعتزلة.

<sup>٢٢٠٩</sup> (٣) الأعراف: ١٢.

<sup>٢٢١٠</sup> (٤) الأعراف: ١٢.

<sup>٢٢١١</sup> (٥) ص: ٧٥.

<sup>٢٢١٢</sup> (٦) الحجر: ٣٣.

أو ما سمع هو و شيخه الجبائى قوله تعالى حكاية عن إبليس: «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ»<sup>٢٢١٣</sup> و السجود ليوסף لم يعلم أنه كان بوضع الجبهة، فلعله من قسم تعظيم الملوك، مع أنه أى مانع من كون يوسف أفضل من يعقوب، فامتحن بمحن فوق محن أبيه، و كان سليمان أفضل من أبيه، قال تعالى: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا»<sup>٢٢١٤</sup>.

قال ابن أبى الحديد أيضا: إنه قال الراوندى فى قوله عليه السلام: «إِلَّا إبليس و قبيله»: قبيل إبليس نسله، قال تعالى: «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ»<sup>٢٢١٥</sup>، و كلّ

ص: ٥٨٧

جيل من الإنس و الجن قبيل. و اعترض عليه أن قوله تعالى لا يدلّ على أنهم نسله، و قوله: «و كلّ جيل ...» ينقض دعواه أن قبيله لا يكون إلّا نسله<sup>٢٢١٦</sup>.

قلت: إن ابن أبى الحديد لا يفرّق بين بيان المراد من الكلمة، و بين بيان مفهومها اللغوى، فقول الراوندى: «قبيله: نسله» بيان المراد، و أخذه من الأخبار. فروى فى خبر أن الآباء ثلاثة: آدم ولد مؤمنا، و الجانّ ولد مؤمنا و كافرا، و إبليس ولد كافرا، و ليس فيهم نتاج، إنّما بيض و يفرخ، و ولده ذكور ليس فيهم إناث<sup>٢٢١٧</sup>.

و أمّا ذكره الآية فإنّما لبيان أن (قبيله) - كما ذكر فى كلامه عليه السلام - ذكر فى القرآن مع أن آية «أَفَتَسَخِّدُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ»<sup>٢٢١٨</sup> تدلّ على أن قبيله من نسله و إن لم يذكر ذلك الراوندى، و قوله: «و كلّ جيل ...» بيان لمعنى مطلق القبيل، فأى تناف له مع كون قبيل إبليس نسله حتّى ينقض دعواه؟

و يأتى القبيل بمعنى: الكفيل أيضا، و يأتى بمعنى: القابلة، قال الشاعر:

كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها<sup>٢٢١٩</sup>.

<sup>٢٢١٣</sup> (٧) الإسراء: ٦٢.

<sup>٢٢١٤</sup> (٨) الأنبياء: ٧٩.

<sup>٢٢١٥</sup> (٩) الأعراف: ٢٧.

<sup>٢٢١٦</sup> (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٦.

<sup>٢٢١٧</sup> (٢) الخصال للصدوق: ١٥٢ ح ١٨٦ باب الثلاثة.

<sup>٢٢١٨</sup> (٣) الكهف: ٥٠.

<sup>٢٢١٩</sup> (٤) لسان العرب ١١: ٥٤٤ مادة (قبل)، و صدره:

فهل ذكر معنى ينقض معنى آخر؟ قال ابن أبي الحديد: إنه قال الراوندى فى قوله عليه السّلام: «و تعزّز بخلقه النار»: إن القياس الذى قاسه إبليس كان باطلا، لأنّه ادعى أنّ النار أشرف من الأرض، و الأمر بالعكس، لأنّ كلّ ما يدخل إلى النار ينقص، و كلّ ما يدخل التراب يزيد. و اعترض عليه بأنّ هذا عجيب! فإنّنا نرى الحيوانات الميتة إذا دفنت فى الأرض تنقص أجسامها، و كذلك الأشجار

ص: ٥٨٨

المدفونة فى الأرض. على أنّ التحقيق أنّ المحترق بالنار و البالى بالتراب لم تعدم أجزاءه و لا بعضها، و إنّما استحالت إلى صور أخرى<sup>٢٢٢٠</sup>.

قلت: بل اعترضه عليه عجيب، و تحقيقه ركيك، فإنّ هذه أمور عرفية، فتدخل فى الأرض نوى ليس بقدر أنملة ينبت منه شجرة كجبل، و تلقى جبلا من الخشب فى النار فلا يبقى منه إلّا قليل رماد فى حكم العدم، فالعرف يرى أنّ النار لا تبقى شيئا، و ما وقع فيها شيء إلّا أكلته، و عليه ورد «إنّ الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب»<sup>٢٢٢١</sup> إلّا أنّ ابن أبي الحديد يعترض على الراوندى عنادا.

هذا، و ورد بطلان قياس إبليس فى الأخبار بطرق آخر أيضا، ففى خبر أنّ إبليس قاس نفسه بآدم، فقال: «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»<sup>٢٢٢٢</sup>، فلو قاس الجوهر الذى خلق الله منه آدم بالنار، كان ذلك أكثر نورا و ضياء من النار<sup>٢٢٢٣</sup>.

و فى خبر آخر: كذب إبليس لعنه الله ما خلقه الله إلّا من طين، ثم قال الله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ»<sup>٢٢٢٤</sup> خلقه الله من تلك النار، و النار من تلك الشجرة، و الشجرة أصلها من طين<sup>٢٢٢٥</sup>.

و من القياسات الباطلة السجود لغيره تعالى قياسا على سجود الملائكة

ص: ٥٨٩

<sup>٢٢٢٠</sup> (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧.

<sup>٢٢٢١</sup> (٢) أخرجه الحميرى فى قرب الاسناد: ١٥، و ابن ماجه فى سننه ٢: ١٤٠٨ ح ٤٢١٠ و الشريف الرضى فى المجازات النبوية: ٢٢١ ح ١٧٩ و رواه الفتال فى روضة الواعظين ٢: ٤٢٤، عن النبي صلى الله عليه و آله، و الشريف الرضى فى نهج البلاغة ١: ١٥١ الخطبة ٨٤ عن علي عليه السّلام، و فى الباب عن الباقر و الصادق عليهما السّلام.

<sup>٢٢٢٢</sup> (٣) الأعراف: ١٢.

<sup>٢٢٢٣</sup> (٤) الكافي للكلىنى ١: ٥٨ ح ١٨، ٢٠، و علل الشرائع للصدوق: ٨٦، ٨٧ ح ١، ٣ عن الصادق عليه السّلام.

<sup>٢٢٢٤</sup> (٥) يس: ٨٠.

<sup>٢٢٢٥</sup> (٦) تفسير القمى ٢: ٢٤٤ عن الصادق عليه السّلام.

لآدم، ففي (الاحتجاج) أن جمعا من المشركين حاجوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: إن الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له، كنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة، ففاتنا ذلك فصورنا صورته فسجدنا لها تقربا إلى الله كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة، ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها، وقصدتم الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم بالكعبة إلى الله تعالى لا إليها ... فقال النبي صلى الله عليه وآله لهم: إن الله عز وجل حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره، فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه، لأنكم لا تدرون لعله يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به. ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أرأيتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوما بعينه، ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره، أو لكم أن تدخلوا دارا أخرى له مثلها بغير أمره ... <sup>٢٢٢٦</sup> «فأعطاه الله النظر» أي: المهلة.

«استحقاقا للسخط» أي: لغضبه تعالى عليه، قال تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» <sup>٢٢٢٧</sup>.

«و استتماما لليلية» أي: تكميلا لابتنائه و امتحانه، فإنه و إن كان قبل خلق آدم يعبد الله بعبادات كثيرة، لكن باطنه كان خبيثا، فانكشف بخلق آدم و الأمر بالسجود له.

«و انجازا» أي: قضاء.

«للعدة» أي: لوعده تعالى.

ص: ٥٩٠

«فقال: إنك «مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»\*» و في سورة الحجر، و سورة (ص): «قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»\* <sup>٢٢٢٨</sup>.

«ثم أسكن سبحانه آدم دارا» أي: الجنة.

«أرغد» أي: أوسع و طيب.

«فيها عيشته» «و قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا» <sup>٢٢٢٩</sup>.

«و آمن فيها محلته» أي: حلولة «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى» <sup>٢٢٣٠</sup>.

<sup>٢٢٢٦</sup> (١) تفسير العسكري: ٢٤٨، و الاحتجاج للطبرسي: ٢٦.

<sup>٢٢٢٧</sup> (٢) آل عمران: ١٧٨.

<sup>٢٢٢٨</sup> (١) الحجر: ٣٧-٣٨، و ص: ٨٠-٨١.

<sup>٢٢٢٩</sup> (٢) البقرة: ٣٥.

«و حذرہ إبلیس و عداوتہ» «فقلنا یا آدمُ إنَّ هذا عدوٌّ لك و لزوجک فلا یُخرجنکُما مِن الجنَّةِ فتشقی»<sup>٢٢٣١</sup>.

«فاغتره عدوه» «فدلَّاهُما بغرورٍ»<sup>٢٢٣٢</sup>.

«نفاسة» أى: حسدا.

«عليه بدار المقام» التى لا ارتحال منها «فأزلهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه»<sup>٢٢٣٣</sup>.

«و مرافقة الأبرار» أى: الملائكة.

«فباع اليقين» بنهيه عن أكل الشجرة.

«بشكّه» الحادث من وسوسة إبليس، قال تعالى: «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ»

ص: ٥٩١

«الشيطانُ قال يا آدمُ هلْ أدُلُّكَ على شجرةٍ الخلدِ و مُلكٍ لا يبلى»<sup>٢٢٣٤</sup>.

«و العزيمة بوهنه» «و لقد عهدنا إلى آدمَ مِن قَبْلُ فنسىَ و لم نجدْ له عَزْماً»<sup>٢٢٣٥</sup>.

«و استبدل بالجدل» بفتحيتين، أى: بالفرح.

«وجلا» أى: خوفا.

«و بالاعتزاز» الحاصل له من قول إبليس، كما مرَّ فى كلامه عليه السَّلام و فى الآية، و قول الخوئى: «و بالاعتزاز» بالعين المهملة و المعجمتين<sup>٢٢٣٦</sup> بلا ربط.

«ندما» فعاقبة الاغترار الندم.

---

<sup>٢٢٣٠</sup> (٣) طه: ١١٨ - ١١٩.

<sup>٢٢٣١</sup> (٤) طه: ١١٧.

<sup>٢٢٣٢</sup> (٥) الأعراف: ٢٢.

<sup>٢٢٣٣</sup> (٦) البقرة: ٣٦.

<sup>٢٢٣٤</sup> (١) طه: ١٢٠.

<sup>٢٢٣٥</sup> (٢) طه: ١١٥.

<sup>٢٢٣٦</sup> (٣) شرح الخوئى ١: ١٧٦.

«ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ» «ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى»<sup>٢٢٣٧</sup>.

«وَلَقَدْ لَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»<sup>٢٢٣٨</sup>.

«و وَعده المرّد إلى جنّته» بعد البعث.

«و أهبطه» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (فأهبطه) كما في (ابن أبي الحديد، و الخطيئة)<sup>٢٢٣٩</sup>.

«إلى دار البليّة» أى: الدنّيا، و قد قال عليه السّلام في وصفها «دار بالبلاء محفوفة و بالغدر معروفة».

ص: ٥٩٢

قال تعالى في إهباطه: «قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»<sup>٢٢٤٠</sup>.

ثمّ ظاهر كلامه عليه السّلام هنا و في الآتي أنّ إهباطه كان بعد توبته، و هو ظاهر قوله تعالى في سورة طه «ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى»<sup>٢٢٤١</sup>، قال: «اهبطا منها جميعاً»<sup>٢٢٤٢</sup>، و لكن في سورة البقرة «وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ»<sup>٢٢٤٣</sup>، و يمكن الجمع بأن توبته كانت فوراً بعد عتاب الله تعالى قال سبحانه: «وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ أَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»<sup>٢٢٤٤</sup> و إنّما قبول توبته كان بعد الإهباط.

و في (إثبات الوصية): ثمّ أمر الله تعالى الملائكة بإخراجه فأخذوا بيده ليخرجه، فقال: اللهم بحقّ محمّد و عليّ و الحسن و الحسين تب عليّ. فأوحى الله إليه: اهبط إلى الأرض حتّى أتوب إليك<sup>٢٢٤٥</sup>.

و فيه: و قد هبط آدم على الصّفا و حواء على المروة، فاشتقّ للجليلين هذان الاسمان<sup>٢٢٤٦</sup>. و كان مكثه في الجنّة في ما روى سبع ساعات (من ساعات) الدنيا، روى أنّه دخلها قبل زوال الشمس و خرج قبل أن تغيب<sup>٢٢٤٧</sup>.

<sup>٢٢٣٧</sup> (٤) طه: ١٢٢.

<sup>٢٢٣٨</sup> (٥) البقرة: ٣٧.

<sup>٢٢٣٩</sup> (٦) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣، و كذا في شرح ابن ميثم ١: ١٧٠ (الواو) أيضا.

<sup>٢٢٤٠</sup> (١) الأعراف: ٢٤.

<sup>٢٢٤١</sup> (٢) طه: ١٢٢.

<sup>٢٢٤٢</sup> (٣) طه: ١٢٣.

<sup>٢٢٤٣</sup> (٤) البقرة: ٣٦-٣٧.

<sup>٢٢٤٤</sup> (٥) الأعراف ٢٢-٢٣.

<sup>٢٢٤٥</sup> (٦) إثبات الوصية للمسعودي: ١١ و ١١٢.

«و تناسل الذرية» «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ»

ص: ٥٩٣

«مِنْهُمَا رَجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً»<sup>٢٢٤٨</sup>، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»<sup>٢٢٤٩</sup>.

و روى (العلل) عن الصادق عليه السلام أن آدم ولد له سبعون بطنًا، في كل بطن غلام و جارية إلى أن قتل هايبيل، فلما قتل قابيل هايبيل جزع آدم عليه السلام على هايبيل جزعا قطعه عن إتيان النساء، فبقى لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام، ثم تخلى ما به من الجزع عليه، فغشى حواء، فوهب الله له شيئا وحده ليس معه ثان، و اسم شيث هبة الله، و هو أول من أوصى إليه من الآدميين في الأرض. ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان، فلما أدركا و أراد تعالى أن يبلغ بالنسل ما ترون و أن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله تعالى من الأخوات على الإخوة، أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها: نزلة، فأمر الله تعالى آدم أن يزوجه من شيث، فزوجه منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها: منزلة، فأمر الله تعالى آدم أن يزوجه من يافث فزوجه منه، فولد لشيث غلام و ولدت ليافث جارية، فأمر الله تعالى آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصفوة من النبيين و المرسلين من نسلهما، و معاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوة و الأخوات<sup>٢٢٥٠</sup>.

و الخبر خبر ابن مقاتل عمّن سمع زرارة، و رواه (الفقيه) مختصرا<sup>٢٢٥١</sup>، و توهم الخوئي أنه خبر مسمع فحرف «عمّن سمع» بقوله: «عن مسمع»، كما

ص: ٥٩٤

توهم أن ما في (الفقيه) غير ما في (العلل)<sup>٢٢٥٢</sup>.

٢

<sup>٢٢٤٤</sup> (٧) إثبات الوصية للمسعودي: ١١ و ١١٢.

<sup>٢٢٤٧</sup> (٨) إثبات الوصية للمسعودي: ١١ و ١١٢.

<sup>٢٢٤٨</sup> (١) النساء: ١.

<sup>٢٢٤٩</sup> (٢) الحجرات: ١٣.

<sup>٢٢٥٠</sup> (٣) علل الشرائع للصدوق: ١٩ ح ٢، و قصص الأنبياء للراوندي، و عنه البحار ١١: ٢٤٢ ح ١١، في ذيل حديث.

<sup>٢٢٥١</sup> (٤) أخرجه الصدوق في الفقيه ٢: ٢٤٠ ح ٤.

<sup>٢٢٥٢</sup> (١) شرح الخوئي ١: ١٧٨ - ١٧٩.

من الخطبة (٨٩) فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَانْفَذَ أَمْرَهُ- اخْتَارَ؟ آدَمَ ع؟ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ- وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ وَاسْكَنَهُ جَنَّتَهُ- وَارْغَدَ فِيهَا أَكُلَهُ- وَارْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ- وَاعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ- وَالمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ- فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُؤَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ- فَأَهْيَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ- لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ- وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ «فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ» وَ«وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنَعِمَ الْمَاهِدُونَ» ٢٢٥٣.

«وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ» فِيهَا بِمَا أَرَادَ مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَغَيْرِهِمَا.

«اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ» «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» ... «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» ٢٢٥٤.

«وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ» أَى: خَلِيقَتَهُ مِنَ الْبَشَرِ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» ٢٢٥٥.

«وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَارْغَدَ» أَى: أَوْسَع.

«فِيهَا أَكَلَهُ» «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا» ٢٢٥٦.

ص: ٥٩٥

«وَأَوْعَزَ» أَى: تَقَدَّمَ.

«إِلَيْهِ فِي مَا نَهَاهُ عَنْهُ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِهَمَا: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»\* ٢٢٥٧.

«وَاعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ» أَى: عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ.

«التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ» «وَاعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» ٢٢٥٨.

«وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ» «إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى» ٢٢٥٩.

٢٢٥٣ (٢) الذاريات: ٤٨.

٢٢٥٤ (٣) البقرة: ٣٠-٣٣.

٢٢٥٥ (٤) النساء: ١.

٢٢٥٦ (٥) البقرة: ٣٥.

٢٢٥٧ (١) البقرة: ٣٥.

٢٢٥٨ (٢) طه: ١٢١.

٢٢٥٩ (٣) طه: ١١٧.

«فأقدم على ما نهاه عنه» «فأكلا منها فبدت لهما سؤاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة»<sup>٢٢٦٠</sup>.

«موافاة لسابق علمه» يمكن أن يكون مفعولا مطلقا لقوله «فأقدم»، والأصل (اقداما موافاة)، وأن يكون مفعولا له، من باب «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً»<sup>٢٢٦١</sup> لسابق علمه بجعله في الأرض خليفة له.

«فأهبطه بعد التوبة» مرّ في سابقه أن نفس توبه آدم كانت قبل الهبوط، وإنما وعد القبول كان بعده «ثم اجتباؤه ربّه فتأبّ عليه وهدى»<sup>٢٢٦٢</sup>.

«ليعمر أرضه بنسله» وفي خبر عن الصادق عليه السّلام ما معناه: أن ملكا زار آدم بعد هبوطه، فلما رأى قلقه سلّاه ثلاثا بأن قال له: إن الله تعالى قال لنا فيك:

«إني جاعل في الأرض خليفة»<sup>٢٢٦٣</sup>، فهو خلقك لأن تكون في الأرض

ص: ٥٩٦

أ يستقيم أن تكون في السماء<sup>٢٢٦٤</sup>؟! «و ليقيم الحجّة به على عباده» وفي الخبر: إن الحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق<sup>٢٢٦٥</sup>، و لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لوجب أن يكون أحدهما الحجّة<sup>٢٢٦٦</sup>.

هذا، و اشتهر إجماع الإمامية على عدم جواز صدور معصية و لو صغيرة من الأنبياء و لو قبل نبوتهم<sup>٢٢٦٧</sup>، لكن قال شيخنا المفيد في (مقالته): إن الصغيرة لا يجوز منهم مع الاستخفاف مطلقا، و أمّا بدونه فجاز وقوعه منهم قبل النبوة و على غير التعمد<sup>٢٢٦٨</sup>.

و ما قاله الصواب و عليه يحمل أكل آدم من الشجرة، فإنه لم يكن عن تعمد، لقوله تعالى: «فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً»<sup>٢٢٦٩</sup>.

<sup>٢٢٦٠</sup> (٤) طه: ١٢١.

<sup>٢٢٦١</sup> (٥) القصص: ٨.

<sup>٢٢٦٢</sup> (٦) طه: ١٢٢.

<sup>٢٢٦٣</sup> (٧) البقرة: ٣٠.

<sup>٢٢٦٤</sup> (١) تفسير العياشي ١: ٣٢ ح ١٠.

<sup>٢٢٦٥</sup> (٢) الكافي للكلينى ١: ١٧٧ ح ٤، و كمال الدين للصدوق: ٤، و بصائر الدرجات للصفار: ٥٠٧ ح ١ عن الصادق عليه السّلام.

<sup>٢٢٦٦</sup> (٣) أخرج هذا المعنى الكلينى بخمس طرق في الكافي ١: ١٧٩-١٨٠ ح ١-٥، و الصفار بأربع طرق في البصائر:

٥٠٧-٥٠٨ ح ٢-٤، و الصدوق بثلاث طرق في كمال الدين: ٢٠٣ ح ١٠، و: ٢٣٠ ح ٣٠، و: ٢٣٢ ح ٣٨، و بطريقتين في علل الشرائع: ١٩٦-١٩٧ ح ٦ و ١٠، و والده بطريقتين في الامامة و التبصرة: ٢٨ ح ٩ و: ٣٠ ح ١٣، و التعماني بست طرق في الغيبة: ٩٠-٩١ و غيرهم.

<sup>٢٢٦٧</sup> (٤) يظهر إجماع الإمامية من عبارة الصدوق في الاعتقادات: ٣٧، و المرتضى في تنزيه الأنبياء: ٢، و العلّامة الحلّي في كشف المراد: ٢٧٤ و غيرهم، لكن صرح

المفيد في أوائل المقالات: ٦٩، و الطوسي في تمهيد الاصول: ٣٢١ بأن بعض الإمامية فرّقوا بين حال النبوة و قبلها.

<sup>٢٢٦٨</sup> (٥) أوائل المقالات: ٦٨، و النقل بالمعنى.

و فى خبر الهروى عن الرضا عليه السلام: أما قوله تعالى فى آدم: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»<sup>٢٢٧٠</sup> فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة فى أرضه و خليفة فى بلاده لم يخلقه للجنة، و كانت المعصية من آدم فى الجنة لا فى الأرض، و عصمته

ص: ٥٩٧

تجب أن تكون فى الأرض ليتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ، فلما أهبط إلى الأرض و جعل حجّة و خليفة، عصم بقوله عزّ وجلّ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»<sup>٢٢٧١</sup>.

و مثله خبر ابن الجهم، عنه عليه السلام مع زيادة: إنّ إبليس ألبس عليهما بأنّ المراد بهذه الشجرة فى خطابه تعالى الشخص لا الجنس، و حلف لهما، و ما ظنّ آدم أنّ أحدا يحلف بالله كاذباً<sup>٢٢٧٢</sup>.

---

<sup>٢٢٦٩</sup> (٦) طه: ١١٥.

<sup>٢٢٧٠</sup> (٧) طه: ١٢١.

<sup>٢٢٧١</sup> (١) حديث الهروى طويل جاء فى عيون الأخبار للصدوق ١: ١٥٣ ح ١، و أماليه: ٨٢ ح ٣ المجلس ٣٠، و الآية ٣٣ من سورة آل عمران.

<sup>٢٢٧٢</sup> (٢) حديث ابن الجهم طويل جاء فى عيون الأخبار ١: ١٥٥ ح ١، و النقل بالمعنى.